المواهب القدسية في المناقب السنوسية

للشيخ محمد بن عمر الملالي



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

يقول عبيد الله تعالى الفقير الحقير المعترف بكثرة الذنب والتقصير محمد
ابن عمر بن ابراهيم بن عمر بن علي المالكي لطف الله تعالى به اللطف الجميل وختم الله
له في المقام والرحيل

الحمد لله الذي ملأ قلوب أوليائه بأنوار معرفته، وأزال حجاب الغفلة حتى شهدوا ما
عليه جلاله وعظمته، واطلعهم سبحانه وتعالى على توحيده وتفريده، فقصدوا
الى الفناء بحضرته، وطهر قلوبهم من كل ما يكدر عليهم نور المعرفة وقربهم اليه فصاروا
من أهل حضرته، وكساهم بفضله وكرمه حلل كرامته، فعن قريب تجلى لهم بمحبته وحبهم،
واطلعهم سبحانه وتعالى على عجائب قدرته وبعض مغيباته، فتحققوا بالحرية ومن[هم]
وكشف لهم عن خسة الدنيا وما يؤول اليه امرها فلم يلتفتوا الى شيء من زخارفها
وشهدوا فناءها عيانا من جميل ذاته العلية المعروفة المثال وعظيم الرهبة وحفظهم
المولى تبارك وتعالى بحفظه من جميع البلاد وجميع العباد وجعلهم رحمة لكافة الخلق على
ما سبق في ازليته والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين خاتم النبيين والمرسلين
سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم المصطفى من خليقته وعلى
آله وعترته وأصحابه وعلمائه وصلحاء امته ما دامت بدوام ابديته وبعد فإني عزمت
في هذا التقييد المفيد وفقني الله فيه للصواب والتحقيق ويسر في اتمامه
على احسن طريق ان اذكر فيه جملة من مناقب شيخنا الامام البالغ في التحقيق والورع
منتهى المرام قطب الوجود المدرك(?) الشاملة لكل موجود وروح خلاصة اهل
الايمان والطريق الموصل الى رضى الرحمن المتقرب الى الله تعالى بكل حب نبوي وانفقه(?)
الا ما لمحمد(?) او زين الدين ونبراس المتقين وسلطان العارفين وقدوة السالكين ومنقذ
الهالكين صاحب الاشارات العلية والعبارات العلمية السنية والحقائق الفضل(?)
الغيبية والاسرار الربانية والعلوم العرشية والانوار المحمدية شمس سماء
الطريقة بعد خفاء آثارها ومجدد علوم الحقائق بعد غيبة انوارها المعروف
بالعزيز في هذا الزمان الذي جعله الله امانا لاهل الارض سيدنا ومولانا وبركتنا

ووجهتنا(?)

وحبيبنا ووسيلتنا الى ربنا الواحد الاحد تعالى المولى الجليل ابو عبد الله محمد
ابن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني تغمده الله تعالى بجميع الرضوان
واسكنه فراديس الجنان مع اهله وجيرانه والغرباء واصدقائه وتلامذته وكل من
احبه من سائر الاخوان وابناء جنسه من الزوار ووفقنا الى اتباع جميل اثاره
وجعلنا بفضله وكرمه من جواره بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم خاتم رسله وانبيائه والتمس من اخذ عنه من الشيوخ والمتمهر
علية في علومه ومعارفه من اهل الرسوخ وما تنبئ عن فضائله ومآثره
ويتوصل اليه العامي من فوائده ودلائله وخصوصا اخوه شيخنا وبركتنا وعمدتنا
الشيخ العالم المتفنن الكامل الولي المنقطع الى الله الزاهد العابد الورع الصالح البركة المتضلع
الى الله سبحانه والى محبة اوليائه سيدي ابو الحسن علي بن يوسف وبركتنا ابو
عبد الله محمد بن علي التالوتي تغمده الله برحمته واسكنه بفضله وكرمه فراديس
جنته مع اهله وقرابته وجيرانه واصحابه وتلامذته وسائر احبته والمقصود
ذلك بشيء من فوائده وما سمعت منه من مهمات المسائل التي اشكلت على كثير
من العلماء الاعيان في هذا الزمان وما قاله من تفسير ايات من القران او تفسير
حديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم او كلام على حقيقته مما نقل
على احد من ائمة اهل التصوف اشكل معناه وما الفه من التواليف بحسب
ما رايت منها وما حدثني به عن بعض تواليفه مما هو كالامة له واذكر ما بلغني
من عظيم كراماته منه او من اكثر تلامذته واذكر ايضا احواله وعلومه واسراره وما
قاله رضي الله تعالى عنه من الشعر او قيل فيه في حياته او بعد مماته وينحصر في
مقدمة وعشرة ابواب الباب الاول في التعريف به باختصار الباب
الثاني في مكاشفاته وكراماته الباب الثالث في علمه وزهده
وورعه وورع همته وحلمه وصبره وسعة ادراكه بفهمه وشدة خوفه الباب
الرابع في عدد تواليفه وما قيل في بعضها من الشعر وما حدثني به عن بعض تواليفه
الباب الخامس في ايات من كتاب الله تعالى تكلم على تبيين معناها
وازالة ما ظهر من اشكالها الباب السادس في تفسير ما اشكل من الاحاديث

السابع في تعبيره الباب الشرعية منها من الاحكام وما استنبطه النبوية
لما اشكل من كلام اهل الحقايق وحمله ذلك على اجل الطرق الباب الثامن في
ذكر اوراده التي عليها جل ثلاثة من زمنه والعبادة وذكر اعجيبة حسنة كتبها بخطه
الباب التاسع في وفاته وما اتفق له في ايام مرضه رضي الله تعالى عنه ونفعنا
به امين الباب العاشر فيما قاله من الشعر او قيل فيه مما يتضمن ذكر خصوصيته
وعلو منزلته رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وليس كل ما في هذا منه من الشيخ رضي
الله عنه استحضرته وقت وضع هذا التقييد المبارك ولا كل ما استحضرته
يمكن اثباته وما حملني على وضع هذا التقييد المبارك الا كثرة ما يجيء من هذا السيد
الشريف الذي منّ به الجليل احسانا الينا وافاض من بركاته وانواره علينا حتى صار
ما اجرى على لسان الخطباء ذكره ولا اقول ولا افعل الا بذكره ولا استنشق الا عبير
نشره ولا استلذ غير حبه تقربا وقربا به تحليت مما فيه العالية ومعارف امامه
في الدنيا زاعما نفعا والفوز بالخاطر ولينتفع به في مستقبلات الازمنة البادي
والحاضر وسميته بالمواهب القدسية في المناقب السنوسية واياه اسأل جل
وعلا متوسلا بنبيه صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة والمتجلي في هذه الدنيا والاخرة
عطايا كل نعمة وان ينفعني في هذا التاليف ويجعل عملي على الاحسان فيه والاخلاص له
ويجعلني تحت نعمته وتحت كرمه تشرفني بذلك على اكمل الحالات واحسن طريقة فانه
الجواد والمتفضل بالعز باسعد كرمه قبل السؤال والمتفضل على من شاء ولا يبالي
بما اعطى ولا اعطى اعظم ما في الدنيا ولنشرع فيما قصدنا مستعينا بالله تعالى وهو
المتفرد بالاعانة وجميل الاعرابة ومصليا على نبيه صلاة دائمة عليه فهو الوسيلة
العظمى لكل مطلب والمعتمد الاسنى من كل راغب بذلك فنقول اما المقدمة فتشتمل على ذكر
احوال اولياء الله في الدنيا وزيارتهم ومجالستهم ومحبتهم واما بركات هذه المقدمة
لكي تنشط النفوس لسماع ما سيأتي وتنفتح القلوب عند سماعه ويسلك طريقهم
بان من شان النفس الميل الى السكون الى الراحات والشهوات والملل من الطاعات والخيرات
فاذا قدم هذه المقدمة انتعشت وانتشطت بعد ان جمدت وجمعت كما قال صاحب
كتاب التشوف رضي الله تعالى عنه ان العابد في ذكر اولياء الله تعالى تقوية قلب

هما المطل بنور الآخرة وقد قال سفيان بن عيينة رضي الله تعالى عنه عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة
وقال أبو نصر بن محمد رضي الله تعالى عنه ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين وقال سفيان
الثوري رضي الله تعالى عنه إذا ذكر من الصالحين فأنا نحب الصالحين وإذا نظر الإنسان العاقل
اللبيب فيما حوته هذه المعرفة فلا يصل النظر فيما بعدها بل يتلذذ القلب بها ويألفها
ويفرح بذلك غاية الفرح الراحي الكئيب إن شاء الله تعالى فمن جملة أحوالهم رضي الله
تعالى عنهم ونفعنا بمحبتهم ما ذكره صاحب كتاب التشوف في صدر كتابه فقال إن للصالحين أحوالا
ينكرها كثير من الناس ورأيت الانتقاد عليهم بإسنادهم يفضي إلى السلامة **فمنها** تفرغهم
للعبادة دون تعلق بحرفة وكذلك كانت طائفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كمثل ما خرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون
على أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا
أتته هدية أرسل بها إليهم فأصاب منها شيئا وأشركهم فيها قال الهروي والصفة موضع
مظلل في المسجد كان يأوي إليه المساكين والحجة في ذلك إقرار رسول الله صلى الله عليه
وسلم لهم على ذلك وخرج الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كان أخوان
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أحدهما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم والآخر
يحترف فشكا المحترف أخاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعلك ترزق به قال حديث
حسن صحيح **ومنها** لبس المرقعات من غير ضرورة وقد لبسها الصحابة رضي الله تعالى عنهم (لبس المرقعات)
كمثل ما خرجه الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال إنا لجلوس مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلا بردة له مرقعة
بفرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو اليوم
فيه وذكر الحديث **وقال** الطبري في تهذيب الآثار حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا
عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس قال حمل عمر رضي الله تعالى عنه عبد الرحمن بن عوف فحمل
بنساء عن لبس الحرير فجعل عبد الرحمن يحمله **و** يقول لو أعطتنا البحشة معنا قال فنظرت
إلى قميص عمر رضي الله تعالى عنه وإذا بين كتفيه أربع رقاع لا يشبه بعضها بعضا النهس
قلت وعن سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه قال كان لعمر إزار فيه اثنا عشر رقعة ○
أحدها من أدم في الظهر والإزار حلو وكان صلى الله عليه وسلم يخصف النعل ويرقع الثوب

وقال لعائشة لا تستبلي الثوب حتى ترقعيه وفي الجواهر النصوحية ان عليا رضي
الله تعالى عنه قال رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها الآن قال الولي الفهما
عنه من الاثر ما يرخاه دون قبيل اتباعا لمن رقع آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام
قال تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قلت وسمعت سيدنا ومولانا
وبركتنا سيدي محمد بن يوسف السنوسي رضي الله تعالى عنه ونفعنا به يقول في قوله
صلى الله عليه وسلم حسن العهد من الايمان قال من حسن العهد ترقيع الثوب الخلق وانه
لا ينبغي للانسان ان يبدل فيه ويترك لبسه ويبدله بثوب جديد بل لا بد ان يعاهده
بالترقيع قال فان لم يمكن لبسه فليجعل منه عصابة ويتمسح به ويسطه او يجعله ولي
وليجعل الثوب الجديد من فوقه والجاهل انه يستعمله كيف ما اتفق ولا يتركه بالكلية
ومصداق ما قال الشيخ رضي الله تعالى عنه قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم
لعائشة لا تستبلي ثوبا حتى ترقعيه قلت واصل انكار الناس على الصلحاء
المنقطعين المتجردين للعبادة ولم يتعلقوا بشيء على ما قاله الاستاذ الحكيم سعد بن احمد
ابن ابراهيم بن احمد بن بلعون التجيبي في اختصاره لكتاب الامام الصوفي ابي الحسن علي
التستري في الزهد وفي طريقة الفقر المتجرد بن من الصوفية انكار قوم نوح على نبينا
وعليه الصلاة والسلام في قوله تعالى قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اي الفقراء والضعفاء
ولما طالبوه بطردهم قال ما حكى الله عنه ويقوم من ينصرني من الله ان طردتهم وقال
ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظا
لمين وكذلك فعلوا بصالح وشعيب وعيسى وغيرهم من الرسل عليهم الصلاة والسلام
ومن فعلهم ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه وفي مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع
حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم فاخبر ما يفعله من قبلنا من الامم من الانكار موجود
فينا بالانكار على صفوة الله من الفقراء ولما اجتمعوا بباب عمر رضي الله تعالى
عنه فقراء المهاجرين واشراف العرب مثل عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس
ابن مرداس وغيرهم خرج الاذن لبلال وصهيب وسلمان فتغيرت وجوه القوم فقال

سهيل

سئل بن عمر ما لكم نقيرا وجوهكم دعوا ودعينا بالسعوا والبطانة ولبس د

حسنتموهم فلم يات عرفا اعز الله لهم في الجنة اكثر والمتكبرون على الفقراء حسن تموهم

ثلاثة اصناف ارباب الدنيا واتباعهم والجاهلون من الفروعية واتباعهم والمتعمقون

في الاعمال المتنطعون واتباعهم اما ارباب الدنيا فان الفقراء اضداد لهم لان ثقل

ثيابهم وقلة جاههم والفقر يبغي حتى والدنيا تورث القساوة وطول

الامل وما الحيرة الدنيا الامتاع الغرور واتباعهم يمشون في مرضاتهم وقالوا

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا واما الجاهلون

من الفروعية فانهم يعتقدون ان الاحاطة بالشريعة وترك طريقهم وتتبعهم العوام

على ذلك والاحاطة بالشريعة متعذرة وقد انبه مالك رحمه الله تعالى

حين قال له الرشيد اريد ان احمل الناس على الموطا فقال له ان الصحابة تفرقوا

في الامصار وعند كل واحد منهم علم والفقه اللغة الفهم وما يفهمون من القران

والحديث وحقيقة الفقه ما ادى الى ترك الدنيا وطلب الاخرة واما المتعمقون

في الاعمال المتنطعون فيعتقدون ان في الاعمال وحدها يرجون اجلها فمن تفقه عنهم

بعمقهم الناس هم يبغضون الفقراء لان الفقراء يتصفون وكان البعض اختارا

علم الشرع واذا ارادوا الخلوة نتاج الراحل مخلص من شره بنفسه ثم يلزم الجد في

العلوم وما حفظ الاحاديث النبوية والسنن المأثورة واشتغل بالفقه فيه وانكر

عليهم بان كل ما لا يحيطون بعلمه ومن نسب الفقراء الصوفية من مذهب اهل القران والحديث

وعلومهم مكارم الاخلاق والنبي صلى الله عليه وسلم بعث ليكملها ويتممها ومكارم

الخلق مطلوبون بها وفي الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وليست بالفقير

حاجة الى الفروع الا قدر ما يحتاجه كافة الناس وهو امر قريب يسير قال ابو حامد

رحمه الله تعالى ان الله جعل الدنيا للتزود للاخرة فلو اخذ الناس منها بالعدل لما

انقطعوا الخصومة وما جاز للانسان ان يتكرم خالف عادتنا وطريقته والوقوف

مع ذلك الى ما انتهى ثم قال ابن الجوزي ما يذكر عليه له اصل في الكتاب والسنة

او عمل السلف وذكر تسعين امرا المجنها التنزه ولبس المرقعة وذكر دليل كل واحد

منها فمن اراد الوقوف عليها فليطالعها هناك ثم قال صاحب كتاب التنوير بعد

كلامه المتقدم ذكره في حال الصالحين في الدنيا انها خلقت لا لغيرهم اي لانزالهم

كما لو وقفت ايها السامع بقدمك امة الاخيار منهم في القفار حينا من دهرهم واما ما تراه

مثبتا في الاخبار معناه ان تلك الاخيار عن بيتهم بسبب انهم لباسهم ما ستر وطعامهم ما سكن

جوعهم لما ارتضوا فاذا رايت القوم فلقد مرضا واشتد بهم من اقدامهم فقطعوا اعمالهم

في طلبه وابتغوا العطاء في رضوه واجتهدوا فقطعوا المهامه لاجل التعلق به وحلوا في الجبال

خوفا من غضبه فقد صفت القلوب بقلوب مشتاقة وافئدة تسعى في طلبه فلهذا امروا

على النار وانه جزاء من عصى الطباع تذوب من قلوبهم اذا رات النار من حجر بالحجر وما

خافت ذا حقه وانها تعرف نفس نساء الا ما طاقت طاقته واذا علمت احشاؤها

بايقنة الحرام وعافية عافته فعلا تشتبهت بها اذ القوم اقوام العقول تنطلق من هذا

الرقاد والنوم ومن العجائب ان تكون كما اراد وتطلب نعمة في بر من فيه كي يب السبيل

الرفيع اجل في حومه لي يستغنم في الاولى فرانه القوم فعمروا لذايذ المناح وانصبوا

لما قصدوا الافراد وانتصبوا للانس في الخلوة يطلبون نصيبا من الانعام اذا جن الليل

سهروا واذا جاء النهار اعتبروا واذا نظروا في عيوبهم استغفروا واذا تذكروا ما جنوه

بكوا وانكسروا فعلقا في القلوب على ما قلبها واقاموا القلوب بين يدي موجدها

وسلموا لها اذا باعوها لصاحبها ولحزوا الاخرة فنظروا الى غايتها وسهروا الليالي

كانهم فيه وكلوا برعي كواكبها وفادوا النفس عن اعلى نار الجاهل كواكبها ومفتقروا

الدنيا فما مالوا الى غيها واشتاقوا الى لقاء حبيبهم فاستقلوا من ذلة المعلم

بما يبيعانه ينال الراحة بالراحة لمن زرع حصد ومن جد وجد ولله قوم شغلهم

شغلهم بتحصيل زادهم عن اهليهم واولادهم ومالهم من المال ذكر المشاكل في [illegible] وكانت

بهم الدنيا اما جانب اشغا براحتهم وتوسروا الحوائج بما من وسائدهم وافترشوا الليل

مسلكا الى ربهم واجتمعوا [illegible] جوارحهم من الطاعة عن غيره [illegible] ابليت

قلوبهم خوفا حتى الحق [illegible] جاءت الخلق والابرار [illegible] الدنيا تشعق

والقلوب في رياض الملكوت [illegible] الحق [illegible] العبق [illegible]

متحيرين [illegible] عليهم الليل [illegible] حتى على الصباح [illegible]

[illegible] عليهم [illegible] السحر [illegible] استغفروا ربهم وقطعوا [illegible] الجماهير [illegible]

والبر

واحلّين فلما رجعوا وقفت الجرّ بما جرى له امتداد الهجر فاخبيت القائلين والله ما ادرك
المفاخر من كان في الصف الاخر فلاح المجد كاسفة وكان قد غلبت ومرابع القطر فيه
وكان قد علقت فيها منازل الاحباب ابن نساكتها وفي بقع الاخطار ابن قربة المنوك
وفي مواطن الابرار ابن عامرها وفي مواضع المتهجد ابن زائر خلقه والله الديار
وباد القوم وارتحل ارباب الصدق وبقي اهل اللوم واستبدل الزمان اهل الشهوات
باهل الصوم لله در عطائهم ثم تقلب في طاعة تقيته والله اوحالهم ورجت
البضاعة وبقي الثناء عليهم الى قيام الساعة لو رايتهم في الظلام قد لاح نورهم
وفي مناجات الملك العلام قد تم سرورهم فاذا تذكروا ذنبا مخافة صدورهم
وتقطعت قلوبهم اسفا على ما حملت ظهورهم وبعثوا برسالة الحزن والدمع سطورهم
حل الفكر قلوبهم فلاح حوابهم وتذكروا منن الملك فجفا الذكر جوانبهم وحاسبوا انفسهم
فدققوا حسابهم ونزلوا بالقران فكان من نحورهم وربابهم وكلفوا بطاعة الله فالعرا
محرابهم وخر موت معتد ليس في خرقة تشبا جهم فيا حسنهم وريح الاسحار من حركت
اثوابهم وحلت فصل غصصهم ثم ردت جوابهم

نسيم الصبا ان جزت ارض احبتي ، فخصهم عني بكل سلام
وبلغهم اني رهين صبابة ، وان غرامي فوق كل غرام
واني ليكفيني طروق خيالهم ، لولا جفوني منعت لمنام
ولست ابالي بالجنان وما حوت ، اذا كان في تلك الديار مقامي
ونزهت عن لذات نفسي كلها ، ويوم لقائكم ذاك فطر صيام

انتهى كلام صاحب التشوف قلت فمن اكان حال الشيخ سيدي ومولاي محمد بن
يوسف السنوسي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفع به وجمعنا معه في محل عالي القصور بسر
بجاه نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وسياتي ذكر احواله بنا ان شاء ثم مما نذكره هنا
في الباب الثالث ان شاء الله تعالى وامّا زيارتهم ومجالستهم ومحبتهم فقد خرج مالك
ابن انس عن معاذ رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتباذلين فيّ والمتزاورين فيّ وخرج
البزار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال قيل يا رسول الله اي جلسائنا خير قال من

ذكركم بالله رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله وخرج مسلم
في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا زار أخا له
في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخا لي
في هذه القرية قال لا غير أني أحببته في الله عز وجل قال فإني رسول الله إليك بأن الله
قد أحبك كما أحببته فيه وعن أبي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه أنه قال الرجل من
أحوال أن لا تذكر من أوليائه ليغيب إليهم فإنه ينظر إلى قلوبهم فلعله أن يراك في قلوبهم
فيحفظك بهم ومن هذا المعنى ما ذكره صاحب كتاب المقصد الشريف والمنزع
اللطيف في ذكر صلحاء الريف قال روي أن أبا يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه
سأله بعض الناس هل ينتفع برؤية الولي من زاره فقال أبو يزيد إذا كان يوم القيامة
أمر الله برجل عاص إلى النار فتذهب به ملائكة العذاب فيسمع حفيفا كثيرا من
تهليل وتكبير فيقول العاصي السائر به إلى النار للملائكة ما هذا فيقولون له ذلك
فلان بن فلان ولي من سارت به الملائكة إلى الجنة فيقول الرجل المأمور به إلى النار
قد كنت سمعته يذكر في الدنيا فيوحي الله إلى ملائكة العذاب أن اتركوه من سمع
ذكر ولي في الدنيا والعفو به فقد غفرت له فتتسلمه ملائكة الرحمة ويصير في زمرة
الولي فيدخل معه الجنة قال أبو يزيد للسائل فإذا كان هذا حال من سمع به فكيف
يكون حال من زاره أو صحبه انتهى وقال الكرماني رضي الله ما تقرب متقرب إلى الله
من التحبب إلى أولياء الله تعالى لأنهم جبلوا على محبة الله عز وجل قال وعلامة الركون إلى
الله أهل التقرب من المطيعين وقال الشيخ العارف بالله تعالى شيخ المشايخ سيدي
أبو مدين رضي الله تعالى عنه عليكم بزيارة المشايخ حيث كانوا فإن في زيارتهم خصالا
محمودة أولها زيادة الإيمان واليقين والعلم الباطن واكتساب الخلق ومعرفة
الطريق والأجر والثواب فإن تكن من شغل النفس على زيارة المشايخ واكتساب الأحوال
المحمودة منهم وقال أيضا من منع الزيارة فقد خالف الصحابة ومن زارهم ولم يعمل بتعظيم
من شأنه لم ينل من بركته ذلك انتهى عن زيارة المشايخ الأرض بوهران فقول سيدي
أبي مدين رضي الله عنه عليكم بزيارة المشايخ حيث كانوا فإنه في والله تعالى أعلم
أحياء وأمواتا ويدل على ذلك قول سيدي إبراهيم بن محمد بن علي الملقب التازي رضي الله

عنه

عنه في تضمين قصيدة البيتين خصوصا على زيارة ارباب الصفا وهي هذه

زيارة ارباب التقى مرهم يبرئ   ومفتاح ابواب الهداية والخير
وتحدث في قلب الخلي ارادة   وتشرح صدرا ضاق من سعة الوزر
وتنصر مظلوما وتدفع ظالما   وتكسب معدوما وتجبر ذا الكسر
وتبسط مقبوضا وتفعل ما يشا   وترجع بالفضل الجزيل بلا وبالاجر
عليك بها ان رمت باحوالهم نظرا   وادم هواها صاح في السر والجهر
فكم خلصت من لجة الاثم فاتكا   فالقته في بر الافادة والبشر
وكم حسنت من نية لجزيلهم   فعاد بها الفتح المبين مع البشر
وكم من مريد الاجر قد بشرت   حكيم خبير بالعباد وما يجري
والقوا عليه حلة نبوية   مطرزة بالفتح واليمن والنصر
بزور تباعد بعد تصحيح نية   تناديه مقبولا مع الماتم الحسن
وكم قرب في احكامها بين سالك   مريد ومجذوب وحي وذي قبر
وذي الزهد والعباد والكل منعم   عليهم ولكن ليست الشمس كالبدر
وزورة رسل الله خير زيارة   ولهم درجات في المكانة والقدر
واحمد اعلى العالمين وخير من   يعم العالمين في العسر واليسر
وامته الصحابة الغر خير هم   وافضل الاصحاب المنير ابو بكر
ويتلوه فاروقنا ابو حفص الرضا   على راي اهل السنة المذهب الزهر
وبالوقف فالراجح العزيز اخو العلا   علي وعثمان الشهير ابو عمرو
وفي الاكثرين بيت الخلافة فضلهم   وفي زمن نطقهم في المزور وفي الزور
على انبياء الله صلى ورسله   وختمهم ازكى السلام مدا الدهر
وقربا والصحب الكرام وتابع   لهم في التقى والبر والصبر والشكر

انتهت القصيدة بكمالها وكما حيا عليه وجه المولى وقال الشيخ ابو الحسن علي بن محمد المراكشي رضي الله تعالى عنه من عرف اولياء الله تعالى فقد عرف الله تعالى لان الولي سبيل الى القرب الى الله قال صلى الله عليه وسلم من قرع بابا يوشك ان يدخله وابواب الله كثيرة وباب الله على الحقيقة الولي لان الولي يدل على معرفة الله تعالى وهو الولي المنوع

ما يشغله عن جليسه ما غنموا معرفة الاولياء في المرتبة لما نزلهم في الفناء من حالاتهم ن
ما يسمعه الا القليل من الناس قال تعالى وما يعقلها الا القليل قلت ومن تبرك المعنى ما رأيته
مكتوبا بخط شيخنا الشيخ ابي محمد القشتوبي رضي الله عنه وهو من كلامه ونصه اعلم ان من
احترم اولياء الله وتوسل بهم فقد عظم حرمات الله واكرامهم دليل على تعظيم شعائر الله وهذا
المتوسل بهم ينبغي الخضوع عند حضوره تلك المواقف على زيارتهم والتضرع والبكاء عند قبورهم
ومشاهدهم والمجاور قريبا داره كمن كان منزلا جنبك وما اشد ان من انتهك الحرمة وجاوزه جلد
الحرمة على كافة الانام على ما ثبت من حديث الجار عن سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه
وسلم وفي كلام جبريل عليه السلام الوصية بذلك الامر حتى ظن سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم ان سيورثه كما ورثنا الاباء والابناء والاعمام ثم قال بعد ذلك في حرمة اولياء
الله تعالى لا يعرف قدر هذا الا من نور الله تعالى بصيرته وطهر من كدر الجهالة والاغبياء
سريرته اذ هم القوم الذين لا يشقى جليسهم وهم احسن الناس جوارا وان طوبت
رموسهم وكيف يحرم جارهم وخيرهم من كرامتهم اوجب والارض من ذلك الكرام تطيب
النفس بحج الحاجة منه والله تعالى ينفعنا ببركتهم وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه رجلان
في الارض فاذا شهدنا المريدين وحلقات الجنة الرفيعة فيهم ينفعنا من زيارتهم ومجالستهم
اياه تسليهم عن المال والاهل وتشغلهم عن جميع الاشغال وقال صاحب ديباجة الا
منتخب راغبنوا النفسية بالمعرفة الوثيقة ونعم مجالسة العلماء العظماء فان الله يحيي
القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل الامطار وفي الحكم العارفية من نا صحبه تحبنا
العزيز البعيد ومن صحبه صحبه الخبيه وقال الشيخ ابو مدين رضي الله عنه ونفع به الدليل
تخليطه تخليطه صحبة المخلطين ودليل انقطاعه صحبة المنقطعين وذكر ابن الخطيب
حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصالحين فانهم الشفعا وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تصاحب الا مومنا
ولا ياكل طعامك الا تقي وخرج الترمذي رضي الله عنه عن انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وله ما اكتسب وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وخرج د
البزار عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تحاب اثنان في

بجار

ربه تبارك وتعالى الذكار فطوبى لمن شرح لها جمه وخرج النسائي عن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العباد لعبادا يغبطهم الانبياء
والشهداء قيل ومن هم يا رسول الله قال هم قوم تحابوا في الله على غير اموال ولا انساب
وجوههم من نور يغشاهم على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس
ثم تلا هذه الاية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال ابو داود في كتابه
الحديث في الشام وجوههم لنور وانهم لعلى نور وروا الليث بن سعد عن انس بن مالك
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليبعثن رجال يوم القيامة ليسوا
بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمنازلهم من الله يكونون على منابر من نور
قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذين يحببون الله الى الناس ويحببون الناس الى الله
قال يمشون لهم في الارض نصحاء قلنا يا رسول الله هذا يحببون الله الى الناس
فكيف يحببون الناس الى الله قال يامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاذا اطاعوهم
احبهم الله تعالى وخرج مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا
ظلي وقال صلى الله عليه وسلم من زار عالما فكانما زارني ومن صافح عالما فكانما صافحني
وقال النظر الى وجه الوالدين عبادة والنظر الى الكعبة عبادة والنظر في المصحف عبادة وفي
رواية النظر الى وجه العالم عبادة والجلوس معه عبادة والاكل معه عبادة ويروى
ان الله تعالى يحاسب عبدا فترجح سيئاته فيؤمر به الى النار فاذا ذهبوا به يقول الله تعالى
لجبريل عليه السلام ادرك عبدي واسأله هل جلس في مجلس عالم في الدنيا فاغفر له بشفاعته
فيسأله جبريل فيقول لا ما جلست فيقول جبريل يا رب انت اعلم بحال عبدك فيقول اسأله
هل احب عالما فيقول لا فيقول يا جبريل اسأله هل جلس على مائدة مع عالم فاذا فيسأله
فيقول لا فيقول يا جبريل اسأله عن اسمه وعن نسبه فان وافق اسمه اسم عالم غفرت له
فيسأله فلا يوافق فيقول لجبريل اسأله هل احب رجلا يحب العلماء فيقول نعم فيرا من فيه
فيقول لجبريل خذ بيده وادخله الجنة فانه كان يحب رجلا كان ذلك الرجل يحب عالما فيغفر
له ببركته انتهى من كتاب البركة في السعي والحركة لجمال الدين الحبيشي رحمه الله تعالى
ورضي عنه ونفعنا به وجميع اوليائه واكابر اصفيائه فصل والاحاديث وكلام العلماء

في ذلك كثير ولو تتبعناها لما استقصاها لخرجت عن مقصد الكتاب والله سبحانه المسؤول أن
يوفقنا الطريق الحق والصواب وأن يفتح بفضله وكرمه علينا ما غلق من الأبواب بجاه سيدنا
ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم ما دام المغرب يقول رب الأرباب **الباب**
الأول في التعريف بأشياخه رضي الله تعالى عنهم ولنجتزي أن يقع ذكرهم في ما قصدنا
المشروع فيه من هذا الباب شيئا من التعريف بأبيه رضي الله تعالى عنه وذكر نبذ
من أخباره وكراماته لما له من الحق الذاتي ولأنه أيضا في عداد أشياخه لقراءته عليه
بعض القرآن العزيز في صغره لجاز بذلك شرف أبوين أبوة الإفادة وأبوة الولادة ن
فلنذكر منه في التعريف والمعرف به كرشي من مناقبه تتميما للفائدة المقصد بشيء
وهو الشيخ الصالح المبارك الزاهد العابد الأستاذ المحقق المقرئ الخاشع المتقن المرحوم
أبو يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي نسبة إلى القبيلة المعروفة بالمغرب من قبل
أبيه الحسني نسبة إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما سبط سيدنا
ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم لتشرفه الشرف الثابت له بواجب النبوءة من قبل أمه فجمع
الله له بين أشرف ما الذات والنسب وبوأه المحل الأعلى من منصب العلم والحسب
ومعرفة ونصيب من المجد وأثبات التالد والمكتسب تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا وأثبت الشرف من قبل الأم فقد قال به جماعة أنكر جمعهم
فيه بالواقفين وفي كتاب المنهج وانصباغ الصبي من ذلك جملة كافية وبالغرض المقصود
وأتيت والتعلق بهذا الجناب الشريف نبي منه أن نقصه وبنال المقصود منه أن شاء
الله تعالى بأقل رتبة **ولعمري** مولانا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في تزويج أم كلثوم
على ذلك أعظم شاهد بل هو أنباه تعلق النسب من أعظم القواعد ولنرجع إلى التطويل
فالبس من عوض بسبيل ولنرجع إلى ما كنا فيه من التعريف بوالد الشيخ رحمه الله تعالى
فنقول وبالله المستعين إنه خير معتبر كان سيدي يوسف السنوسي رحمه الله تعالى ورضي
عنه وعن شيخنا ابنه رجلا صالحا ورعا خاشعا لله تعالى زاهدا في الدنيا معرضا عنها
مقبلا على طاعة الله تعالى سالم الصدر حسن الأخلاق ومنبسطا في وجه كل من لقاه حسن
المعاشرة كريم الطبع كثير من خوف الله تعالى لا سيما إذا دخل في الصلاة ولقد أخبرني
حفظه الله تعالى أنه صلى وراءه ليلة الفجر فشاهد من بكائه وكثرة خشوعه

وبكايه

ومطالبه وتدبيره للقرآن وطول قيامه أمرا عجيبا وكان تعلمه رحمه الله تعالى القرآن للأولاد
في المكتب وله رضي الله تعالى عنه كرامات وخوارق عادات عجيبة مما حدثني به ابنه
وهو شيخنا وبركتنا وحبيبنا ومولانا محمد السنوسي رحمه الله تعالى ورضي عنه قال حدثني
أبي رحمه الله تعالى أنه كان في صغره يقرأ في المكتب مع الأولاد وكان للأولاد لكل واحد منهم
عنده قلم ومحبرة وكنت أنا بلا شيء وأتمنى أن يكون لي محبرة وقلم وسكين لبري الأقلام
وكنت أستحيي أن أطلب ذلك من أبي وأطلب من الله تعالى أن يرزقني قلما ومحبرة وسكينا قال
فبينما أنا ذات يوم في الصحراء وأنا أدعو الله تعالى إذ أبصرت الأرض قد انشقت وإذ خرجت
تخرج منه قلم ومحبرة وسكين فأخذتها وأظنه قال في الغمرة ثلاثا فلما السنة مني قال
فبادرت إليها وحفظت فرحا أشد بها على ذلك وحمدت الله وشكرته إذ من علي
بطلبتي أو كما قال رضي الله تعالى عنه انتهى وما حدثني به شيخنا عن أبيه نقلته
بالمعنى لم أحفظ عين كلامه لطول العهد به ومنها ما حدثني به شيخنا أيضا رضي
الله تعالى عنه ونفعنا به قال حدثني أبي رحمه الله تعالى عليه قال مررت يوما في صحراء
وأدركني الليل في موضع فيه مقابر قال فقلت في نفسي أبيت الليلة في بعض هذه المقابر حتى إلى
الصباح فبت تلك الليلة عندها فبينما أنا جالس في بعض قبورها إذا بقبر قد انفتح وخرج
منه رجل وجلس على قبره ثم فتح قبر آخر وخرج منه صاحبه وجلس كما جلس الأول ثم آخر
وآخر قال وسلم بعضهم على بعض وقال بعضهم لبعض يا فلان أتذكر كم قتلت أنا من العدو
فقلت كذا وكذا من العدو فأجابه الآخر مثل ذلك فقلت كذا وكذا من العدو وبقوا يتفاخرون
بذلك فعلمت أنهم شهداء أحياء كما قال تعالى وبقوا على تلك الحالة يتكلمون إلى طلوع الفجر
فرجع كل واحد منهم إلى قبره وانسد على كل واحد قبره أو كما قال رضي الله عنه ونقلت هنا
حكاية الشيخ بالمعنى وطلبا للاختصار ومنها أنه كانت له بنت أصابها عمى في عينيها وكانت
امرأة صالحة فأتت قبل أبيها وكان أبوها شيخنا ابن يوسف رحمه الله تعالى يكثر زيارتها
بعد موته وكانت بأبيها الزيارة فيسمع له قبرها وتراه وتكلمه وربما تتشكل له على شكل
الطير فيراها على غصن من أغصان تلك الزيتونة التي بإزاء قبرها وهي تطير من غصن إلى
غصن وأتى يوما الزائر عادة معه رجل يحرضه على عادته من القبر فرأت أباها وذكرت
أبيها فرأت معه الرجل فلم رأتها وجعلها الرحمة التي لطيفة أن الرجل الذي كان مع

اليها رواتها كما راته الذهبي ورواها ابو لها وكانت تخبر ابا لها بقرب اجله وتقول له يا ابتي عليك
بالجد في الطاعة وفعل الخير فقد قرب اجلك فلما مات رضي الله تعالى عنه الطاعة لربه في
ليله ونهاره فلحق بها في يسير من الزمان كما اخبرته ابنته بذلك انتهى ومنها ما حدثني
به ابنه وهو الشيخ رضي الله عنه قال حدثني ابي رحمه الله تعالى انه سافر مع ركب كبير
وكانت عادتي مع بعض الحجاج انا نسرع في المشي ونتقدم على الركب ونتباعد منه مسافة
بعيدة ثم نجلس على الطريق ننتظر وصول الركب وما يصل الينا الا وقد فرح من راه احد
من تعب المشي فاذا وصل الركب الينا فصار يجيء الركب الينا قمنا وسبقنا الركب وتباعدنا
عنه ايضا مسافة بعيدة فجلسنا على الطريق ننتظر الركب حتى اذا وصل الينا تباعدنا عنه ايضا
فلم يصل الركب الينا مرة اخرى فبقي الحاج وسبقنا الركب على عادتنا ثم جاء وقت انا القيام
على عادتي في الفرد فحاولت ان اقوم القيام على عادتي في الفرد فلم اقدر ان اخرج للقيام في
الفرد على رجلي قال فايست من نفسي لبعد الركب مني وغيبته عن عيني وقلت لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم فبينما انا كذلك واذا بخيال رايته على البعد فقلت في نفسي
لعل هذا سبع اتى او حيوان مضر فلما قرب مني اذا هي عجوز وفي يدها عكاز فلما راتني
قالت لي يا سيدي واين الركب فقلت لها قد مشوا وتركوني وحدي وانا هنا في امسي قال
فتهيأت للقيام فقمت بحمد الله تعالى ومشيت معها نتبع اثر الركب وقد [illegible]
في فنظرنا الى جبل بعيد امامنا فمشينا شيئا يسيرا فادركنا الركب بفضل الله تعالى عادته مع
بعده قال فعلمت ان الله تعالى منعني من المشي بسبب هذه العجوز التي كانت في الطريق والله
اراد ان اجمعها واوصلها انتهى ما حدثني به ونقلته هنا بالمعنى انتهى وبالجملة فكراماته
كثيرة واقتصرت هنا على ما سمعت من الشيخ وعلى ما هو مشهور ولو تتبعتها كلها لاحتجت
في ذلك الى تاليف مستقل ودفن رضي الله تعالى عنه خارج باب الجياد وقبره معروف
رضي الله تعالى عنه ونفع به ومنهم الشيخ العالم المحقق الزاهد العابد الولي الصالح الورع
الفاضل حسين بن نصر الزواوي رحمه الله تعالى ورضي عنه قرا على الشيخ رضي الله تعالى عنه علما كثيرا
من فن العربية ولازمه كثيرا رحمة الله عليه حدثني الشيخ رضي الله تعالى عنه قال كان حسين
بن نصر رحمه الله يلوم كثيرا من يشتغل بغير اعطاء العلم لغير اهله ويقول كثيرا من الناس يجيء الى
العالم فيسأله عن مسألة على وجه انه يريد من نفسه انه عارف بجوابها والذي يلقيها بزعمه

العالم

على العالم ويفهم ليس فيه الجواب من العالم حتى إذا أجابه العالم رأى فهمه له أنكر عليه جوابه
وربما يقول له جوابك ليس بجواب وليس بصحيح وأنه من فهمه كان يقول له هذا الجواب غريب
أو في معناه ثم إذا سئل هذا السائل المتعنت في عين تلك المسألة أجاب بعين الجواب الذي
أنكر على العالم قال فليحذر على المسؤول إذا علم أن سائله متعنت أن يجيبه لأنه قد أعطى
الحكمة لغير أهلها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤتوا الحكمة لغير أهلها
فتظلموها انتهى قلت وما أحسن تنظيره رحمه الله تعالى ورضي عنه بهذه الوصية وكثيرا
على الوصية لمثل ما كان يذكر لنا عليه شيخه الشيخ لم يشعر كنت أحفظها في هذا المعنى
وما أحسن ان ل ۝ وإذا جلست إلى الرجال وأشرقت ۝ في جو باطنك العلوم الشرد ۝
۝ فاحذر مجالسة الحسود فربما ۝ تغتاظ أنت ويستفيد ويجحد ۝
فقال ابن الشيخ رضي الله عنه هذا هو الذي كان سيدي نصر يحضنا عليه كثيرا ويحذرنا منه
رحمه الله تعالى قال الشيخ ويلحق بهذا المعنى المدرس إذا علم من جلسائه أو بعضهم الملل
وأنهم يستثقلون من كلامه لغرابة نقول على ذلك ينبغي له أن يقوم عنهم ويتركهم ولا يعلمهم
إلا في الوقت الذي يرى منهم النشاط والحرص على ذلك وحدثني شيخنا سيدي عيسى الثنا
لوي أخو الشيخ رضي الله تعالى عنه قال كان سيدي نصر رحمة الله عليه يحضنا كثيرا على
كتب شيء من القرآن في الحروز التي تعلق للبنات قال فقلت له لم يا سيدي قال لأني مررت
يوما على مزبلة بقرب باب كسوطة فنظرت فإذا بكاغد ملقى على المزبلة فرفعته
ونفضته فنظرت فيه فإذا هو خط وفيه آيات من القرآن فرفعته في جيبي وعاهدت
الله تعالى أن لا أكتب حجابا فيه القرآن وكما قال وقال لي شيخنا سيدي عيسى رحمه الله تعالى
ونهيته بأمره لا تكتب القرآن في الحجب كان كثير من الناس يتعبونه عليه لتنبيهه لهم الأثات
انتهى وكان سيدي نصر رحمة الله عليه من أكابر تلامذة الشيخ سيدي محمد بن مرزوق
رحمه الله تعالى ورضي عنه ودفن خارج باب الجيارة وقبره معروف هنالك وكان الشيخ سيدنا
ومولانا سيدي محمد بن يوسف رضي الله تعالى عنه يكثر من زيارة قبره رحمهم الله تعالى ورضي عن
جميعهم ونفعنا ببركتهم وحشرنا في زمرتهم بجاه سيد الأولين والآخرين شفيعنا ونبينا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا كثيرا ومنهم الشيخ الإمام العالم العلامة المحصل
الورع الصالح أبو عبد الله محمد بن قاسم ابن تومرت الصنهاجي رحمة الله عليه قرأ عليه

للشيخ رضي الله تعالى عنه في زمن صغره جملة من الحساب والجبر حدثني الشيخ رضي
الله تعالى عنه قال كان سيدي محمد بن نونرشت رحمه الله تعالى عليه شيخا عالما بالعلوم
المعقولة والمنقولة والنحو والحساب والجبر والاوفاق والحكمة والهندسة وفي كل علم
قال الشيخ رضي الله عنه وما رأيته قط ينظر في كتب الامرة وامرة اشكلت عليه مسئلة
من الفرضية فنظر فيها كتبا كثيرة ونظر فيها اياما طويلة فقال لما كدا ننفق
بكيفية في مطالعة الكتب فترك النظر وجعل يفكر في تلك المسئلة بعقله حتى استخرجها
لنفسه او كما قال رضي الله عنه قال الشيخ رضي الله عنه وكان سيدي محمد بن نونرش حسن
الاخلاق صالحا فاضلا متكلما مع جلسائه في بيته القراءة يقول له اذا رآني علي شيئ
دائما من القراءة وقلت يوما للشيخ رضي الله تعالى عنه يا سيدي هل كان سيدي محمد بن نونرش
يستعمل لنفسه طعاما مخصوصا لا فقال لا ولكن اكثر ما رأيته يأكل الطعام المخلوط بطعام
اخر المرة فيعطي للسعاة من الخبز قال الشيخ رضي الله عنه كنت في زمن صغري احضر
مجلس سيدي محمد بن نونرش في رواية ابن البناء وعندي شبان صغار يقرؤون عليه الجبر
وكان لهم فهم ثاقب فيعجبني ما يسأل الشيخ عليهم لفهمهم وحفظهم وانا لا افهم
شيئا من ذلك فتخلفت عن مجلسه اياما ثم جئته يوما فوجدته وحده فقال لي اراك
تغيبت عنا قال فقلت يا سيدي انا لا اعرف شيئا او لا افهم شيئا او كما قال قال فقال
لي اذا اردت القراءة علي فلتأتي وحدك بعد العشاء ولا تحضر مع احد من الذين يقرؤون
علي قال فقلت له نعم قال الشيخ رضي الله تعالى عنه فكنت اذا صليت المغرب وقفت عشاء
الى الشيخ وكان ساكنا في زاوية البقالين قريبا منها حتى يكتفي اهليا مع صلاة
العشاء فيقول لي اقرأ فقرأت عليه جملة من الحساب والجبر فلولا شغل كان قد عاد في
في كل ليلة فيقرأ عليه جل الليل [illegible] وهو مستنشق [illegible]
زمنه كثيرا رحمه الله عليه ومات ودفن خارج باب الجيادين وقبره معروف وكان الشيخ رضي
الله تعالى عنه يزور قبره كثيرا رحمهما الله تعالى وجمع شمل الجميع في دار كرامته بجاه سيدنا
ومولانا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ومنهم الشيخ العلامة الاجل الصالح البركة
ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي الشهير بالقلصادي رحمه الله تعالى كان عالما فاضلا
صالحا [illegible] الاخلاق [illegible] وله تواليف عديدة اكثرها في الحساب والجبر وله

تمه

القلصادي

شرح عجيب على تلخيص ابن البنا وشرح عجيب على فرائض الحوفي رحمه الله تعالى قرأ الشيخ
عليه رضي الله تعالى عنه جملة من الحساب والفرائض وأجازه في جميع مروياته وانتفع كثير الخلق
عليه قلت ولما قدم من الأندلس إلى تلمسان واستوطنها الشيخ سيدي محمد بن مرزوق
حفظه الله تعالى قرأ عليه الجم الغفير من الناس وممن قرأ عليه شيئا من فن البديع الربع
صنفه في العربية وذلك بأمر لي منه بنزله قلت ورأيت مكتوبا رحمه الله ما نصه
الحمد لله وحده سمعت من شيخنا وبركتنا الفقيه المفتي أبي العباس أحمد بن محمد بن زاغو ○
حفظه الله يحكي عن شيخه البلالي رضي الله تعالى عنه أنه قال من يقول أنفع الأذكار كلها
أمان بالقبلة الربع يذكره وهو هذا اللهم لك الحمد بكل شيء حمدا يجب أن تحمد به على كل شيء
ونشكرك على كل نعمة شكرا يجب أن نشكرك عليه حمدا وشكرا دائمين بدوام ذاتك عدد ما علمت وزنة
ما علمت وملء ما علمت ومداد كلماتك وأضعاف أضعاف ذلك اللهم لك الحمد ولك الشكر
كذلك على كل ذلك ذكر لي ما نصه بغاية ما بيده من الأنفس من خطه رحمه الله تعالى وتوفي نفعنا الله به
بجاج من أحواز تونس منتصف ذي الحجة عام واحد وثلاثين وثمانمائة رحمه الله تعالى وجمعنا
معه في مستقر رحمته بجاه حبيبنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ومنهم الشيخ الفقيه
الوجيه النزيه العلامة العامل الأستاذ المحقق المقرئ أبو الحجاج يوسف بن الشيخ الأجل
الأحسب الصالح الأنسب المقرئ المرحوم أبو العباس أحمد بن محمد الشريف الحسني رحمه الله
تعالى ورضي عنه وانتفع بهذا الشيخ رضي الله تعالى عنه في القرآن الكريم بالمقارئ السبعة ○
المشهورة من أول القرآن إلى آخره ختمتين زاد من الكتب الثلاثة قرأها على فلان الشيخ
المحقق ضبطها وأجازه في المقارئ السبعة وفي غيرها من سائر مروياته إجازة مطلقة
عامة ومن ذكر لي لكلام الشيخ رضي الله تعالى عنه في تفسيره الذي على القرآن وذكر
فيه سنده في هذه القراءات السبع متصلا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا كثيرا
ودفن رحمه الله تعالى خارج باب الجياد من تلمسان وقبره معروف وكان الشيخ رضي الله تعالى
عنه يكثر من زيارته رحمة الله عليه وعليهم أجمعين ومنهم الشيخ الفقيه العالم أبو عبد
الله محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب رحمه الله تعالى كان الشيخ رضي الله تعالى عنه
يحض عنه ويقول هو حافظ المسائل الفقهية أو كلاما يقرب من هذا وربما أخبر أنه اجتمع
الشيخ رضي الله تعالى عنه على بعض الطرقات فيقف بهذا الموضع كان فيه سيدي محمد الجلاب

الجلاب

وكان رحمه الله ذكر لي مع ذلك انه قرا عليه شيئا ما وذكر لي كثير من الفضلاء الذين كانوا مع رحمه الله
ان الشيخ رضي الله تعالى عنه كان يقرا عليه المقدمة وذكر لي بعض الطلبة انه ختمها عليه مرتين
والله اعلم بذلك كله رحم الله تعالى جميعهم ومنهم الشيخ الاجل الصالح العدل ابو
عبد الله محمد بن ابراهيم الحباك رحمه الله تعالى قرا عليه الشيخ رضي الله تعالى عنه كثيرا من علم الا
سطرلاب وقد ذكره شيخنا في شرحه الارجوزة التي لشيخه المذكور وصرح فيه بانه شيخه
وسماه فيه بغية الطلاب في علم الاسطرلاب ونقل عنه اشياء من فوائد ابن البنا العددي رحمهم
الله تعالى ورضي عنهم ومنهم ومنهم الشيخ الامام العالم الحافظ المحصل المتفنن الصالح
البركة ابو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس رضي الله
تعالى عنه ورحمه ونفع به قرا عليه الشيخ رضي الله تعالى عنه شيئا من علم الاصول وقرا عليه
من كتب المنطق الجمل للامام الخونجي من اوله الى اخره وذكر لي بعض الفضلاء انه حضر قراءته
عليه نحو ثلاثة ايام وسبب ذلك والله اعلم انه يقرا ويفسر ما يقرا فيورد له
شيخنا اسئلة ويسوق له اجوبة ولم يوجد في الكتب فيتعجب منه شيخه محمد بن العباس
ومن حسن جوابه له ما اخذ له منه قال له انت الذي يقرا عليك اولى لا انا هذا معناه
او ما يقارب معناه وهذا سبب قلة مدة قراءته عليه والله تعالى اعلم تنبيه
وله مصنفات منها العروة الوثقى في تنزيه الانبياء عن فرية الالقا ومنها شرح لامية
الافعال لابن مالك ومنها شرح على جمل الخونجي في المنطق وتوفي رحمه الله تعالى في الطاعون
عام احد وسبعين وثمانمائة وقبره معروف بالعباد رحمه الله تعالى عليه ومنهم الشيخ
الفقيه الحافظ المتفنن العلامة الصالح البركة شيخنا وبركتنا ابو الحسن علي بن محمد التالوتي الانصاري
وهو اخو الشيخ رضي الله تعالى عنه لامه رحمهما الله تعالى ورضي عنهما كان رحمه الله تعالى عالما
محققا متقنا حافظا صالحا وكان حافظا لكتاب ابن الحاجب الفرعي مستحضرا له وكان يبس
عينيه وقال انه محمد حافظا لكلامه في هذا الزمان حرفيا رحمه الله تعالى انه كان يقرا احيانا
بين يدي محمد السنوسي في زمن صغره رسالة الشيخ ابن ابي زيد رضي الله تعالى عنه قلت
ومن قراءتنا عليه من اول كتاب ابن الحاجب الفرعي الى الصلاة المقطوع قراءة تحقيق وتدقيق
وتحقيق ولما انتهيت بالقراءة عليه الى قول ابن الحاجب في باب التيمم وكذلك الحاضر
الصحيح يخشى فوات الوقت على المشهور وفيها قال ما الفرق بين هذه المسألة والتي تاتي في

نحو

من ابن الحاجب الثاني ما يتيسر ان من لم عدم من الآلة ما ان وجد فيها وخشي ذهاب الوقت
لعدمها او لاستعماله فانه يتيمم على المشهور فقال المؤلف لا سيما ان استعمله فيه خارج من قوله او لا وكذلك
الحاضر الصحيح يخشى فوات الوقت على المشهور فانه يتيمم من اوجه الاشكال ان ابن عرفة قلت
لا حرج فقال ابي رحمه الله تعالى فما ابن عرفة يشهد ان الاولى وهي مسألة الحاضر الصحيح
محمولة على عدم الماء فاذا اشتغل بالطلب خرج الوقت فهذا معنى قوله وكذلك الحاضر الصحيح يخشى
بفوات الوقت باشتغاله بطلب الماء والثانية محمولة على وجود الماء الا انه ان اشتغل
باستعماله خرج الوقت فهذا معنى قوله او باستعماله تيمم على المشهور ثم قال ابي هكذا
ينبغي ان يفهم هذا المحل انتهى تقريره رحمه الله تعالى ولما انتهيت ايضا الى قول ابن الحاجب
رحمه الله تعالى ولو سجد الامام واحدة وقام فلا يتبعه ويسبح له فان خيف عقده قاموا
فاذا جلس قاموا كالامام لعقد ثالثة قال لنا رحمه الله تعالى ورضي عنه في شرح هذا الكلام
يعني انه اخل الامام بسجدة من الركعة الاولى من الرباعية وقام الثانية في اعتقاده فلا يتبع
ويسبح به لعله يرجع اليهم ويجبر الركعة فان خيف الركعة الثانية برفع قاموا واتبعوه
وكانت هذه الركعة التي اتبعوه فيها ثانية بالنسبة اليه واولى بالنسبة اليهم ثم هل يتبعونه
في الجلوس ام لا نبه المصنف على ذلك بقوله فاذا جلس قاموا اي اذا جلس الامام في هذه الركعة
التي هي ثانية بالنسبة الى اعتقاده فانهم يقومون منتظرين قيامه اليهم ولا يتبعونه في الجلوس
اذا جلس اذ هو ليس محل جلوسهم لانه لم يكن الا جلس في الاولى ثم اذا اتى الامام بتشهده وقام
الى الثالثة بالنسبة الى اعتقاده صلوا معه ثالثة الركعة وصارت ثالثة الركعة ثانية لهم
ثم هل يجلسون لان ذلك محل جلوسهم ام لا نبه المصنف على ذلك بقوله فاذا قام الى الثالثة قاموا
كالامام فلما من التشهد يعني انه اذا قام الى الركعة الثالثة بالنسبة اليه والرابعة بالنسبة
اليه قاموا واتبعوه ولا يجلسون كالامام فلما من التشهد اذ لا لزوم ان يتبع الامام اذا قام
من التشهد ثم هل يجلسون معه في هذه الركعة التي هي رابعة بالنسبة اليه ام لا نبه المصنف
ايضا على ذلك بقوله فاذا جلس قاموا كالامام لعقد ثالثة انتهى تقريره رحمه الله تعالى ثم
قال لنا وهذا التقرير الذي قررته لم يذكره شراح ابن الحاجب الموضح من ان معنى قول المصنف
قاموا من قوله فاذا قام الى الثالثة قاموا الى السنة ولا يجوز لهم قعدها معه ان الثالثة من قول
المصنف فاذا قام الى الثالثة قاموا الثالثة بالنسبة الى اعتقاد الامام وليس كذلك

بمراد المصنف التنبيه الخ على انه اعم المأموم للامام اذا قام الى ثالثة بالنسبة
اليه والى رابعة بالنسبة الى اعتقاده، وان كان محل جلوسه واما في الثالث بالنسبة
اليه فقرينة المصنف على ذلك قبل بقوله واذا جلس في ثانيته ومن المعلوم انه اذا لم يجلس
يقوم فيصلي معه الركعة التي قام فيها الى ما كان مسبوقا بها فذلك كله مبعضا قال وما شرح به
صاحب التوضيح كلام المصنف فيه نظر من وجهين احدهما حمل كلام المصنف على المجاز ولا ضرورة
تدعو اليه والثاني عدم تنبيه المصنف على ما اذا قام الى الثالثة بالنسبة اليه
هل يتبعونه في القيام او يجلسون لانه محل جلوسهم انتهى وبنص اللفظ نقلته [illegible]
وانقضى انتهى نقول رحمة الله تعالى عليه **ومسئلة** رحمه الله تعالى عن جعل الاداء
في مكان القضاء او عكسه هل تبطل الصلاة بذلك ام لا فقال الشيخ خليل في شرح ابن الحاجب
في هذه المسئلة قولين بالبطلان وعدمه **قلت** وقد وقفت على نقل الخلاف في الشرح
المذكور كما ذكر لي شيخنا رحمة الله عليه وتذكر في باب الصيام في مسئلة الاسير اذا التبست
عليه الشهور بانه هنالك [illegible] **ومسئلة** ايضا هل يجوز ان يصلي الوتر جالسا
فقال رحمه الله تعالى فيها قولان بالجواز وعدمه **قلت** وكان الشيخ سيدي ومولاي محمد
السنوسي رحمه الله تعالى ورضي عنه يقول بعد من قوله في المدونة ويصلي على الدابة الذي تقصر
في مثله الصلاة على الدابة ان ما يتوجه به الوتر ككعتي الفجر والنافلة ويحتج بانه
انه يجوز للصحيح ان يصلي الوتر على الارض جالسا من غير ضرورة وبيانه ان الفرض لما جاز ايقاعه
على الدابة والنفل يجوز عليها وقد الحق الوتر بالنفل في جواز ايقاعه على الدابة فكذلك
يلحق به في الارض قال الشيخ وهذا اشهر القولين **ومسئلة** ايضا اذا اتى يوم وقد رأيته
اذا وضع كتبا على الارض جعل حول الكتب مما يلي الارض فقلت له يا سيدي هل يجوز نقضها
او لا يجوز فقال لي رحمة الله عليه حكى لنا شيخنا سيدي الحسن ابركان رضي الله عنه في
هذه المسئلة قولين للمتأخرين من البجائيين والتونسيين بالجواز وعدمه وكنت يوما
معه في داره رحمة الله عليه وهو يبيع الحصادة بمغيرة **فقلت** له يا سيدي قد جرت عادة
الناس انهم يأخذون المغيرة من بيت حاجته وان الرجل اذا اراد ان يأخذ بعضا من تلك الحاجة
فيقول له ضعه على الارض فيبقى يأخذه فهل لهم في ذلك مستند ام لا **فقال** لي رحمه الله
تعالى ورضي عنه سألت شيخنا سيدي الحسن ابركان رضي الله تعالى عنه كان على نحو ما الى ان قال

[illegible]

لي هكذا راينا شيوخنا يفعلون مع تنفيذهم واقتدينا بفعلهم انتهى ثم قال الشيخ سيدي احمد بن
علي التالوتي ولعله تلميذ الشيخ والله تعالى اعلم **قلت** ومما رايته مكتوبا بخطه رحمه الله
تعالى عليه ما نصه الحمد لله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ختم على اصبعه ايام
وقد ختم الله صبعة الاف سنة واعطاه الله بكل يوم ثواب الف شهيد **وقال**
صلى الله عليه وسلم ما من مومن يحزن بموت عالم الا كتب الله له ثواب الف عالم وشهيد
وقال صلى الله عليه وسلم اليوم الواحد من العالم الذي يعلم الناس افضل عند الله تعالى
واعظم من عبادة مائة سنة **وقال** صلى الله عليه وسلم لحوم العلماء مسمومة من علمها
مات انتهى جميع ذلك من كتاب نصاب الاخبار انتهى ورايت بخطه ايضا عن بعض الصالحين
انه قال من خرج من داره وجمع انامله وخاتم على حواجبه خطا وهو في داخل الخلا ثلاث مرات
الله ربي ما شئت يكون لم تضره الضرر ولا عدو ولا غيره ويكون هو واهله في حرز الله وحراسته
وهو مجرب والبعض في انجاح المهمات وتسهيل الامور يقول كل يوم ثلاث مرات هذا

يا رب كهيعص لنا من امر نار نصرا ۞ واجعل معونتك الحسنى لنا مددا
ولا تكلنا الى تدبير انفسنا ۞ فالنفس تعجز عن اصلاح ما فسدا
انت الكريم وقد وجهت يا املي ۞ الى جنابك وجها سائلا بيدا
والرجا انت يا الله نعلمه ۞ فاجعل تولينا دوام السنى ابدا

وهو مجرب انتهى منه وكان شيخنا سيدي التالوتي رحمه الله تعالى ورضي عنه اذا ذكر له خير
يتمثل بهذه الابيات ويرددها كثيرا ويقول هذه الابيات تنسب للحريري وهي هذه

يظنون بي خيرا وما بي من خير ۞ ولكنني عبد ظلوم كما تدري
سترت عيوبي كلها عن عيونهم ۞ والبستني ثوبا جميلا من الستر
فصاروا يحبوني ولست انا الذي ۞ احب ولكن شبهوني بالغير
فلا تفضحن سري الذي بينهم ۞ ولا تخزني يوم القيامة في الحشر

انتهت الابيات **و**كان رضي الله تعالى عنه كثيرا ما يقول اذا عطس الحمد لله على كل حال
ما كان من حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اهل بيته ويقول في حقه ثواب عظيم لمن قاله
عند العطاس **قلت** اشار بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من عطس وقال الحمد لله على كل حال ما كان من حال وصلى الله على

يبين ما تجرو على اهل بيته اخرج من بيتي الا ابس طيرا اكبر من الذباب واصغر من الجراد برجرب
تحت العرش يبعثك اللهم اغفر لعائبي من كتاب الغربة انتهى من المنافذ والاعتصام في رد
فضل النبي عليه الصلاة والسلام لابن هاني القرطبي رحمه الله تعالى **قلت** ومن كتاب
البركة قال صلى الله عليه وسلم من بادر العاطس بالحمد برئ من داء البطن رواه ن
الترمذي قال وداء البطن وجع الخاصرة **وقال** علي كرم الله وجهه من قال عند كل عطسة
الحمد لله رب العالمين على كل حال لم يجد وجع الضرس ولا الاذن ابدا رواه ابو نعيم في كتابه في
الطب **وقال** عليه الصلاة والسلام من اشتكى ضرسه فليجعل اصبعه عليه ثم يقرا هذه الاية
قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافيدة قليلا ما تشكرون انتهى من كتاب
البركة للحبشي رحمه الله تعالى **ومنها** ايضا روي جعفر من اشتكى ضرسه اخذ ترابا من
موضع سجوده ثم استاك به والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله **قال** المنعالجي يكتب
على ورقة كاغد قوله تعالى لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون ه منه ايضا **قلت** وكان سيدي
علي رحمه الله تعالى من اكابر تلامذة الشيخ سيدي الحسن ابن رضي الله تعالى عنه من حكم امره
ومما يدلك على فضله وعلو قدره عند الشيخ سيدي الحسن ابن رحمة الله عليهما ما حدثني
به بعض الفقهاء قال اقبلت ذات يوم سيدي الحسن ابن كان رضي الله عنه الى بيته يوجد بابه
مفتوحا فقال لبعض الحاضرين من فتح هذا الباب وهو يتكلم بذلك الكلام مغضب فقيل له فتحه
سيدي علي التاملي فقال سيدي الحسن نعم هو ما او كلاما يقرب من معناه وحيث السرور
على وجه الشيخ سيدي الحسن رحمه الله تعالى **قلت** وما رايته قط يشتغل بما لا يعنيه وقد
تاملت احواله بعد حين فما تخلو من ثلاثة امور اما ان يكون مشتغلا بذكر الله تعالى او بالصلاة
والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم او مشتغلا بمطالعة الكتب وتعاهد
ما كان يحفظ من الكتب مثل ابن الحاجب والرسالة وكتاب التسهيل في النحو وابن مالك
وغير ذلك من محفوظاته يجعل القضا ورده في كل يوم ورايته كثيرا ما يطالع كتاب السهو
والتنبيه للشيخ سيدي محمد الهواري رحمه الله تعالى ورضي عنه وما رايته يستغني عنهما
في كل يوم **قلت** ولعل بسبب كثرة مطالعته لهاذين الكتابين في كل يوم ما رايت
مكتوبا في اخر المجموع الذي منه كان يطالع شيخنا سيدي علي رحمة الله عليه ونصه قد ضمن
مولفه رحمه الله تعالى لكل من قراه سهو واعتنا به الا يجوع ولا يجهل ولا يعطش وانه ظامنه

وان

في الدنيا والآخرة كذا نص عليه في التنبيه الذي جعله في بعض السهو وسمعناه من شيخنا إبراهيم
التازي رحمه الله تعالى وقد شاهدناه يجمع السهو بالنظر في كل يوم للتبرك به غير مرة انتهى
وذكر في هذا الكلام أن هذا السهو جعله المؤلف برسم الأولاد ولم ينقص حرف من نظم ونثر
وعربية فلا وجه لأن الواقف عليها أن لا تعترض عليه وتتعقبه بالنظر وتأمل والآخر انتفع
كذا سمعنا من شيخنا إبراهيم التازي رضي الله تعالى عنه وقال صلى الله عليه وسلم من حسن
إسلام المرء تركه ما لا يعنيه انتهى ولأجل الشغل رحمه الله تعالى بهذه الوظائف كان
يستثقل قراءة الغير عليه لا سيما في أواخر عمره وربما انتبه على عادته في بعض الأوقات
لا قرأ عليه فيمنعني من القراءة أو يقول لي اقرأ ولا تطول ولما مرض مرضه الذي توفي فيه
وثقل مرضه ودخل وقت الصلاة قيل له قد حضر وقت الصلاة فسبق له حجر ليتيمم عليه فلا أخرج
يده من فراشه ليتيمم لم يقدر على التيمم فقال رحمه الله تعالى إن أبا حنيفة حيث قال
بسقوطها يعني الصلاة أشار إلى مسألة من عجز عن جميع أركان الصلاة ولم يقدر على الإتيان
بها ولم يبق له أمر إلا النية فإن أبا حنيفة رضي الله عنه قال بسقوطها حمله وقال
الشافعي رضي الله عنه يجب القضاء فيها وأما المالكية فلا ينصوا على هذه المسألة
صريحا والله تعالى أعلم قلت وهذا يدل على كثرة اعتنائه بالحفظ وتعاهده للذكر رحمه
محفوظاته حتى رسخ في ذهنه ولما قرب أجله كان يقول بصوت ضعيف أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته
ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق فسمعه بعض من حضر يقول انظر فيمن
في أي سورة ذكر عيسى فهذا ابتدأ له في آخر سورة النساء وكرر هذه اللفظة فحنق
وغضب فلم يبق إلا هنيئة وخرجت روحه رحمة الله عليه وتوفي بعد صلاة العشاء من ليلة
الثالثة السادسة من صفر عام خمسة وتسعين وثمانمائة رحمه الله تعالى ورحم شيخنا
ورضي عنهما قلت وهذا الذي قاله عند موته هو حديث رواه مسلم والبخاري والنسائي
عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته
ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الجنة على ما كان من عمل وفي
مسلم أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء انتهى ومن ذكر بعض المعبرين

هذا الحديث الكريم في آخر سورة النساء كما ذكر لنا شيخنا عند موته وكان رضي الله عنه
كثيرا ما يقول ذلك في حياته حتى مات عليها رحمة الله عليه **فلنذكر** قال أخونا شيخنا وبركتنا
سيدي محمد السنوسي قدس الله روحه منذ كنت رأيت له ثلاث مرائي **أحداها** أني رأيت
أني دخلت دارا عظيمة في الحسن فيها زينة وما يدهش ومن ملئت بالفرش المرتفعة في
العلو ومرتبة السرير فيها واطلع الرائي إليها ولم أستوف بالسير جميعها فسألت عنها أو
قيل لي من غير سؤال أن هذه الدار لسيدي علي يدخل فيها عروسا وكان سيدي علي رضي
الله تعالى عنه رجع شابا صغيرا ومع لبس ثيابا حسنة تليق بالعروس مع حسن وتزكية
في تلك الدار رضي الله عنه **الثانية** أني رأيته في دار كبيرة عظيمة وقد كنت أيضا في النوم
أنا الله وفي أنا الذي خلفها أن بيرالله ولما أردت الخروج رأيت نهرا جاريا بالماء عند بابها فإذا
أردت أن أخلعه بعلو الماء وبكثرة حتى لا نستطيع أن أجاوزه ومرضي أن أخرج ومع ذلك
الماء يتبعني فاستيقظت وأنا في تلك المعالجة **الثالثة** أني رأيته في موضع متسع
وعلو وبإزائه موضع آخر لم أدخله والذي في قلبي بالتحقيق أو قيل لي حينئذ أن المنزل الأول
الذي أنا فيه هو لسيدي علي والذي بجواره ولم أدخله هو منزل الشيخ ابن عزيز **وهذه**
المرائي التي ذكرت شيئا منها لسيدي علي في حياته ولم أذكرها إلى الآن لنفاسة من خطه رضي الله
عنها فنسأل الله تعالى أن يجمعنا معه ومع شيخنا جنة في مستقر رحمته بجاه سيدنا ونبينا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم وعدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ومن المعروف
من أتباعه وأنه لا يأخذ عنه إلا انحصر بمجلسه وانتفع بكلام الشيخ الأجل العالم العا
الولي الصالح القطب الغوث الشهير الكبير سيدي الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد
ابن سعيد المزيلي الراشدي الشهير بأبركان رضي الله تعالى عنه ونفع به حتى قال سيدي
ومولاي محمد السنوسي رحمه الله تعالى ونفع به **قال** رأيت المشايخ والأولياء فما رأيت مثل
الشيخ سيدي الحسن أبركان رضي الله تعالى عنه قال وكان لي حاجب في الله لونهما وكان لا يخلف
الأنبعهما حوليني شيخنا سيدي علي التالوتي رحمه الله تعالى قال كان أخي سيدي محمد السنوسي
إذا دخل على الشيخ سيدي الحسن أبركان رضي الله تعالى عنه يتبسم له ويعانقه كثيرا ويكلمه
ثم يقول له ... أبعده له جعلكم الله من أئمة المتقين **قال** وكان أخي سيدي محمد إذا انتقل في المجلس
وربما تعرض للشيخ سيدي الحسن مسألة ويتوقف أهل المجلس فيها فيلتفت الشيخ سيدي الحسن

ابن

ابن كان الى سيدي محمد السنوسي وكان صغيرا فيقول له ما تقول يا محمد في هذه المسألة فيقول
يحتمل ان يكون المراد كذا وكذا فيقول الشيخ سيدي الحسن ابن كان رضي الله تعالى عنه الصواب
ما قال محمد يعني سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى ونفع به فقد اجاب الله دعوته وحقق
فيه فراسته رضي الله تعالى عنهما وحشرنا في زمرتهما قلت وكان لسيدي الحسن ابن كان
رضي الله تعالى عنه وعن شيخنا مكاشفات وكرامات فمنها ما حدثني به شيخنا سيدي علي
التالوتي رحمه الله تعالى ورضي عنه قال كنت قرأت انا واخي سيدي محمد السنوسي رسالة ابن ابي زيد
رضي الله تعالى عنه واشكلت علينا مسألة من مسائل الرعاف فمشينا الى مجلس الشيخ سيدي
الحسن ابن كان رضي الله عنه لنسأله عما اشكل علينا فوجدناه يدرس الفقه فقال ما اردتم
ان تسألا عن مسألتنا فحينئذ الى ان يعلم المناسبة بين مسألتنا وبين المسألة التي كان يدرس
الشيخ فقال لها بين الشيخ سيدي الحسن بحاله اوخرج عن مسألة الى مسألة حتى خرج لمسألتنا
بعينها فقال ما تقولون في هذه المسألة فتوقف القوم فاجاب اخي رضي الله عنه عن مسألتنا
بما ازال عنا ذلك الاشكال الجواب وعجبنا من مكاشفته رضي الله تعالى عنه ومنها ما حدثني
به شيخنا سيدي علي التالوتي رحمه الله تعالى قال كنت يوما في مجلس سيدي الحسن ابن كان
وهو يدرس كتاب الشيخ ابن ابي زيد رضي الله تعالى عنه ورحمه الله حتى قال والمرأة دون الرجل
في الجهر وهي في هيئة الصلاة مثله غير انها تنضم ولا تفرج فخذيها ولا عضديها وتكون
منضمة منزوية في جلوسها وسجودها وامرها كله فقلت في نفسي وبين معنا فقال الشيخ
كيف قال ابن الحاجب في هذه المسألة فتوقف القوم قال سيدي علي وكنت انا في اخر المجلس
وانا اتفكر فيها فقال ابن الحاجب والشيخ ينظر الينا وشمالا ويقول كيف قال ابن الحاجب
قال المحقق ابن ... ابن الحاجب في قوله ويستحب ان يفرق بين ركبتيه ومرفقيه وجنبيه
وبين بطنه وفخذيه بخلاف المرأة قال فبالعلم انتممت كلامي في خاطري الا والشيخ
قد قال ابن الحاجب هنا كذا ولم يتكلموا وهو ينظر الي مرة بعد مرة حتى حركت له قول ابن الحاجب قال
فقال الشيخ قم من خلف الموضع واقعد هنا في مكان القارئ الذي كان يقرا هذه الرواية
من
وقال لي اقرا فقرات ما بقي من الفقه فعجبت ايضا من مكاشفته رضي الله تعالى عنه ومن
كراماته رضي الله تعالى عنه ما حدثني به سيدي ... وهو ابن محمد السنوسي واخوه سيدي علي التا
لوتي رحمهما الله تعالى ورضي عنهما ونفعنا بهما قالا ان كان الشيخ سيدي ابي الحسن ابن كان ذات

يوم فلما بينوا حاضر في صحراء فبينما هو في اثنائه وهو في اذ اقبل الاسد الاسود على القافلة يريد
على فسطاط الشيخ وبقي كذلك حتى خرج الشيخ من خوف به فلما قرب الشيخ الى الاسد فرد اه
فقال الشيخ تبارك الله احسن الخالقين ثلاث مرات فاطرق الاسد براسه الى الارض كالمستحي
وولى الاسد من حينه ومضى لما شاء فجلس الشيخ هنيهة وهو مشتاق الى رحمة وهنا الله
نسئل الرحمة امين وحدثني شيخنا سيدي محمد السنوسي رحمه الله تعالى ورضي عنه وكتب الى
سيدي محمد بن سعيد حفظه الله تعالى قال حدثني العالم سيدي سعيد بن عبد الحميد العصنوني
رحمه الله من ونشريس وكان من افاضل اصحاب الشيخ الغرباء قال دخلت في يوم حار وقت
الزوال على الشيخ سيدي الحسن فوجدته في تعب عظيم والعرق يسيل عليه فقال لي اتدري
معنى هذا التعب الذي انا فيه قلت لا يا سيدي فقال لي كنت انا جالسا بهذا الموضع
فدخل على الشيطان في صورة النبي صلى الله عليه وسلم فنفث المنيه فهرب امامي فتبعته وانا اقرا
كلمات الاذان فما زال يهرب بين يدي وله ضراط كما ذكر في الحديث الى ان دخل في القادوس
الذي يخرج منه الماء في راس القنطرة بن وغاب عني والان رجعت من اتباعه اللعين وحدثني
ايضا سيدي ومولاي سيدي محمد السنوسي رحمه الله تعالى ورضي عنه قال لما قدم الشيخ سيدي
الحسن ابركان من المشرق وجد قرية الجعفة قد خربت وهي كانت مسكنا اصحابه فنزل
تلمسان ثم تردد خاطره في الرجوع لقرية الجعفة ليعمر بها بلاد قريبة من العمران قال
سيدي الحسن فخرجت اليها يوما وجلست متفكرا في انها كيف اخذها الخراب واستولى
على اهلها الجلاء واذا بكلب قد اقبل وجلس بالقرب مني وجاءني فانقسم الخاطر وتعبت
الظاهر كان ثم قلت في نفسي هل تعود هذه القرية كما كانت عليه من العمارة فاجاب
الكلب عند ذلك راسه الي وقال لي يا تلمسان يجي الرجوع فيعقوب ايما يعود العمارة
فيها كما كانت ابدا قال فلما سمعت نطقه الي بذلك رجعت الى تلمسان وعلمت ان ذلك
الكلام من الرجيم الرحمان انتهى وحدثني سيدي ومولاي سيدي محمد السنوسي رحمه الله
تعالى ونفع به قال حدثني سيدي محمد بن تونرت قال خرجت في وجهي نحو لبلد العامة فيا
ملعولة فاخذ حال وجيبي فبينما انا ذات يوم في القنطرة اذا بسيدي الحسن ابركان
قد طلع من اجادير وهو راكب على حمار فسلمت عليه وقلت له يا سيدي ادع الله ان
يشفيني من هذا الداء فقال فبصق الشيخ سيدي الحسن ابركان على شيء ابتنه وجعلها على الرا

الذي كان في مرضه وبقي ساعة بعد الغسل قال ما زال الشيخ حيا بعد ما غسلناه فانه حين ذهب
لمله الداء ونشفها في لمته تعالى في الجنة ولم يبق له اثر بالكلية وذلك ببركته وصالح دعوته رضي الله
عنه **وبالجملة** فمكاشفاته وكراماته كثيرة وقد ذكر سيدي محمد بن احمد بن مسعود حفظه الله
تعالى في كتابه المسمى بروضة النسرين جملة كافية من كراماته ومكاشفاته واقتصرت في هذا الموضع
على ذكر الكرامات سمعتها من الشيخ رضي الله تعالى عنه لان المقصود ذكر شيوخنا وبركتنا وحيث
اذكر غيره في هذا الموضع انما يجري على سبيل التبعية وكان التابع وهو الشيخ سيدي رضي الله
عنه يزيد بشرها بشرى مشبوعة جملة اذكرت غيره وابتهالها الذي صنف في حصر هذا الموضوع
ان اذكر بعض ما سمعته من الشيخ رضي الله تعالى عنه اقتصر على الحال الذي اذكر غيره لذ من جملة ما
سمعت منه ولهذا اقتصرت ايضا على ذكر بعض مشائخي الذين سمعت الحديث عنهم لجلالة غيرهم
ما اسمع منه رضي الله تعالى عنهم شيخ الصالحين ولم اتعرض لهم احتمال ان لا يكون اخذ عنهم وانما كان اول
العلا بينهم وترجمه سيدي الحسن رحمه الله تعالى في اواخر شوال عام سبع وخمسين وثمانمائة
رحمهما الله تعالى ورضي عنهم ونفعنا بهم **ومنهم** الشيخ الامام العالم الورع الصالح سيدي ابو
القاسم الكفاجي رحمه الله تعالى قرأ عليه الشيخ واخوه سيدي علي التالوتي رحمة الله عليهما
وقد سمع لديه وابتدأ بدرسهما كتاب الارشاد لابي المعالي في التوحيد واجازهما في جميع مروياته
وكتب ذلك بخطه رحمه الله تعالى واخبرتني السيدة الفاضلة عائشة زوجة الشيخ رضي الله عنه
فانها ربتها الله تعالى قال سيدي ابو القاسم الكفاجي عنه في الدار شهرا كاملا وهو
يقرأ الشيخ يعني زوجها كتاب التوحيد بداية عليه من اول الشهر وختمه في اخر يوم من الشهر
رحمهما الله تعالى ورضي عنهم اجمعين **ومنهم** الشيخ الامام حجة الاسلام العالم العامل الزاهد العابد
الورع الصالح الولي الناصح ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي رحمه الله تعالى ورضي عنه قرأ الشيخ
رضي الله عنه ونفعنا به عليه صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث هكذا اخبرني من اثق
به ورأيت اجازته بخط سيدي عبد الرحمن اجاز بها شيخنا سيدي محمد السنوسي واخاه لامه
شيخنا سيدي علي التالوتي قال اجزت لهما رواية ذلك بشرطه وجميع ما تضمنته من مروياته وجميع ما
يجوز وكان سيدي عبد الرحمن الثعالبي
رحمه الله تعالى ورضي عنه زاهدا في الدنيا معرضا عنها وعن اهلها **قلت** ومثله ما حكى عن زهده
رضي الله تعالى عنه وعن شيخنا ما حدثني به شيخنا وبركتنا سيدي محمد السنوسي رحمه الله ونفعنا

به قال كنت يوما مع سيدي عبد الرحمن رحمه الله بيده وعليه ثوب ابيض وعلى راسه عمامة
مربعة بيضاء ولها على ظهره قال وهو جالس على مكان مرتفع وكنت اسفل منه فنظرت الى ساقيه فرايت
عليهما ثوب من شعر ملاصق لجسده فتعجبت من زهده رضي الله تعالى عنه حيث جعل الثوب الذي
هو من شعر مواليا لجسده وجعل الثوب الابيض يظهر انه من اهل الدنيا وهو في باطن الامر
على خلاف ذلك انتهى ما حدثني به الشيخ ولم اسمع منه الا هذا الحديث قلت وله تواليف
عديدة ذكر منها في فهرسته المسماة بغنية الوافد وبغية الطالب الماجد تتضمن فيها من
الاسانيد جملة من تواليفه في فهرسته الجواهر الحسان في تفسير القرآن والجزء المختصر في المرائي
والعجائب التي رآها ذكرته ومنها روضة الانوار المضيئة الجامعة بين الحقيقة والشريعة
ومنها روضة الانوار ونزهة الاخيار ومنها الانوار في معجزات النبي المختار صلى الله
عليه وسلم ومنها رياض الصالحين ومنها التقاط الدرر ومنها المختار الجامع المشتمل على
انواع الخيرات في الاذكار والدعوات ومنها العلوم الفاخرة في الامور الاخرة ومنها شرح
ابن الحاجب الفرعي والجامع الكبير الملحق به ومنها ارشاد السالك قال وهو من اصغر تواليفي
جرما ومنها الاربعون حديثا المختارة ومنها المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع
ومنها جامع الفوائد ومنها جامع الامهات في احكام العبادات ومنها المصباح هذا
منتهى ما ذكر من تواليفه في الفهرسة المذكورة قلت ورايت بخط بعض العلماء الفضلاء
قال ووقفت على اجازة بخطه يعني بخط سيدي عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله تعالى ذكر فيها
تواليفه بعضها الا اثنين منها جامع الخيرات وزاد تحفة الاخوان في اعراب بعض آي القرآن
والذهب الابريز في تفسير الغريب واعراب بعض آي القرآن العزيز قلت ومن رايت ان اذكر
هنا على سبيل التبرك شيئا من مرائيه ليعرف الانسان بعض مقامه فمنها ما ذكر في الجزء المختصر
بتفسيره المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ونصه رايتني كاني على موضع مرتفع مع اناس
كثيرين جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم يعرضون عليه طعاما ليأكل فتعلقت نفسي به وطمعت في نيل
شيء منه لكني لما رايت من كثرة الناس خشيت ان يفرغ قبل ان يصلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فلما استكملت الى المحل الذي هو فيه صلى الله عليه وسلم رايته علي وذلك الطعام في يده فاقبل علي وانا
السرور باد علي فاشتد به صلى الله عليه وسلم فسالته صلى الله عليه وسلم ان يطعمني من ذلك
الطعام فناولني بيده صلى الله عليه وسلم واكلت منه ما اكلت فلما ابتلعت ذلك الطعام

نظرت

نظر الي وقال الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اطعم احدا شيئا فيعطيه فعلمت له ابا نقيا
ونقيت للغني وقال الحسن كنا ازيد فوجهت منه انه لم يرد الغني على ظاهره وانه لننبه
الانبياء على نشر العلم وبثه واخراجه من الصدور وكنت اذ ذاك اخذ في قراءة البخاري مع
نائبه المختصر فبحثت لم وكان انه يفتش ان الزين اتاه اخذ فيه هو مما رضي الله ورسوله
كما قال ابن عطاء الله رضي الله عنه وجل ان ثمرات الطاعة عاجلة بشائر العاملين
بوجود الجزاء عليها اجلة وقال في موضع اخر من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على
وجود القبول اجلا قال ابن عباد ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه قلت او ما في معنا
ذلك ثم في تلك الليلة اما في هذه الرؤيا بعينها او في رؤيا اخرى بعد الاولى اخبرنا معه
صلى الله عليه وسلم على قبور المسلمين فقلت يا رسول الله نعود قبورا منكم ما دعا لهم
او ما دعا الله لهم ما دري ابي اللعظين قلت ثم انبعث الرجاء في الجالس مسجدا واذا
برسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول البشر برسول الله صلى الله عليه وسلم
او قال وبشر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظت واذا بها فيه في باطن القلب
يقول او طلبا الزين يتعقل الحينهم احسن ما علموا ثم بانزه كشفهم الحال فقمت فاذا اسرو فقت
الخير والحمد لله ولله المنة ومنها ما نصه رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا اكل معه
في طبق جديد وانا اكل صلى الله عليه وسلم كيف هو لكن افتش به فاذا هو صلى الله
عليه وسلم ياكل اكلا متوسطا معتبرا في امره فطالت مواكلتي معه صلى الله عليه وسلم
وافتكرت وانا في النوم فيما انعم الله علي من رؤيته صلى الله عليه وسلم ومواكلته فقلت
يا ربنا من اين لي هذا ولعل هذا الخبز يا ربنا ما جاءني صلى الله عليه وسلم ورفع راسه الي
وقال او في هذا ما شاء ابي لا شك في هذا او كلاما هذا معناه فلا شك في الاقام صلى الله عليه وسلم
وجعلت اقبل باطنها وان خديه لا سيما باطن قدميه صلى الله عليه وسلم وجعل يده صلى الله عليه
وسلم يرفع راسي بيده الكريمة يعيني وانا اكثر التقبيل لباطن قدميه صلى الله عليه وسلم وفي من
السرور ما لا يعلمه الا الله ومنها ما نصه رايت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يجلس على الطبق
الطبق فانا لا صلى الله عليه وسلم وداعيا ان اشتغل بتحصيله ان يسال الله تعالى ان يجعله من جواره
صلى الله عليه وسلم ومن معه في درجته او لحوقه انه ينبغي هوما في الحال عاجلا دته الكريمة
مع غيره العيفر ثم كما نبه راسجرو اقترب انتهى قلت وكان الشيخ الغراب

بالله سيدي محمد السنوسي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به كثيرا ما يعتني بعلم الطب العلوي
وبمطالعة كتب هذا الفن والله ذكر مرض الموت وهو مشتغل به وقد ألف في هذا الفن رضي الله
تعالى عنه على ما سمعته فيما أظن تأليفا إن عدنا إليه إن شاء الله تعالى ويمكن أن يكون الشيخ
رضي الله تعالى عنه وقف على هذه الرؤيا فلهذا كان يعتني به وبتعليم الرؤى آخر عمره وهو
أعرف بحاله رضي الله تعالى عنه لمن نقل عن بعض تلامذة الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله
تعالى من أراد أن يستغني فيها وعليه بمطالعة الجزء المذكور **قلت** ورأيته لم رحمه الله
تعالى يقتبس من شعر ذكره سيدي أبو عثمان بن سليمان في شرح لقصيدة علي الحوفي حفظه سبق
الله تعالى المتى أوليما كان الناس قبل اليوم ماسا ونعم الناس فاليوم صار داء ووسواس
ونص كلامه في شرحه لهذه القصيدة أنشدنا شيخنا الأجل العلامة أبو زيد المقالي رحمه
الله تعالى لنفسه هاذين البيتين قال الشيخ فيهما وأنا مقيد لهما أبلغ في أحسن عشر **[illegible]**
وأجاز فيهما روايتنا وذلك في يوم الأحد رابع عشر شهر شعبان عام ثلاث وسبعين وثمانمائة
وهما

اعفت لمرء في المطالعة ابقابي ... من فليله بانسكار وما [illegible]
وبين نعم الانسان الله بجود ... فيقيس فيما الله ضيعت جوهره

فوايد ثمان الاولى ذكر الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله تعالى في آخر تفسير سورة
الكهف ما نصه ومما جرب من خواص هذه السورة أن من أراد أن يستيقظ أي وقت شاء من
الليل فليقرأ عند نومه قوله سبحانه وتعالى أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء
إلى آخر السورة فإنه يستيقظ بإذن الله تعالى في الوقت الذي نواه ولكن قراءته عند ما يغلب
عليه النعاس بحيث ما يحدث له عقب القراءة خواطر وهذا مما شاهدته وهو من عجائب
القرآن العظيم والله الموفق بفضله **الثانية** ذكرها أيضا بأثر هذا ما نصه تنبيه وروينا
في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن في الليل لساعة
لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة
فإذا رجا أن تكون هذه الساعة فإن أعقب نومه من قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا إلى آخر السورة فإنه يستيقظ في تلك الساعة إن شاء الله تعالى
بفضله الخفي من فضل المولى **وهذه** الفائدة الأخيرة ذكرها أيضا في كتابه المسمى بالعلوم
الفاخرة في النظر في أمور الآخرة وزاد وهي بما نقله [illegible] استيقظت فادع لي ولك وهذا مقتضى

الامنة من فضل الله تعالى بما نستقبل وايا الدار ان تدعوا على مسمع بصوت ولو كان طالما
فان جانبي في الله حفيظ ويزكي به اكون خصيمه وانا ارغب اليك ان تفتش كيف في دعائك
اذا ابتليت بهذه البلايا العظيمة وكنت تشتغل فيها وللغفران العظيم اسال ان يطلع المشم
عليها من يشاء من عباده انتهى كلامه والله تعالى الجازي بافضل الجزاء وبالجملة فهذا
زهد الشيخ وعلمه وزهده معلوم فلا نطيل به والله تعالى المسؤول ان ينفعنا ببركتهم
وان يثبتنا على محبتهم وان يحشرنا في زمرتهم بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
ولما فرغ شيخنا في الجزائر وارتحل من الجزائر بوجاه هو واخوه سيدي علي التالوتي رحمهما
الله تعالى ورضي عنهما الى وهران بنية زيارة الشيخ سيدي ابراهيم التازي رحمه الله تعالى
ورضي عنه وعن شيخنا وسيدي الازهري اخذ عنه الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا
به وبما والاه من البركة فنقول ومنهم الشيخ الكامل العالي العلامة الورع الزاهد الصالح
الولي الناصح سيدي ابراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي نزيل مدينة وهران رضي الله عنه
ورحمه لما قدم الشيخ رضي الله تعالى عنه من الجزائر دخل مدينة وهران فجلس عند
الشيخ سيدي ابراهيم التازي نحو من خمسة وعشرين يوما على ما اخبرني به شيخنا سيدي
علي التالوتي رحمة الله عليه وعلى شيخنا اخيه وفي هذه الايام البس الشيخ سيدي
ابراهيم التازي الخرقة الشريفة الطاهرة المطهرة لشيخنا وبركتنا وعمدتنا ووسيلتنا
الى ربنا سيدي احمد الحسنوبي رضي الله تعالى عنه ونفع به وحصل له عن شيخه الرضى والبسها
له بالحرم الشريف قدس الله سره الامام المحدث العلامة الجليل شرف الدين ابي الفتح
محمد بن الامام زين الدين ابي بكر بن الحسين المراغي الشافعي وهو لبسها من يد شيخ
شيوخ العارفين شرف الدين المعروف اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي
العقيلي الجبرتي الزبيدي بمكة في اوائل شوال سنة خمس وثمانية قال لبستها من يد
الشيخ الحجامي وهو لبسها من جد يمان المدرس العلوي ولبسها من الشيخ المولى ابي
العباس احمد بن ابراهيم بن الجاسر وهو لبسها من الشيخ ابي الفضل القاسم بن محمد العرزي
وهو لبسها من الشيخ الامام الحافظ ابي محمد عبد الله بن يوسف الحلاسي وهو لبسها
من الشيخ الامام الحافظ ابي بكر بن يوسف بن ... الازدي المطلعي وهو لبسها من الشيخ
ابي احمد جعفر بن عبد الله بن سيد بونه الخزاعي وهو لبسها من الشيخ الكبير ابي مدين

رضي الله عنه قال شيخ شيخنا سيدي ابراهيم التازي رضي الله تعالى عنه ولبست
الخرقة الشريفة ايضا من الشيخ العارف سيدي صالح بن محمد بن موسى الزواوي المرواني
رحمه الله تعالى ورضي عنه من الشيخ المعمر محمد بن خالص من الشيخ الحافظ مغلطاي بن قليج وهو
لبسها عن الشيخ ابي عبد الله محمد العربي ابن ... والدي الشيخ جماعة الطويل القاهري عن الشريف
ابي محمد التاجوري عن الشيخ القطب الكبير ابي محمد صالح عن الشيخ الغوث الفرد الجامع ابي
مدين شعيب بن الحسين المغربي الاندلسي رضي الله تعالى عنه قال سيدنا ابو مدين
رضي الله عنه لبست الخرقة الشريفة من الفقيه العالم ابو الحسن علي بن حرزهم قال لبستها
من الشيخ الصالح ابو بكر بن العربي قال لبستها من الشيخ الامام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
قال لبستها من امام الحرمين قال لبستها من ابو طالب مكي قال لبستها من ابو عثمان المغربي قال
لبستها من ابن الزجاج قال لبستها من ابو القاسم الجنيد بن محمد الجنيدي وفي المعالي
الجرجانية طريق من الاستاذ ابي القاسم القشيري الاستاذ ابي علي الدقاق من الشيخ ابي
القاسم النصراباذي القشيري من الشبلي من الجنيد رضي الله تعالى عنه وهو لبسها من يد
الاستاذ الحسن سري بن المغلس السقطي رضي الله تعالى عنه قال الشيخ ابو مدين رضي الله
تعالى عنه لبست الخرقة الشريفة ايضا من شيخي ومن يد ابي يعزى قال لبستها من شيخي ومن يد
ابي شعيب ايوب صارية وقيل سارية لطول قيامه قال لبستها من ابو الفضل الجوهري
قال لبستها من المزني ابو عبد الله الحسين بن بشر قال لبستها من ابو الحسن احمد بن محمد النوري
المعروف بابن البغوي قال لبستها من سري السقطي رضي الله تعالى عنه وسري السقطي رضي
الله تعالى عنه لبسها من ابي محفوظ معروف ابن فيروز الكرخي وهو لبسها من يد ابي سليمان
داود بن نصير الطائي ومن يد ابي محمد علي بن موسى الرضا وابو سليمان لبسها من يد حبيب
العجمي وهو لبسها من يد الحسن بن ابي الحسن وهو لبسها من يد الامام امير المومنين علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه وهو لبسها من يد المصطفى سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ولبسها من يد
امين وحيه المنور المبين بواسطة الروح الامين ولبس الامام علي بن موسى الرضا من يد ابيه الامام موسى
الكاظم ولبسها موسى من يد ابيه جعفر الصادق ولبسها جعفر الصادق من يد ابيه الامام محمد
الباقر ولبسها محمد من يد ابيه الامام علي زين العابدين ولبسها زين العابدين من يد ابيه
الامام الحسين الشهيد ولبسها الحسين من يد ابيه الامام علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه

ومن

ومن تبع جده المصطفى صلى الله عليه وسلم **ومنها** الضيافة قال شيخنا وبركتنا ومولانا
العالم العامل محمد بن يوسف الحسني رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به حدثني العالم الرباني ابو اسحاق
التازي ضيفا واطعمني تمرا وماء قال حدثني شيخنا العالم العامل ابو الفتح واطعمني تمرا
وماء وكتب لي ما صورته الحمد لله وحده اضافني الفقيه سيدي ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفقيه
وسيدي احمد بن محمد المهاجري بالمدينة المشرفة لما زرت مع بني الخطيب فإني قدمت المدينة المحرم سنة
احدى وثلاثين وثمانمائة وقرأت عليهما اخبرنا الحافظ نفيس الدين سليمان بن ابراهيم
العلوي اليمني بقراءتي عليه جميع حديث الضيافة بسنده المعروف عن شيوخهم الى الشريف
جعفر بن محمد الصادق قال جعفر اضافنا محمد بن علي الباقر على الاسودين التمر والماء قال اضافنا
ابو علي بن الحسين بن علي على الاسودين التمر والماء قال اضافنا ابو الحسين بن علي بن ابي طالب
على الاسودين التمر والماء قال اضافنا ابو علي امير المومنين على الاسودين التمر والماء **وقال**
اضافنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التمر والماء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اضاف
مومنا فكانما اضاف آدم ومن اضاف مومنين فكانما اضاف آدم وحوا ومن اضاف ثلاثة
فكانما اضاف جبريل وميكائيل واسرافيل ومن اضاف اربعة فكانما اضاف التوراة والانجيل
والزبور والفرقان ومن اضاف خمسة فكانما صلى الصلوات الخمس في الجماعة من اول يوم خلق
الله الخلق الى يوم القيامة ومن اضاف ستة فكانما اعتق ستين رقبة من ولد اسماعيل ومن
اضاف سبعة اغلقت عنه سبعة ابواب جهنم ومن اضاف ثمانية فتحت له ثمانية ابواب الجنة
ومن اضاف تسعة كتب الله له حسنات بعدد من عصاه من اول يوم خلق الله الخلق الى يوم
القيامة ومن اضاف عشرة كتب الله له اجر من صلى وصام وحج واعتمر الى يوم القيامة
قاله وكتبه ابو الفتح ابن ابي بكر وفقه الله تعالى **ومنها** المصافحة فقد صافحني الشيخ سيدي
ابراهيم التازي شيخنا سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنهما كما صافحه شيخه سيدي صالح
الزواوي وهو صافح الشيخ الشريف محمد الفاسي نزيل الاسكندرية وهو صافح والده الشريف
عبد الرحمن وعاش من العمر مائة واربعين سنة وهو صافح احمد بن عبد الغفار بن نوح القوصي
وهو صافح ابا العباس الملثم وهو صافح المعمر وهو صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال**
من صافحني وصافح من صافحني الى يوم القيامة دخل الجنة **وقال** شيخ شيخنا الولي الصالح سيدي
ابراهيم التازي قال شيخنا سيدي صالح الزواوي رضي الله تعالى عنه وصافحني الشريف عبد الرحمن

الخطابي المغربي وهو صافح المعمر وهو صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم وصافحني أيضا الشيخ
سيدي إبراهيم التازي لسيدي محمد السنوسي وشبك على يده وقال له من أراد دخول الشرف
الاستناد في ناس يحبون الجنة كما صافح شيخه الشيخ الفقيه الحافظ الصالح حافظ أهل عصره سيدي
عبد الرحمن بن محمد بن موسى العبدوسي رحمه الله تعالى وحدثنا جماعة عن شيخنا الأستاذ أبي عبد
الله محمد بن أحمد بن الغسال عن الإمام الرباني أبي عبد الله محمد بن علي المراكشي وشهرته بابن
علوان عن أبي عبد الله المهدوي عن الإمام العالم أبي العباس أحمد بن البناء رضي
الله تعالى أبي عبد الله الهزميري عن أبي العباس الخضر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها
المشابكة وهي مشابكة سيدي إبراهيم التازي شيخنا سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنهما
وقال له مهما يقضي من شابكني دخل الجنة كما شابكني شيخي سيدي صالح رضي الله تعالى عنه
وهو شابكه الشيخ عز الدين بن جماعة وهو شابكه الشيخ محمد بن شيبويه(?) وهو شابكه الشيخ سعد
الدين الزعفراني التبريزي وهو شابكه والده محمود الزعفراني وهو شابكه الشيخ أبو بكر
ذي الكنوز البلاطي(?) وهو شابكه الشيخ محمد بن إسحاق القنوي وهو شابكه الشيخ المحقق
محي الدين بن العربي وهو شابكه الشيخ أحمد بن مسعود بن شهرزاد(?) المقري الموصلي وهو شابكه
الشيخ علي الباز محمد الحاجي(?) البالاني(?) وهو شابكه الشيخ أبو الحسن البا عوزادي وقال
البا عوزادي رأيت صلى الله عليه وسلم في النوم فشبك أصابعه بأصابعي وقال لي يا علي شابكني
من شابكني دخل الجنة ومن شابك من شابكني دخل الجنة وما زال يعد حتى وصل إلى
سبعة ثم استيقظت وأصابعي في أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشيخ
سيدي إبراهيم التازي رضي الله تعالى عنه لشيخنا سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى
عنهما ولم نكن أنبغي ذكر من شابك أحدا أن يقول له شابكني من شابكني دخل الجنة كما
قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للبا عوزادي حين شابكه وقال كذلك قال لي
شيخنا سيدي صالح رضي الله تعالى عنه حين شابكني وقال كذلك قال لي سيدنا الشيخ عز الدين
بن جماعة حين شابكني وقال كذلك قال لي شيخي محمد بن شيبويه(?) وقال كذلك قال لي الشيخ
سعد الدين الزعفراني وقال كذلك قال لي والدي الشيخ محمود وقال كذلك قال لي شيخي
قال ... وهذا السند متصل الوصلة(?) إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للبا عوزادي
حين شابكه في نومه ومن شابكني ومن شابك من شابكني إلى يوم القيامة دخل الجنة ومنها

السبحة

السبحة وقد اخبرني الشيخ حسين بن ابراهيم المالكي شيخنا وبركتنا سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى
عنه قال اخبرني شيخنا رضي الله تعالى عنه اجازة لجميع ما له بها قال اخبرني الشيخ ابو العباس
احمد بن ابي بكر الرداد سنة احدى وعشرين وثمانمائة ورايت في يده سبحة قال اخبرني
قاضي القضاة مجد الدين ابو الطاهر محمد بن يعقوب بن ابراهيم البكري الصديقي قراءة مني
عليه وسماعا من لفظه مرتين ورايت في يده سبحة قال اخبرني الشيخ جمال الدين يوسف
ابن محمد السرمري ورايت في يده سبحة قال قرات على شيخنا تقي الدين ابي الثنا محمود
ابن علي ورايت في يده سبحة قال اخبرني الحافظ ابو محمد عبد الرحمن بن ابي الجيش المقرئ
قراءة عليه ورايت في يده سبحة قال قرات على ابي الفضل محمد بن ناصر ورايت في يده سبحة
قال قرات على ابي محمد عبد الله بن احمد السمرقندي ورايت في يده سبحة قال فقلت له سمعت
ابا بكر محمد بن علي السلامي الحداد ورايت في يده سبحة فقال نعم قال رايت ابا نصر عبد
الوهاب بن عبد الله بن عمر ورايت في يده سبحة قال رايت ابا الحسن علي بن الحسن بن القاسم
الصوفي وفي يده سبحة قال سمعت ابا الحسن المالكي يقول وقد رايت في يده سبحة
فقلت يا استاذ وانت الى الان مع السبحة فقال كذلك رايت استاذي الجنيد وفي يده
سبحة فقلت يا استاذ الى الان مع السبحة فقال كذلك رايت استاذي سري بن المغلس
السقطي وفي يده سبحة فقلت يا استاذ وانت مع السبحة فقال كذلك رايت استاذي
معروف الكرخي وفي يده سبحة فسالته عما سالتني عنه فقال كذلك رايت استاذي
بشر الحافي وفي يده سبحة فسالته عما سالتني عنه فقال كذلك رايت استاذي عمر المكي
وفي يده سبحة فسالته عما سالتني عنه فقال رايت استاذي الحسن البصري وفي يده
سبحة فقلت يا استاذ مع عظم شانك وحسن عبادتك وانت الى الان مع السبحة فقال
لي هذا شيء كنا استعملناه في البدايات ما كنا نتركه في النهايات انا احب ان اذكر الله
بقلبي ويدي ولساني قال الشيخ ابو العباس احمد بن ابي بكر الرداد ويستفاد من قول الحسن
البصري ان السبحة كانت موجودة متخذة في عهد الصحابة رضوان الله عليهم لقوله هذا
شيء كنا استعملناه في البدايات ومراد الحسن من غير شك كانت مع اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وراى عثمان وعليا وطلحة رضي الله تعالى عنهم وحضر يوم الدار وقد قتل عثمان وعمره اربع

عشر سنة ورواه عن عثمان وعلي وعمران بن حصين ومعقل بن يسار وابي بكرة وابي موسى
وابن عباس وجابر بن عبد الله وخلق كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين فهذا
لفظ الشيخ سيدي ابي ابراهيم اخبرنا به شيخنا سيدي احمد الستوفي رضي الله تعالى عنهما وحثنا
في زمن تهما كما اعتقد شيخه بين صالح بسيرة المعروف له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واوصاه بتقوى الله العظيم ولزوم طاعته وان يحفظ جوارحه التي يعتد وينزههما
عن شهواتها وان يتواضع لذكر الله تعالى في كل حين واوانه وافضل ذكر الله
لا اله الا الله وانها تجلو على القلب ما غشاه من الران واوصاه باحترام المشايخ
وحرمة الاخوان والتواضع للفقراء والرافة بالمومنين والشفقة على خلق الله اجمعين
وان يلازم صحبة كل يوم سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة
مرة ولا اله الا الله الملك الحق المبين مائة مرة **وقال** ان ذلك غناء بغير ذلك وتيسير
امرنا وان يقرا كل يوم وليلة ربع سورة من القران اي ما تيسر ربعه اثر خلق
وافنا ان لقاه في بيعة العشر واني اذكر له الارض وتحيط فيه بشر بان قرانه انتزع
شيء انظر بعين واتبا طيبة وفتحت ثم له وبسط عليه في فتح الغيب الشيخ سيدي عبد
القادر رضي الله تعالى عنه **وقال** الشيخ رضي الله تعالى عنهما اقطع الآيات من معاني
ابن في المنابر تعيش عزيزا والعبد سبحانه **ولمن دم لبابا** وهو حسبنا ونعم الوكيل **ومنه**
حديث الرحمة فقد حدث الشيخ سيدي ابراهيم التازي شيخنا وبركتنا وسيدنا احمد
ابن يوسف الستوفي الحسني رضي الله تعالى عنهما وهو اول حديث سمعه منه وقراه
بلفظه عليه **فقال** سيدي ابراهيم قراته على الشيخ ابي الفتح محمد بن ابي بكر بن الحسين العثماني
رضي الله تعالى عنه وهو اول حديث سمعته منه وقراته بلفظه عليه قال سمعت من لفظ
شيخنا الامام عبد الرحيم بن حسين العراقي وهو اول حديث سمعته منه مطلقا ان شاء
الله قال حدثنا ابو الفتح محمد بن محمد بن ابراهيم البكري الميدومي وهو اول حديث سمعته
منه من لفظه حدثنا ابو سعيد اسماعيل بن ابي صالح احمد بن عبد الملك المؤذن من لفظه
وكتبه وهو اول حديث سمعناه منه اخبرنا والدي ابو صالح احمد بن عبد الملك وهو اول حديث
سمعته منه اخبرنا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي وهو اول حديث سمعته منه حدثنا
ابو حامد احمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزار وهو اول حديث سمعناه منه حدثنا عبد الرحمن

بن بشر

ابن بشر بن الحكم وهو اول حديث سمعته منه حدثنا سفيان بن عيينة وهو اول حديث سمعته
من سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابي قابوس مولى عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في
السماء انتهى الحديث وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد عدد خلقه ورضا نفسه وزنة
عرشه ومداد كلماته والحمد لله رب العالمين **قلت** وذكر لي بعض اصحاب الشيخ سيدي ابراهيم
التازي ان الشيخ سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنهما اخبر ان سيدي ابراهيم التازي
يهوى فيه يعني في اسم سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه والله تعالى اعلم وكان سيدي
ابراهيم التازي رضي الله عنه عالما زاهدا متصوفا وقصائده تنبئ عن حاله وعلو
مقداره وبيان فضله وسنذكر بعض قصائده في الجزء الذي بعد هذا ان شاء الله تعالى وله رضي
الله تعالى عنه كرامات **جمة** ما حدثني به شيخنا سيدي علي التالوتي وكتب لي بمعناه
اخوه سيدي محمد السنوسي رحمهما الله تعالى سيدي محمد بن سعيد حفظه الله تعالى وكلاهما
متقارب ونصه كنا مرة عند سيدي ابراهيم مع جماعة من الفقراء الذين جرت عادتهم بزيارته
في موسم المولد على ساكنها افضل الصلاة والسلام وكان ذلك في زمن الشتاء وكثرة الامطار
ولما قضينا الغرض من زيارته واردنا السفر للتلمسان انشا في ذلك بعض اصحابنا ما غشينا ما
لا طريق تلك الايام من الصحو ولا باذن لهم وكررنا عليه طلب الاذن والحجيم اليه فيها فهنا
ننتظر منه الاذن فيكون في حال الطريق لما كانت محفوفة **فبينما** نحن في يوم ثقل فيه
السحاب واظلم الجو وهطلت الامطار بحيث لا يتوهم السفر فيه واذا بالشيخ قد بعث
لجماعة الفقراء ان عزموا على السفر بانفسكم وقلوبنا غير طيبة بالسفر في ذلك اليوم الا انه
لا نستطيع مخالفته لما جربناه من بركته ولم نستفد بركة عناء وخرجنا مكرهين في مطر وابل
وغيم كثيف فلما جاوزنا الاجنة اقلع المطر فما ارتفع وتقشع السحاب وانقشع وظهرت
الشمس احسن ظهور وما زال فيها ولا استبعد غيم وكان ذلك اليوم من ايام الربيع وانشرحت
المنسا القلوب وانزاحت عنا الكروب وهو من نعم الله تعالى حتى اخذنا المبيت بشفاء
الحلل وما وجدنا الم برد في تلك الليلة ولا اصابنا روع ولله الفضل والمنة واصبحنا
من الغد سائرين على افضل حال وانعم بال كاننا في زمن ربيع او صيف فبينما نحن في اثناء
الطريق واذا بجماعة من لصوص العرب المعروفين بقطع الطريق على القرطة ولما التقينا

لنا ولها وحللنا بقدسان تغيمت السماء ونزلت الامطار وكثر الثلج واشتد البرد
ودام علينا ذلك مدة طويلة فببركة الشيخ وعظيم كراماته وامداد اجراء الحق من البركة
على يديه لنا الخير والشكر انفس **قلت** ومن ذكر الفقيه الاجل العالم السيد ابو عبد
الله محمد بن سعد حفظه الله تعالى في كتبه المستمد من روضة النسرين جملة من كراماته
ومكاشفاته واخباره لمن اراد ان يقف على اخباره ومناقبه فلينظر في الكتب المذكور
ولسيدي من عقد المنظوم في هذا الموضوع وكان شيخنا سيدي محمد السنوسي رضي الله
تعالى عنه كثيرا ما ينشد بعض الابيات وهي من قصيدة سيدي ابراهيم التازي رضي الله
تعالى عنه وهي بسيط

نعم مع الصبر من خير الخلال لمن ... اتى بقلب سليم ربه سحرا
والحقد طبع ذميم عد عنه وعذ ... بالله رب العلا من شر من حقدا
وجنب الحقد المذموم صاحبه ... ما زال قط حسود ساد او مجدا
نعوذ بالله من شر الحسود بما ... يبغي ويبغي الا انسا كمدا
على المواهب في الفضل العظيم بغا ... داء السرور لديهم ليس مبتدا

قلت وهذه الابيات من قصيدة طويلة وافتقرت على الابيات التي كان شيخنا
سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه يرددها كثيرا ويعتني بها غاية الاعتناء رضي الله
تعالى عنه ومن محاسن قصائده **قوله**

انت دليل الى الولوع لمن نشوا ... ودع عنك لوميه المدفون وما نقوا
تعوذ الهوى عنه وعذ بابا جه ... وعلمه احسن من الزهو والشكوا
وتعز بي لملاصب عنز نعيم ... وتعبر اللواجي في السلو من العدوا
ومن لم يرد بالنفس في حب حب ... فلو عنك وجد وصبو في دعوا
ولبس تجرد من يرد بد الهوا ... لله الهوى الذنا يا خير لنفسه من نجوا
بها الحب الاحب حد الطول والغنا ... واملاكه والانبيا واولي التقوا
وخيرة رسل الله افضل خلقه ... محمد الهادي الرحمة المسدا
رسول دعوى الحق متفضل ... بلا مثله في الوصل والفضل والجدوا
بشير نذير رحمة نعمة نعمها ... سراج منير غلبته في الدنيا مضوا

لطول

عطوف رؤوف ليس بالفظ لين * وفي الحرج لم يثقل لابطاء ولا بقوا
جميل المحيا ازهر اللون ربعة * وتسنيم قسيم ما يجانبه ولين المساواه
وبر زكي كامل الخلق والحيا * ولم يجر له في العلا والحلي من نشروا
على السيد المولى الشريف والدعوا * واصحابه اهل المبرة والتقوا
سطع بتبليغ لمتنا منكمل * وبالرفع في الرايات للسمو والسلوا

قوله

انتهت القصيدة وهي غاية في الحسن ومن احسن نظايرها ايضا مرادي من المولى وغاية امالي دوام الرضا والعفو عن سوء اعمالي

وتنوير قلبي بانسكاب تجليه * باخلاق تنبي عن ذوي الخلق العالي
واسقاط تدبيري وحولي وقوتي * وصدقي في الاحوال والفعل والقال
وفي حبه وحب صحبه نذا الوصف * على ءاله والانبيا والرسال
وحب النبي الهاشمي محمد * واصحابه الغر الاواخر والال
وحب رجال قد اتقوا النفس والهوى * وذاقوا مذاق الصبر للواحد العال
رجال كرام في التنعيم تنافسوا * شروا عارض اللذات بالغابر الغال
وليس لهم في غير حب الههم * غرام ولا في كسب جاه ولا مال
رجال كرام قوتهم ذكر ربهم * قياما قعودا في صدور واقبال
وشيمتهم ترك المطامع في الورى * فليس لمخلوق عليهم من افضال
على الصبر والايثار راضوا نفوسهم * فكلهم ندب وكامل الافضال
صدور ربهم من كل غش سليمة * كرام السجايا اهل سمح وافضال
بهم القوم لم يشغلهم حبيبهم بهم * بجنتهم ولا نار جزاء في المآل
ومنهم قتل النفس ومحو نعتها * فمن مات قبل الموت ليس بجنات ال
وكل جبان فران يبلغ المنى * وما عامل في فوره مثل بطال
وكل بخيل بعيد عنهم بمعزل * الا يتبعوا الكرام بمفضال
وعنهم مرتقى في التقيد للكامل * له خبرة بالوقت والعلم والحال
هو الشيخ الاكسير والكيميا لمن * اراد وصولا وهو يبغي بقلب امثال
وقد عدم الناس الشيوخ بقطرنا * وادرهم شيخي ومومن اجلال
فعندهم لم يبق نفع لعرفنا * وقد من ذوي اعراض خلو واحوال

والانبيا

يبتهج الرائي الى الكمال المنجلي ، عليه من الله الرضا ما لاح فضال

ومن نص على مدح التنبيه بتشميع ، ابو مدين بن عون المعاصر والنال

ومن قال جد الاولياء ودا به ، ولي الولي الله الشاذلي بن بطال

مدلل نشيع الحلو يوم التعاشي ، ومنقذ من من بغات واهوال

عليه سطع للشيا يم الورى ، بطول الليالي والغدو والآصال

ومنها ايضا قوله رضي الله تعالى عنه ٢١

اما آن ان تصحو وتلهو عن شادن ، وصيا بالشيب زجرا عن غوايه

ابعد الاربعين تروم هزلا ، وهل بعد العشية من غوايه

تجنب خطوط نفسك واله عنها ، وعن ذكر الغزال والزيار

وعن الرباب وعن سعادا ، وزينب والمعازف والعقار

لها الدنيا وزخرفها بشيء ، وما ابالي بها الا الغواي

وليس لعاقل من يصطفيها ، اتشري العز والمجد بالتباب

وتب واخلع عن ارديك المواض ، لدار النعيم ودار رضان

جمال الله اجمل كل شيء ، وبلدة الكمال وما سواها

وحب الله اشرف كل حب ، به تنفس التخلق بالوراثة

وذكر الله مرهم كل جرح ، وادفع من زلال السلوان

وما موجود الا الله حقا ، فدع عنك التعلق بالغياب

ومنها ايضا قوله رحمه الله تعالى عنه ونفعنا به آمين ٢١

يا صاح من زرف وفنا الدنيا ، نال السعادة والكرامة والغنا

جاهر بعوائد نبائه واهجر بيجيها ، دار البطالة والرزايا والعنا

ودوامها نادر بين الخطايا كلها ، محفوفة طوبى لمن عنها انثنى

لا تغتر بغرورها فنعيمها ، عرض معد للزوال وللفنا

لعب ولهو زينة وتفاخر ، لا تغتر عنك خيانتها من الجنا

خذ اعنة غرارة نكداء ، ما بلغت لخليلها فيها المنى

اليوم عندها جاهها وحليها ، وغدا تراه بدكها غيرها مغتنى

بمن

(ن) بادر بنية مخلص واعل لبا ۞ ب يدنيك من حرز زيلة في الغصص (ن)

(ن) يدخلك جنة النعيم بفضله ۞ دار البقاء والمسرة والقصص (ن)

انتهى وله رضي الله تعالى عنه قصائد اخر غير هذه المذكورة وقد اقتصرت على بعضها لاجل التبرك بكلام هذا السيد وابتغاء ان تعود علينا بركة هذه القصائد بمواعظها وحكمها ونزهد بها في هذه الدنيا الفانية ونرغب بها في تلك الدار الباقية نسأل الله تعالى ان يجعلنا طاهرا وباطنا من كل اهد وبلية وان يزيل من قلوبنا حب هذه الدنيا الدنية وان يجمعنا مع شيخنا وبركتنا ومولانا وسيدنا محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه في الدرجة العلية في دار الثواب خلف سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم خير البرية فائدة (ن)

قال سيدي محمد بن سعد رحمه الله تعالى في كتابه روضة النسرين وراثة خط سيدي ابراهيم التازي رضي الله تعالى عنه دعاء كان يدعو به ويكثر الاستغفار به وهو الحمد لله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وتجعل من رزقك الحلال ما نصون به وجوهنا عن التعرض الى احد من خلقك واجعل اللهم لنا طريقا نسلكها من غير تعب ولا نصب ولا منة واجنبنا اللهم الحرام حيث كان واين كان وعند من كان وحل بيننا وبين اهله واقبض عنا ايديهم (ن) واصرف عنا قلوبهم حتى لا نتقلب الا فيما يرضيك ولا نستعين بنعمتك الا على ما تحب يا ارحم الراحمين انتهى منه ومن الكتب المذكورة توفي سيدي ابراهيم التازي رحمه الله يوم الاحد تاسع شعبان من سنة ست وستين وثمانمائة ويكبر شيخ الشيوخ رحم رضي الله تعالى عنه ولشيخنا سيدي ومولاي محمد بن يوسف السنوسي رضي الله تعالى عنه شيوخ اخر تركتهم لعدم تحققي بهم ولانه ما اسمع من الشيخ عنهم شيئا بخلاف تلامذته المذكورين فانه سمعت الشيخ يحكي عنهم ويذكر محاسنهم ويكثر من الثناء عليهم ويدعو لهم والله تعالى المسئول ان يوفقنا لاتباع طريقتهم وان ينفعنا ببركتهم وان يفيض علينا من انوارهم وخصوصا شيخنا وبركتنا وان يميتنا على محبتهم ويحشرنا في زمرتهم بجاه سيد الاولين والاخرين وقائد الغر المحجلين سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

الباب الثاني في كراماته ومكاشفاته رضي الله تعالى عنه ونفع به

اعلم جعلني الله واياكم من المعترفين بفضله في عباده ومن المصدقين بما نشر من عنايته في اوليائه ان الكرامات على ما قال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله عنه

عنه في الحكاية المتقدمة التي نسميه كرامات ظاهرة حسية كالمشي في الهواء والمشي
على الماء وطي الارض في الهواء والاطلاع على خواطر كائنة وكوائن بعد لم تكن ونبع
الماء بين الاصابع وتكثير الطعام او الشراب او الاتيان بثمرة في غير ابانها او ابتلاع ما ليس
بغير جهر وتسخير الحيوان عليه او اجابة دعوة او اتيان طعام في غير وقته او حصول
على الغذاء شوق يخرج عن حصول الطعام او اثارة حجر بايتان ما يعسر عليه تناوله ان تكون
غير متيسرة وهذه كلها كرامات ظاهرة حسية وكرامات هي عند الله افضل منها واجل
وهي الكرامات المعنوية كالمعرفة بالله والخشية له ودوام المراقبة له والمسارعة لامتثال
امره ونهيه والرسوخ في اليقين والقوة والتمكين ودوام المتابعة والاستماع من الله
والفهم عنه ودوام الثقة به وصدق التوكل عليه والرضى عنه له قال ابن عطاء الله
رضي الله تعالى عنه وسمعت شيخنا ابا العباس المرسي رضي الله تعالى عنه يقول على قسمين
طي اصغر وطي اكبر فالطي الاصغر لعامة هذه الطائفة ان تطوى لهم الارض من مشرقها
الى مغربها في نفس واحد والطي الاكبر طي اوصاف النفوس وحده ورضي الله تعالى عنه
بان طي الارض ليس بعجب الله عنه وانما العجب ما نعرف ذلك من نفسه عنده اذا اشتغل
بالوفاء في العبودية وطي اوصاف النفس لمن لم تقم عليه به لكنت من المنغوبين وحشرت
في زمرة الغافلين وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله تعالى عنه انما هما كرامتان جامعتان
كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة
ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب
او ذو خطإ في العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق
الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها
مستدرج مغرور او ناقص او هالك مثبور انتهى **قلت** ويقرب من هذا الكلام كلام
ابي عبد الله محمد الشهير [illegible] رضي الله تعالى عنه فانه لما ذكر ان كرامات الاولياء جائزة
عقلا وواردة سمعا قال ومن اعظم كرامات الله تعالى تيسير اسباب الخير واجراءه على ايديهم
وتعسير اسباب الشر عليهم وحيث كان التيسير اكثر كانت الكرامة اوفر ثم قال اثر هذا
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا الاية واذا ثبت هذا صح
ان الكرامة تزيد على نيل المعرفة من الحق والباطل وسبيل النجاة والهلاك انتهى

ثم قال الشيخ ابن عطاء الله اثر كلامه المتقدم فدل ذلك على ان اطلاع الاولياء على بعض
الغيوب لا يخليه الفضل وقد ذكر ابن النقل قال ابو بكر لعائشة رضي الله تعالى عنهما
في مرض موته ان زوجتي حامل انما اخواك واختاك وببطن بنت خارجة اراها جارية
فاخبر ان ببطن امراته جارية وكان كما قال رضي الله تعالى عنه وقول عمر رضي الله تعالى عنه
يا سارية الجبل وسارية اذ ذاك بارض العراق فسمع سارية قوله وكان قد اطلعه الله على
سارية وقد احاط به العدو بامر الله بهما فيها ان التجا الى الجبل فحاز العدو والجيش الذي
معه بالنصر والظفر وكان قال ذلك وهو في اثناء خطبته على المنبر فترك الخطبة
وقال يا سارية الجبل وعاد الى خطبته فجاء بعض الصحابة الى علي رضي الله تعالى عنه
فقال له ان امير المومنين يخطب اذ ترك الخطبة وقال يا سارية الجبل ثم عاد الى الخطبة
فقال علي رضي الله تعالى عنه دعوه فانه ما دخل في شيء الا وكان خرج منه فبعد
ذلك قدم سارية واخبر عن ذلك اليوم انه سمع نداء عمر في الوقت الذي نادى عمر
وقال عثمان رضي الله تعالى عنه لمن دخل عليه وكان قد نظر الى محاسن امراة
في الطريق يدخل احدكم واثار الزنا بادية في وجهه واما علي رضي الله تعالى
عنه فقد جاء عنه في هذا الباب العجب العجاب حتى اشتهرت الاخبار في زمانه ان حجب
بالكوفة ان معاوية مات فقال رضي الله عنه انه بلغه والله ما مات ولن يموت
حتى يملك ما تحت قدمي هاتين وانما اراد ابن هند ان يعمي بذلك حتى يستخبر علمي
فيه بين بني كانت اهل الكوفة معاوية وعلموا ان الامر صائر اليه وحكايات
الاولياء في كل زمان ووقت تنظر ثبوته لهم بما يبلغ حد التواتر فلا ينكر بحجر ثم
انا الدليل على امر يستعمل عليك النظر في بيان ذلك وهو المخصوص ان الاطلاع الغيب
على غيب من غيوب الله ليس بحاسة بينة ولا بوجه ضرورة وانما هو بنور الحق فيه من
دليل الحكم قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله تعالى
وكيف يستغرب ان يطلع مومن على غيب من غيوب الله تعالى بعد ان شهد له الرسول
صلى الله عليه وسلم انه انما ينظر بنور الله تعالى بوجوب نعته وكونه قوله في الحديث
فاذا احببته كنت سمعه وبصره الذي يبصر به الحديث الاخر ومن كان الحق بصره فليس
الاطلاع على الغيب بمستغرب في حقه وفي بعض طرق هذا الحديث فاذا احببته

كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومويدا النفس فان قلت
كيف فصح تفسير الاية وقوله سبحانه عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من
ارتضى من رسول فانه يستثنى احدا الا الرسول قلت سمعت شيخنا ابا العباس
رضي الله عنه يقول في معناه اوجه يزاد ولي فان قلت فيه زيادة على ما نطقه
الكتاب العزيز فاعلم انه اذا قيل ان السلطان لا يأمن الا الوزير وحده ويدخل الملك
الوزير معه وكان الاخر متبوعه اخر لكن الولي اذا اطلعه الله على غيبه من غيوبه
فانما ذلك لانه نظر اليه في جلاء الغيوب وقيام بصدق المتابعة فما اذ لم يرى بنفسه وانما
رآه بنور متبوعه وايضا ان الاية تشير الى نفي اطلاع العباد على غيب الله تعالى الا من
اطلعه الله ويبين سبحانه بسبب الاطلاع من اطلعه على غيب من غيوبه وان ذلك انما كان
لانه من نظر عنده بقوله الا من ارتضى وقوله من رسول اخص الرسول بالذكر ولم يذكر النبي
ولا الصديق ولا الولي وان كان منهم من ارتضى الا ان الرسول اولى بذلك ممن سواه انتهى
كلام الشيخ ابن عطاء الله وهو في غاية الحسن قلت واجاب الغزالي عن الاية الكريمة
بانه قلنا في الكلام حذف يدل على صحة تقديره الشرع الصادق والمشاهدة الضرورية
وهو ان يكون معناه الا من ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول بالاخلاص واستقامة او
عمل بما جاء به فان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المومن ولذلك نقل الاية على
ما غاب عنه ان يكشف اليه وقال ان يكن منها من كونه محدثا كما قال وقال المومن ينظر
بنور الله وفي القرآن فقال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك فعلم ما غاب عن غيره من امكان الاتيان من وعنده ذي القرنين من اخباره عن الغيب
وصدقه حيث قال فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا وان كان وقع
الاختلاف في نبوته واجمع جماع في القرنين انه ليس برسول وهو خلاف المشرك في الاية
وان اهل المراقبة بالجبال الحاجرية والقرنين وما تكهن عالي بن المرثية كان عنده علم
من الكتاب واراد ان يجوز على عمر ليعرف بين السنة والجفا فيه فيما يصنع فيها جرى الحضر
وما اظهر الله عنه واظهره عليه من العلوم الغيبية وهو بعيد ان يكون نبيا فليس الا
برسول على الوفاق من الجميع والله تعالى يقول الا من ارتضى من رسول فدل على ان في
الاية حذفا فان ضاق معه الرما ظهر من الكلام وكان سمعه رضي الله عنه يرى الصلاة بكم

وفي

وهو غيب لله وشواهد الشرع كثيرة جدا تعجز المتناول وتبهت العاقل هذا والقول
بتخصيص العلوم الخمس ويحتمل ان يكون المراد في الاية بالرسول المذكور
فيها ملك الوحي الذي بواسطته تنزل العلوم وتكشف الغيوب لجميع الرسل لله ملك
باعلام غيب اما نطقا بمشافهة او القاء معنى في روع او ضرب مثل في يقظة او نوم جاز ان يطلع
على ذلك ايضا ويكون ما يرد من الاخبار بعد في الاية الامتنان على من رزقه الله على شيء
من مكنوناته واعلامه به انه لا يصل اليها بنفسه ولا مخلوق سواه الا بالله حين ارسل اليه
الملك بذلك وبعث اليه ومن حول كل مخلوق وقوته
ويرجع الى الله وحده ويتحققوا انه لا يرد عليه شيء من علم او معرفة او غير ذلك الا بارادته
ومشيئته ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون معناه من ارتضى ورضي
من سائر خلقه واصحاب عباده ويكون معناه من رسول اي على يد رسول من الملائكة انتهى
من كتاب جواب الشيخ ابي حامد الغزالي عن ما سأله بعض اهل العلم عما اشكل عليه في كتاب
الاحياء ويحتمل ان يكون المراد بالغيب في الاية مخصوصا عاما لخصوص حد زمنه وبه يدرى
هذا انبيا والاولياء قوله تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فدل على
ان الاية تسبقه ليبان غير معهود ونعرضه للانبياء عن منزلته معهودة ولينتشر في
الحال معهود والذي نعلم ذكره ما يعرفون هو الذي عاد الضمير اليه في قوله تعالى فلا يظهر
على غيبه احدا انتهى من الشيخ ابي زكرياء يحيى الزناتي الفليعي المسكي بلا اسكندرية مع جواب
فقهاء تلمسان عن سؤاله ابان عن كتاب الاحياء للغزالي ووقفه على مذهب اهل السنة
ايها وانتصر فيه الغزالي والطبني مرة رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهما قلت وقد
اجاب شيخنا وبركتنا ومولانا سيدي محمد السنوسي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به عن
الاية الكريمة باجوبة حسنة ونصه في شرح لعقيدته الوسطى والجواب ان الغيب هنا
عام اريد به خاص او معناه هو وقت وقوع القيامة بقرينة السياق ولا يبعد ان يطلع عليه
بعض الرسل من الملائكة ومن البشر فيصح الاستثناء وان جعل منقطعا فلا خفاء بل ولا
نزاع حينئذ جعل الغيب للعموم لكون اسم الجنس المضاف بمنزلة المعرف بال ولا سيما وقد كان
في الاصل مصدرا ويكون الكلام لسلب العموم اي لا يطلع على كل غيبه احد وهو لا ينافي
اطلاع البعض على البعض وكذا ان فسر الاظهار بالاطلاع بطريق الوحي وبالجملة فلا نزاع في

مبني على ان الكلام لعموم السلب ونحو ليس بعد زمن انتهى كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه وهو
في غاية الحسن قلت ورايت مكتوبا بخط الشيخ سيدي محمد السنوسي رحمه الله تعالى ورضي
عنه ونفع به في معنى ما تقدم من الاطلاع على بعض المغيبات وهو من كلامه رضي الله تعالى عنه
ونصه قلت ومما يدل على ان الصادر من بعض الاولياء من التبشير بالجنة ليس مخالفا للسنة
صدور مثله لمن متبوعهم الذين اقتدوا بالتزام الاقتداء به سيدنا ونبينا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام قد بشر جماعة من الصحابة بدخول الجنة وكان
ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم من جهة ان وليه الذي اخبر بدخول الجنة ومعنا اللزوم
الايمان والاعمال الصالحة الى الممات ومن ثبت من قول جمهور اهل السنة ان كل ما جاز
معجزة للنبي جاز ان يكون كرامة لولي واذا جاز ان يطلع الولي على عاقبة امره عند جماعة من
المحققين جاز ان يطلع على عاقبة غيره احرى وانما كان احرى لسلامته من بعض الامرين مكر
الله الذي من اجلها منع بعضهم من اطلاع الولي على عاقبة نفسه وان كان هذا الذي علل به
غير مسلم لان الصحابة الذين اطلعهم النبي صلى الله عليه وسلم على عاقبة امرهم من العشرة رضوان
الله تعالى وغيرهم زادت كرامتهم في درجاتهم ذلك امنا بل كانوا مع ذلك اشد الناس خوفا
واكثرهم اجتهادا في طاعة المولى تبارك وتعالى ثم لو كان في اطلاع الولي على عاقبة امره
مفسدة تمنع منه لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم احدا من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعاقبة
امرهم اذ لا غير ما منع منه هذا القائل واذا عرفت من هذا ان التحقيق جواز اطلاع الولي
على عاقبة امره عرفت منه جواز اطلاعه على عاقبة غيره احرى واذ ثم ما يبقى تتوهم في هذا القسم
اهـ بان قلت المفسدة في هذا القسم واقعة من جهة ان اطلاع الولي غيره على انه من اهل
الجنة قد يوجب له اتكاله على ذلك المقال وزهده في الاعمال واشتغاله بالبطالة في الاقوال
والافعال المعوجة اهلية الاطلاع على مثل البشارة فالجواب ان هذه المفسدة منتفية
لانه اذا كان المبشر بالجنة من اهلها كما اخبر به الولي كان محبوبا له بعمل الا باعمال اهل الجنة
الصالحات ويزكيه بمخصوصه ما بشر به ثم ان الولي مجبور من ان يودع هذا العلم الشريف
في هذه البشارة الا لمن يسر الله له ما ترتب الحكمة على علمها بتحقيقها والظاهر مناف
للولاية التي قضى بها هذا الغير من الكرامة بان قلت السمع في مثل هذا يرد في
الرخا عن المحرومين المتشبهين بالاوليا ولم يسمعوا نفعهم على جلب قلوب العوام بمثل هذه

الفائدة

المغالة في الشهوات والرياضة **فالجواب** انا انما تكلمنا على حكم جواز هذه المقالة
في حق الولي الحقيقي في نفس الامر واما معرفة عينه والتمييز بينه وبين المتشبه الكذاب
فيحصل بعد معرفة العصمة وشروط الولاية واحوالها بالمحافظة الشديدة وقرائن
الاحوال المحصلة للقطع والظن فانه يعرف بعد ذلك حال الصادق والكاذب ان شاء الله
تعالى واذا صح هذا كله عرفت ان قول المنتقد ان ترك الحكم بالجنة والنار في حق من لم يخبر
عنه بذلك الصادق والصادق صلى الله عليه وسلم هو السنة معناه اي السنة ان لا يجزم
في حق احد بالجنة او بالنار باعتبار النظر الى ظاهر عمله من الطاعة والمعصية اذ ذلك
لا يحصل به قطع لما خفي من الامور الخفية واما الجزم بذلك من طريق الكرامة للاولياء لما اطلعهم
الله عليه من غرائب ملكه وملكوته فليس مرادا لهم وانما اطلقوا ولم يستثنوا هذا
هذا القسم نظرا منهم الى الغالب ونادر من يصل الى هذه الكرامة بل الشذوذ من يتصف
باصل الولاية فضلا عن الاطلاع على هذه الكرامة وان صح اجماع العلماء بمنع هذا
الحكم على العموم في غير الانبياء وانه لا فرق في المنع من ذلك بين الولي وغيره فيجب حينئذ
ان يتأول بحمل المنع من هذا الحكم ممن عرف بالولاية بانه صدر منه ذلك وهو مغلوب مقهور
بالحال مضطر للاخبار بذلك ولا تكليف لمضطر لا اكتساب فيما صدر منه ونظير هذا ما اتفق
عن بعض الاولياء وكان منهوما من اجل نكد رمقه من الولاية عليه فرءا مغنيا بشبابة
فاسرع وجلس اليه خشية من غير مرجع وقد رد الله تعالى عليه المقام الذي نكد عليه لاجل
اصابته على ما صدر منه وذكر قائله حديث النبي صلى الله عليه وسلم المتقدم وعيبه من جلس
يسمع شبابة وانه يصب في اذنه الانك يوم القيامة فصاح عليه وقال لهم انما قال ذلك
عليه الصلاة والسلام في حق من جلس لا في حق من اجلس بحكم الاحوال المختار مكتسب
فيمنعنا ولذا الوعيد لانه مكلف **والثاني** مقهور مضطر لا تكليف عليه فلا وعيد يلحقه فتأملوا
هذا كله والله اعلم وبهذا القدر ينبغي ان ينتهي كلامي فيما وبركتنا تيسيرا في السنوسي قدس
الله روحه واسكنه من الفردوس فسيحه وقد احتوى هذا الكلام على جواهر جليلة ومحاسن
رائقة جميلة وحقيقة والشأن يعجز هذا التقييد المقيد لحصر ذلك كله بل ذاك كلامه
وغرائب حكمه ودقائق علومه وانوار فهومه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وجمعنا معه ومع
احبتنا في الفردوس بجاه ذاته العلية وصفاته السنية وجميع اسمائه الحسنى كلها وبحق

خواص عباده من انبيائه ورسله وما يكشفه لاوليائه ولطائف تيسيره ولطائف حسنه سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته
قلت وانه تقرر ان الكرامات على قسمين كرامة حسية وكرامة معنوية وان الكرامة المعنوية
افضل واجل من الكرامة الظاهرة الحسية كما تقدم من كلام الشيخ ابن عطاء الله رضي الله تعالى
عنه **واعلم** ان الشيخ الولي الصالح الورع الناصح سيدي محمد الشرقي رحمه الله تعالى ورضي عنه
قد جمع الله تعالى له بين الكرامتين اكرمه الله تعالى بهما من الفضل والوجه الكريم من كراماته الحسية
الخارقة للعادة ما وقع له مع بعض اصحابه الملازمين معه وكان كثيرا ما يطلعهم او يطلعهم على
الاسرار ويفرح عليه ذلك فاختطف له يوما حجة من ذهب من الهواء وذهب معه
في بعض محضر البلد وهو ينظر اليه فاعطاه لبعض الاسرى وقال الشيخ لصاحبه اكتم الاسرار
ما يظهر لك حتى توفي الشيخ رحمه الله تعالى ورضي عنه **ومنها** ان بعض الفقهاء ذهب الى
جبل العريفة فلقي رجلا من الاولياء فبقي معه فلما اراد الانصراف قال له الولي اذا دخلت بلدك
فسلم لنا على الشيخ سيدي محمد المنشفي الذي يسمى عندكم السوسي فقال له يا سيدي ومن اين
تعرفه **فقال** له انه يأتي في الموسم لهذا المكان فيطوف ويسلم علينا وهو كثير التبسم فجاء الرجل
الى الشيخ وابلغه الامانة فقال له اكتم **ومنها** قضيته مع شيخ بني زنيبة المسمى عبد
الجبار وكان هذا الجزء وهو من اهل الكرم فطلب الشيخ ان يذهب معه الى منزله من جبل بني
زنيبة ففعل وخرج الى الجبل المذكور فبسم الله تعالى في ثنية الكلاخ طلب ماء وذلك
اوان المصيف واشتد عليهم العطش فاستقبل الشيخ رضي الله تعالى عنه القبلة ودعا
فنزلت سحابة فيها مطر كثير حتى شربوا وتوضؤوا ورفع المطر **ومنها** وهي اعظمها
ما حدث به الخواص من اصحابه وامرهم بكتم ذلك انه رأى الحق جل جلاله في النوم على ما هو
عليه جل وعلا ليس كمثله شيء فجزم بذلك بنص عن الكتاب تجوز رؤيته منها وما كان
اليها لجمعها ومنطقها **قلت** هذا ابن المومنون ربهم في دار السلام وفي دار السلام بين جنة
عرش الرحمن وبين جهنم ما يقع كرامها الا خالقها فيخرج اليها المومنون كل جمعة كما يخرج الناس
للصلاة يوم الفطر والاضحى فبينما اهل الجنة في مجلسهم فاذا بالحجب قد انكشفت عن الخلائق
لان الحجب على الخلائق لا على الخالق ومن اعتقد ان الحجب تجوز على الخالق فقد جهل صفات
الربوبية ولو جاز عليه الحجاب لاحصرته السموات والارض فاذا انكشفت الحجب بدا الحق

الحق

الجبار جل جلاله ينفطر من العرش ليس كمثله شيء فينظر المومن فلا يرى امامه ولا فوقه ولا شمالا
ولا اماما ولا خلفا الا الله ولا يخطر بباله شيء الا الله ولا يجد متسعا لغيره الا النظر لوجه
الله ويبقى العبد في العظمة والجلال حتى لا يعرف اسم نفسه ولا يشعر بمن حوله من الخلائق
وينسى كل شيء الا الله فينظر العبد حينئذ لمولاه بالبصر والبصيرة من ان يرد بصره وبصيرته
من الصفات حيث لا تحتمل النهاية والاحاطة فانهم يرونه على الحقيقة ولا تخيل صفته في عقولهم
ولا اوهامهم حين الرؤية ولا يعبرونها فان العقل يعجز كماله عن الفهم ويعجز الفهم عن الادراك
ويعجز الادراك عن الصفات وتبقى هنا الكل في جنب عظمة الله عز وجل والله تعالى يمن علينا
بذلك بجاه نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم دائما **ومنها** ان بعض الاولياء وقف
على الشيخ ما خبره انه لقي بعض المومنين من الجان وقال له قل للشيخ سيدي محمد السنوسي مهما
اكل طعاما فليقل الحمد لله رب العالمين الشكر لله رب العالمين ثلاث مائة مرة ومن عفو بتور
وذكر في ذلك ثوابا عظيما انتهى **ومنها** ان سيدي محمد بن محمد بن الشيخ سيدي محمد السنوسي
يوما وقال لعله ان جماعة من الجان المومنين اجتمعت عشرة في المواضع الطلب سيدي محمد السنوسي
ان يجعل لنا درسا في البردة فجلسنا بالغة المحكى الخير شرع في قراءتها فقرأها رجل على الشيخ
بحضرة الجان حتى ختمها بالتفسير العجيب والظن ان الشيخ كان يشرح لهم المعنى بقراءة بعض الجان
عليه هكذا بلغني من أثق به وذلك مرة اخرى **ومنها** ما حدثني به سيدي محمد الراشدي
وهو من اصحاب الشيخ رضي الله عنه قال حدثني شيخنا سيدي محمد السنوسي ما معناه ان الجان
يكونون عليه في الليل وربما يجتمعون على طرف ثوبه ويجد من يده يطردهم فيصيرون بعيدون
ثم يرجعون ويطردهم ايضا ثم يرجعون قال عنه ولا يتركوني اشتغل بنفسي او كما قال رضي
الله تعالى عنه ونفعنا به **ومنها** الاختفاء على الاعين وفيه حدثني رجل من الصالحين
قال ان مما رأيت من كرامات الشيخ سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه ونفع به الاولى
اني كنت يوما اخدم روضتي فبينما انا كذلك اذ رأيت الشيخ قد اجتاز على الطريق
وانا بالقرب منه وانه ليس في الطريق ما يحجبه من شجر وحائط يحجبه عني فما عليه الا ان
نظرت يمينا وشمالا فما رأيته ولا ادري هل الارض ابتلعته او السماء رفعته **الثانية**
اني كنت يوما اخدم في روضة ايضا فاذا بالشيخ دخل روضتي ومعه رجل وكان الوقت وقت دخول
وقت الظهر فسلمت عليه وقبلت يده فقال ائتنا لنا بماء للوضوء فرفعته من بير كان لك

كانت لي بئر في الروض وهي قليلة الماء جدا فتوضأ الشيخ وبقا من وضوئه فضلة فالقيت تلك
الفضلة في تلك البير في ذلك اليوم كثر فيها الماء قلت وقد رايت تلك البير وفيها ماء كثير
ومن ذلك بالبعد نشبهه بالغدير واخبرني بعض الاكابر من اصحاب الشيخ رضي الله تعالى عنه
قال مررت يوما في عراء فرايت الشيخ رضي الله تعالى عنه وهو وحده فجيئته لاسلم عليه فلم
اراه وكاد رجل ان يتوقف فتعجبت من ذلك ثم بعد ذلك بساعة في زمانه اراه وانا امشي
على الطريق مررت ايضا فدخل الى جنبه حايطا وهو يصلي قال فنظرت الى ذلك الحايط فلم ومن خشيته
لئلا يشتغله على غيره من الحيطان وجعلت لذلك الحايط علامة قال فانتبهت الى غد بالقرب
فتوضيت وجيئت وانا ابادر الصلاة خلفه فلما وصلت الى الحايط نظرت فيه فلم ارى شيئا ولم
اراه اثرا فتعجبت من ذلك الفعل فبعد ذلك ايضا بساعة يسيرة رايته ايضا بعيد عن موضعه
الاول وهو يمشي على الطريق قال جعفر منه ايضا ان اسلم عليه فلم اره والله اني
ما يئست من لقائه رضي الله تعالى عنه ونفع به وجمعنا معه في اعلا الفردوس وجعله ممن
ينفعنا في بره في ذا الدنيا العلية في كل الحضرتين بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى
اله وصحبه عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ومنها الرايا العجيبة
الغريبة التي رايت له منها ان الرئيس يوسف بن عمر السنوسي رضي الله تعالى عنهما ان
راى في الليلة التي ولد فيها ابنه سيدي محمد رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في النوم
ويقال له يا يوسف نفرا بيك لك ولد كريم في هذه الليلة فيه العلم والدين او كلاما هذا معناه
وقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلامه وهو من اعظم البشارة ولعل شهر له
النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم والدين بكون داله ومفرار كما يبطق عظيم شانه ومفرار
الابد الاخرة كما حدث فيه ما رضي الله تعالى عنه وقال في بعد كلام له على الاولياء والعلماء
والمدرسين وان مراتبهم مختلفة بالولي وكل واحد من العلماء يدعي شيئا وكل من الطوائف الحق
لا ينبغي ان يعترض اليه ولكن لا يظهر الحق الا عند الاحتياج على الحالة وثم يظهر من يحوز كل برق على
على الاختلاف مراتب الخلق واما ولي وكل مستور يستره الله سواء في ذلك الولي وغيره
او كما قال رحمه الله عنه نسأل الله تعالى ان يجمعنا معه في اعالي الفردوس بجاه اشرف الخلق
والحمد عند الحق حبيبنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الى الابد ومنها ما حدثني
به اخوه وهو شيخنا وبركتنا سيدي علي التالوتي رحمهما الله تعالى ورضي عنهما قال لي كانت عندنا

[illegible]

مملوءة انمنها سبعين وكانت تجزئ من سورة الرحمن الراحمة والناس وكانت على المحمد
وكانت من النبي صلى الله عليه وسلم في الغوث وتصبغ لنا على الصفات المذكورة في الكتاب
قال ومنها نزل بنا امر من الامور انه صلى الله عليه وسلم قال من انه بليلة من الليالي على
عادتنا وقال لنا صلى الله عليه وسلم قل لمحمد السنوسي لا ادري هل زاد لفظ السنوسي
ام لا فقط تصلي على كذا وكذا مرة في حصة تنفرج بها او كما قال صلى الله عليه وسلم قال
بها اعجب ما التذ لي يا سيدي هل عندك اخ اسمه محمد قال الصانع فالذي قال النبي صلى الله
عليه وسلم كذا وكذا قال فبعثت لاخي سيدي محمد فجاءني فاخبرته ببشارات الامة فقال الراوي
سيدي محمد فاتت الخوف لشدة اني كنت احاج عن النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم الف مرة ثم نقصت
منها نصفها خمسمائة وما سبب النقص الا كثرة الاشتغال بحوائج الناس شوشوني ولم
اجد لي راحة ولا انفكاك منهم فهذا سبب النقص قال الراوي عن سيدي علي من ذلك اليوم رجع
الى ما كان عليه اول مرة من تكميل ما نقص انتهى بالمعنى قلت بل زاد على ما عليه اول مرة
ودام على ذلك الى الممات مع كثرة ورود الخلق عليه رضي الله عنه ونفعنا به ومنها استجابة
دعواته وقد كنت اصابني رمد شديد في عيني خفت منه على التغرب الا شوق لبصر فجلا
عن المس بعينيه ايام مرضها والامر يتزايد ويتضاعف علي وكنت اقرا عليه كتاب التاذيب
في الصالحين قبل المرض فلما مرضت بالعينين قطعت القراءة فبقيت اشتكي الى الشيخ وانزد اليه
لحضور مجلسه فجئته يوما فجعل يده اليمنى على عيني ودعا ساعة زمانية فما بارحته حتى
وجدت راحة والحمد لله وصرت اذ احببت كتابا اقراه كتبته واذا اعيت عنه لا اقدر انظر
في كتاب ولم يكن الا نحو ثلاثة ايام فبرات وذلك ببركة دعائه رضي الله عنه ونفع به ومنها
انه دعا يوما على عسكر بالحلة بغضب شديد فاجاب الله دعوته وخذل له العسكر ولما
سمعت بانه دعا عليهم ايقنت بحلول الذل بانه سيجري وكان كذلك وايقنت انه لا يعود على ما
كان عليه من العمارة الى قيام الساعة وقد عاد رضي الله عنه انه كان قد وقع منكر عظيم وهوا
انه لا يزول الا بزلزلة لنفسه والا فقد ع عظيم حلمه ومن الصبر العظيم الذي يقول عليه
الاكابر من العباد فبرح قليل ما هم ومنها انه مرت علينا سنة جدبة واحتاج الخلق فيها
الى المطر فبادر رجل في الخوف انه مشى الى اجادير فاحصا فبرسدي الراوي في يطلب منه الدعاء
لاغاثة الخلق قال الراوي على ما حكاه لنا عنه والله نفعنا في بينما انا في اثناء الطريق اذا

بالشيخ سيدي البراودي رضي الله تعالى عنه فقابلنا من جهة اجادير فسلمنا عليه
وطلبت منه الدعاء والتضرع للمولى الكريم في اغاثة الخلق بانزال المطر فقال لي سيدي
البراودي امض معي الى سيدي ابراهيم المصمودي نطلب منه ذلك قال البراودي فطلعنا
مع سيدي البراودي الى ان وصلنا الى باب مدرسة سيدي ابراهيم المصمودي فاردنا ان
ندخل المدرسة فاذا سيدي ابراهيم المصمودي خرج منها فقال لها سيدي البراودي
عليه ورد عليه سيدي ابراهيم فقال سيدي ابراهيم لسيدي البراودي رضي الله تعالى عنهما
امض الى السيد ابي مدين شعيب نطلب منه الدعاء قال فصحبته معهما وخرجنا على بنا
باب كشوطة فوصلنا الى المقبرة العتيقة فاذا بالشيخ سيدي ابي مدين رضي الله
تعالى عنه فقابلنا فقال لنا جميعا من غير ان نقول له شيئا قضى الله الحاجة للمسلمين
ثمانية عشر ليلة وهو يطلب من الامر الله تعالى ورغب اليه فيها انتهى **قلت** وكان
الشيخ رضي الله تعالى عنه يقول في هذه الايام التي احتاج الناس فيها الى المطر اذا
سمع احدا يذكر ما عليه الناس من الشدة وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
وينشر رحمته وهو الولي الحميد فما انقضى ايام يسيرة بعد هذه الرؤيا الا والغيث قد كثر
نزوله ودام على ذلك ايام ما بين كذا على يده رضي الله تعالى عنه ونفعنا به **قلت** وهذه
الرؤيا لم نخبر بها رضي الله عنه الا بعد طول المحنة على من راها فخبر ان بعضهم ذكرها وجزم بعدم تحققها
الا ان جرت هذه بعض الحاضر والغائب ريح بلحجو يذكرها وينلذذ من سماعها وتنتعش
القلوب بما هو من الذكر عند المذكور سيدي بيجيه اني سمعت هذه الرؤيا قصصتها على الشيخ
رضي الله عنه يوما وقد كنت معه في الفصارين فضحك عليه ولم التفت لكي الضحك
يسمع بها فقال لي رضي الله تعالى عنه بلغتني هذه الرؤيا فقلت له يا سيدي هل من تحقيقها
اي كاشفة تنبيهة على علامة رضي الله تعالى عنه في احيائه ما يظهر له من الكرامات
والخفية قال لي الله يسترنا ويصحبنا بعد الاحوال المحتمات قلت يا مولاي وهل يجوز للانسان
ان جرت بمثل هذه وغيرها مما يظهر من الكرامات على الاولياء **فقال لي** لا يجوز التحدث
بالكرامات الا بعد موت صاحبها فقلت له يا سيدي هذا رجل من هشتوكة وليس
من اولياء الله تعالى فهو يريد ان جرت بكل ما راه او يسمعه من تحققه من الكرامات
فما هذا بالذي يعظم وذكره بذلك وهو يتبسم رضي الله تعالى عنه وقال لي اذا كان
الامر

الامر على الشيخ الصحة فلا عليه ان جرت بذلك الاخبار بصحته او كما قال رضي الله تعالى عنه
ثم قال لي رضي الله تعالى عنه قال بعض المحققين انما كرامة الولي في اجابة دعائه لا في غيره انتهى
كلامه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به **قلت** فهل يستريب من له ادنى شيء من العقل
في صحة هذه الرويا لا سيما وقد عرضتها على الشيخ فقال ما قال فلو كان فيها ادنى شيء من
الخلل لصفاء عين الصحة بالكلية لكان الشيخ رضي الله تعالى عنه اولى بالانكار لهذا
من غيره فاذا كان الشيخ على جلالة قدره وعلو منصبه لا يخفى ما كان يخفى عليه من الكرامات
ونظهر للفقراء اذا كانت حقا فيجب القبول لها فانكار ذلك من ينكرها كان باهل الحسد
وبالجملة فلا شك في صحتها الا من طمس الله بصيرته واعمى قلبه ولم يجعل في قلبه حبا
للاولياء ولا نظر في فعلهم وصفاتهم فيما جاوا به وقد قالوا اخشى على المكذب لهم سوء الخاتمة
وقال ابو تراب النخشبي من لم يصدق بشيء من الكرامات فقد كفر اي غطى عليه الامر وستر
عنه شهود قدرة الله تعالى نسأل الله تعالى ان يرزقنا حسن الظن باوليائه المتقين
وان يحشرنا في زمرتهم بجاه سيد الاولين والاخرين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
الى يوم الدين **قلت** وقد علم من هذه الرويا عظم مقدار الشيخ رضي الله تعالى عنه وعلو
مقداره من وجهين احدهما ثناء الشيخ سيدي ابي محمد رضي الله تعالى عنه بقوله السنوسي
له ثمانية عشر يوما الى **الثاني** استجابة دعائه فيما طلب من المولى تبارك وتعالى فيه تقدم
قال بعض المحققين ان الكرامة انما هي في اجابة الدعاء لا في غيره واذا نظرنا الى الاجابة في
الدعاء فقد اجاب الله كثيرا من حاله دعواته وهي مما يتعذر ولو تتبعت ما علمت منها على
سبيل التفصيل لاحتجت في ذلك الى تاليف مستقل ومن عظيم كراماته رويا التي رآها
في ايام مرضه ودوائها مما يكون سببا في ذكرها وكيفيتها في الباب الخامس ان شاء الله
تعالى ومنها الرويتان اللتان ذكرناهما في فصل عقيدته وقد اخبر بهما الشيخ رضي الله تعالى
عنه وسنذكرهما في باب بعد هذا ان شاء الله تعالى فيه بعض الكرامات التي جرت
له في حياته واما التي وقعت بعد وفاته رضي الله تعالى عنه فيقول اعلى او الراوي لها سمعت
الشيخ رضي الله تعالى عنه يقول وهو اخر مجلس جلسه للقراءة وكنت اقرأ عليه كتاب التشوف
في رجال التصوف للتادلي وختمته عليه في ذلك اليوم وابتدا في اخر هذا المجلس وعظم
كرامات الاولياء وكيف جرت في حال مرضهم وما يلقون بعد الموت وحالها عند ذاته

سمعته وما خطر على قلبي بشيء الرغبة له من عطاء سكت فقال له حتى تعجبت من ذلك في نفس
المجلس ثم لم اذكر حاجتي ثم تكلم مع ما كان يحضره من كثرة اتساع الرزق حتى انهم يتكلمون في
هذا المجلس بشيء، ثم قال بعد ذلك كله ما معناه، ان الولي الكبير المقدار عند الله تعالى قد لا
يظهر له كرامة في حال حياته وانما تظهر له بعد موته قال واول كرامة يكرمه الله تعالى بها
بعد موته ان يغفر الله تعالى لكل من حضر جنازته قال ومن علامات قبول الميت عند الله
تعالى وقال من علامات خيره ان يكثر الخلق لحضور جنازته انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه
قلت وما يخفى كثرة من حضر الجنازة وقد قال بعض الشيوخ حضرت جنائز العلماء
والصالحين مثل الشيخ سيدي الحسن ابن مسعود وغيره فما رأيت جنازة اعظم من جنازة الشيخ
رضي الله تعالى عنه لما فيها من كثرة الخلق وازدحام الناس على نعشه واقبال القلوب
عليه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به قلت يعني الشيخ رضي الله تعالى عنه ان الولي الكبير
قد لا تظهر له كرامة في حياته اشار به الى ما قاله الشيخ ابن عطاء الله في ما بين الكرامة
انما تثبت لمن الظهور لمن قال ربما وجد بعض اهل البداية ما تنبيه البداية ثم وفقدها اهل
النهايات ان من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين في ما لا يحتاجون معه الى شيء وهكذا
كان الشيخ رضي الله تعالى عنهم في جوهم الخوض سبحانه وتعالى الى وجه الكرامات الحسية
لما اعطاهم من المعارف الحقيقية والعلوم الاجتهادية ومن جبل الى من سنات
والكرامة رابعة لمن لزمته الشفقة في المشي ومعرفته بفضل الله تعالى من اظهرت عليه وتمهيد
له بما اشتغاله مع الله سبحانه وتعالى انتهى من لطائف المنن قلت وبإذن الله تقرر ذلك
وما حكاه من جملة كراماته التي اتفقت بعد موته ان عجوزا من اهل البلد التي توفي
الشيخ فيها ان الله جاءها فاتت ورايت من ما حصل عندي الا اخافهم قالت
فسمعت حزنا عظيما ينادي بين الخلائق وهو يقول من يصلي غدا على الشيخ سيدي محمد
التستوتي وحضر جنازته يكتبه الله من الغافلين قلت وعكس هذا ان من صلى
عليه وحضر جنازته يلبس من الغافلين وهو الذي قال الشيخ انه يغفر لمن حضر جنازته فهذه
الرؤيا موافقة لكلام الشيخ في العكس ومنها زيارة اهل بعض الفقهاء من اهل البلد التي
في البلد التي توفي فيها الشيخ رضي الله تعالى عنه وقد كان الناس تنازعوا في موضع
دفن الشيخ فبعضهم يقول عند ضريح الشيخ سيدي احمد بن الحسن وبعضهم يقول في غير هذا

بعض

بعض البقاع في نومه انه اتى الى الموضع المذكور قرب قبر الشيخ واذا بذلك المكان رجال
على شكل مخصوص فقال لهم الرائي ما هذا الموضع فقال الرجل له هذا الموضع يحفر فيه قبر
لسيدي محمد السنوسي وقد تولى حفره الملائكة والنبي صلى الله عليه وسلم معهم قال الرائي
فلما استيقظت قلت لبعض من حضر من اصحاب الشيخ سيدي محمد السنوسي يدفن
خارج المدينة فقال بعضهم اين يدفن الا داخل المدينة قال الرائي فمضيت مع احد الى الموضع الذي
حفر فيه للشيخ ولم يذهب معنا احد حضر دفن الشيخ به فقلت لهم هذا الموضع الذي رايته
البارحة فتعجب الناس من ذلك وعلموا ان حقيقة صدق رؤياه ومنها رؤيا بعض الفقها
للشيخ رضي الله تعالى عنه وتبعه انه مع جماعة من الناس واذا بقائل يقول قد توفي ولي
الله تعالى فسيعيد الغنا فقال له الرائي وانا يا سيدي منهم فقال انت منهم **ومنها** الرؤيا
التي راتها الخيرة الجليلة الفاضلة المرابطة خديجة ابنة عبد السلام حفظها الله تعالى
قالت لي الجليلة الفاضلة ما حاصله انها رات في منامها انها سكنت الى قبر الشيخ سيدي
محمد رضي الله تعالى عنه فوجدته مفتوحا ونظرت فيه بالفكر الفقير فلم تجده فسالت اين كان فقالت
وفي راسه عمامة كبيرة على سيدي محمد واين هو **فقال** لها تلك الليلة التي بات فيها جاءت
اليه البنت سيدي عبد الرحمن السنوسي رضي الله تعالى عنه قريبة من حيا فيه قالت
فشمت الرائحة من سيدي عبد الرحمن فوجدته مفتوحا قالت فدخلت في بابه فرايت
ارضا واسعة بيضاء ونظرت الى السماء فرايت غرفا كثيرة على تلك الارض وفي الجو
عالية البنيان والغرف كلها مزخرفة بانواع من الجواهر قالت فبينما انا اتفكر في ذلك
اذا بسيدي عبد الرحمن قد اقبل علي فسلمت عليه وفرح بي فقلت له واين هو سيدي محمد
السنوسي فقال هو في اعلى الغرف بانه تسقفها الحجارة وقد تركته الا ان اجا اسمع سيدي ابي
مدين رضي الله تعالى عنهما وهما في الغرفة السادسة او السابعة يتحدثان فقلت
له يا سيدي اردت منك ان تصعد عليه لاراه قالت فغاب عني سيدي عبد الرحمن ساعة
واذا بالشيخ سيدي محمد السنوسي قد اقبل علي بثياب بيض من حرير فسلمت عليه
فتبسم لي قالت فقلت له ما زلت تتبسم قال ما زلت فقلت له كيف نشا ودك
فقال لي يا سيدة ابو مدين هنا وما قدرت ان اتركه وحده ولهذا قد بعث الينا والرسول
ابن مرزوق وجماعة من الملائكة يدخل داخل القبة فنزل ان اخرج مع جنازة رجل صالح



في طريق مكة وقال لي بينما انا معه اذ ابا شاب زمنا فرحمنا انا لبعير بركة الشيخ سيدي محمد
السنوسي رضي الله تعالى عنه عليه وقال لي اركض تسير مع الشيخ سيدي ابراهيم مع من لما امرنا
به قال فسلمت عليه وصافحته وانا انظر اليه حتى غاب عني انتهى كلامه حفظهما الله ورضي
عنهما **قلت** وقد رايته رضي الله عنه في النوم وعليه ثياب حسنة نقية وعلى وجهه
نور عظيم وعلمت انه ميت فجلست معه في دكان باب داره وانا عن يمينه فقلت في نفسي الشيخ
في دار الحق وانا في دار الدنيا انا اسأله عما اكثر من مرائي الخير وقد علمت انه معبر النوم
فبعد سنة في هذه الدنيا المباركة فقبلتها وقبلت ما حولها الى ذراعه وقلت له يا سيدي انا
في دار الدنيا وانت في دار الحق فكان رضي الله عنه شديد التبيين للحكاية والكلام موضع
تتخمر على خيمه وانا كزاني بيديه ايتي معه ساعة وهو في يمينه ثم لكن له **ثم** قال
لي قلت الحق انا في دار الحق فقلت وما الحق يا سيدي من الله قال لي الحق من الله الا الخير
والحمد لله فقلت له يا سيدي اوصني قال لي عليك بالجوهرة فسكتت لحظة وقلت له
يا سيدي هذه اشارة صوفية لا افهمها احب ان تبينها لي بالتصريح وانا اقول في نفسي
هذه رؤيا نومية والساعة الجنونية اي الجوهرة **ثم** كرر علي الامر بقوله عليك
بالجوهرة فقلت له وما هي الجوهرة فقال لي اذا اردت التعبير ادرج الى الايمان فان
عليك بالجوهرة فقلت وما الجوهرة في باب التعبير فقال لي ان الجوهرة وضع كتابا
في التعبير وهو احسن الكتب او قال ما رايت مثل الجوهرة في التعبير فسكت ساعة وانا
اقول في نفسي انما الشيخ في النوم والساعة النوم وانا اغتنم رؤيته وسؤاله فقلت
له يا سيدي نحب من كمال فضلك ان تدلني على طريق الخير فقال لي كلاما خفيفا الان ونسيت
مرجعه والله اعلم الى الحض على التقوى **ثم قلت** له ايما احسن يا سيدي كثرة الركوع
والسجود او التفكر فقال لي واي عبادة احسن من التفكر لا سيما اذا انضمت الى الركوع والسجود
او كلاما يقرب من معناه ثم عن لي ان اسأله عما يؤول اليه امرنا وعن ذلك في يقظتي
الله عز وجل عنده اذا ان المؤذن للصبح انتهى وجا انشا سمعت في هذه الرؤيا فاطاعني
نا حينا **قلت** وقد رايت في بعض الليالي اخاه وهو شيخنا سيدي علي التالوتي رحمهما
الله تعالى ورضي عنهما وعلمت انه ميت فسألته عما لقي من الله فسكت واطرق براسه الى الا
رض ثم رفع راسه وسالته ثانيا فاطرق راسه الى الارض ثم رفع راسه فقلت



لو انا توسلت اليه بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ما اخبرتني عما الغيث من الله قال فما زلنا
حتى اعطانا مرة ثانية الكعبة فطفى فيها فحلفت له وسمين محمد السنوسي فاذا الغيث من الله
فقال لي يا سيدي محمد ما تسأل عنه فهو في خبر عليهم وقال في خبر انه عليهم ما تدري ابهم
قال ومن الكرامات التي ظهرت بعد موته ما حدثني به بعض الفقهاء قال ان هنا حدث رجلا خرج
له في باطن حلقه شيء حتى انتفخ حلقه من ظاهره قال فبقي بها اياما وهو يطلب دواء
فلم يجد شيئا قال فخرج يوما الى قبر الشيخ رضي الله تعالى عنه فاخذ شيئا من تراب قبره ومزجه
بشيء من الماء ووضع ذلك التراب على ظاهر حلقه قال فما مشى ساعة والتراب على حلقه
حتى انفتح على حاله فتنخم وخرجت من حلقه قطعة من دم منعقد اسود فشفي باذن الله
ببركة ذلك التراب فما يشتكي حلقه الا بالكلية قلت واخبرني بعد ذلك ابن الفقيه
صاحب ذلك الداء قال فبرئت من حينئذ ولله الحمد انتهى ومنها ان من توسل بالشيخ
رضي الله تعالى عنه الى الله في طلب امر من الامور بنية صادقة مستحضرا جاهه ومقداره
غير غافل فان الله تعالى يجيب دعاءه بفضله وكرمه وقد جربته غير مرة فصح والحمد لله
والمنة ومن اسماء الطيبة لله عز وجل وقد شاهدت امرأة وهي تفتح بابا فيقفت
تعالى فتخم زمنا طويلا لم يفتح ثم الظهمات المرب تبارك وتعالى فقالت بجاه سيدي محمد
السنوسي افتح لي هذا الباب فوالله انها بنفس ما تمت هذا الكلام الا والباب انفتح
باول ضربة فتعجبت المرأة من ذلك وقلت لها اليوم يظهر مقدار الشيخ رضي الله تعالى عنه
واما في حال حياته فكان مشهورا من بين الخلق انتهى وهو من العجائب الغريبة المقطوع ۞
بصحتها ممن له على الشرط الذي ذكرنا والنيات تختلف على قدر المحبة والشوق فنسأل
الله تعالى ان يوفقنا لاتباع طريقته وان يميتنا على محبته بجاه نبينا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم عدد معلوماته ومنها كثرة ختم القرآن العظيم وختم البخاري على قبره وكثرة
الوارد من الزوار نحوه وقبلوا هو صلى الله عليه وسلم ذلك الا ما عليه من الله سبحانه من هيبة ووقاره وعلو واقبال قلوبهم
منزلته ومكانته عنده فيحنون قلوب الخلق اليه بذلك قبال والمحبة له وفي الحديث اذا احب
الله عبدا القى عليه محبته في الناس لله در القائل حيث قال في مثال الشيخ

۞ وجم عليه من الحياء سكينة ۞ ومحبة تجري مع الانفاس ۞
۞ واذا احب الله عبدا يوما ۞ القى عليه محبة في الناس ۞

وقد اتفق على ولايته اهل عصره من علماء المشايخ والصالحين على حبه متفقون ومن
انواره مقتبسون ومن بركاته يتحفون والناس لقصد زيارته في كل الاوقات عليه
واردون. فائدة قال شيخنا وبركتنا الولي القطب العارف سيدي محمد بن يوسف
السنوسي رضي الله تعالى عنه في شرح العقيدة الوسطى وغيره في شرط الولي ما نصه
قال ابن دهاق في شرح الارشاد للولي اربعة شروط احدها ان يكون عارفا باصول الدين
حتى يفرق بين الخالق والمخلوق وبين النبي والمدعي. الثاني ان يكون عالما باحكام الشريعة
نقلا وفهما ليكتفي بنظره عن التقليد في الاحكام الشرعية كما اكتفى بذلك في اصول
التوحيد فلو اخذ بعض علماء اهل الارض لوجد عنده ما كان عند غيره وما قل من قواعد
الاسلام من اولها الى اخرها فانه يبعد من قولنا ولي الا العالم لعمر الله تعالى وذلك
متفق في حق من يحيط علما بما بين السنة وقواعده واصوله وفروعه. الثالث هو
ان يتخلق بالاخلاق المحمودة التي يدل عليها العقل والشرع فاما ما يدل عليه الشرع
فالورع عن المحرمات وامتثال جميع المأمورات واما ما يدل عليه العقل فهو ما يدرك العلم
باصول الدين وهو انه اذا علم حدوث العالم باسره لا يتعلق قلبه بشيء منه حتى بالطمع
لعلمه انه في قبضة الله تعالى واذا علم الوحدانية اظهر الله تعالى في سائر افعاله اذ
الربوبية لا تحتمل الشركة في شيء واذا علم ان الغني هو الله وهو كان لم يخف
من شيء مما قدر عليه ولا يرجو نيل شيء مما لم يقدر عليه وهذا هو المعبر عنه
بالزهد وخرج من ذلك التزين بالخلق والصفح عنهم عند اذايتهم له لعلمه انهم لا يستطيعون
لانفسهم نفعا عن غيرهم ولا دفع ضر ولا جلب نفع. الرابع ان يلازم الخوف والرجاء
صفة لازمة لها في النفس حيث انه لا يحيط علما بانه من فريق السعادة في الازل
او من فريق الشقاوة ثم ينظر الى اسباب الشقاوة وامارتها فيجدها منحصرة
بالمخالفات فيخاف الوقوع فيها ويجتنبها وهذا هو [illegible] المعبر عنه بالورع
وما حصل له من الموافقة فيخاف زوالها باضدادها حتى يخاف ان يسلب علمه وفهمه
الى الشك والجهل وكذا يخاف ان يطالبه بالقيام بشكر ما انعم عليه فلا يطيق
ذلك وكذا يخاف ان تخدعه نفسه فيحصل في علمه ما يفسده ويحبطه من الرياء والسمعة وكذا
يخاف من توجه حقوق عليه للادميين تشغله في الاخرة الى محاسبتهم وكثرة اهوال يوم

[illegible]

وتتفاوت على حسب الحضور مع الله في ابواب القربات واعمال الخيرات والله يرزق من
يشاء بغير حساب انتهى كلام ابن دهاق رحمه الله تعالى قال شيخنا سيدي محمد رضي الله تعالى عنه
أي كلام ابن دهاق ما نصه قلت وخصوصا بالنسبة الى هذا المقام مقام اولياء الله تعالى وخواصه
حتى تدلى على ساحل التمييز بعض من غرق في التوحيد والعرفان الذين خاضوا لججه وغابوا فيه
بقدر الامكان ونحن في تيه كأن ما فيه من حرمة الحيتان او ما يقرب منها في جوف ماء الركية
عليه من حرمة البرهان اللهم من علينا في الدنيا والآخرة بما مننت به على خاصة اوليائك
المقربين واجعل منا من عظيم ما وهبت لهم بمحض فضلك يا ذا الجلال والاكرام يا ارحم الراحمين
انتهى كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه واعاد علينا من بركاته وانواره ووفقنا الى
اتباع كريم اثاره بجاه سيد الاولين والآخرين نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صلاة
تبلغنا الى ان نكون في زمرة الشيخ من جواره قلت ولا خفاء ان الشيخ رضي
الله تعالى عنه قد خصه الباري سبحانه بهذه الكرامة الاربعة وزاد عليها زيادة لا
يمكن وصفها ومنحه سبحانه معارف ربانية وعلوما لدنية وانوارا الاهية
حتى صار مثلا في علومه ومعاملته من انوار الله المخزونة بحر يموج العلم وبحر
التوحيد بهتته في ليله وشموس المعارف تستضيء من افقه في نهاره اولئك حزب الله
الا ان حزب الله هم المفلحون وهذه هي الكرامات المعنوية التي تقدم ذكرها وانها
افضل الكرامات الظاهرة الحسية كما قال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه ما اكرم
الله تعالى العباد في الدنيا والآخرة بكرامة افضل من الايمان به والمعرفة بربوبيته اذ كل خير من
خير الدنيا والآخرة فانما هو فرع من الايمان بالله من احوال ومقامات وواردات وارادات
وكل نور وعلم ومنح وتنعم الى غيب وسماع مخاطبة ورؤية كامنة وما تضمنته الجنة من
من حور وقصور وانهار ونعيم وكان به اعظمها فيها من رضى كرم الله ورضوان الله
ورؤية الله فكل هذا انما هو نتائج الايمان ووجود اثاره وامداد انواره جعلنا
الله واياكم من الموقنين بربوبيته الكاملين في الرضى بمواقع عبادته وبسطنا واياكم للتسليم
لدى مواده انتهى قال الشيخ سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه تبسيط الكرامة
اربعة حيثما يتخلى عن جميعهم ورضي بما به حيث يحبه وزهد في عفة بزهد رسوله
ونوكلا يكتسب له به عن حقيقة فردية وقال ايضا ان الاعمال على اربعة اشياء المحبة والاخلاص

والحيا والايمان والمحبة والخوف والاخلاص والعلم والحيا والتعظيم والايمان والصدق
وقال رضي الله تعالى عنه الصدق خمسة اولها اعتقاد دوام الفكر والطاعة بنشاط لا استغنام
الثانية الزهد في الرتب بأسرها والغلبة الثالثة تحرير اليقين مع المعارضة
الرابعة وجود الوحشة مع اهل المنفعة والانس مع اهل المضرة الخامسة
ما يظهر على الابدان من طي الارض والمشي على الماء وغيره من الامور التي تخرق حكم
العادة وهذا الصدق لوقاته واشخاصه واماكن من طلبها في غير وقتها فلا يعطى عليكم
وعلى الجملة لا يعطاها من طلبها ولا يجد من نفسه ميلا واستحيى نفسه في طلبها
انما يعطاها عبد ايس من نفسه ومن عمله وهو مستغرق في جلال الله نائم لبعض الذي
ايس من نفسه وعمله وقد تظهر على من استقام في ظاهره وان كانت هذه الآفة
النفس في باطنه كما وقع لمن عبد الله في اللجة في جزيرة من جزائر البحر خمسمائة
سنة فقيل له ادخل الجنة برحمتي فقال بل بعملي فظهر ما بطن في نفسه فاستحق
المقت والطرد والعياذ بالله تعالى انتهى من الفصل الثاني **قلت**
وسيأتي الكلام على بقية شيء من هذه الكرامات المعنوية التي اختص بها
الشيخ رضي الله تعالى عنه في الباب الثاني عشر نفعنا الله بجملته ان شاء الله تعالى
وأما مكاشفاته رضي الله تعالى عنه ونفعنا به فتكاد تخرج عن الحصر لكثرتها
وكان رضي الله تعالى عنه اذا استشاره احد في امر من الامور فاما ان يرى له في ذلك الامر
خيرا فيقول له افعل وتوكل على الله ثم يدعو له واما ان لا يرى له خيرا فيه فيقول له اترك باش
هذا الفعل واتركه فيفهم رضي الله عنه بالحروف التي تؤذن بالنشاط وعدم الجزم فيخرج الامر
فاترك الشيء وانما يفعل ذلك والله تعالى اعلم لئلا يفهم عنه المكاشفات فيخرج بعد
عن الجزم بالشيء الى ما يؤدي به احتمالا فيقتصر الانسان على الامر مشكوكا فيه فيعرف ذلك
بفهم ان الخير فيما قاله رضي الله تعالى عنه وهذا كما اخبرني بعض اصحابه انه شاوره في
امر من الامور وكان قد شاوره على ان يسافر فقال له اجلس حتى يخير الله سبحانه فقال له
يا سيدي قد بقينا هنا بلا قراءة ولا موضع سكنى فقال الشيخ لا وتوجه نحو الى الناس في
المسجد ويرزقنا الله مسكنا بموضع كذا وكذا وتتزوج فيه قال لي الرجل فقلت في نفسي ان الشيخ
انما قال لي هذا تسكينا للقلب قال الرجل فبعد ذلك رزقني الله مسكنا بالموضع الذي عينه الشيخ ولم
اكن فيه قبل ذلك وتزوجت بذلك الموضع ورزقني الله مسجدا بني في ذلك الموضع **فصل**

بجم

فيه وامرني فيه العمل فكان الجميع كما قال الشيخ رضي الله عنه ولم يعرف مثلا شعبته الا من
كثرت محبته له ومن طبعه واشفاقه لجيبين بعلم على بغير ان رمى الحروف التي وضعت
للشفقة ثم اعلم وقوع ما اخبر به الشيخ خفيا وان الخير في عزله ومن مكاشفاته ايضا وقد شاهدتها
منه عيانا ما اتفق له يوما وذلك انا خرجنا معه يوما الى الصحراء على عادتنا معه فادركنا
وقت الظهر فجئنا على الماء فلم نجده وتشاححنا في الجري ثم دخلنا جنانا كبيرا وجلسنا فيه على
الماء في الجري وايسنا من وجود الماء فقال ابو حفص رحمه الله تعالى للشيخ ما في هذا الجنان اثر
من اثار الماء ثم قال الشيخ فخرجنا عن الماء خارج الجنان فقال الشيخ ولعلنا نجد الماء في
في هذا الجنان فقال له والذي ما فيه شيء اصلا ثم قال الشيخ سيروا معي ونمشي على هذه الطريق
لعلنا نجد عينا من ماء وكان هذا الطريق صغيرا جدا تحت اشجار وشوك عظيم فيها والذي
الشيخ وحده ونحن بين يديه فمشينا الظهر من كثرة الشوك والاشجار فغاب عنا فجاءنا
الراي ابا عبد مع الظن بانا لا نجد ماء فتبعناه فلما وصلنا اليه وجدناه جالسا على عين ماء باردة
وهي في موضع خفي فتعجب الشيخ رضي الله تعالى عنه وقبلت يده وتعجبنا من عظيم مكاشفاته رضي
الله تعالى عنه ونفعنا به ومنها ما جرى في شيخنا وبركتنا سيدي ابي القاسم الزواوي ابقى
الله بركته واعلى درجته قال اخبرني انسان انه عزم على السفر الى الحج في البحر فيجمع بين التجارة
وبين الحج وكان الرجل في اعتقاده الشرع في البحر بنية التجارة ولم يستشر احدا فجاء الى الشيخ في
السفر فقال جاء الى الشيخ رضي الله تعالى عنه حيثما ورد فقال له يا سيدي عزمت ان اسافر في البحر
فقال له الشيخ توكل على الله ولا بد ان ترجع لنا في تلك الاماكن الشريفة يعني الحج قال الرجل فتعجبت
من مكاشفاته مع انه لم اقل له اني سافرت الى الحج وتوقف ذلك في قلبي ولم يعلم بذلك احد الا الله تعالى
قال فسافرت في البحر ووصلت الى الحج وحججت ثم رجعت سالما غانما ولله الحمد انتهى
ومنها ما جرى لي به الشيخ رضي الله تعالى عنه ليلة من الليالي في اخر عمره عن نشر فبرد
الخلوة قال لي رضي الله عنه رجع ذلك الجامع يعني مسجد مثل المصيبة كل من جاء يحضرنا
فيه ويشغلنا عن الضرورية فيرجع ان شاء الله تعالى فقرب اجرا بذلك المسجد ولا نصلي فيه ابدا
فقلت له يا سيدي كيف الجامع خاليا الناس يحضرون اليه الا الذي كنت به ولم يجمع غير
الاعلية فقال لي رضي الله عنه ان شاء الله تعالى او كما قال رضي الله عنه واخبرني بهذا الكلام
قبل اليوم الذي مرض فيه بيومين او ثلاثة فوقعت على صحة قوله بعد موته وتعجبت

من يطلع على مكاشفته رضي الله عنه وبالجملة وكان رضي الله عنه اذا ظهر
له شيء من هذه الخوارق اخفاه وما يكاد يظهر منها شيئا لانه كان كثيرا ما يحب الخمول ويوثره على
الظهور فسبحان الذي جعل خموله ظهورا وظهوره عين الخمول نورا وقطع الناس بتعظيمه دهورا
وقطع من غيره حتى لا يكاد يكون شيئا مذكورا حسنه لا تنقضي محاسنه كالبحر حدث عنه
بلا حرج قلت وتكلم ابو عبد الله رضي الله عنه ونفعنا به فيما اعطى اولياء الله من الكرامات والمكا
شفات فقال رضي الله تعالى عنه ليس المكاشفة بان يعرف المكاشف الغيوب فيقول كذا وكذا
ويطلع على ما غاب عن الناس من هذا الاشتغال بغير الله تعالى وليس لها كبير موقع وانما المكاشفة
الحقيقية ان يكاشف عن الله ورسوله بان يفهم كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه
وسلم وما يتضمن كل منهما من الاسرار الحقيقية والانوار التوحيدية ويفتح له في علوم
غامضة وافهام دقيقة وحقائق ربانية وكلما كرر كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله
عليه وسلم تجدد له افهام واسرار وحكم واشارات غير ما فهم اولا وهكذا الى ما لا نهاية ابد
الابدين فهذه هي المكاشفة الحقيقية التي يزداد الانسان بها معرفة ومحبة وقربا من الله
سبحانه وكم من المكاشفة لا يعطيها الله تبارك وتعالى الا الخاصة اوليائه واحبائه اوكما
قال رضي الله تعالى عنه قلت والله ان هذه المكاشفة حصل منها حظ وافر لشيخنا
ابا عبد الله رضي الله تعالى عنه ولم يشاركه فيها غيره في عصره رضي الله تعالى عنه اذا شرع في
تفسير اية من كلام الله تعالى او تفسير حديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عجزت
ما اتاه الله به على البال فسبحان من يبيح فيهما من بديع التاويلات وكثرة الاحتمالات
ما لا يمكن التعبير عنه وما يوجد في كثير من المطولات ويجد الوجه الذي لم يعثر عليه احد من الاولين ولم يقف
على الذي فيتعجب الحاضرون مما يجري به من المعاني والاسرار والعلوم التي ما دخل تحت
دائرة الالفاظ فحينئذ يعلم العاقل على اليقين ان هذا الكلام انما خرج من قلب مليء بالحكمة
والانوار كما قال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه في حكمه كل كلام يبرز عليه كسوة
القلب الذي منه برز قال الشيخ ابن عباد رضي الله عنه في شرح هذا الكلام ما يفضه اللسان
من جهة القلب جاء مصاحبا من الاكدار وتنزلا من الاغيار اشرقت فيه الانوار كانه رحمة بينة
لما اتى الله على حسبه ثم له فيتكلم بالكلام المتوافي التي يولج في اذان السامعين فتنشرح فيه اقفال
قلوبهم ويستخبرون لهذا فيهم روى الحافظ ابو نعيم رحمه الله تعالى عن سعيد بن عاصم قال

كان فاضل يجلس قريبا من مجلس محمد بن واسع فقال له يوما وهو يوبخ جلساءه ما لي أرى القلوب
لا تخشع وما لي أرى العيون لا تدمع وما لي أرى الجلود لا تقشعر فقال محمد بن واسع يا عبد الله
ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك إن الذكر إذا خرج من القلب وقع على القلب انتهى كلام ابن عباد
رضي الله عنه وبالجملة فكلام الشيخ رضي الله تعالى عنه فيما يرجع إلى طريقة التصوف لا يفهم
بعضه إلا من تمكنت معرفته واتسعت في علوم اللسان مادته وعلت في درجة الولاية رتبته
وذاق من طعم الشوق والحب ما يرشد به وما بينه ويتعقب على كلامه في تفسيره لما أشكل
من كلام الحق يوتى بابه أن شاء الله تعالى ومن خصائصه رضي الله تعالى عنه أنه ينظر في الكتاب
ويده يكتب بها عنده التقييد ويسبح بلسانه فيجمع بين المطالعة وبين التسبيح وربما كان
أحد عليه القرآن العزيز فأخطأ أو أفسد في محل ما يجب فيه الوقف فيرد عليه ذلك كله والبعض
أنه يشتغل بالمطالعة والتسبيح فيجمع رضي الله عنه بين هذه الثلاثة في آن واحد وهذه
خاصية خصه الله تعالى بها ولا أدري لغيره فيما سمعت بها اطلاعا عن متقدم ولا من متأخر وهذه
من أعظم الخوارق ومن خصائصه أيضا رضي الله تعالى عنه أنه ربما يأخذه نعاس في المجلس والقارئ
يقرأ عليه فيقرأ القارئ سطرا أو سطرين في حال النوم رضي الله عنه فإذا أفاق من نعاسه ما
من قراءته في حال نومه وهذه خاصية لا توجد لغيره رضي الله تعالى عنه وكذا أيضا يكون القارئ
يقرأ عليه وهو يسبح رضي الله تعالى عنه فإذا فرغ القارئ فسر له ما فيه قراءته في حال ذكره وتسبيحه
رضي الله تعالى عنه بل هذا هو الغالب عليه في كل مجلس فسبحان من أكرمه منهما وأكمل عقول
وعلامه دينا وأخرى إذا علم المنازل وخصه فيما مع هذا وأنه لم في الصورة البشرية الراد لـ
بث من الخصائص ما لا نقتصر على هذا القدر اليسير من كراماته ومكاشفاته فإن الاشتغال
بها على سبيل الإحصاء لا يحاط به ولا يضبطها تعبير اللسان والمقصود الإشارة إلى علو
مقامه لتنتهض الهمم إلى اقتفاء آثاره وتعكف على اقتطاف أنوار المعاني من جواهر درر
من عقود كلامه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وعلمنا علما نافعا وأعاننا على العمل به
بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلوات الله وسلامه عليه **الباب** الثالث
في علمه وزهده وورعه وكفه وحلمه وصبره وسيرته وطريقته ونسبته رضي الله
الله تعالى عنه ونفع به اعلم أن العلم ينقسم إلى علم ظاهر وهو علم الشريعة والى علم
باطن وهو علم الحقيقة وهو أفضل العلوم على ما سيأتي إن شاء الله تعالى وقد منح الله تعالى

للشيخ رضي الله تعالى عنه بين العلمين على الكمال وجه اما العلوم الظاهرة فقد حاز منها باوفر نصيب
وحاز في الفروع والاصول السبق والتقصيب ورما الى كل فضيلة ومكرمة بسهم مصيب
وهذا كان رضي الله تعالى عنه لا تتعرض معه في علم من العلوم الا خرست معه فيه حتى يظن السامع
انه لا يحسن غير هذا العلم لا سيما علم التوحيد وعلم المعقول وقد شاركه الفقهاء في هذه العلوم
الظاهرة ولم يشاركوه في العلوم الباطنة بل زاد على الفقهاء في العلوم الظاهرة زيادة
لا يمكن جحدها وهو حل اقفال المشكلات وما يعرض من الشبه والزوايا المعضلات لا سيما
علم التوحيد وهذا من اثر العلم على الحقيقة الذي يعرف حقائق الاشياء ويزيل بانواره غيوم
ويمحو من القلب داء الشبه وضروب الشكوك والامتراء كما قال الشيخ ابو طالب المكي
رضي الله تعالى عنه في كتاب قوت القلوب ومعاملة المحبوب قال بعض العلماء انما يستبين
العالم عند المشكلات في الدين ويحتاج الى المعارف عند الشبهات حجبة الصدور كما قال
صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اي الناس اعلم فقال الله ورسوله اعلم فقال اعرفهم بالحق
اذا اشتبهت الامور ووقعت المشكلات وان كان في علمه تقصير وان كان يزحف على استه
وكذلك قال ابن مسعود لا تزالون بخير ما اذا حاك في صدر احدكم شيء وجد من يخرجه ويشفيه
منه وايم الله ليوشك الا تجدوا ذلك فقد حصلنا في مثل ما خافه ابن مسعود فان مشكلة لو
وردت في معاني التوحيد وشبهة لو اختلجت في صدر موقن من معاني صفات الموحد ما وجدت
كشفها لاحد على حقيقة الامر بما يشهده القلب الموقن ويثلج الصدر له المشروح بالعرفان
لكان ذلك عزيزا وفقد هذا ولكنت في الاكتساب ذلك بين حسنة نفع منفرد ضال الخبر
برايه من سواه فمن يرد حيرة ويلقيه في مهواة او متكلم يعيقه بقصور علمه عن شهادة
الموقنين ويقيد اسمه معقوله عن ظاهر الدين وهذه شبهة وكيف تنكشف شبهة بشبهة
او صوفي شاطح تائه قد غلا حتى جاوز الكتاب والسنة لا يبالي بهما ويطالب بقوله الائمة وما
يفهم شأنها فيهجو الكون والمكان ويعبد فيه العلم والاحكام ويعتمد بالظن والوسواس والخواطر
والتمويه وهذا ما فوق العقول البشر مع تحقيق ما هو على سبيل المجد او مفتون بفقيه موسوم
بالفقه عند اصحابه بعقول الجاهلين من احكام الدنيا ومن غيب الغيب لا يتكلم فيه لانه لا تطلبه
وهو في اكثر مناظرته يتكلم فيما لا يطلبه ويجادل فيما لم ينطق به السلف ويقع ما علمه تكلفه
ولا يعلم المتفقهين اذ كلهم علم الايمان من صحة التوحيد ومعرفة اخلاق المعاملة وعلم ما يقدح

في الاختصار وخرج من جملته قبل التوجيه وانه يتكلف بتعرف ما هو حقيقة من علم الايمان وصحة التوحيد
واحكام العبودية من الهدى للربوبية وما يتعلق بهما من التفقه في الدين واذ يقتضي
الانذار والتحذير لقوله تعالى ليتفقهوا في الدين الاية ولقوله عليه السلام وتعلموا اليقين
بان معنى ذلك ولقول الصحابة تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا فجعل من يزيد
التصديق بالايمان بعد ان كان قد علم ويقين في الايمان كما قال تعالى ليزدادوا ايمانا ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى وما يشعر انه احسن الادب في المعاملة بمعرفة ويقين حال العبد بينه وبين ربه
عز وجل ونصيبه في مقامه من ربه وحظه من مزيد الاخرة فمعرفة ذلك تشهده التوحيد
الخالص من خفايا الشرك وتهذب المعاني وهو معرفة بالعوارض ومجرى مرض المعرفة بالمعاملة
وعلى ما سواه من اسماعه اشار بقلبه وحببه اليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم فانه
لو حجب عن تلك واشتغال عمله انه هو حوائج الناس ونوازلهم فاخرجه البلايس فعلمه معرفة
حقيقة العلم الذي لم يرد له من طلبه وحبب اليه من مقصوده ان حوائج الناس واحوالهم على حاجته
وحاله وعلى النصيحة منه في عاجله فيأمن من نوازل طوارقهم وفتنتهم ولم يحصل في نصيبه الا برهن
ربه الاعلى اجل اكرمه الى لهم خيرا بقوله ان التقرب منهم على التقرب من ربه وتزيد الشغل بهم
والتفرغ لهم فراغ قلبه لمولاه وشغله لخدمته وبذكر رضاه واشتغاله بالاح السنية عن كلام قلبه
وكان سبب ما ابتلي به حب الرئاسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة لما في السيئات والرغبة
في عاجل الدنيا وعن ها الغفلة الدائمة وضعف النية في اجل الاخرة وخرجها بالعسر الى ما اليه
واذهب عمره في شهواته فجرت القيامة مفلسا وعند ما يراه من فوت انصبة المقربين مبلسا
اذ ربح العاملون الرضا وفاز بالقرب العاملون لذلك وكيف ينال نصيب غيره وقد جعل الله
لكل علم عاملا ولكل عمل عاملا وليجد فيما له نصيبه من الكتاب كل ميسر لما خلق له ... ايضا
بان الامة لم تختلف ان علم التوحيد فرض لا سيما اذا وقعت الشبهات واختلفت فيه المتكلمات
وانما اختلفوا في مسلك يحتمل في امر التوحيد وفي كيفية طلبه والتوصل اليه فمنهم من قال
بالبحث والطلب ومنهم من قال بالتوقيف والتسليم والرحل الخامس صاحب حديث واثر بقول
لذا فاسلفنا اعتقاد التفضيل وامر الحديث كما جاء ولا نتفقه وهذا يتلو المعنى في السلامة
واهل السنة طريقة واشبههم بسلف الامة ليس عندي شهادة بيقين ولا معرفة لحقيقة ما رواه
ولا شرح المذاهب لغيرنا ما نقله انما هو للعامة رواية وللخبر والاثر فانه لا عن خبر خبر وكم

يفقه فيما نقله وقد كان الزهري يقول حدثني فلان وكان من اوعية العلم يقول كان عالما وكان
مالك بن انس رضي الله عنه يقول ادركنا هنا بعض مشايخ من الفقها بعضهم عباد ومنهم مستجاب
الدعوة ومنهم من يستسقى به ويستشفى به ما حملت عنه علما قط قيل له ولم ذلك قال لم
يكونوا يدرون ما يحدثون به ولم يكن لهم فقه فيه قال ويقدم علينا ابن شهاب الزهري وهو
حديث السن فنزدحم عليه حتى ما نصل اليه لانه كان عالما يحدث به فهذا معنى ما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه واعلم فقه
منه وفي حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب البصر النافذ عند
ورود الشبهات والعقل الكامل عند حلول الشهوات ويحب السخاء ولو على تمرات ويحب الشجاعة
ولو على قتل الحيات وقال قتادة وسعيد بن جبير اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس وقال
غيرهما من لم يعرف اختلاف العلماء لا يحل له ان يفتي ولا يسمى عالما وفي التوراة مكتوب الطبيب
الحاذق للعلة الصعبة يعلم انتهى كلام ابي طالب المكي رضي الله تعالى عنه وقد احتوى على
المعضلة والمسائل المشكلة التي كشفها الشيخ رضي الله تعالى عنه انه كالهاد وازال ديجور ظلمه
وليه من قلبه دار المعقب على غرايب علوم الغايبة وغوص حياض التوراة فقلت
له لم تتبع من بعد اثر الخلق بسيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم مع ان خبره ثم
مذكور في مواضع من التوراة فقال لي ما في التوراة شي من ذكره فقلت لم كذبت وافتريت
على الله تعالى بل هو مذكور في التوراة وفي سائر الكتب الماضية وسا طلعك على نصوص منه
التي نقلت من التوراة فقال لي اطلعني عليها وانا اتبعك ان كان مذكورا في التوراة ثم
اخبرت الشيخ رضي الله تعالى عنه بذلك فقال لي الشيخ رضي الله تعالى عنه ارجع له شرحا على
قصيدة نبيه في احمد بن عبد الله الجزايري وشرحا على عقيدة الوسطى واورد عليه تلك
النصوص المنقولة من التوراة ومن سائر الكتب الماضية فرجعت شرح الشيخ على القصيدة
المذكورة وشرح العقيدة جملة منها ونحو ستة كتب ثم سردت عليه نصا اخر نحو ما جاء في السفر
الخامس من التوراة ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام اني اقيم لبني اسرائيل نبيا من بني اخوتهم
مثلك واجعل قولي في فيه ويقول لهم ما امرتهم به والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي يتكلم باسمي
فانا انتقم منه انتهى نص التوراة ثم قال الشيخ باثره والمراد من بني اخوة بني اسرائيل
بنو اسماعيل لان اسرائيل من ولد اسحاق اخي اسماعيل عليهم الصلاة والسلام ولم يبعث

من ولد

من ولد اسماعيل بعد موسى عليه السلام غير نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى كلام الشيخ
رضي الله تعالى عنه فيما اوردت على اليهود في هذا النص فان محمدا ليس هو من بني اخوة بني اسرائيل
وانما هو من اولاد بني عمهم اسماعيل **فلا** حجة في نقل النص على ثبوت نبوة محمد وانما تكون
الحجة فيه لو قال اني مقيم لبني اسرائيل نبيا من اولاد بني عمهم وهو اسماعيل ثم ذكرت هذا الشيخ
رضي الله عنه ونفعنا به **وسـ** جلا في بلعمانه فقلت يا سيدي انما القوم مقام في رد الجواب
عليه نطلب من كمال فضلكم ان تكشفوا الجواب بجملة واف لرد على اليهود فيما اورد عليه فجوابكم
يكتب رضي الله عنه السؤال والجواب فيما فرغ من الكتاب قال محمد علي وابيهم بجمعين ترفعه
له جزاك الله والجنة وهذا الذي مكتوبه رضي الله تعالى عنه **بان قلت** قوله تعالى في التوراة
اني مقيم لبني اسرائيل نبيا من بني اخوتهم يقتضي ان يكون هذا النبي من اولاد قوم يشاركون بني
اسرائيل في الانتساب الى ابيهم اسرائيل الذي هو يعقوب عليه السلام الذي هو الجد لهم اذ هم من
ابنائه ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم يشاركهم هولاء ابناء بني اسرائيل
في الانتساب الى ابيهم اسرائيل عليه السلام فلم يكن الا نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
من بني اخوة بني اسرائيل بل هو من اولاد بني عمهم اسماعيل فالحجة اذا من هذا النص
على ثبوت نبوة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وانما تكون الحجة فيه لو قال
اني مقيم لبني اسرائيل نبيا من اولاد عمهم وهو اسماعيل عليه السلام **قلت**
ليس المراد ببني اسرائيل الذين يقام لهم النبي من بني اخوتهم بعضهم المخصوص
او البعض المخصوص يشترك جميعهم في الانتساب الى بني اسرائيل عليه
السلام وانما المراد جميع بني اسرائيل الموجودين بعد موسى عليه السلام
سيبعث الله تعالى لهم نبيا من بني اخوتهم **فنقول** لا يخلو اما ان
يكون هذا النبي المبعوث اليهم من قوم يشاركون بني اسرائيل في ابيهم الذي هو
اسرائيل او يكون من قوم يشاركونهم في اب اخر فوقه كابيهم عليه السلام
او يكون من قوم يشاركونهم في اب دون اسرائيل عليه السلام ولا شك ان القسم
الاول باطل اذ لو كان هذا النبي من اولاد اسرائيل عليه السلام لما كان من بني
اخوة بني اسرائيل بل هو فقط من بني اسرائيل الذين اقيم لهم النبي صلى الله عليه
وسلم فيلزم ان يكون هذا النبي ابن نفسه وان يكون من ابناء اخي نفسه

من بني اسراييل المذكورين ونحو العقد زيد على على ما تقدم و العام كلبته ما المعنى اذا انا اقيم
لكل واحد من بني اسراييل نبيا يكون من بني اخوته واذا كان كذلك لزم قطعا ان يكون
النبي المبعوث من بني اسراييل فانما يكن من بني اسراييل لزم ان لا يكون من ذرية اسراييل فليس
وأمن موسى بشارة كونه في الانتساب الى اسراييل عليه السلام والا كان نفوا ايضا تشخيصا
الى اسراييل عليه السلام فيكون من جملة بني اسراييل وهو باطل على ما تقدم والقسم
الثالث ايضا باطل بمثل ما يبطل به الاول لان النبي المشار له في اسراييل فاذا دون اسراييل
يلزم ايضا ان يكون من بني اسراييل فلا يكون من بني اخوتهم واذا ابطل القسم الاول والثالث
تعين القسم الثاني وهو ان يكون هذا النبي من بني اخوة بني اسراييل بمعنى انه من قوم
يشاركون بني اسراييل في الانتساب الى ابي اسراييل عليه السلام وما جرى بها انتفرا
الى الثقلين نبيا بعثه الله بعد موسى عليه السلام لجميع بني اسراييل كما بعثه لغيرهم
من الجن والانس وهو من قوم يشاركون بني اسراييل في الانتساب الى ابيهم وهو اسراييل عليه
السلام غير نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام من ابناء العرب
الذين هم اولاد اسماعيل عليه السلام واولاد اسماعيل اخوة بني اسراييل المشاركين في الا
نتساب الى ابيهم ابراهيم عليه السلام فحصر في نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
انه من اولاد اخوة بني اسراييل وليس هو من بني اسراييل ومن اقامه الله تعالى بعد موسى
عليه السلام نبيا لجميعهم كما اقام لغيرهم واما كل من بعثه الله بعد موسى عليه السلام
الى بني اسراييل من الانبياء غير نبينا عليه الصلاة والسلام كداوود وسليمان وزكرياء
ويحيى وعيسى عليهم السلام فهم من جملة بني اسراييل وليسوا من بني اخوة جميع بني اسراييل
فليس هو المراد بنص التوراة قطعا ومثال الفلاسفة عن السابلين رحمة عدوه
العموم دي بني اسراييل المقام لغير النبي وذكر العزالي نص التوراة يوجب ان يقام نبيا من بني
عم الرجل له نبينا من بني اخوتهم تشكيك حينئذ واستعظام بين نعتهم ما جاء به نبينا
عليه الصلاة والسلام لانه حين فعل من ابناء اخوتهم جعل دينهم ان اتم له والعرب كما قال
عليه الصلاة والسلام في العباس هو احد اكابر ابائي وقال تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل
واسحاق الها واحدا وكذلك يطلقون على ابراهيم عليه السلام اسماعيل ابا ليعقوب

معاند

ونهلاة

مع انه يعلم انه وكانه ببعيد يصل على نبي اسرائيل اقتداء بهم نبينا عليه السلام جاءه انه بعث
لهم من هو في مقله والرهبة ادخلوا من بني اخوته وليهم كل الاباء لمه اخذهم الاعمام والعم صنو
الاب والاستنارة فيما بقي من بانسه ولمه وما بين هاذا وما بقي من منابعه ولو
واقتفي به ولم فقال من بني عمه حتى كنا انفسهم واشتغلت عصبتهم اذا ان الع
بانه من نزو بين ابن العم عليه ومن تتابعته لم تجز اسرائيل الرغبيين في نهر المنزل بين
ببني الاخوة دون بني العم والاسرة لم تجعل من ابواء الله تعالى بفضله انتهى
كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وجزاه افضل الجزاء ولقد صح الصلوات الى نور
علمه من القلوب نارا زهق الشبهة ومنح بنور ربهم فضل الغريق المعرفة نسال
الله تعالى ان يجعلنا معه جاعلا الغيرة واسر بجاه نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه
وسلم عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ومنها ما وقع لنبينا موسى
على نبينا وعليه الصلاة والسلام انه سأل الله تعالى وقال يا رب اين كنت قبل خلق
العرش فقال على درة بيضاء استشكل هذا الكلام من جهة انه يوهم استقرار
الباري سبحانه وتعالى على مكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير ما اجاب الشيخ رحمه الله تعالى ورضي عنه عن هذه الشبهة بجواب يقطع اقوال
المجسمة فبهم الله تعالى وهو ان معناه لكان يا رب دليل وجودك ما جابه الباري
سبحانه بان دليل ذلك لمكان على الدرة ايا فيها المعتبر الناظر فيها جابه الدقة ويستدل
بها على موجودها سبحانه كونها من جهة انتهى المعنا وقضيت ما ذكر في بعض
احاديث الاسرا ان الله تعالى سبحانه قال يا شيء هي خلقه سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم يا محمد اشكر الله من عباد البر والفاجر وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا الفاجر بار بعجائب كان المؤمن وقال اصرابا الحرو امره وقال الله عز وجل
النحس فقال الشيخ رضي الله تعالى عنه في معناه اشكوا من الله عز وجل لمولانا محمد صلى
الله عليه وسلم تقصروا ما اشكوا المولى المذكورة فمعناه انه صحفت على لم مهنا وهو
الثابت بحر الخلق كلهم عز الايمان بحق جلاله تعالى وجماله الذي تجلى لنا ماجي شكر الحلم
ما شكوا غضب والنقم والله تعالى اعلم انتهى جوابه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به ○
قلت ما ذكره صاحب المدهش قال ما لي الله عز وجل تسعين في وتسعين قلب

عبدي المؤمن فيقال السائل للشيخ رضي الله تعالى عنه ما معنى الوسعة والضيق في هذا العالم
كله وما معنى الوسع فيه فقيل العبد المؤمن لاي شيء تفوق العقد من كون المحل يسع انه
ليس بجوهر ولا عرض ولا يتحيز في القلب بل ان ذلك انما يحتاج الى محل واعتقاده ايضا انه يراه
في الآخرة بلا شك من غير كيفية ولا تمثيل فاجاب الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا
به بما نصه اما قوله تعالى يسعني قلب عبدي المؤمن فالمراد والله تعالى اعلم
بالمؤمن المؤمن الكامل الايمان القائم علما وعملا بجميع الحقوق ظاهرا وباطنا
من حقوقه تعالى وحقوق عباده خاصتهم كالانبياء والرسل والملائكة والاولياء
وعامتهم كسائر الخلق ومعنى وسع هذا المؤمن لعظمته تبارك وتعالى
وسع تكاليفه العلمية والعملية بجميع التكاليف المتوجهة اليه تبارك وتعالى
مع كثرتها وصعوبتها ومعارضة القوى الشهوانية والغضبية والوهمية
وكثرة الاعداء الصادين عنها من شياطين الانس والجن وقد شهد انه من عرضها
هذه القوة والتكاليف على عظم القوة السماوات والارض والجبال فلم
تتحملها قواهن وطلبت من المولى الكريم ان يقيلهن منها والاطلاق لعظم
الوسع لحمل المؤمن هذه القوة والتكاليف تشابه لغة وهو بالتنوين من نوع
الملحق الا بيان اي لم يطق اتيانه بحقوقه وحقوق خدمه وعبيده ورد ذا
اليه الا بطلان انتهى كلام الشيخ ونقلته من خطه رحمه الله ونفع به ومن
المسائل الصعبة المشكلة التي حل الشيخ اشكالها وفتح بقفل صعوبتها
ما ذكر الشيخ ابن عرفة عن ابن الحاجب ونقل المازري الاجماع على المخالف
في الفروع الظنية واعتذر عن ابن اشهب فيمن صلى وراء من لا يرى الوضوء
من القبلة اعادة ابدا بانه رواه كما انقطع وقواه بقوله بخلاف مس الذكر
انتهى قال ابن عرفة فالقطع بصحة وكاين مالكي بشافعي لا تركه
مسح جميع الراس فان ابن عرفة قلت فما عزي لبعض المازري عن ابن
يحمون ما جلبه الشيخ ابن عرفة عن ابن المازري فان قال الاجماع في
المخالف من حيث اعتقاده لا من حيث تركه ما يوجبه المامور انتهى جواب
ابن عرفة لما اشكل فيه جواب ابن عرفة على بعض الفقهاء ووقع هنا نزاع

فيه بين الطلبة

فيه بين الحنفية في فيهمه منا اجر فسألته عند شيخنا سيدي ومولاي
سيدي محمد السوسي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفع به فيما من كلام الشيخ
ابن عربية فهمته وقال لي هذا كلامي فقلت له يا سيدي فطلب منكم ان تكتبوا
لي بيانه فاخذ قرطاسا وكتب فيه ما نصه الحمد لله والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وءاله. المراد بقول الشيخ ابن عربية بطلان الاجماع في المخالف من حيث
اعتقاده، لا من حيث تركه ما يوجبه المالكي مثلا، او بطل الاجماع على
صحة صلاة المالكي وراء من يخالفه في الفروع انما هو من حيث من يخالفه فيها
رأيا واعتقادا الذي هو نص الى المخالفة في الراي. واما اعتقاده الحكم
بان يترك مثلا من وضوءه شيئا يعتقد هو عدم وجوبه كان يترك مسح جميع الراس لكونه
سنة عنده وما موم يعتقد فرضية جميع الراس فهذا خالف سحنون الاجماع في هذا
الموضع ولو اشترط الامام لمسح جميع راسه وان كان شافعيا لجاز للمالكي الصلاة وراءه لانه
ما خالف فيه الا في الاعتقاد والراي ولم يخالفه في العمل انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه
ونفعنا به ولهو في غاية الحسن ومنها ما نقله الامام ابن حجر رحمه الله تعالى في شرحه
للبخاري عن بعض الحنفية في مسح الخفين ونص قال صاحب الهداية من الحنفية شرط
اباحة المسح لبسهما على طهارة كاملة والمراد بالكاملة وقت الحدث لا وقت اللبس ففي
هذه الصورة اذا اكمل الوضوء ثم احدث جاز له المسح لانه وقت الحدث كان على طهارة
كاملة انتهى ثم استشكل بعض العلماء هذا الكلام في بعض معناه فسأل عنه الشيخ
رضي الله تعالى عنه ونفعنا به فاجاب بانه اشار بهذا الكلام والله اعلم الى
مسألة من غسل احدى رجليه ولبس خفها فكذلك انه لبس الاولى قبل كمال الطهارة
فعند بعض الحنفية يمسح اذا احدث بعد ذلك ويتوضأ لانه لبسهما وهو على طهارة كاملة
عند الحدث وقت اللبس اذ لم يحدث الا بعد كمال الطهارة وان كان وقت لبس
الاولى ما كان على الطهارة كاملة واما من يشترط الطهارة الكاملة وقت اللبس كالمشهور
عندنا فانه يقول بعدم المسح في هذه الصورة انتهى كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه
ومنها ما ذكره الامام ابن حجر ايضا في شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد رضي
الله تعالى عنه انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا اجرت بها فقال ابن حجر رحمه

الله تعالى قوله الا اجرت بها لا بد من تقدير جواز الفعل بقيد استثناء ثم استشكل بعض
العلماء هذا الكلام وقال كيف يقال ان الفعل بقيد استثناء مع انه وجد كثيرا وقوع
الاستثناء مفرغا في القرآن وفي السنة اما القرآن فقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا
يعلمها وكقوله تعالى يا أيها ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون وكذلك مما هو كثير في القرآن
واما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام لا يخرج من الدنيا الا وهو بري من خطيئته وقوله
عليه الصلاة والسلام ما من مومن يمرض مرضا الا حط الله عنه خطاياه ونحو
ذلك مما هو كثير فهذا حاصل الاشكال ثم كتب الشيخ رضي الله تعالى عنه هذا في
ذلك مع حسين رضي الله تعالى عنه جوابا في كيفية تقدير المستثنى على ما قال
ابن حجر في قال النبي صلى الله عليه وسلم انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا اجرت بها حتى
ما بسط بل احتيج لبسط انقاض فيها ولم يرد في ذلك على الاجر انتهى وهذا جواب رضي الله
عنه ونفع به بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله اما بعد
احتيج الى التقدير في الحديث لان الاستثناء المتصل هو اخراج بعض ما او اخراج [illegible]
من عام موجود قبله لفظا او تقديرا والمذكور قبل الا في الحديث فعل وهو اجرت والمذكور
قبلها اسم علم وهو نفقة والفعل ليس بعام من الاشخاص ولم يضر اجزاؤه فلا يصح الاخراج
منه فوجب ان يقدر الفعل اسما يكون بعد العام المذكور ويكون ذلك الفعل وصفا له وتقدير
والشان انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا نفقة اجرت عليها الا نفقة ما اجرت عليها
فان قلت النفقة الماجور عليها مساوية للنفقة المبتغى بها وجه الله لا بعضها
لتلازمهما في الصدق والكذب فلا يصح استثناؤها منها كما تقرر في الاستثناء المتصل
قلت ان سلمت المساواة بينهما فهي بحسب الوجود الخارج الشرعي لا بحسب الوجود
الذهني والوضع اللغوي فان النفقة المبتغى بها وجه الله صادقة لغة وعقلا على النفقة
الماجور عليها وعلى غيرها فالنفقة الماجور عليها بعض افرادها المقدرة فيصح استثناؤها
ومن عادة المناطقة ان من اقسام الكلي الكلي الذي لا يوجد من افراده المقدرة الا فرد
واحد مع امكان غيره واشتهر التمثيل في هذا الكلام ان يبقى افراده فالشمس [illegible]
فيستعمل منها ذلك الفرد الواحد الموجود نحو قولك لا اله الا الله فان الاله
[illegible] الا الله [illegible] واعلم [illegible] وامثلة ذلك كثيرة وبالله تعالى التوفيق [illegible]

عيسى

عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي لطف الله تعالى به انتهى جوابه رضي الله تعالى عنه
ونفعنا به في اتباعه بالبرد وشرح جميع احبابه واهل قرابته بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم عدد ما احاط به علم البارئ سبحانه وتعالى ومنها ما ذكره الشيخ ابن الحاجب
في مختصره الاصلي في قوله انكار حكم الاجماع القطعي ثالثها المختار ان نحو العبادات
الخمس يكفر انتهى فعبر بقوله في مختصره الفرعي اما جاحدها فكافر باتفاق واجاب
الشراح عنه باجوبة ضعيفة ثم ان بعض الفقهاء النجباء طلبوا من الشيخ رضي الله تعالى عنه
ان يحل له فعل هذا الاشكال فيجاوب بغير اجوبة الشراح ان يذكر في مكتوبه ما قاله
الشراح من الاجوبة ويجيب منها ما يظهر له صوابه ويزيف منها ما يظهر تزييفه
فساعده الشيخ رضي الله تعالى عنه على ذلك وكتب رضي الله تعالى عنه السؤال وكتب معه
اجوبة الشراح ثم ذكر جوابه في اخر مكتوبه وهذا نص مكتوب الشيخ رضي الله تعالى عنه
الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وءاله قول ابن الحاجب في مختصره
الاصلي انكار حكم الاجماع القطعي ثالثها المختار ان نحو العبادات الخمس يكفر عورض بمختصره
الفرعي اما جاحدها فكافر باتفاق فمنهم من اجاب بان ما ذكره في مختصره الفرعي من الاتفاق
محمول على اتفاق المذهب المالكي وما في الاصلي وجود الخلاف فيه لغيرهم من العلماء ورد بما ذكره في
مختصره الاصلي وهذا ما قرره ورد بما ذكره غيره من الاجماع على كفر من انكر وجوب
الصلوات الخمس ونحوها قيل اذا مراد ابن الحاجب بالاتفاق الذي ذكره في مختصره الفرعي
اتفاق العلماء كلهم وهو معنى الاجماع ومنهم من اجاب بان محل الاجماع على الكفر انكار وجوب
العبادات الخمس بلا تاويل او ان جحدها تكذيب للقرآن او الرسول عليه الصلاة والسلام
ومحل الخلاف انكار وجوبها بتاويل من الادلة وجحد بها كانكار المانعين وجوب الزكاة
في زمن ابي بكر رضي الله تعالى عنه وقد اختلف الصحابة في كفرهم وهذا الجواب اقرب
من الاول الا انه يعكر عليه حكاية القاضي الاجماع على الكفر ولعله يعني الصدر الاول ومنهم
من اجاب بان محل الاجماع انكار اصل مشروعية العبادات الخمس ومحل الخلاف انكار
مشروعيتها انكار وجوبها وهذا اجيب نظر ما انه انكار وجوبها ان كان من غير تاويل فهو اجماع
على انه الكفر وان كان بتاويل رجع الى الجواب الثاني فبطل ترجيحه ما سبق واقرب ما يجاب
به والله تعالى اعلم ان ابن الحاجب انما ذكر العبادات الخمس في مختصره الاصلي على سبيل

التشطير بما في شرح الاجماع على سبيل التمثيل بما مر اول الباب وكانه قال ان المثال ان
انتشر الاجماع كتشهد العبادات الخمس وجب التكفير بانكاره وان كان خفيا لم يجب
انكاره التكفير وما اشبه على سبيل ذكره وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كبيرا انتهى
مكتوب الشيخ رضي الله تعالى عنه وهذا الجواب الاخير الذي اجاب به الشيخ هو الحق والله
اعلم وبه يقطع ويتبين للانسان ان هذا الجواب هو مراد ابن الحاجب
والله تعالى اعلم بمراده وقصده قلت ولنقتصر على هذا القدر اليسير من
المسائل المشكلة التي كشف الشيخ رضي الله تعالى عنه اشكالها
محل تجوز وجهه عنانها بان الشيخ اغنى عن سبيل الاحصاء لا يفي بها
الا ديوان مستقل والمقصود الاشارة الى بلوغه الغاية القصوى
في العلوم الظاهرة وانه زاد على علماء الظاهر بحل اقفال المشكلات
وغوصه على المعاني الرفيعة التي لا تخطر ببال ولا تنزل تحت امثال
المجهول من الرجال والسر فيه الى المقصود من الكتاب فنقول وكان
رضي الله عنه لا يرتضي من بعض العلوم الظاهرة الا ما يحتاج منها الى علوم
الاخرة لا سيما انه كان يرغب في التفسير والحديث وما اشتمل على الحث
عليه بالخوف من عذاب الله تعالى ومراقبته له في كل لحظة وعدم الالتفات
الى شيء من زخارف الدنيا حتى كانه يشاهد الاخرة فصارت قرة عينه العلوم
الظاهرة راجعة كلها في الحقيقة علوما بالحقيقة وقد سئل رضي الله
عنه عن رجل خطر بباله في الحقيقة ان يسال رجلا معينا من اهل العلم عن
دواء التوكل فسال ثم انه جلس يذكر الله تعالى فاخذته السنة فرأى في منامه
كان الرجل الذي نوى ان يسأله يا سيدي فناوله شيئا من الطعام وقطعة
شيء من الخبز فاخذه اليه من يده فاكله فقال له بعد ما اعطاه الطعام
لو صنت عشية الذيب تاكل بها الخبز في الصيف فاجاب
الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا به ونقلته من خطه ما نصه
الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا ومولانا محمد وعلى اله هذه
الرؤيا ان شاء الله تعالى فيها نصيحة تامة وبيان شاف في التجريد

به وان

ويليه ج

بدوام تزيد النوم والسهر في طاعة الله تعالى ونحو ذلك دلت على ان السكر يكون بامرين
احدهما ظاهري والاخر باطني وان الظاهر منهما موقوف بعضه على الباطن اما الظاهري فالاختصار
في الاكل على ما به يعلى ظهره بطون الدماغ فيختل بسبب ذلك الحس والحركة الذان منشاهما
الدماغ فيستغرق الانسان بسبب ذلك في النوم الكامل كاكل الطعام الكثير الذي
داوم ونحو ذلك كاكل الخبز بالبقول ونحوها واما الباطن فهو المعنى بعشبة
الذيب كما ذكر المراد بعشبة الذيب خوفه وحزنه من الاخرة من الموت وهو مشهور
بذلك خوف الذي يلحق به الشر بعد الذي عمر بالهمة وما جوبه ما يغير على استغراق النوم
بل اذا نام هنيئا احد بعشبه وزال الاثر منه مستيقظا ينفخ بها نعمة الموت
وفيه يقول الشاعر ١٥ فقام باحزن مقلتي ونيفخ باذرا المنام فهو يقظان نائم
واشارة الرويا الى ان السكر لطاعة الله انما يتاتى بتجنيب الاكل مع توجه
بعشبة الحبيب وهو امتلاء القلب بخوف مجموع هادم اللذات الذي يقطع
الاعمال الصالحات ويوجب الندم على التفريط وكثرة الحسرات واشارة من
الصيف الى الحياة الخ فياولة بان الصيف وقت احتكار المعاش لوقت
انقطاعها في وقت الشتاء ومن لم يحتكر في زمان الصيف بجمع المعاش
لم يجد ما ياكله في زمن الشتاء والصيف يدخل فيه الربيع كما يدخل في
الشتاء الخريف لانه الذي يجمع من زمن الصيف الاتي امتلى قلبه بالخوف
من الهادم في زمن انقطاع المعاش وهو زمن الشتاء فالحياة الدنياوية
صيف وما بعد الموت شتاء فمن لم يجمع زاد الطاعة في صيف
الحياة ارتحل وشيع في شتاء الموت والله تعالى اعلم انتهى من خطه رضي الله
تعالى عنه وجعلنا ممن ينتفع في اعلى العلم وسر بركته ثم الله العلية
في كل لحظة بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا اخر المنتاز
بمجلسه على سائر المجالس من العلماء فانه لا يخلو من المواعظ والحث
على الطاعات والنهي عن سلوك طرق المخالفات وسمعته
رضي الله تعالى عنه يقول ما معناه انه ليس لمن علم من العلوم الظاهرة
المعرفة بالله تعالى والخشية منه والمراقبة له الا علم التوحيد وبديعه

الله تعالى في سائر العلوم كلها وعلى قدر معرفته به يزداد خوفه من المولى تبارك وتعالى
وقربه منه **وقال** ايضا ان هذا العلم لما كان يبحث فيه عن ذات الله تبارك وتعالى ونعت الذي هو مثل
لها وما يجب لها من الكمال والجلال وما يجوز وما يستحيل ومن علم ان المشتغل بمعرفة الملوك
وذكر ما له من الحسنة ونفي كل نقيصة عنه بحيث يعلم الملك به استوجب بذلك من الملك
قربا ومكانة وشرفا على سائر الناس وتخصه الملك وقربه فيشاركه ويجلسه معه
حيث جلس وما يليق به في كل ساعة وينعم بالنظر اليه ويحييه بنعيمه التي عنده كذلك مثلا ان
يخصه به وكذلك المعرفة على التوحيد ما تزداد الانسان به شرفا وقربا من حضرة المولى
تبارك وتعالى ويعظم عن كل ما سواه من المخلوقات تبارك وتعالى من شرف العلم بشرف المعلوم **قلت**
وما شك ان الشيخ الولي العارف بالله تعالى سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه قد الف في
علم التوحيد في غاية المعرفة ما لم يشارك فيها احد وعقائده المشهورة تنبيك
عن ذلك وتكفيك في ذلك عقيدته الصغرى التي ينتفع بها العام والخاص شرقا وغربا وعرب البلاد
لما فيها من عقائد العلماء مما لم ينفذ وما تضمن من اخلاصها من ادخال جميع عقائد الايمان
تحت كلمتي الشهادة وقد اشار الشيخ رضي الله تعالى عنه الى هذا المعنى في صدر شرحه عليها
حيث قال بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد فان اولى ما
ما يشتغل به العاقل اللبيب في هذا الزمان الصعب ان يسعى فيما ينقذ به مهجته
من الخلود في النار وليس ذلك الا باتقان عقائد التوحيد على الوجه الذي قرره ائمة اهل
السنة العارفون الاخيار وما اندر من يتقن ذلك في هذا الزمان الصعب الذي صار فيه
الجهلات وانتشر فيه الباطل اي انتشار وربما في كل ناحية من الارض بامواج من
انكار الحق وبغض اهله وتزيين الباطل بالزخرف الغرار وما اسعد اليوم من وفق
لتحقيق عقائد الايمان ثم عرف بعد ما يحتاج اليه من فروع دينه ظاهره وباطنه حتى
ينتفع بنور الحق واستنار ثم اعتزل الخلق ظاهرا وباطنا شرقا الى ان ينتقل
من دار الموت عن قريب الى خير الدار ويشاهد له ما يرى بعد الموت من نعيم وسرور لا يكيف
ولا يدخل تحت ميزان الانظار لعمر قليلا ما تجد فيه كثيرا فسبحان من يخص بفضله من
يشاء من عباده ويقرب من يشاء ويبعد من يشاء بحكم الاختيار وقد الهم نحوا ما
يعتقد وعظ جود في هذا الزمان الكثير الشر مما لم نجد مشرف معرفة عقائد الايمان

و از لهم

وان كان جل وعلا في جميع الغلب بالختام من قواطع البراهين وعلم سبحانه بمحض فضله
واحسانه جزئيات فلم يقع وقتنا اليوم ومن يليه عليها بالخصوص من الايمة الا عين
وادخر سبحانه بمحض كرمه تحقيق مورد فزلت بالغلط فيها من لا يقدر فمن ذلك من عرف بكثرة
الحفظ والاتقان اللهم كما انعمت يا ذا الجلال والاكرام بذلك من فضلك فتمم لنا ذلك
بحسن الخاتمة والحلول الى الموت مع الاحبة في دار الامان ولا تجعلنا يا ارحم الراحمين
من المستدرجين بنعمتك بالذا الفضل ولا نشكر فيكرمه جلاله وعلوه انعم ثم برحمتك
المختار الينا صلى الله عليه وسلم نعوذ بك من السلب بعد العطا ومن غضبك الذي لا يطاق
وان تلحقنا باهل الخيبة والحرمان ومن جملة نعم مولانا العظيمة ومنحه الطائفة الكريمة
ان وفقنا سبحانه بفضله لوضع عقيدة صغيرة الحجم كثيرة العلم محتوية على جميع عقائد
التوحيد ثم تاييدها بالبراهين القطعية القريبة لكل من له ذكى يسير ثم خصصناها بشيء لم نر
سبقنا احد غيرنا من المتقدمين ولا من المتاخرين وهو انا شرحنا كلمتي الشهادة التي
لا غنا للمكلف عن معرفتها والتي عن مواردها يسير عشر المتخصصين اذ بها تفتح
ابواب فضل الله تعالى والدخول في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والاعلان
معهما بسلم الخير من ابدا الخلود في غضب الله تعالى وينفي بغض الله تعالى الى اعدا
عليين بذكرها معناها اولا ثم بينا وجه دخول جميع عقائد الايمان فيهما تحسينا بينهم عند
ذلك ذكرها قلوب المتقين وينبسط على بواطنهم وظواهرهم ما انطوى من محاسنهما ما يجب
ينبغي ونزع حال معارفهم في رياض الجنة متبدين جزونا اتيا المتخصص للرسوخ في نعم
اولياء الله تعالى عقيدة لا يعرف عنها بعد الاطلاع عليها ولا احتياج الى ما سواها ثم من نحو
من المحجوبين اذ انعم لها فيما علمت وهي بفضل الله تعالى نزهوا المحاسنها على كبار الرواة وفي
فتوانها الجامع اذ قيمتها بغاية لا منتهى واشكر الله تعالى اذ من علينا بنعمة عظيمة
قل عنها كثير من الخلق وبانوثة اصول عقائدهم باعظم ذريعة واخلصها من عائلة اذ اخر
من جوهره ودرها نهايته ونسالي مولاي المنعم بالجملة الكاينات والعالم بكل طويته وها
انا امرتها نيابة بحول الله تعالى بشرح لها مختصر بكمل لها منها المقصود وبكشف لها ان شا الله
تعالى الغطاء عن ابهم علينا منها من المعنى المسرود وبتضع ان شا الله تعالى بكيمياء
السعادة والكبريت الاحمر نظرا لحضيني بها وفتح الله تعالى لمرات الايمان الى ان بنيان يد
عرض المحاسن انتهى كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه وهو في غاية الطيب والحلاوة

والحسن وقد انجر كلامه بالنسبة لانسان عند سماعه وبينهم الغالب عنوة كي ويجد
لذ حلاوة غير كلامه رضي الله عنه ومن نفريه ما قاله الشيخ ابن عطاء الله في الحكم
قال كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز ونقرب ما قاله ابن عباد عند شرحه كلام
ابن عطاء الله هذا وبالجملة فشيخنا ومولانا وسيدنا وامامنا لا يعادله احد في معرفته
بالتوحيد ولا يقبل له فيه بدلا ولا نقيض له في كل شيء والحجر بعده من يشفي لذا الغليل ويزيل
الشكوك والشبه والدواهي المعضلة من القلب العليل ولم يبق في هذا الزمان الكبير الكثير
النقيل الخبير في الغالب الا من يجمع المسائل من الكتب من غير تحقيق ولا دليل فمن سمع حق
سيدي ومولاي شيخنا سيدي ومولاي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه ونفعنا به يقول
ما معناه انه ما هو العالم على الحقيقة الا من يستشكل الواضح ويوضح المشكل ومثل العا
لم الكثير علمه وسخى بمده وتحقيقه وحسن نظره فهذا هو العالم الذي حضور مجلسه
والاستماع منه حسن منقبة وفوائده وغرائب علمه كما قال الشيخ ابن عربي في الابيات المنسوبة
له وهي // اذا لم تكن في مجلس الدرس نكتة // بتقرير ايضاح لمشكل صورة //
// وعزو غريب النقل او حل مشكل // او اشكال ابدته نتيجة فكرة //
// فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد // واياك تركا فهو اقبح خلة //
انتهى **قلت** وقل وجود مثل هذا في الزمان ولم يبق الا قليل لا سيما بعد فقدان
شيخنا رضي الله تعالى عنه فنعتبر اذ ان يختبره انسان وينظر لنفسه اذ العالم العامل بعلمه
الحذيق من يتبع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا تاركا زخرف الغرور
لا يوجد اصلا ولفقد شيخنا رضي الله تعالى عنه والله بفقد العالم والعلم ضياؤه وذهب
بهاؤه • ونقضت خيامه • وتقضت ايامه • ونقضت لحلاصه • وانثرمت اركانه •
وذهبت انواره ولم يبق من العلم الا رسومه • **فان قلت** ما معنى فقد العلم مع ان
العلماء موجودون وحفاظ كثير يعزون وينطقون **فالجواب** ان المراد بالعلم الذي
فقد بفقد الشيخ رضي الله تعالى عنه العلم الخاص لا العلم اللساني والعلم الخاص هو العلم
النافع الذي يورث الخشية لصاحبه والتواضع للخلق والنصيحة لهم وغير ذلك كما قال الشيخ
ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله تعالى عنه كل علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع
والنصيحة للخلق والشفقة عليهم والحلم على حسن معاملة الله ودوام مراقبته وطلب
الحلال وحفظ الجوارح واداء الامانة ومخالفة النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذي

بنفع

ينفع وهو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعوذ بك من علم لا ينفع ووصف الله
تعالى العلماء بالخشية فقال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال رجل للشعبي أيها
العالم فقال إنما العالم من يخشى الله تعالى وقال رجل للجنيد أي العلم أنفع قال ما دلك على الله
وبعدك عن نفسك قال والعلم النافع ما يرى صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة ورعاية السر
ومراقبة الظاهر والخوف من الله والإعراض عن الدنيا وعن مطالبها والتقلل منها ومجانبة أبواب
أربابها وترك ما بيدها على من يبتغيها من أهلها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة
الفقراء وتعظيم أولياء الله تعالى والإقبال على ما يعنيه فإن العالم إذا أحب الدنيا وأهلها وجمع
ما فوق الكفاية يغفل عن الآخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك قال الله عز وجل يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر
بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى قال فضيل بن عياض
رضي الله تعالى عنه العالم طبيب الدين والدنيا داء الدين فإذا كان الطبيب يجر الداء إلى
نفسه فمتى يبرئ غيره فإذا وفق الله تعالى العالم من العلماء للإقبال على الله وعلى أوامره وللإ
عراض عن الدنيا وما فيها فأول ما يلزمه أن يعرف نعمة الله تعالى عليه في ذلك ويقوم بواجب
الشكر ويزيد تواضعا واجتهادا ويعلم أنه محمول على ذلك الوارد الإلهي فيقول الله بالمجاهدة فيه
فإن مجاهدته أيضا ومعرفته نعمة من الله تعالى عليه زائدة تستوجب شكرا فإذا كان العالم بهذا المحل
من الدين كان إماما مقتدى به في أحكام الظاهر وأحوال الباطن يقتدي بنوره كل من صحبه
ويستضيء بعلمه كل من اتبعه ويكون حجة لله على عباده وبركة على بلاده ومن قاده
علمه إلى طلب الدنيا وطلب العلو فيها وطلب الرياسة واستتباع الخلق فهو العالم الذي هو
غير نافع وهو العالم المفتون ومحنته أعظم من أن يجهلها العالم بل لا يرجى له نجاته نعوذ بالله
من الخذلان قال الشيخ ابن عطاء الله في التنوير في قوله صلى الله عليه وسلم طالب العلم
تكفل الله برزقه اعلم أن الطلب حيثما أتى في الكتاب العزيز أو في السنة إنما المراد به العلم
النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله سبحانه إنما يخشى الله من
عباده العلماء فبين أن الخشية تلازم العلم وفهم من هذا أن العلماء إنما هم أهل الخشية
وكذا قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والراسخون في العلم وقل رب زدني علما وقوله
صلى الله عليه وسلم إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله العلماء ورثة
الأنبياء وقوله ها هنا طالب العلم تكفل الله برزقه إنما المراد بالعلم في هذه المواطن

العلم النافع القامع للهوى القامع وذلك متعين بالضرورة بأن كلام الله وكلام رسوله
صلى الله عليه وسلم أجل من أن يحمل على غير هذا قال البطيني الحلبي العلم النافع الذي ينبسط
في الصدور شعاعه ويكشف عن القلب قناعه قال الشيخ ابن عباد في شرح هذا
الكلام ما نصه العلم النافع هو العلم بالله وصفاته وأسمائه والعلم بكيفية
التعبد له والتأدب بين يديه فهذا هو العلم الذي ينبسط في الصدر شعاعه فينفسح وينشرح
للإسلام ويكشف عن القلوب قناعه فيزول عنه الشكوك والأوهام في حكمة داود
عليه الصلاة والسلام العلم في الصدر كالمصباح في البيت قال محمد بن علي الترمذي
رضي الله تعالى عنه العلم النافع هو الذي قد تمكن في الصدر وتصور له كالنور إذا أشرق
في الصدر تصور له الأمور حسنها وسيئها ووقع بذلك خطه في الصدر فهو صورة للأمور
فيأتي حسنها ويجتنب سيئها فذلك العلم النافع من نور القلب خرجت تلك الكلام
التي الصدر وهي علامات الدين والعلم الذي تعلمه فذلك باللسان إنما هو شيء قد استودع
الحفظ والشهوة غالبة عليه قد أحاطت به وأذهبت بظلمتها ضوءه وقال أبو محمد بن
عبد الرحمن المهدوي رضي الله تعالى عنه العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب
والزهد في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يبعد من النار والخوف من الله والرجاء فيه
وإماتة النفس وصفاتها وهو النور المشار إليه لأنه نور يقذفه في قلب من يشاء من
علم اللسان والمنقول والمعقول وقال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ليس العلم
بكثرة الروايات وإنما العلم نور يقذفه الله في القلوب انتهى وإنما منفعة العلم أن يقرب
العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وإرادته
قال الجنيد رضي الله تعالى عنه العلم أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك وهذه عبارة
مختصرة وجيزة جمع فيها رحمه الله تعالى مقصود علوم الصوفية وهو معرفة
الله تعالى وحسن الأدب بين يديه وهذه العلوم التي ينبغي للإنسان أن يستفرغ فيها
عمره اشتغالا بها ولا يقنع منها بكثير ولا بقليل وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى
عنه من لم يتغلغل في هذه العلوم يعني علوم الصوفية مات مصرا على الكبائر
وهو لا يعلم وما سوى هذه العلوم من الاحتياج إليها والإحاطة بها طاعة مراد ومتعبد
عليها وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع انتهى ابن عباد رضي
الله تعالى عنه قلت فهذا العلم الذي عقد بعضه الشيخ رضي الله تعالى عنه

لا العلم اللساني كما تقدم **وأما علومه** الباطنة الحقيقية المستمدة من الانوار الغيبية
فهو بحر زاخر وشمس ضاحية فقد اذا سمعت كلامه في العلوم الغيبية والاسرار الربانية
تقول كانه مبين لعيون عطيته لما غيب الله تعالى وقد تقدم ان هذه العلوم ومثل العلوم الباطنة
مما خص الله تعالى به الشيخ رضي الله تعالى عنه ولم يشاركه فيه احد وهذه العلوم
محلها القلب وهي معادن الاسرار ومطالع الانوار ولهذا لا يمكن التعبير عنها ولا يعبر في
حداوتها ومن هنا التكلف التصعب بها وذا فيها **قال** بعض اهل التصوف اعلم رحمك الله ان
حقيقة القلب نكتة ربانية ثم امرها عجيب وان الله تعالى سمى القلب في كتابه العزيز باربعة
اسماء سماه صدرا وجعله مستقر الاسلام وحقيقته الاسلام لان الله تعالى لا يجد عضوا
من اعضائه الا وهو لله خالص حقيقته انشراح الصدر لقوله تعالى افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه وسماه قلبا وجعله مستقر المحبة والايمان لقوله ولكن حبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وسماه فؤادا وجعله مستقر المعرفة لقوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى وسماه لبا وجعله مستقر التوحيد لقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب فاللب
وعاء الذكر والفؤاد وعاء المعرفة والقلب وعاء الايمان والصدر وعاء الاسلام انتهى
قلت وقد تقدم ان العلوم الباطنة اجل وافضل من علوم الظاهر **قال** ابو طالب
المكي في قوت القلوب ومما يدلك ان العلم الذي فضله العلماء وعظموا اهله ووصفوا النفع ومن
حواه وجاءت بفضله الاثار وندب اليه وفضل العلم به الا اثارا انما هو العلم بالله الدال
على الله المراد اليه لشاهد التوحيد له من علم الحال واليقين وعلم المعرفة دون سائر
علوم الفتوى والاحكام انهم يقولون من عمل بعلمه ويذكرون العمل بالعلم ويصفون جملته
بالخشوع والخشية والزهد والورع لان هذا انما هو علم القلوب لا علم الالسنة الذي يعملون
به العمل وتنبأ عنه المعاملات من اعمال الابدان مثل اعمال القلوب التي هي مقامات
اليقين وصفات المغير ومثل اعمال الصالحات الجوارح من الصالحات التي هي من بر الابدان
والبر ارباب اهل العقل والزهد وذوو التكليف والخوف واصحاب التصوف والخشية
وليس يعنون ان يكون الانسان اذا علم علم الاحكام والقضايا علم بها عمل بها والتزم
الرخص في احكامها ليعامل بها مثل ان يطلب القضاء فيقضي بين الناس اذا كان عالما به ويفتي
ويفتي المال ويدخل في البيع والشراء اذا كان عالما بالزكوات والمبايعات او يتزوج و
يطلق لانه عالم بالنكاح والطلاق وليكون بهذه الاشياء عالما لا يجاهد هذا ما قاله

خ
وامرها غريب
مما استعملا خ

احمد وروي في كراهية الدعاء بكثرة الذكر واهل هذه العلوم موصوفون بالرغبة في الدنيا
والحرص على جمعها ومدا ينسبون للدوام ومعاملون لهم فيقال انهم هم المحبون بالعلم الموصوفون
بالعلم الموصوفون بالخشوع والتذلل ومن هذا الا تفضيل الجمهور من السلف العلم على
العمل وقولهم ذرة من علم خير وافضل من كذا وكذا من العمل وركعتان من عالم افضل من الف
ركعة من عابد وحديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم
على العابد كفضلي على امتي والخبر المشهور كفضل القمر على سائر الكواكب وقول ابن عباس وسعيد
عالم واحد اشد على الشيطان من الف عابد وكذا الفقيه لو حوته احب اليه وعن النبي صلى الله
عليه وسلم فضل العلم احب الي من فضل العمل وخير دينكم الورع انما يعنون بذا العلم بالله
افضل من العمل لله لان العلم لله وصف الايمان ومعنى قول البعض لا يعادله شيء وما اتي من اسماء
اعز منه ولا يبيح عملا ولا يتعقبه انابة ولانه معيار لاعمال الجوارح وزنه تتقدر الاعمال وتخف وتزكوا
وتنقص كما قال سبحانه ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال فلنقصن عليهم بعلم وما
وقال الحق والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاكان العابد منه اتى الذي يبتغيه من افضل
والعمل وصف العامل وحكم الجوارح لانه يعنون ان العلم بالفتوى والاحكام والقضايا
التي هي احكام الخلق افضل عليهم افضل من معاملة القلوب التي هي عن معاني اليقين الذي هو
مقام المقربين هذا لا يقوله احد وروينا عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم واهل الجهاد اما اهل العلم
فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل
الا تراه كيف جعل العلماء الادلاء على الله تعالى كالجهاد وكذا الحال في الخبر قال من يشفع
الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وفي الخبر اذ للانبياء على العلماء فضل درجة وللعلماء على
الشهداء فضل درجتين وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في معنى قوله تعالى يرفع الله
الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال يرفع العلماء درجات فوق الذين امنوا
بسبعمائة درجة ما بين درجتين مسيرة خمسمائة عام وقال ابن مسعود لما مات عمر
رضي الله تعالى عنه اني لاحسب انه قد ذهب بتسعة اعشار العلم فقيل له تقول هذا وفينا
جلة الصحابة فقال لست اعني العلم الذي تريدون انما اعني العلم بالله تعالى فجعل العلم بالمعلوم
غير حقيقة العلم وفضل العلم بالله تعالى تسعة اعشار وليس في بذا العلم الظاهر على
الاعمال كبير زيادة اذ هو من اعمال الظاهر لانه صفة اللسان ولانه مفروض من المسلمين على

دون ماهم

ومقاماته والاخلاص فإني ما اتهم فهو كسائر الشهوات والاخلاص هو فراغ العامل بالله
عز وجل فالعلم الباطن والخشية متعلقان فانهما اعلى مقامات اهل الدين ودرجات الصديقين
جعلنا الله منهم ثم قال ابو طالب بعد هذا الكلام واذا اتى الله عبدا علما اتاه معه حلما
وتواضعا ورفقا وحسن الخلق وذلك علامة العلم النافع ومن روينا مسندا في الخبر
من اتاه الله عز وجل زهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين ثم قال بعد هذا
كان سهل بن عبد الله يقول لا تقطعوا امرا دون ذوي الرتبة الا بمشورة العلماء فتحمد
العاقبة عند الله تعالى قيل له يا ابا محمد من العلماء قال الذين يؤثرون الاخرة على الدنيا ويؤثرون
الله على انفسهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في وصيته وشاور في امورك
الذين يخافون الله ثم قال ابو طالب ايضا بعد كلام كثير ومما يدل على ان علم اليقين والتقوى
وعلم المعرفة والعلم هو علم الموقنين المقصود عند السلف ان الصحابة والتابعين
كانوا يسمونه ويقولون من بعد الا ويجيئون بعدهم ويحدثون ومن رجع وخلفه في اخر الزمان
وانما يبقون بعد الاعلام القلوب والمشاهدات التي هي نتيجة التقوى وعلم المعرفة واليقين
الذي يسمونه الايمان والزهد والرغبة في الهدى فاذا فقد المتقون والتقوى وقل الخاشعون والذين
يرون ذهبت هذه العلوم لانها قائمة بهم موجودة عندهم وهم اربابها والناطقون بها
وهي صفاتهم واحوالهم وعلم سلوكهم ولذا لم يكونوا ينطقون بها الا مع خواص الصحابة والتابعين
بعد ذلك كانوا يتكلمون على حذر انتهى كلام ابي طالب المكي رضي الله تعالى عنه **قلت**
وبالجملة فما اعطي للشيخ الولي العارف سيدي محمد الشنوسي رضي الله تعالى عنه ونفعنا
به من المعارف الربانية والاسرار التوحيدية والعلوم الذوقية والانوار الالهية
والمحبة الذوقية شهود المكون التجلي عنده وملازمته الحضرة الا بالذوق وهذه من اعلى
انوار المعارف والزهد والذوق فيها واطيبها لان العلم يشرف بشرف المعلوم كما قال الشيخ ابو
حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه بعد كلام له في المحبة قال ان الذ المعارف اشرفها وان
شرفها بشرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم
فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها لان العلم يشرف بشرف المعلوم كما قال
الشيخ ابو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه بعد كلام له في المحبة قال ان الذ المعارف
اشرفها وان شرفها بشرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف
والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء

ح في اشكور

ح لعله تشريف ابي حامد او قال كما يشير اليه ما بان

هو أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومبدئها
ومعيدها ومرتبها ومدبرها وهل يتصور أن تكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء
والجلال أعظم من الحضرة الربوبية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجائب أحوالها وصف الوا
صفين فإن كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع على أسرار الربوبية
والعلم بترتيب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والا
طلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها وأعلى ما تستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها
وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا يتبين أن العلم لذيذ
وأن ألذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله وتدبيره في مملكته من منتهى
عرشه إلى تخوم الأرضين فينبغي أن تعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني
لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس فإن اللذات مختلفة بالنوع أولا كمخالفة
لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة ولذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة
كمخالفة لذة الشبق المغتلم بالجماع بالإضافة إلى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة
لذة النظر إلى الوجه الجميل البالغ في الجمال بالإضافة إلى ما دونه في الجمال وإنما تعرف أقوى
اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها فإن المخير بين النظر إلى صورة جميلة والتمتع بمشا
هدتها وبين استنشاق الروائح الطيبة إذا اختار النظر إلى صورة الملاح علم أن
الصورة الجميلة عنده ألذ من الروائح الطيبة وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل
واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل فيعلم به أن لذة الغلبة في
الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح
اللذات فنرجع ونقول اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الخمس وإلى باطنة
كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها إذ ليست هذه اللذات للعين ولا للأنف
ولا اللمس والذوق والمعاني الباطنة أغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة
فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمينة واللوزينج وبين لذة الرياسة
وقهر الأعداء ونيل درجة الاستيلاء فإن كان المخير خسيس الهمة ميت القلب
شديد النهمة اختار اللحم والحلواء وإن كان علي الهمة كامل العقل اختار
الرياسة وهان عليه الجوع والصبر على ضرورة القوت أياما كثيرة فاختياره للرياسة
يدل على أنها ألذ عنده من الطيبات وسائر المطعومات نعم الناقص الذي لم تكمل

معانيه

معا ابنه البطالة كالصبي او كالزمن فوان البطالة كالمعتوه لا بدع ان يؤثر
لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من
جاوز نقصان الصبي والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال الحضرة الربوبية
والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق
وغاية العبارة عنه ان يقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا لا يعرفه الا من ذاق
اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة
ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه
رياسته وكونها مشوبة بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونها مقطوعة
بالموت الذي لا بد من اتيانه حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم
قادرون عليها ويستحقرها بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفا
ته وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزا
حمات والمكدرات متسعة للواردين عليها لا تضيق عنهم لكثرتهم وانما عرضها من
حيث التقدير السماوات والارض واذا اخرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها
فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السماوات والارض يرتع في رياضها
ويقطف من ثمارها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة
ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة
الله اذ محله الروح الذي هو امر رباني سماوي وانما الموت يغير احوالها ويقطع
شواغلها وعوائقها ويخليها عن حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من
فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم الاية ولا تظن ان هذا مخصوص بالمقتول في
المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في
الاخرة ان يرد الى الدنيا فيقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان
الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرون من علو درجة العلماء فاذا جميع اقطار ملكوت
السماوات والارض ميدان العارف يتبوأ منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان
يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السماوات

بتسعة

والارض وكل ما رب قبله مثلها من غير ان يضيق بعضها على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون في
التنزه فيها بقدر تفاوتهم في اتساع معرفتهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا
يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى عند ذوي
الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا صبي ولا معتوه وان لذة صح
المحسوسات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يوثرون الرياسة فاما كون والشهوات
معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وملكوت سماواته وارضه واسرار ملكه اعظم
لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك
عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع
على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين
لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذات ولكن من سلم من آفة العنة وسلمت حاسة
شمه ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري في طلاب
العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا هذه اللذات عند
انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم
وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة
الله تعالى وقد انكشف له من اسرار ملك الله تعالى ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه
عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله
لقوة فرحه وسروره وهذا لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر
ينبهك على ان معرفة الله تعالى الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني
رضي الله عنه ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف ورجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا
عن الله ولذا قال بعض اخوان معروف وقال له اخبرني يا ابا محفوظ اي شيء هاجك الى العبادة
والانقطاع عن الخلق فسكت فقال له ذكر الموت فقال واي شيء الموت فقال ذكر
القبر والبرزخ فقال واي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان
ملكا بيده هذا كله ان احببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة
كفاك جميع ذلك انتهى كلام الشيخ ابي حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه من كتاب المحبة من
الاحياء **قلت** هكذا كانت احوال الشيخ رضي الله تعالى عنه فكان يؤثر حب مولانا
العظيم على غيره ويراقبه ويخاف منه ولا يانس باحد بل يخرج بنفسه الى الخلوات ليلا و

طل

قال وكم في محبة الله تعالى وذاته انكشف له عجائب الاسرار وتجلت له الانوار ولله در القائل

حيث قال في بعض ابياته امثالا له رضي الله تعالى عنه

ومنفرد بالله هام بحبه • فليس له انس بشيء سوى الرب • تعوّد في الدنيا لطاعة ربه •

فلاوده علم الكتاب بلا ريب • وواظب الشرب فانكشفت له • عجائب اسرار تبدو على الحب •

فكل من كان في دعوى المحبة صادقا • تجلت له الانوار من غير ما حجب • فيمرح في روض المعارف بالقرب •

ولذاته اشهى من الاكل والشرب • تخاطبه الاحوال من كل جانب • فيفنى عنها بالرحيم وبالقلب •

فكاشفه الاسرار من ملكوته • فيطلع عليها البعض من عالم الغيب • **وقال اخر**

همت باناس في الغيوب قلوبهم • فحلوا بقرب الماجد المتفضل • عراة بقرب الله في ظل قدسه •

تجول بها ارواحهم وتنقل • مواردهم فيها على العز والبقاء • ومصدرهم عنها لما هو اكمل •

يروح بعز مفرد من صفاته • وما كنه لولي يريد واعد له • فكلهم من علمه ما يصونه •

وابذل منه ما ارى الحق يبذله • واعطي عباد الله منه حقوقهم • وامنع منه ما ارى المنع افضل

على ان للرحمن سرا يصونه • الى اهله في السر والصون اجمل • انتهى **قلت** قال

الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه هذه الابيات كان الجنيد ينشدها

يشير بها الى استتار احوال العارفين وان ليس لاهلها ان يجوز اظهاره ثم قال ابو حامد رضي

الله عنه واما الهوى المطرود التي اشار اليها لا شك انه لا يجوز ان يفشيه للناس فيها ولا يجوز

ان يفهم احدا من انكشف له شيء منها لم ينكشف له بل لو افشيت للناس كلهم فيها لحكم في الدنيا

فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت

الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا ب

بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله تعالى فيما

هو شر في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية

لقدرته انتهى كلام ابي حامد رضي الله تعالى عنه **قلت** وكذا سمعت شيخنا سيدي

محمد السنوسي رحمه الله تعالى عنه يقول اولياء الله تعالى من خصهم الله باسراره ونحلهم

بالمعرفة لا يجوز افشاؤها لغير اهلها **وقد قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤتوا

الحكمة غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم بل الواجب ونحن لا نزال من نعماء

او كما قال رضي الله عنه **قلت** وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تحدثوا

الناس بما لا تدركه عقولهم اتحبون ان يكذب الله ورسوله **وقال** بعض الاولياء رايتما

الله مائة وعشر بن فيه وسالته عن تسعين مسئلة اظهرت فيها اربعة وانكرها الناس واخفيت
ابياتا **وقال** بعض العارفين اطلع على اسرار الملك الامير وقد ذكر ابو العباس بن محمد بن عصفور
في كتابه الذي لقبه اخبار الشيخ ابي لواية من بعد رضي الله تعالى عنه قال سيدي الشيخ ابو مدين
في الشرع عن حقيقة سر وقال سهل مسلم وباسرار تستمر من الابدار الا اهل الحقيقة الا بربية
لا زلية التي لا ينبغي كشفها ولا يجوز بثها لغير اهلها اذ الاشارة والعبارة تعجز عن ذكرها
وابت الخيرة الا سترها على العقول لعجزها بالوجود لا يلحقها الا من كان وطنه معقولا وهو
هو عالم الحقيقة سره موجود يتقلب في الحيلة الابدية وينطق بالعلوم اللدنية فهو
بجسمه بكالهم وسر حقيقته طائر يجيء في عالم الملكوت ويسرح في حجب الجبروت تخلق
بالاسماء والصفات وفني عما سواها في الذات هذا هو الفرد ووحيد وقرة عيني وسكني
وبه لم مرجعي وهو عزالي ورائدي وهو المحمود بوجودي ومالكي ومعبودي الظاهر في وجودي
قدرته ورتبانية برائع حكمته مختلفة فانه هو الظاهر الباطن وهو الملك القهار رجل رفعت
همته عن ملاحظة نفسه لم يلتفت الى غيره وامسه واما هو ابن وقته والحق سبحانه
يجري عليه افعاله وهو راض به مسرورا اذ لم يكن شيئا مذكورا فمن نعمه فوالله ذا افعال الموفق
صفتا ملهمة واحوال الله لمن كان نعته نعته يصولا ومن كان مجد لبلبله بغير الله يوصل ومن خفي
نفسه فيه تسمع وتقول تسمع بسمعه وتبسط به فقد هو المظهر سبحانه للاكوان ومسر
السرائر ومظهر الاعلان برحمته لخلقه عافية ونعمته ليشاهدوا فاقته هم فيها يعرفون
ويروحون وبما يسبغ عما عليهم كما هو وباطنه يتقلبون ومن الاسماء تشهد لهم بالوحدانية
وتغرقه بالربوبية والعبودية وهو سبحانه يظهر بما يكرمهم وبجوده وان من شيء الا
يسبح بحمده انتهى كلام شيخ المشايخ سيدي ابي مدين رضي الله تعالى عنه **قال الشيخ**
ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه في لطائف المنن لما تكلم في قول النبي صلى الله عليه وسلم
العلماء ورثة الانبياء وان المراد به العلم النافع كما تعرفه ذكره لا مطلق العلم ورد على من
زعم انه مطلق العلم فان قال هل ينتقل الشيء المورث الى الوارث الا بالصفة التي كان
بها عند المورث قال فيعود الكلام ان الانوار الظاهرة في اولياء الله تعالى انما هو من
اثر انوار النبوة عليهم بمثل الحقيقة المحمدية مثل الشمس وانوار قلوب الاولياء كالا
قمار وانما اظلم القمر بظهور نور الشمس فيه ومقابلته اياها فكلما كانت الشمس منيرة كان نوره ومضية
ايضا ليلا بظهور نور في القمر الممدود منها بان الاغروب لها معبر بهما من كثرا انه لجحد واو

انوار

انوار الاولياء لان اولياء ظهور نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فالاولياء آيات الله يتلوها
على العباد بالظاهر منهم آثارهم واخبارهم يجرونها حرفا حرفا آيات الله نتلوها عليك بالحق وقد
سمعت شيخنا ابا العباس رضي الله تعالى عنه يقول في قوله عز وجل ما ننسخ من آية او
ننسها نأت بخير منها او مثلها اي ما نذهب من ولي الا ونأتي بخير منه او مثله انتهى كلام
ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه ونفع به **قلت** وما احسن كلام بعض العلماء حيث
قال في وصف الاولياء الذين ورثوا الانبياء صلوات الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
اجمعين ما وكيف لا يكونون رضوان الله عليهم ورثة للانبياء وبهم وبانوارهم ظهرت المصابيح
تقتبس منهم الانوار وتنكشف الاسرار وتتم العلوم والاسرار فمن نظر اليهم بعين واحدة لم يدركهم
حقيقة بل يرى بعضه وجنسه ومن نظرهم بعين قلبه بانهم اهل الفراسة والناظرون بنور
اهل الفراسة المومن ينظر بنور الله ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانهم خلفاء اعيني المشائخ
الذين لا يضعون الاشياء الا في مواضعها ولا يعطون الحكمة الا لمن يستحقها من اصحاب
الارادة المحترمة ولا يطلعون على الاسرار الا من يستحقها لانهم ينظرون بالمرآة التي هي
الصقيلة يجيبون القلوب بحكمتهم ويوثرون في الخواطر بفراستهم ويشتعلون المطايب
بانوارهم ويزكون العقول بالخواطر الطيبة علماء ربانيون يخلقون الانسان خلقة ثانية بشفاء
ابدانهم لقوة فراستهم فيهم يسلون جبلة حيوانيتهم لاخرى روحية معاودتهم من بطالة ارضية فلا
صفتهم فيخمون لهم صرفهم وتحمي ونهايتهم من اخلاصهم ويصورون صورتهم الباطنة
بالذي تقربهم ويبسطون نشاتهم المحبوبة بطهارة اخلاقهم ويقومونهم في احسن
تقويم بلطف سياستهم وينفخون فيه روح المحبة من روحانيتهم وغاية امدادهم
ويامرون ملائكة المقامات بالسجود لتحيته من سرة جنانهم ويعلمونه رموز اسماء
الحكمة من خزائن ضمائرهم ويكسونه حلل السيادة من نسج انوارهم ويضعون عليه حلل كمال
صفات بصيرتهم ومن يواقيت محبتهم ودر مودتهم وزبرجد سيادتهم وزمرد شوقهم
وعقيان وجدهم واساور ابغاء امدادهم من ذهب اعتنائهم تشكوكهم ويعضد خاتم عقولهم
ويشدون على جبينه عصابة من يستنير جبينهم ويتوجونه بتاج وقارهم ويجلسونه
على كرسي بلاغة اجتهادهم ويبنون نفوسه في رياض علوم حقائقهم ويجعلون له حور
ابكارهم ويوقفون على راسه ولدان نتائج مواصلاتهم يسقونه كاس المحبة في كاس
روابطهم مع فتيان اسرارهم على بساط صفاء خواطرهم وان سكر حجبوه غيرة على

لا ابتداء باسمائهم وانمحى رسمه حتى يكون معتدل المزاج بين السكر والصحو لفعوا ما
يرد عليهم من الاحوال ويعاينوا ما يرد به من الفهم فتنزل له جنود المعاني وتنفتح عليه الغرائب
وتنكشف عليه المكاتب وتؤخذ منه المذاهب لكمال خلقته المحفوظة ونشأته الروحانية
ربانية فلا تزال هذه الخلعة تسري بالنور ثم تسلبها عن سلبها وخلعها فيطلبوا بعضها
على من سواهم وشهدوا على غيرهم فلا يجعلهم لاسيما من خرج عن خلقتهم ولا يبغضهم الا
من كان من غير طبيعتهم ولا يهجرهم الا من اجلس في غير حضرتهم حشرنا الله في زمرتهم
وجعلنا من اهل محبتهم بين خلقه من غيرهم يعجز قلبه • ونشأت من اخص لديهم جمال
وديه • وما الى ذلك من نحو ذلك • انتهى كلامه رضي الله تعالى عن جميعهم **قلت**
واسمعوا واخضعوا ان هولاء السادات لا سيما الذين اتصفوا باحسن هذه الصفات
هم الذين ورثوا الانبياء حقيقة واقتدوا بهم في ظواهرهم وبواطنهم وجمعوا بين
الشريعة والحقيقة في هذا الزمان ولم نر منهم احدا بل لم نسمع به الا على الشيخ
سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه فانه خلقه من متفرقهم وحصل له ما
حصل لهم والزبد هو القدوة لمن يقتدي به • والهداية لمن يهتدي به لان الله تعالى
قد جمع له بين لطائف الاحوال • وصحائح الاقوال وصالح الاعمال • باطنه مملو بحقائق
التوحيد • وظاهره مملو بالزهد والتجريد • وكلامه هداية لكل من يرد قلبه محو من
وساوس الشيطان ونفسه زكية باخلاص العمل والاتقان • وكان رضي الله تعالى عنه
كثير الخوف متطاول الحزن وربما الكون جالسا بجنبه فاسمع لصدره انينا ودويا من كثرة
الخوف والحزن لاسيما اذا اكل وحده وكان مستغرقا في الذكر حتى يغيب عن حسه
ولا يشعر بمن معه • ولقد دخلت يوما عليه في داره واستقبلته واذا انظر اليه وهو
ينظر الي حقيقة وهو يسبح الله تعالى فلما رايته لا يكلمني علمت انه مستغرق في الذكر
غائب عن الترتيب فتركته على حاله وخرجنا ومن تبع في ذلك سيد الخلق سيدنا ونبينا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم لانه روي انه عليه الصلاة والسلام كان متواصل الا
حزان ومن قيل ان القلب اذا لم يكن فيه حزن خرب وكذلك اذا لم يكن فيه خوف خرب • **وقال**
الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه كان السلف يقولون ان على كل شيء زكاة وزكاة العقل
طول الحزن وفي الخبر ان الله تعالى يحب كل قلب حزين • **وقال** الغزالي في الاحياء رضي الله
تعالى عنه بعد ما ذكر فضيلة الخوف كان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام

الخوف

على الوجه وهو مفقود في هذا الى مكان صح

وما معه احد صح

الخوف من مكر الله تعالى وسطواته لانه لا يبصر الا عن كمال المحبة في جانب الله تعالى وخفايا
افعاله ومعاني صفاته التي يحتجب عن بعض ما يبصر عنها بالمحبة وهذا اخص من البسط
الوقوف على كنه صفات الله سبحانه ومن عدم ما حقيقة المحبة ومضى معه وفيه عن
الا حالة بكينة الامور مع خوف لا محالة انتهى كلام الغزالي رضي الله تعالى عنه **قلت**
ويكفي في فضيلة الخوف ما رواه ابو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين وامنين اذا خافني
في الدنيا امنته يوم القيامة انتهى الحديث **و**كان رضي الله تعالى عنه متواضعا من غير
مذلة حسن الاخلاق وحسن المعاشرة رفيق الطبع جميل الفعل كثير التبسم في وجه
كل من لقيه حتى يظن كل من لقيه انه اقرب اليه من غيره لما يفهم له من طلاقة الوجه
وحسن الكلام وكثرة الاقبال حتى ان المحزون اذا لقيه ونظر الى الشيخ زال حزنه بحضرة
اللقاء فما من احد كلم الشيخ رضي الله عنه **و**كان اذا راه احد من الاطفال الصغار
جروا كلهم اليه ويزدحم بعضهم على بعض في تقبيل الاطراف لما يروا عليه من حسن الاقبال
واذا راه من بعيد من الناس يجيء اليه واذا اقبل له قال هو الشيخ سيدي محمد بن يوسف
السنوسي بادر اليه ويسلم عليه ويطلب منه الدعاء **و**كان عادته لمن لقيه يختم
له ولكم بخير **و**كان رضي الله تعالى عنه هينا لينا في كل شيء حتى في مشيه فاذا رايته
حال مشيه تذكرت قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما الى اخر الاية **قال** الحسن في تفسير الاية يمشون حلماء
علماء مثل الانبياء الايمن وذا الزين سكون وتواضع وخشوع وهو ضد المختال الفخور الذي
يختال في مشيه **و**قيل المراد بالمشي على الارض انه عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم
هونا يعني انهم في كل امورهم هون اي لين حسن **قال** مجاهد بالحلم والوقار **و**قال ابن
عباس بالطاعة والعفاف **و**قال الحسن حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا **قال** عياض في
الشفا وفي صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط
من صبب **و**روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الا اخبركم بمن يحرم على النار ومن تحرم عليه النار على كل قريب هين لين سهل **قال** مجاهد معنى
سلاما اي سدادا اي يقول للجاهل كلاما يدفعه به برفق ولين انتهى **قلت** فهكذا كان حاله
رضي الله تعالى عنه فوالله الذي لا اله غيره ولا معبود سواه ما رات عيناي احسن خلقا

الدعا

ولا اوسع صدرا ولا اكرم نفسا ولا اعطف قلبا ولا احفظ عهدا وودا ولا اكثر علما وفهما
من الشيخ سيدي ومولاي محمد الشنوسي رضي الله تعالى عنه ونفعنا به ولقد كان مع
جلالة قدره وعلو منزلته وسعة علمه يقف مع الصغير ويوقر الكبير ويبدا بالسلام
ويجالس الفقراء ويكرم الضعفاء ويتواضع للفقراء وقد اتبع في كثرة الخصال كلها افضل الخلق
وافضلهم عند الحق سيد الاولين والاخرين سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
على قدر ما احاط به علم البارئ سبحانه فانه عليه الصلاة والسلام لين الخلق كريم كان
الطبع حسن المعاشرة بساما من غير ضحك متواضعا من غير مذلة رفيق القلب رحيما
بكل مسلم ويسلم مبتدئا ويصافح الغني والفقير الى غير ذلك مما عرف من تواضعه صلى
الله عليه وسلم وعلى هذا الامة كان الصحابة والاخيار من العلماء والاولياء والاتقياء والا
صفياء كان الشيخ رضي الله تعالى عنه والله قد اقتدى في ذلك بخلق سيدنا ومولانا محمد صلى
الله عليه وسلم في ظاهره وباطنه ولذلك كان يعظم جانب الانبياء عليهم الصلاة والسلام
في غاية التعظيم وينزههم عن كل نقص ويتاول ما اوهم بحسب نقصا مما في الكتاب
والسنة باحسن تاويل وتاليفه المشهورة تنبيه على جميع ذلك اذ هي محشوة بانوار
علومه وغرايب حكمه وفهومه التي لم توجد في كلام من تقدم ولا من تاخر من العلماء ولهذا
كان رضي الله تعالى عنه لا يقصد احد معارضته بشيء من الكلام الا افحمه فيبقى الا
انسان باهتا متحيرا متعجبا من غرايب علومه وفهومه فان كان السايل مسترشدا
اجابه بحسن جوابه المبين وان كان معنتا بقصد مخالفة الشيخ افحمه بكلامه فرجع هذا
المعنت خاسئا وهو حسير وانظر يا اخي نحو مثل هذا الشيخ رضي الله تعالى عنه الذي جمع
الله له بين العلم والولاية وارتقى فيهما حتى صار من اهل النهاية وبلغ في الحرص على ما
يقرب الخلق الى الله تعالى والشفقة عليهم وقضاء حوايجهم من سلطان وغيره واقصى وقد اتصل العظيم
الغاية وقد البسه المولى تبارك وتعالى ملابس هيبته واظهر عليه سبحانه اجلال علم اذا انتبه على
عظمته ووضع له في قلوب الخلق هيبة عظيمة ينظرون بها اليه ليكون اذا امر ونهى المراتب صح
مسموع الامر والنهي واظهره الى العباد ليكون داعيا اليه كما قال الشيخ ابن عطاء
الله في لطايف المنن واعلم رحمك الله ان من اراد الله به ان يكون داعيا اليه
من اوليايه فلا بد من اظهاره الى العباد اذ لا يكون الدعاء الى الله الا كذلك ثم لا بد
ان يكسوه الحق كسوتين الجلال والبهاء اما الجلالة لتعظيمه فيقفوا على حدوده الامر

مع

معه ويصح لهم في قلوب العباد هيبة تحملهم بها ليكون ذا امر ونهي مسموع او ع
ونعيم وجعل هذه الهيبة في قلوب العباد من تمكين الحق له بها حيث عاد القيام لهم
بالنصرة قال الله سبحانه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وهي من اظهار عزة الحق لعباده المومنين
قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين وهذه الهيبة التي جعلها الحق في قلوب
العباد لاوليائه تمنعهم ان ينسبوا الجاه المفتوح عليهم انتهى قوله عليه الصلاة
والسلام ذمة بالي عيا مسيبه شيء البسه الحق ملابس هيبته واظهر عليهم اجلال عظمته
كلما نزلوا الى ارض العبودية زجهم له سما الخصوصية فهم الملوك وان لم تخفق عليهم
البنود والاعزا وان لم تشرا لهم الجنود ولذلك قال القايل في والد انس رضي الله تعالى عنه
ياتي الجواب فما يراجع هيبة والسايلون نواكس الاذقان ادب الوقار وعز سلطان التقى
فهو المطاع وليس ذا سلطان انتهى كلام الشيخ ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه ده
قلت وبالجملة فالذي اعطي الشيخ الولي سيدي محمد الشنوفي رحمه الله تعالى
ورضي عنه من الهيبة والجلال والوقار في قلوب العباد لم يعطه لاحد في عصره من العلماء
والعباد والزهاد ولذا سار الناس اليه واقبلوا من غير الرؤية والشيخ الصحي والا
خذ عنه من افاضل البلاد ولذلك في كل الامور المهمة الدينية والدنيوية الا سنة لا
فلا يوجد والله ان شاء الله تعالى من يقاربه فضلا عن مثله في هذا الزمان الكثير الشر
يعم الى يوم الاشهاد ممن يشفق على الخلق بغير الرحمة والشفقة بل يحبهم ويرشدهم
الى طريق الخير والسداد ممن ينصح الخلق مطلق النصح فضلا عن النصح الخالص ويعرفهم
بلين كلامه وعطفه ورفقه عن طريق الشر والفساد حتى يبلغهم بنور علمه وحكمته الى
نيل غاية الامنية والمراد وقد سمعنا شيخنا سيدي ومولاي محمد الشنوفي رحمه الله
تعالى ورضي عنه وتحققنا به يقول في واحد عصره فما معناه ان قولهم الغرابة في زمننا هذا اي يوجد
عالم قد جمع الله له بين العلوم الظاهرة والباطنة على الكمال وجه بحيث ينتفع الناس به
في العالمين الا قدرا في غاية الندور وما اقل وجوده في هذا الزمان الكثير الشر قال وان
وجد الانسان مثل هذا وجد كنزا عظيما دنيا واخرى فليشتد يده عليه ولا يفارقه لينال
بصحبته بغيته وان فارقه لا يجد مثله ولا عوضا ابدا الا بالداو كما قال رضي الله تعالى
عنه **قلت** وانظر كلام هذا السيد كانه اشار به الى نفسه ومقامه قوله

فليستشير به عليه الى اخر كلامه فان هذا هو عين الحكمة الشيخ وها هو رضي الله تعالى عنه
قد اختطف من بين ايدينا وضاع لنا بجوهرة نفيسة من فوقه هذا الاستاذ انه لا يوجد
مثله ابدا وهيهات لا يلد في الزمان بمثله اي الزمان بمثله لبخيل **وقد** قال
الامام ابو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه في الاحياء بعد ان ذكر ان انفع اسباب العلاج
ان تطلب صحبة عبد من عباد الله تعالى مجتهد في العبادة فيلاحظ احواله ويقتدي به
وان بعضهم كان يقول كنت اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده
محمد عليه اسبوعا قال يعني الغزالي رضي الله تعالى عنه الا ان هذا علاج قد تعذر اذ
فقد في عصرنا من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى
السماع فلا شيء انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد
الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم الى الابد لا ينقطع فما اعظم ملكهم ابد الاباد
وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما قلائل بشهوات مكدرة ثم ياتيه
الموت ويحال بينه وبين ما يشتهيه ابد الاباد نعوذ بالله من ذلك انتهى من الاحياء
قلت فاذا قال الغزالي في زمانه الكثير الخير القليل الشر انه فقد فيه من
يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فكيف يقول رضي الله تعالى في زمننا هذا الذي
بلغ صرفه اذ اما قاله شيخنا سيدي عمر الشنوفي رحمه الله تعالى ورضي عنه من ان
من اغرب الغرايب في هذا الزمان ايجاد شيخ عالم بعلم الظاهر والباطن الى اخر كلامه
لان كل زمان يأتي فان العلم النافع يقل بغلبة الغفلة كما ذكر الشيخ الشاذلي رضي الله
تعالى عنه في صدر كتابه المسمى بالتشوف الى رجال التصوف حيث قال فقد قل
الصالحون المخصوصون في هذا الاوان وبدا الحال الاخير من سير البشر كما اخرجه البخاري
في صحيحه من حديث مرداس الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب
الصالحون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة الشعير او التمر لا يباليهم الله بالة
قال صاحب الجمل الحثالة الحقير الردي وهذا الحديث دليل جلي على ان الخير يقل انتهى
من التشوف **قلت** وقد قرأت على الشيخ رضي الله تعالى عنه النصف الا
خير من كتاب التشوف من ترجمة الشيخ ابي يحيى شيخ سيدي ابي مدين رضي الله تعالى
عنهم الى ان ختمته عليه في ايام يسيرة ام ضد نسأل الله تعالى ان ينفعنا بشيخنا وبما
قرأنا عليه وان يجازيه عنا بافضل الجزاء وان يمتعه في اعلى الفردوس بالنظر الى

وجهه الكريم في دار الخلد بجاه اشرف الخلق سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه
وسلم على ما احاط به علمه سبحانه جل وعلا **قلت** ورايت عند الشيخ رضي
الله تعالى عنه قصيدة من نظم الشيخ الصالح ابي عبد الله محمد بن الحاج حبيش التازي
حفظه الله تعالى ومن خطه نقلتها والله اعلم ورايت ان اذكرها هنا لكمال المناسبة
في هذا المحل لما احتوت عليه من الفوائد وحسن الكلام وحلاوة النظم وهي هذه

فسد الزمان وغاب كل مليح ... قد ذهب اهل الصدق في المشروع
اهل الصفا اهل الوفا ومن بهم ... صلح الوجود ببذره المزروع
قوم كرام لا يضام جليسهم ... ورقى نجمهم بكل منيع
بهم التوجه على الحقيقة اذ رقوا ... عن كل وصف للانام شنيع
افناهم المحبوب عن اوطانهم ... فبقوا بوصف للحبيب بديع
بذلوا له المجهود في مرضاته ... بالصدق في فعل وفي مجموع
فلقوا المراد قوته من حبه ... واختار منهم لمقامه المرفوع
صدقوا على ثنية الحبيب فادركوا ... ما املوا من وصله الممنوع
وتنعموا في حضرة قدسية ... وتمتعوا بجماله المتبوع
وكساهم حللا يرون جماله ... تاهوا بها عن الكل وهيع
غابوا وما غبتم يا بيتني ... ادركتم فافوز بالنور يبيح
نادينا شوقا يا كرام احبتي ... وانا غريق في بحار دموع
حنوا لصب بالغرام متيم ... اضحى نحيل الجسم جسمه صريع
الا ما لها الغافل من الم الهوى ... ولهيب شوقي بين صدري طلوع
من لي بهم كيف احتيالي بعدهم ... يا سادتي قد زاد وجدي ولوع
فلجا بهم عنهم مناجي حالكم ... لا انثني عن لهفة التوجيع
ان غبتم لم تزل اسراركم ... والجمع عند الكريم قبل شروع
خالف هواك عسى تفوز بسرنا ... لكنه لم ينتشر المذيع
يا شيخه كالنجم بل الطاهر ... عن كل وصف للنفوس وضيع
ذا الذي يرجى له ما رامه ... من نيل حضرته وسر رفيع
واعكفوا على باب الحبيب ملازما ... وتذلل في رقة وخضوع

نخ الاصل

وتفوز ثم بملكه بما ترضاه من ... بذل النفوس وجد كل مطيع
دعوى المحبة لا تصح حقيقة ... إلا لباذل النفس في المجموع
يا راغبا مبتغا وصال حبيبه ... تخضع بنفسك نال أجر منيع
لا تفتخر وان رأيته محرضا ... وتضرع في تضرع الملسوع
بعسى يجود بنفحة من وصله ... وتنال ما أملته أي ربيع
اتعش ضرا فضا يبدو يا جاهلا ... واصبر له ولتلق غير جزوع
وارجع بما هو فرض له ثم ... هو العليم بسر كل صنيع
من انت حتى ترعوي اليه ... لا تخل حظه بصرف رجوع
بجعلت تنظر من جميل عطائه ... وتتبع لجماله المسموع
لكن اخفى انتي العزو او زوده ... وجرت عن نهج الهدى المتبوع
يا رب وعن نوظه بذلا خلاص ... فوا وفي فعل وصدق وخشوع
فبجاه التكريم خيرا يبدي صادقا ... ذا المنا ومالها شي فزوع
ونوسلت له بجاه حبيبه ... ازكى نبي جاءنا وشفيع
صلى الاله عليه ما ناح حمام ... او نم عرف انوفهم عند طلوع
وعلى الصحابة اجمعين والآل ... رضوان ربي للدعاء سميع

انتهت القصيدة بتمامها وهي تدل على شرفه مقامه واضح حقه الشيخ نفعنا الله به وكذا رضي الله عنه فطايرا اخرا لم تزل في طريق القوم وسيأتي ذكر بعض فضائل التي اثنى بها على الشيخ رضي الله تعالى عنه وعلى بعض تلاميذه في الباب الرابع ان شاء الله تعالى وانما بالخير يعبر اعتبار هذا لانا مثل الشيخ سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه وسمعنا به في هذه البلاد ورأينا من كتبه الحاكي عن فنون علوم المعارف والاسرار او من يعرفها بر منا او بين نظيره الى الله تعالى حتى نصير ببركته من ورثة الانبياء والاولياء خلوا معلمهم بالحب بمحبته واتباع طريقته ومطالعة تآليفه تنال خير الدنيا والآخرة ولله در القائل حيث يقول ومناقب الشيخ لم تردد لها امر ولا انتهاء ولا لحصر لها عدد

من مات وهو حي ان بلوغه ... عسى ان يكون له بالصالحات بر
وفي زيارته بالربع محبته ... نيل المراد لما يرجوه وينتصر
وملتزم بدايا محبا حيث كنت تجد ... حماه والله نعم الذخر والنشر

من

قلت وقد حصل والحمد لله بركته على كل من احبه ونظر اليه بعين قلبه واما
من نظر اليه بعين الاحتقار واعرض عن كلامه ولم يعرف له قدرا فقد حرم فضل الله تعالى من كل
خير وقد قال الشيخ ابن عطاء الله اذا اراد الله بعبد خيرا جعله من المصدقين لاولياء
الله فيما جاء به وان فتح عليه عن احوالهم الى الحد الذي يجب ان يصيب الله لاوليائه
دائما بسبب عفو العباد وقد قالوا الخشوع على المتكبرين لهم سوء الخاتمة انتهى من لطائف
المنن قلت وما احسن كلام بعضهم حيث قال في وصف من ينكر على الاولياء
واسه بعضهم واما ما يحصل له من الحرمان والخسران نعوذ بالله منه انه قال من نظر
اليهم بعين راسه لم يجاوز نظره حد نفسه وبقي مستغرقا مع ابناء جنسه مخلفته فدرته
وبراسة المشائخ فيه نافذة طافته يرمقونه بارديء خواصهم فيظهر له ويصفو
في معانيهم ويهدي اليهم عن ردائل الانزعاج فيما خرق به العوائد فتحجر بمراته
الابعاد ويخم في نهر التماوي ويصور صورته الباطنة في افق التشكيك ويتبع
فيه ريح التغافل ونوم ملايكة الحمر لسجود له ويعلم اسماء التسويف ويكسى
حلل التثلب ويشد على جبينه عصابة قلة الحياء ويتوج بتاج الطغيان
ويوضع عليه حلل الملام من يواقيت العداوة وزمرد الخيانة وعقبان الثقالة
وزبرجد الكذابة واسا ويرفع له الاستنفاقة من ذهب الاحسان وفضة
الفضيحة والبهتان ويجلس على كرسي الكبرياء مشرفا على مقامات الرياء فتنتهي اليه
رياض المعارضة تحف به حور الحرمان وتطوف على راسه ولدان يسقونه من ثم باكواب
الخذلان مع قنينات المكر والخديعة فيشربوا منه جبينه قساوة القلب وجمود
الحواس فيا ليته كان نسيا في سيئة صورة منكوسة في حمأ مسنون العماية مخموسة
مطموسة معكوسة علم الشيخ بصدق فراسته فيه نشأته وسوء حاله فطرده
عن قلبه لانه ليس من اهله فقد بعد عن الاسرار فهو في اخس درجات وفيها
باب الهوى وجعلها بوابا لتنحجر عن سماع الاسرار والمعارف الانوار ونشر فيها
الاراد وجعلها تحرز باب الدار ليستخرج ما تنقش في الصحيفة الشيطان والنسوان
وغيرهم من ابناء جنسه وجعله رسولا الى الاسواق في حال نشره الاخوان وجيز
ثم فبسط الحظوظ على بساط الرفائق وقسم فيها يواقيت الاشارة وجرد
الرقائق فيستخرج بيعه ونشر اليه مع القطانين والربانيين والحواتين وابعاد ينفي

نعم تخشى على المتكبرين لانه لعله التشويه بسوء الخاتمة عياذا بالله ويعني بعضهم



وغيرهم من فوائد التشريف والامتحان وفرغ ما عند اهلي من بعدي من الاسرار فيظهر انّ
هذا المعهود ان التشريف له رياض وذلك ايجاد الله من الشيخ الا انه فرق بينهما ما في
التصغير والرياضات والبساتين والزروع ما اخليت ونزهتها والثياب المصبغات طرحه
والنساء الحسان ما ارملتها كل ذلك الذي يطلب اشارة او نيته او ذا وقيعة او بعض من
المشايخ العارفين المدلين على الله الشاكرين لهم بولي الصغير تمسي **قلت** وهو
والظاهر انه ينبغي للمشايخ الا من نظرهم بعين بصيرة فيفرح به الشيخ من انبساطه
ويضحك له على راسه فيه بسطه ويبسم له اذ هان ينفعه بيته الحظ نوى وينمي
على راسه فيه بسطاته اعلام الترمذي والتوفيق نسأل الله تعالى ان ينفعنا بهم كثيرا
ويحشرنا في زمرتهم وننتفع على نحو العزل اليسير من علومهم واسرارهم ولنرجع الى بقية
صفاته فنقول **واما زهده رضي الله تعالى عنه ونفعنا به في**
الدنيا والاعراض عنها وعن زهرتها وبغضه لها اشد البغض معلوم ظاهر وقد عبر الخاص
والعام **قال** ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه لبشر اعلى الزهد في الدنيا بل الزهد في
الرياسة وبشر اعلى الزهد في الرياسة بل الزهد في الاجتماع مع اهلها انتهى
قلت وما اشاء ان شيخنا ومولانا سيدي محمد السنوسي قدس الله
روحه واسكنه من الجنان فسيحها قد زهد في الرياسة وزهد في الاجتماع مع اهلها
والشيء يبغض اليه من الدنيا واهلها ولقد بعث اليه السلطان ابو عبد الله حفظه
الله تعالى يوما رسولا وطلب من الشيخ ان ياخذ شيئا من غلات مدرسة سيدي
الحسن ابركان رحمه الله تعالى فامتنع الشيخ من ذلك فبعث له ثانيا فابى ان يقبل
شيئا فلما الح الرسول على الشيخ كتب الشيخ كتابا الى السلطان حفظه الله تعالى
نصه الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله من عبيد الله تعالى العبد
اليه محمد بن يوسف السنوسي نفعه الله تعالى به الى امير المومنين حفظه الله تعالى وادام
توفيقه وتسديده وجعله يفضله في الدنيا والاخرة من خيار عبيده ولطف به
وختم له بالحسنى عند موته ومعاده فقد ذكر لي انه وفيه ويعيده بعد السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته فعن وقع علينا الفقيه الحسيب الامير النصيح في جهتكم له
الكيس اللبيب السيد ابو عبد الله محمد العبادي حفظه الله تعالى وزيد في حق ومحبين
حق وخلص الجميع من شباك الدنيا وسراب غرورها الماء في الصحراء خلاصا جميلا

موتى

وذكر لنا انكم اهتممتم بنا فيما يرجع الى هذا الحبس الدنيوي لغربتي وانكم عن ضمّ
علينا الاعانة بشيء من غلات المدرسة الجديدة فجزاكم الله تعالى على ما اهتممتم
به افضل الجزاء ولقاكم به خيرا وسرورا يوم الموت واللقاء ونحن نذكر لكم يا امير المؤمنين
ان الله تعالى بفضله كفانا الضروريات في هذه المحاشر ورزقنا لم عند الاحتياج من
حيث لا نحتسب وان يجعلنا بفضله ان خلق لنا انواعا من ذلك في قلوبنا وابداننا
ونحن نتقلب في انعم مولانا جل وعز ظاهرا وباطنا مع عدم الاهلية والله نسئل من ذلك
بدل الذي نتحققه وندفع به وجود الاهلية منا للمعاجلة بغضبه وعقابه لكن بحلمه
وكرمه عامل من ليس من المتقين معاملة المتقين فلله الحمد تبارك وتعالى ظاهرا وباطنا
اولا واخرا فليهج امير المؤمنين سدده الله تعالى خاطركم من قبلنا ولا تشوشوا الوسع
من امرنا في هذا الحبس الدنيوي واعانتنا فنحن قد اغنانا مولانا تبارك وتعالى عن ذلك
ومن لم يقتنع في الدنيا بالقليل لم ينفعه فيها الكثير والعاقل من اغتنم كفايته وقنع
الخلق لطاعة الله تعالى واعرض عن المستقبل اذ لعله لا يصل اليه وان وصل اليه فخزاين مولانا
الكريم لا تبيد ولا تغيض ثم اني نعتذر ايضا في تلك المدرسة لا حق لنا فيها اليوم
اذ لسنا نجمع بها قراءة ولا سكنى واخرى لنا فيها بوجه فمشاركتنا لذوي الحقوق
فيها وتضييقنا عليهم بلا اخذ مع جورنا وتكاثرنا اذ المقصود كفاية المهم الحالي وهو مما هم
وقد حصلت والحمد لله تعالى فلا حاجة لنا في اخذ شيء ولو من حلال لا محظ منه
مدرسة ولا من بيت مال وعلى تقدير ان يأتينا شيء من هذه الجهات فلا نقبله ولا
نصرفه الا في الاخرة خيرا وكل عيشة ليست في الاخرة فزينتها عقيمة الاخرة فيه فتنة
وشر عليهم وكل من في الدنيا ضيف عابر سبيل في سفر لا ثبات معه الى الاخرة وكان
كل واحد منا قد حل في جرته وانجز عليه نحارة الاخرة والهوى للعاقل عن ذلك فلا
يليق الاهتمام الا بزاد الاخرة التي لا نجاة معها الا بفضل الله تعالى نسأل الله تعالى ان
يوفقنا ويوفق امير المؤمنين لصرف الهمة كلها لزاد الاخرة وان يجير الجميع
من الغرور بظاهر الدنيا واخرى بالمدار الباطن والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
نص انتهى مكتوبه رضي الله تعالى عنه فانظر يا اخي ما احلى هذا الخطاب الذي لا يصدر الا من
مثله من ولاة الباب وما احتوى عليه من حسن المواعظ والتزهيد في هذه الدنيا
الحقيرة التي طردت عنه رضي الله تعالى عنه اهون واحقر من الزباب وهكذا كذا الله

كله تجد له حلاوة في مطلبه وقل ان تجده في كلام غيره من حسن كلامه ابدع ابو بكر ما
قاله في تحقير الدنيا تشغفه بعروسها كما يجوز من الاعراض البشرية على الانبياء
والرسل عليهم الصلاة والسلام قال رضي الله تعالى عنه فاذا نظر العاقل في احوال
نبيه عليه الصلاة والسلام باعتبار زينة الدنيا وزخارفها علم علم يقين انها لا
قدر لها عند الله تعالى فاعرض عنها بقلبه بالكلية اذ كانت همته للحلول في العوالم
العلا وعينهم التلذذ الذي يكيف بزوال الحجاب عن رؤية المولى بكرة وعشية وشرف
الزيادة لعباده مولاه جل وعلا اشرف الكرام وصف هذه المحلة من العموم والارتفاع صفة
هذا الموجود بذل شيئا يسيرا لا قيمة له لبسارته وخسته واخذ شيئا كثيرا لا قيمة
لدوامه وعظيم رفعته وتوالي نعيمه كل لحظة ابد الاباد فبينما هو في ظلمة الدار وضيق
قلبه وسيلان دمعه وعويله في الاسحار وتوحشه من الخلق طالبا ثباته على نفسه
بنفسه مزاحم في كبره خوفه من فوات رضى مولاه جل وعز الذي لا يمكن منه خلفا تقيم روحه
احيانا وتزعجها لقصد الخروج من شدة الحب وازعاج حرارة الشوق فيردها محيطها
قبض البدن ثم يهب عليه نسيم الوصال فيسكن روعه لزوال بعض سكونه فبينما هو
في مكابدة هذه الاهوال والتشوق للمحبوب وراء الحجاب اذ هو قد اصطفى في بيان بنفس موته
متصلا بمحبوبه دون حجاب يتنعم برؤية من ليس كمثله شيء جل رب الارباب والمتفق
عليه من خلع الكرام ما يليق بكرمه ومنحه ما لا يحيط به عقل ولا يحصيه ديوان
من طرايف لطائفه وجلائل نعمه واصطفى بعد ان كان حقيرا مسكينا لا يجد به ملء
من ملوك الجنة يسرح فيها اين شاء ويتنعم فيها كيف شاء تنقلب عليه الحور
والولدان ويرى اثر الموت ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
فهذا ايها العاقل هو المطلب الذي ينبغي ان تبذل فيه النفوس والمهج والتذليل
بغية شيء منه لولا فضل مولانا الكريم الوهاب بمحرما عن عظم مطلبه العظيم ما ثبتت
واحتج ❁ دببت للمجد والساعون قد بلغوا ❁ حد النفوس والقوا دونه الازرا ❁
❁ وكابدوا المجد حتى مل اكثرهم ❁ وعانق المجد من اوفى ومن صبرا ❁
❁ لا تحسب المجد تمرا انت اكله ❁ لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا ❁
فسبحان من كرم قوما واكمل عقولهم وعلا همتهم بنيل الاخرى الى اعلا المنازل وحط
قوما وضع همتهم في الصورة البشرية الى ارذل الشيء من الحضيض الاسفل

وملكهم

ومثلهم لا خير فيهم وهو النفس والشيطان وأتبعوهم واتبعوهم في غير شيء وأعرضوا عنهم
منها وأخرى لمهالك عظيمة وهو الأولى بهم شرير مستنكف فما زالوا حبسوا لهم بطالتهم
وتنازعهم حماقاتهم ونشرة بلاياهم وكثرة محنهم إلى أن ظهر وانتشى من الذي يذوقهم والله فرجوا
من الدنيا ولم ينقطع وانتشى من الذين العاجز ولا حال بغي على المرء في أيام محنته
رحلاف م حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن إلى المولى الكريم نشكو ما أصابنا من تخلف عن ذلك وفي
الهمم المتلاحقة الكرام وبقينا على جهين مطروحين في ساقة الأحشاء اللئام نتجارى ما بحتهم
شهواتهم بقلوبنا وجوارحنا وهمة لا تجري لها ولا صار لحقتنا عن نيل ما نجم ان تنغيص لنا ام
براهين في الحقيقة سموم قاتلة وعورات بادية وعثرات فتنة نحجب نفسها عن النيام
في وسواسها ونحلها ثم نشتغل بها بأنواع حرمات ولهينا وعيهم حمقنا في معاصي ملكنا نخشى
همها لا انقطاع ولا الهلاك لمجرد النقلات وأحرمنا من المقصد والمرام وكيف ما نخرجه من
التلطف عن قبيح لا استغفار حتى عن لنا عن سنن الهدى وقصرنا لجهلنا عن مواضع
الهلاك بقوة الحزم ولا استماع اللهم يا مغفر الذنوب بعزائر فينسوا أنفسنا من هذا الوحل
ودعا المستغاث الذي نحن فيه بلا محنة يا أرحم الراحمين يا ذا الجلال والإكرام اللهم لك الحمد وإليك المشتكى
وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله فارحمنا يا مولانا بعينك التي لا
تنام واكنفنا بكنفك الذي لا يرام وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم
بإحسان على الدوام انتهى كلامه رضي الله عنه **قلت** ومن كلامه في علي زهده
في ما سوى المولى تبارك وتعالى حتى في الجنة وما فيها من حور وقصور وأشجار وأطيار
ونعيم في الأبد إذا كان لا يتعلق بطلب الجنة مع ما يرى فيها من أي لا يتعلق قلبه بالدنيا وزخرفها
وقد تقدم ما قاله أبو سليمان رضي الله تعالى عنه إن لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف
النار ورجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله تعالى **قلت** وسمعت شيخنا سيدي
مفيد محمد الشنوفي رضي الله تعالى عنه مرارا يقول إن الولي الحقيقي هو الذي لو كشف له عن الجنان
وما فيها من الحور والولدان ونعيم الدوام الذي لا تنقطع إلى شيء من ذلك ولا مال إليه بالكلية
وبهى سكر اليونس فرد الحور وكر ابن جعفر ذكر لغير الله تعالى ثم قال هذا هو العارف
الحقيقي أو كما قال رضي الله عنه **قلت** فمن لا هو الزاهد الحقيقي وهو الذي في
الزاهدين وقد وضع قدمه في أول درجة من زهد العارفين وإذا رقي العبد هذا المقام بواسطة التقوى
فيه والعناية السابقة اقتصر على أداء الفرائض والرواتب وانتقل من أعمال الجوارح إلى أعمال

شيء حيث سماه ذا الدال

القلوب وموافقة المهم وليس في النفس أدفع ولا أقوم منه لأنه أشد عليها من صبر الشهوات و
وقتلها الميل إلى الحق وموافقة المهم تستدعي جهدا عظيما وموافقة عسيرها وحرها شديدا لأنه ما
يستعظم من ذلك إنه هو المرغوب ومن شدته ما حف فيه من المكاره فيتأتى الهرب ولولا هو ما
قال المشتكون ولا كثر المعارضون فإنا لله وإنا إليه راجعون فهكذا كان حال شيخنا رضي الله
تعالى عنه ونفعنا به وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول نقلا عن أئمة أهل التصوف أن آخر ما
يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة قالوا واستشكل هذا الكلام من حيث أن الرياسة من كره
أشد الشكوك فلا يصح المريد في مدة السلوك حتى يخرج الدنيا من قلبه حتما فكيف
تتعلق الرياسة بالصديقين فقال رضي الله تعالى عنه المراد بالرياسة الرياسة الداخلة في
حب الجنان والحور والقصور والولدان وغيرها مما في الجنة ولا شك أن هذه ثابتة
للصديقين وهي آخر ما يخرج من قلوب الصديقين وهو أن هذا الأكمل فلم يبق في قلوبهم ميل وشغل
لشيء من الكائنات إلا الله تعالى قالوا وليس المراد بالرياسة الدنيوية كما يعتقده بعض
الجهلة لأن هذه مشروطة الزوال عند ما يصح المريد في مبدإ الإرادة فهذا معنى قول أئمتنا رضي
رضي الله تعالى عنهم وقال رضي الله تعالى عنه ونفعنا به **قلت** ولقد أحسن بعض العلماء
الصالحين حيث قال مشيرا لبعض مظاهر الشيخ رضي الله تعالى عنه وأشياخنا يعني سيدي
محمد التشنوسي رضي الله تعالى عنه سني بيت العلم والدين وأفاضل أولياء المنقبين نفع الله
بعلوم الجهابذة وأبان لهم كافة معالم الرشاد وحسبنا بما له عند الله من العنايات والكرم
عليه من أسرار الولاية زهده في عرض الدنيا وعدم التخلق فيها حائزا بذلك أجرا ثم عاد بها الخلق
التي طبعها المدح الحق فكل له من عقيدة كافية في بيان المراد وموعظة شافية بلغة المسائل
فوائد الاولى قال الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه في المنهاج **فإن قيل**
قلت فما معنى الزهد في الدنيا وحقيقته ذلك فاعلم أن الزهد عند العلماء
رضي الله تعالى عنهم زهدان زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور فالذي هو مقدور ثلاثة أشياء
ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك إرادتها واختيارها **وأما** الزهد الذي
هو غير مقدور للعبد فهو برودة الشيء عن قلب الزاهد ثم الزهد الذي هو مقدور مقدمات
للزهد الذي هو غير مقدور وإذا أتى به العبد فلا يطلب ما ليس عنده من الدنيا ويفرق ما عنده
منها ويترك من قلبه إرادتها واختيارها لأمانتها أورثته تلك برودة الدنيا لأجل الله وعظيم
ثوابه وهذا عندي هو الزهد الحقيقي **ثم** اعلم أن صعبا الأمور الثلاثة إنما هو في الإرادة

بالقلب

بالعقلاء اذ هم قادحا بظاهرها عجب ويزهدها بباطنه بفوت مكاسبها ومقاصدها من نفس شريرة والنساء
كله في هذا الزمان تشبيه الى قول الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا
فسادا والعاقبة للمتقين علق الحكم بنفي الارادة دون الطلب والفعل للمراد وقوله تعالى
من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في
الآخرة من نصيب وقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا
له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم
مشكورا فقد اشارت كلها الى الارادة فلاجل هذا هو المهم اذا لكن العبرة اذا واضب واستغنى
على الاولى بل يعطي التهاون والتجريد فيهما وامن فضل الله سبحانه ان يوفقهم لرفع هذه الارادة
والاختيار فهو المفضل الكريم عز وجل وعنه بها وقد اكثر الناس القول على ذلك منه قول بعضهم على قلبهم
في ذم الدنيا لقلة عنايتها وكثرة عنايتها وسرعة فنائها وخسة شركائها **قال الشيخ** رحمه
الله تعالى لكن يحميك من تعلق الرغبة لا من شكلها وما احب وطالب ومن قد ك
شيء المكان ان يكاد فيه اخذه لو انتهى به ما القول البالغ فيه ما قاله يحيى رحمه الله تعالى
ان الدنيا عروس الله وانت تحبه ومن احب احدا يغض عروسه فالواني اصلها وسمعت الله
ترى اخرجها الى العز والبساط والتلاشي والاضمحلال الكمال ضمنت بعيب وطويت بزينته
فاغتر بظاهرها الغافلون وزهد فيها العاقلون **فان قيل** ما حكم الزهد في الدنيا
اهو مخرج او تقليل **فاعلم** ان الزهد في الدنيا يصح عندنا في الحلال فهو عندنا في الحرام وفي والحرام
وفي الحلال الفعل ثم من لم يرى هذا الحلال المستقيم التطاعة بمنزلة الميتة لا ياتيها ولو منها انها
قدرا لا بد منه والحرام عندهم بمنزلة النار لا يخطر ببالهم فضلا ان يتناولوه وهذا معنى
الزهد عند اهل الحقائق بان تنقطع همتهم عنها ويستقذرها ويستكرهها جدا فلا يجد في
قلبه اختيارا ولا ارادة **فان قلت** كيف يمكن ان تنقص الدنيا في شهوتها ولذاتها
ولذاتها المحبوبة المطلوبة عند انسان بمنزلة النار والميتة والجيفة المستحيلة
والتبنيد بليتها والطبع كبيرها **فاعلم** ان من وفق التوفيق الخاص وعلم
ابتها ومن عليها اصلها فتنقص عنده كذلك ولذا يتعجب من هذا الذين يغبنون العميان
من عيوب الدنيا واولياتها المختر في ظلامها وزينتها وسائر مثلا لذلك **فاعلم**
ان هذا مثال الحلال والحرام فيه ان الانسان صنع خبيصا يخلط من السكر وغيره ثم طرح فيه
شيء سم فاتك ويشهد الطعام ولم يعرفه اخر ووضع الخبيص بين يديه وفيها من

فلو تأمل الرجل الزاهد ما جعل فيه من الهم يكون أهل الدنيا في الآخرة تخفيف الحساب فبالله أن يتناول
منه بحال البشرية ويكون عنده بمنزلة الذي اضطر إلى أكل الميتة ما يحل من أجل الله أو بغيته
بطاعته وزينته وإنما الرجل الذي ليس فيه ما جعل فيه أعني بظاهره الزهد فما وحرص
عليه ولم يصبر عنه وأخذ يتعجب من صاحبه الزاهد وزهده فيستعظمه في ذلك فيعد أهل الحال
مع أهل البصيرة المستقيمين والجهال الراغبين فلا يحرج فيه الشرع في جهة أو يتحجج
فيه لحظ طبعه ودنياه وإن الرجل الزاهد فيه الحال فقد يكون مستغرقا في الحال الخبيث
نادرا منه لا يكاد يقدم عليه إلا عند الضرورة وقوة الحاجة والذي يشاهد له قدر
جاهد فيه فحتى بظاهره بصر عليه مكب معجب بحب بنا فيه أحوال الدنيا مع
الوقوف من أهل البصيرة ولا استقامة وأهل الرغبة والغفلة وإنما اختلف حال الرجلين
مع تساويهما في الطبع والبنية لبصارة وعلم كان لأحدهما أو جهل وغفلة كان للآخر
فلو علم الراغب والآخر ما علمه الزاهد لكان زاهدا ولو جهل الزاهد وعمي كما عمي الراغب
لكان راغبا مثله فعلق ذلك إلا أن تعرف المكان الناظر في الطبائع وهذا أصل مفيد
وكلام يتيسر لمن عقله بمن عقل وانتفع والله ولي الهداية بفضله **فإن قيل**
فلابد لنا من قدر من الدنيا ليكون قواما لنا وكيف نزهد فيه **فاعلم** أن الزاهد
في الفضول لا في ما يحتاج في قوام البنية والمقصود القوام والقوة حتى يعبد الله سبحانه
له بالأكل والشرب والتلذذ والله تعالى إن شاء أقامه بشيء وسبب وإن شاء أقامه
بلا سبب كالملائكة ثم إن كان يبقيه إن شاء بشيء حلال عنده فإنما وبحيلة وكسب
وإن شاء بشيء تعتريه بسببه من حيث لا يحتسب وبغير طلب وكسب كما قال الله عز
وجل ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب فإذا لا يحتاج إلى طلب وإرادة فإن لم تفوض ذلك إلى الله فإنك تريد القوة على
عبادة الله سبحانه دون الشهوات واللذات فإنه إذا نويتها فذلك كان الطلب ولا
راحة فيه لو طلبا للآخرة دار الحقيقة لا للدنيا ولا تفرح في زهدها وتجردها فاعلم هذه
الجملة راشدا وبالله التوفيق انتهى من المنهاج للغزالي رضي الله تعالى عنه **العبارة**
الثانية قال الشيخ الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن اللجائي
رحمه الله تعالى ورضي عنه في كتابه المسمى بقطب العارفين **واعلم** رحمك الله
أن شهوات النفس ظلمة للقلوب وعند الشهوات فرح أهل الدنيا فسعة وبهجة

النفوس

النفوس عن حب الدنيا مشغلة وعسر عسير واعلم أن حبها غرور
بالدين وضعف للإيمان وعلة الفقر وحب للشيطان ومرض للقلوب وبعد من الله
عز وجل وهو رأس كل خطيئة كما ورد في الخبر قال الله سبحانه فلا تغرنكم
الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فيغتر بزخرفها ولا عراض عنها والتضحي عما يطيب
والزهد في مباحها فيثبت العبد على محجة الدين لأن القلوب من حبها سكرات ولا فراغ لهم
من غمرات ومزاحمة التسعة وجل عبادة بحبها فلا زاد الناس عليها إلا حرصا وإذ حبا في
تكراره إلا بعقوبة فمن فروع ذلك أسبابا بجمل من سحرة فطلبة الدنيا ولعنة بها
والزهد عنها أعظم ثمرة رجل أعمى له زوجتان إحداهما جميلة غاية الجمال لها نسب
رفيع والأخرى أمة سوداء منتنة الريح أقبح شيء رأته العيون فلم تزل ترام الشوم
تبح قلبه وتخدعه حتى مثلته إلى نفسها وجارت ذات النسب الرفيع المتصفة
بالجمال الكلي على ضرر العمى فقال إن الزوجة التي هي في ملكي فإنها أملي أقبح الناس قبحا
وجها وأخسهم حالا ونقل إلى الزوجة الأخرى التي هي رفيعة فإذا بنور لها يزيد
على ضوء الشمس الطالعة فنزع على ذا فقها ترامه ما يزل ولو رآه الآخرون فقد لها
فلا تضل نفسه أيها المسكين لأمة السوداء وراجع ذات النسب الرفيع ما دامت
في العدة ولا تدع الأمة السوداء تزاحم عليها فيما في الغالب لأن الوراية التي نعلمه
تنال الحب وإنما إننا الرحمن القلوب عنها يذكر القلوب إذا سكرت من حبها يسبحون
في سكراتهم ويقتحمون المهالك بأنفسهم ويبلغون بها أمنية عدوهم ويطفئون
نور علمهم بظلمة جهلهم ويلقون بأيديهم بشهواتهم ويقلون فيها من أمر ربهم
كأن الدنيا لبيت بداية وكأن القيامة لبيست بقليلة وكأن العمر لا يسأل عنه
وكأن الجهاد لا يجزى منه فإنا لله وإنا إليه راجعون فمن أراد جعنا به وأصبنا
من سكرات أنفسنا وسخافة عقولنا فهذا كالراكب المولي وجهه إلى موضع الزيادة
ينظر إلى الموضع الذي ركب منه فيستحليه ويتمنى المقام فيه ولا ينظر إلى موضع
نزوله فيحذره والدابة تجري به إليه بلا زاد بين عينيه يذكر ما لا ينفعه كمراد
أحوال المخيرين بتولية الوجوه إلى موضع النزول الأولى وأحق عندي في العقول
وتولية الوجوه إلى ما عنه الارتحال أبعى بنفوس الجهال فلن أدع أن تقتفي آثار
الراغبين إلى الله تعالى واستخفوا بدنياهم ونظروا بعين الزوال وإن زوال نفسك

عند أخذ القوت منها منزلة المضطر إلى الميتة ولا يبتغي منها الكثار وآثر الاقتصار ولا
يفرح بما أقبل عليه منها ولا يحزن على ما زوي عنه منها قال الله سبحانه لكيلا تأسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فهذه الأخلاق لا يحتملها من سكن حب الدنيا في
قلبه وإنما يحتملها الزاهد الذي زهد فأول درجة الزاهدين أن الله تعالى بغض الدنيا التي
هي ظلمة القلوب وحجاب لوائح الغيوب والحاجزة بين العبد والمحبوب فيفقد بغضها
يستحقر الشيء ويتجلى للقلوب النقص فإن كانت الدنيا من قلب العبد بعوضة حتى
لا تعدل عنده فيه جناح بعوضة فقد وضع قدمه في أول درجة من درجات الزاهدين
فيبلغ العبد بمعرفة الله فيما أفرقته يراه في بعض دنياه ويقبل على آخرته وينزل بنفسه
منزلة الذل والصغار فيكون حاله ما بين الخوف والرجاء محتقرا لأن تزول النعم فيقنط
والخوف أمن وأهل هذا المقام يكونون في البكاء بها وتعزية من خوف الذنوب وفضائح
العيوب ثم يرقون إلى سلامة الصدور وطهارة القلوب فيرغبون في الثواب الجزيل
في المنزل الكريم في جوار الملك الرحمن وأهل هذا المقام يكون همهم في خشية
الله ويطمعون في رحمة الله سبحانه وهذا مقام أهل الخشية ثم يرقون إلى
حب مولاهم فيبغضون دنياهم وأخراهم ويعزلون همتهم عن غير المحبوب ويستغرق
فوقع في معرفة المحبوب وهذا مقام أهل المحبة وأهل هذا المقام تحول عندهم
المقادير فيرون في جنب كل محنة نعمة وفي جنب كل نعمة شكرا فالمحبة لا تنقطع
والنعم لا تشغلهم وأهل هذا المقام يكثر عليهم الغشي والصعق ولا يجدون للدموع
سبيلا ولا يرون في الوجود إلا الله سبحانه وتعالى انتهى كلام الشيخ أبي القاسم
الجعاني رحمه الله تعالى ثم قال بعد هذا الكلام بأسطر كثيرة ما نصه فإذا اجتمعت
في العبد ثلاث خصال تفجر العلم من قلبه وظهر على لسانه وهي الزهد والإخلاص
والتقوى فإذا تزيا العبد بزي المخلصين والزهاد والمتقين ولم ينبع العلم من قلبه
على لسانه فهو غير صادق فيما تزيا به ونسب نفسه إليه فالعلم الذي ينبع من
القلوب على لسان لا يدرك إلا بالاجتهاد في جدهم وكيف يدرك وهي في الكتاب
والسنة أصله قال الله سبحانه واتقوا الله ويعلمكم الله وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه وقال إذا زهد العبد في الدنيا ورث ثلاث خصال غنى من غير عشيرة

وغنى

وغنى من غير مال وعلم من غير تعلم وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى امراء
الاجناد احفظوا من المطيعين ما يقولون فانها تتجلى لهم امور صادقة فالعلم يتعرى ه
كدورة حب الدنيا والقصور على ما افتتح عليه ابناؤها معالجة لكدورة العلم المجعول
في القلب كمع الحديد يجمع الابدار رغبة في الابدار وبلا مطمع في ميلها للابدار الا مستوفيه
والاجتهاد والتعلم في العمل والصبر على صعوبة خدمتها وكذلك لا مطمع في العلم الذي
ينبع من القلوب ويفيض على اللسان الا بعد معالجة القلب بالاعمال وهي التي يصلح لزوال
درنه ورانه ويكشف حجب ظلمه من كدراته وليتنبه من قسوته ويخلصه من
وسوسته ووساده من هونه وقربه من بعده وصلها ملمته لوبد ومن جملة العلل التي
تشين القلب ويستحق لمعالجته زوالها الكبر والحسد والغضب والرياء والسمعة والمحسن
والجاه والثناء وعلو المنزلة والطمع والحرص والقسوة والمداهنة في الحق والحقد والعجز
وحب المدحة وكراهة المذمة فهذه جملة من علل القلب وحجبه وكل ما عددناه من هذه
العلل وطالح فصول راجع الى اصل واحد وهو حب الدنيا لان فيها عنه يتفرع كل شيء وعنه
يتشعب عنه كل قبيح وعنه يتاتى كل جارحة كل عاقل استشعرته نفسه وملكته
شهوته وقاده حرصه فاذا اراد تطهيره العلل التي ذكرت للطهر الصرف والاخلاص من
والتواضع والحلم والورع والقناعة والزهد والصبر والرضا والانس والمحبة والشوق
والتوكل والخشية والحزن وقصر الامل وفراغ النية بالعمل وينبع العلم من القلب وينبع
الجد ويضيء القلب بنور اليقين وتذهب البطالة وتنبلج الليالي وترسخ المعرفة فيه
وينشرح اليقين ويتقوى العلم وتبدو الفراسة ويكشف له عن كل الصفا وتتجلى الاسرار
وتنفجر العوائد وتنفتح ابواب الملكوت هذا المقام تصير القلوب ينابيع الحكمة
وخزائن للعزة ودرايته الحكمة تنمحي اثر نفسه وتنشر الهيبة ويغني كل ما يتاتى
ادراكه ببصره او بصيرته وتتجلى لوامع الغيب وتهب رياح الغيبة صرمة العز والى هذا
المعنى الاشارة بقوله عليه السلام حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات
وجهه كل شيء ادركه بصره ولذلك قال قائلهم • اشتاقه فاذا بدا • اطرقت من اجلاله • بوام
لا خيفة بل هيبة • وصيانة لجماله • الموت عند تجلده • وان طاب خياله • انتهى من فهم
العارفين للشيخ ابي القاسم البجائي رضي الله تعالى عنه الثالثة قال الشيخ ابن
عطاء الله رضي الله تعالى عنه فلقد قلت لشيخي ابي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه

قال رأيت الصديق في المنام فقلت له أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب فقلت لا أدري

فقال علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد

انتهى وقال الشيخ أبو العباس رضي الله تعالى عنه رأيت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى

عنه في النوم فقلت يا أمير المؤمنين ما علامة حب الدنيا فقال خوف المذمة وحب الثناء

فإذا كان علامة حب الدنيا خوف المذمة وحب الثناء فعلامة الزهد فيها أن لا يخاف المذمة

ولا يحب الثناء انتهى من لطائف المنن لابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه الرابعة قال الشيخ

أبو طالب المكي في قوت القلوب له رضي الله تعالى عنه ذكر الله تعالى في كتابه أن الدنيا

سبعة أشياء وهو قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير

ثم قال في آخر ... ذلك

المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا

بوصف حب الشهوات من ثم نسق الأوصاف السبعة على الحب لها ثم أشار إلى البعيد

بقوله ذلك إشارة إلى الكلام كناية عن المذكور المتقدم المنسوق بين ذا والكلام

للتكثير والتوكيد لتحصل (?) تبيين الخطاب جملة الدنيا وأن الدنيا هي هذه الأوصاف السبعة

وما تفرع من الشهوات زائد إلى الأصل من هذه أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا

وجاء من ترجمة الخطاب إلى الحاجة في هذه المطالب الجسم سميتها (?) من الدنيا إذ كانت الدنيا

من الشهوات والشهوات ما زاد على الحاجة من كل شيء وفي الإسرائيليات أن إبراهيم

الخليل صلوات الله على نبينا وعليه سأل من صديق له شيئا يستقرضه فلم يقرضه شيئا فأوحى

الله إليه يا إبراهيم لو سألت خليلك لأعطاك فقال يا رب قد عرفت مقتك الدنيا فخفت أن أطلب

منها شيئا أن تمقتني فقال له ليست الحاجة يا إبراهيم من الدنيا ثم قد ذكر هذه الأوصاف

الشيخ في مكان آخر في خمسة معان فقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر

بينكم وتكاثر فهذه الخمسة وصفها من أحب تدعو (?) الشيخ ثم اختصر الخمسة وجمعها في

وصفين منهما جامعين للسبعة فقال تعالى إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الاثنين

إلى وصف واحد وعبر عنه بمعنيين فطرق (?) الدنيا ترجع إلى شيئين جامعين مختصرين يصلحان أن

يكون كل واحد منهما هو الدنيا فالوصف الواحد الذي رد الاثنين إليه اللعب واللهو

أن رجع الشيخ فيه فقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ولما كانت

الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا لأن النهي عنه ضد لأنها (?) ومن نهى نفسه فإنه

لم يؤثر الدنيا وإذا لم يؤثر الدنيا فقد نهى الهوى فكانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي

لمن نهى النفس عن الهوى. فالإيثار للدنيا مضادة الدنيا من طاعة الهوى وطرفه قوله
تعالى ونهى النفس عن الهوى فنفس الدنيا فينبغي أن يكون الزهد من كل شيء من الأموال مخالفة الهوى
والأبدال والحظ كالتنعم والشعر وأما المخفي آخر الذي عبر به هو عن الوصف الذي
هو الهوى فيحصله دنيا أيضا فموجب البقاء هو حظ النفس وذلك استتبع لطلب من
قوله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب فالقتال هو فراق الحياة الدنيا
لأن المسمى بالشيب إلى الشيب والبقاء إلى الشيبين فلولا هذا البقاء إلى وقت آخر
وهو أجل للدنيا بالموت لا القتل وهذا هو حب البقاء بعينه فإنه هو الدنيا فقال قل متاع
الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فإنه كشف الناس وافتضح المنافقون وابتلي المومنون
عند فرض القتال ومدح المحبوبين الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وعند هذا
ربح الذين ملكهم أنفسهم وأموالهم فباعوها وخسر الذين ملكهم الحياة الدنيا بالآخرة يشترون
لما قال الله تعالى إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل
الله فلما اشتراها باعوها وقال تعالى في المشترين الخاسرين الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة
يعني رغبوا في البقاء الأدنى لما اشتروا ولم يتبع البقاء الآخرة إذ باعوها فمن اشترى
ثلاثين سنة في الدنيا بالعهد والبقاء الأبد فقد ربحت تجارته وما اشترى سبيله فهو التجارة من ربح
في حياة الدنيا ما اشتراها ببقاء الأبد وقد فرط في بيعه الحياة العالية مما استبدل بذلك ما اشترى
وصرح باجزائه في قوله تعالى اشتروا الحياة الدنيا أي باعوا الحياة العليا وذلك أول
تجارة من باع حياة نفسه وبقي في مجموع ماله فاشتراه الله منه محضوضا دارا وأسكنه
عنده فقد ربحت تجارته وهذا سبيله لما باع حياة عشرين سنة أو ثلاثين سنة بحياة
الأبد الأبد فهذا ربح تجارة الآخرة للزاهدين وذلك خسر تجارة الدنيا للراغبين في الهوى ف
فشتان بين التجارتين في أعظم حسرة   من خسر ما ربح الزاهدون بعد الموت انتهى
كلام الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه فصل قال بعضهم فإذا كان حب البقاء
هو الدنيا فينبغي أن يكون حب لقاء الباقي هو الزهد فيصار الزهد في الدنيا هو الزهد
في الباقي عن زهد في الحياة الفانية في ماله المجموع والجهاد بالنفس ولا النفقة في سبيل الله
فقد زهد في الدنيا ومن زهد أحبه الله كما قال صلى الله عليه وسلم انتهى من قوت القلوب
ومعاملة المحبوب **قلت** وقد جاء آثار كثيرة في فضل الزهد والترغيب فيه
فمنها ما رواه أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من زهد في الدنيا أدخل الله

الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وبصره داء الدنيا ودواها واخرجه منها سالما الى
دار السلام انتهى وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة من كان
قدام الله عليه من الدنيا وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق محمد وآل محمد
قوتا يوما بيوم وقال صلى الله عليه وسلم لا يعذب الله عبدا جعل رزقه في الدنيا
قوته وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان رزقه في الدنيا
قوتا وقنع به وفي لفظ اخر وصبر وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد غني ولا
فقير الا ود في القيامة انه كان رزقه في الدنيا قوتا وعنه صلى الله عليه وسلم اللهم
من احبني واجاب دعوتي فاقلل ماله وولده ومن ابغضني ولم يجب دعوتي فكثر
ماله وولده واطل عمره وكانت هذه دعوة الصحابة بما من مقتوه وزيادة
الحكم نقصان الدنيا زيادة في الآخرة وفي الحكمة ما اعطي من الدنيا شيئا الا نقص من درجته
في الآخرة وان كان عند الله كريما وقال صلى الله عليه وسلم من يسر موتى عن كسبهم كلف يوم
القيامة ان يحمله وفي الحكمة كل نفقة يوجد لو تخلص الا ما انفق في الماء والطين
وعن بعض السلف اذا مقت الله عبدا سلط عليه الماء والطين وآثار في هذا الد
كثيرة تكاد تخرج عن حد الحصر وبالجملة فحال شيخنا سيدي محمد السنوسي رضي
الله تعالى عنه في الزهد في الدنيا والاعراض عنها وعن اهلها مشهور عند الخاص والعام
وكتبه تنبيه على هذا المحشوة بالحكم والتي يقع على التزهيد فلا نحتاج الى
مزيد نسأل الله ان يوفقنا لاتباع طريقته وان يميتنا على كلمة التوحيد وان يكفينا
شر انفسنا وشر كل جبار عنيد وان يجمعنا مع احبابنا في مستقر رحمته بجاه سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عدد خلقه ورضى نفسه ومداد كلماته واما
مواعظه رضي الله تعالى عنه ونصائحه فلا تكاد تحصى وما جاء انكار يقرع الاسماع
بمواعظه تقشعر منه الجلود وتلين له القلوب كان من حضر مجلسه الشريف يقول
هو يتكلم وايدينا ... كانت جل مواعظه في الخوف والمراقبة وذكر الموت
واحوال الآخرة من الحشر والنشر والصراط والميزان والوقوف بين يدي المولى تبارك
وتعالى وذم الدنيا وصفاتها وما اعد الله لاهلها من السلاسل والاغلال والزبانية
الغلاظ الشداد ومقامع الحديد وثياب القطران ومقطعات النيران ونحو ذلك
من امور الآخرة وهكذا كانت مجالسه ومواعظه اللينة ومواعده الحسنة.

وزيادة الدنيا نقصان في الآخرة

ومن مواعظه

وهذا

ولهذا المجلسة افضل واجل من سائر المجالس لسر فيها الآمرة الحلم اللساني الذي لا يدين حبر
دا انسان شا فسرته به قلبه وعلى تعززه ان يقع فيهم أشيء من المواعظ وانه لا ينبغي
لها احد بالله ولا سمعه بما يقول الانسان ويحول بالتي هي الا المواعظ ليسكنه وواحد الى
الا من عدم صدقهم واخلاصهم وعدم العمل فتنقضي مواعظهم فلا ينتفع احد بمواعظهم ومن
تقدم ما قال الشيخ ابن عطاء الله حيث قال كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز
فلما كان كلام الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه انما يتكلم
به من صميم قلبه المملوء من تعظيم الله تعالى وتعظيم اوامره ونواهيه والتصرف فيه فتنقضها
ودايره في قلب كل من سمعه بخلاف مواعظ غيره من المدرسين لا عدم فيه لهذا المعنى
طار كلامهم لا يرجى الى القلوب لانه حرك كلامهم فالسانه فلا يتجاوز الاذان ونظير هذا ما
اتفق للشيخ سيدي ابي مدين رضي الله تعالى عنه في ابتداء امره فانه لما اتى المشرق الى
مدينة فاس في حكاية كثيرة تذكر فيها محل الحاجة قال سيدي ابو مدين رضي الله تعالى عنه
سرت اليها فجئت الى فاس ولزمت جامعها ارغب في تحصيل احكام الوضوء والصلاة
ثم سألت عن مجالس العلماء فجئت اليها مجلسا بعد مجلس وانا لا يثبت في قلبي شيء
مما اسمعه من المدرسين حتى جلست الى شيخ كلما تكلم بكلام ثبت في قلبي وحفظته
فقلت من هذا الشيخ فقيل لي ابو الحسن ابن حرزهم فلما فرغ دنوت منه وقلت له حضرت
مجالس كثيرة فلم اثبت على ما يقولون وانت كلما سمعته منك حفظته فقال لي هم يتكلمون
باطراف السنتهم فلا يجاوز كلامهم الاذان وانا اقصد الله بكلامي فيخرج من القلب
قال سيدي ابو مدين فلازمته انتهى **قلت** فهذا هو السبب في قبول كلام
بعض المشايخ وتاثيره في القلب كالشيخ سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه
فانه اذا امر بامتثال اوامر الله تعالى او نهى لمعرفته عظمة نواهيه تعالى تجد لكلامه
وقعه حلاوة وقبولا فلا تجد مثلها في احد من اهل زمانه من الوعاظ ونود لو يفيض
الشيخ رضي الله تعالى عنه بكلمة ويجالسه ويحفظه لحسن كلامه وحلاوة خطابه النهار كله
فلا نشبع من سماع منطقه ولا من اوامره ونواهيه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به
فبالله الذي لا اله الا هو قد جلس بعض الناس بين يديه رضي الله تعالى عنه
والشيخ يقبل عليه بحسن كلامه ولذيذ خطابه وجميع اوامره ونواهيه لا يسمع ان لم
يكن معهما احد احسن ولا اشهى عنده من الذي دفعه فكلما اقبل الشيخ عليه

بل من يرا الخطاب ازداد محبته وتحكيم اجنابه ولم يتعلق قلبه بشيء الا به وبالمولى تبارك
وتعالى الكريم الوهاب وقد قال رضي الله تعالى عنه من برخا في عموم من اصحابنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم اهم الفقوا ابتشفي جليسهم ولقد ذا الغايل حيث قال

اجالسكم مع احبابي في فراقكم ... انعى بها الغم واستجلب الطربا
التي من الدنيا وزخرفها ... ومنها ومنها ذهبا

والادب من تادب باداب الشريعة المحمدية على سيدنا محمد الصلاة والسلام وتخلق
باخلاقها بظاهره وباطنه واما من لم يتادب بادابها وتخلق باخلاقها فمع وجها فمجالسته
ومحبته لا ينفع بل وبال الى ضرر محض في الدين لان الجلوس مع من لم يزكه الله ومن هو ولا
من يريد به العلم النافع منه فقد رضي الله تعالى عنه كما قال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله تعالى
عنه لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله. قال الشيخ زروق رحمه
الله تعالى انهاض الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو ما يدرك بالصحبة ومعنى الحال
المنهض ها هنا هو ان تكون همته متعلقة بالله تعالى ونفعه على المخلوقين لا يلجا
بحوائجه الا الى الله ولا يتوكل في امره الا على الله تعالى فسقط الناس من عينه فلا
يرى منهم ضرا ولا نفعا وسقط نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقتضي لها
حظا ويكون في احواله كلها جاريا على مقتضى الشرع وهذه صفة العارفين والمحـ
حبين ومحبته من هذا حاله وان قلت عباداته ونوافله مامونة الغائلة محمودة
العاقبة جالبة لكل ما يدرك بصحبته وبنوته لان الطبع يسرق من الطبع والنفس
مجبولة على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله ولا يشترط في المصحوب اتصافه بتلك الصفات
على غاية الكمال والتمام فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه ان يتصف منها بما يعوض حب
بعضها بحيث يكون اعلا منه حالا واصوب منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف
وكان شانه المعاملة بالظاهر اعني فليس له ما يدرك في صحبته بل ربما زادته شرا لان
خلطته تدعو الى التصنع له والتزين ويوديه ذلك الى كثير من عطب القلوب
وهي اشر عليه من معاصي الجوارح بكثير قال يوسف بن الحسين
الرازي رضي الله تعالى عنه لان القى الله بجميع المعاصي احب الي من ان القاه بذرة من
التصنع فيما خاف الله عليه التصنع في حاله من حيث رجاء الزيادة فيها قال
بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من تزيد عنده ببر ولا تنقص عنه بالـ

الاثم

يكون له وعليه وانت عنده سواء . ثم قال الشيخ ابن عباد بعد هذا ما سطره والحاصل
من هذه الصوفية في الشيء بحصول كمال الانتفاع للصاحب دون من عداه انهم من المنسوبين
الى الدين والعلم لانهم خصوا من حقائق التوحيد والمحبة بخصائص لم يبدها لهم
بها احد سواهم فاذا الله من تقرب الى المحبوب هو غاية الامال والمطلوب وقد قيل
من تخلق بخلائقهم لم يخل من خير ومنها من جلس على باب العطار لم يعدم الروائح الطيبة
فمن له الحضور والمجالسة في ظنه بالصحبة والمؤانسة وقد وصفهم بعض الفضلاء
فقال الصوفي من لا يرى في الدارين مع الله غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله قد سخر
له كل شيء ولم يسخر لشيء وسلط على كل شيء ولم يسلط عليه شيء يأخذ النصيب
من كل شيء ولا يأخذ النصيب منه شيء يصفو به كدر كل شيء ولا يكدر صفوه شيء
قد شغله واحد عن كل شيء وكفاه واحد عن كل شيء فانظر رحمك الله هذه الصفات
ما اعظمها واجلها واشد ما حال من اتصف بها وما اعزه في هذا الوجود نفعنا الله
بهم ورزقنا من بركاتهم ومن محبة امثالهم والقوم بجاه النبي يبرهن الحبيب مثلا يحصل له
بغيرها من فنون المجاهدة وانواع المكابدات حتى يبلغ بذلك الى ما لا يسعه عقل
عاقل ولا يحيط به علم عالم **قلت** نقلت ما نقلته من شرح الحكم لابن عباد
وقد تقدم جملة كافية في نوع الادب اول الكتاب وهذا كالتتمة ولنرجع الى ما كنا بصدده
من ذكر مواعظ شيخنا سيدي محمد الشنوسي رضي الله تعالى عنه **فنقول**
كان الشيخ رحمه الله ونفعنا ورضي عنه ونفعنا به كثيرا ما يحرض الناس على مخالفة
النفس والهوى وترك موافقتها على حظوظها ومن كلامه على ذلك الحديث حدثنا على ما قاله م
قصيدة سيدي احمد الجزايري رضي الله تعالى عنهما عن قول المصنف رضي الله تعالى عنه
في عيوب النفس حيث قال فخالفها مهما بدت منها تركته بذا استعان عليها كل مجد بعمل
قال رحمه الله تعالى في شرح هذا البيت ما نصه اعلم ان اصل المجاهدة وملاكها عملي م
فطام النفس عن المالوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الاوقات وللنفس
صفتان انهماك في الشهوات وتمنع عن الطاعات فاذا جمحت عند ركوب الهوى
وجب ردها بلجام التقوى واذا حرنت عند القيام بالمامورات وجب سوقها
على خلاف الهوى ويجمع هذا عدم مساعدتها على اغراضها وترك موافقتها على
حظوظها والى ذلك اشار المولف في هذا البيت وكانه قصد ان يشير به كيفية

وحاصل الكلام في بيع النفس جهاد النفس المأمور به في البيت الثاني
أنه إنما شرع في حاله بالكفار والحربيين لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا
وكلمة التوحيد هي السفلى وكذلك النفس لأجل أن تكون كلمة باطنها من النزعات
والحظوظ العاجلة المشغلة عن إخلاص العبودية لمولانا جل وعلا والقيام
بوظائف التكليف الذي أمر به هي العليا لأجل إبرامها وتعبها بتحصين الأجسام
وما يتعلق بها بعد أن تكون بساحة الأبدان وانفصلت بها اتصالا عليهم إلا
انفكاك عنه إلا بالموت موجب لأن الجهاد كل مؤمن تحقيق مرضاة الله تعالى كل أحد
النهوض بغاية قواه العلمية والعملية بجهادها وقتالها وفي مثل هذا
القتال الذي نزل في الحرب بساحة الأبدان وهو فرض عين على كل مؤمن مستطيع [illegible]
أما بين وغيرهما ويجب على المؤمن أن ينوي بقتال الجهاد ما ينويه من جهاد الكفار
ينوي فيه امتثال أمر الله تعالى بالجهاد في أهل النفس حتى تكون كلمة الله تعالى
من الأمر من إخلاص العبادة له في الظاهر والباطن والسر والعلانية وعلى كل
حال ورفض كل ما يشوش في الأمر العليا لأجل عملا واعتقادا وتعبدا
في جميع أجزاء البدن الظاهرة والباطنة وذلك لا يكون إلا بقتال النفس حتى تحمى
وتنقاد إلى الحق طوعا أو تغلبا وتستسلم لما دعاها إلى الاستعانة بها على
طاعة الله بشرط أن تكون من أرض من الذلة والهوان بحيث تنقاد لأحكام الإيمان
وتنعزم ويجيبها طوعا أو كرها ويكون ذلك بعد النجاة عليها بالتوبة ولا تقبل منها
عذرا ولا مماطلة وهي صغيرة لا تجترئ على ما تريد من الاستعانة بها ولا [illegible]
ولا ينظر لها حيلة تنفي الله ولا تنال بذلك عزا ولا قدرا عند المؤمن أصلا وإنما يرى
المنة في ذلك للمولى الكريم وحده إذ هو الذي ذللها له ومكنه من الاستعانة
بها على طاعته طوعا أو كرها مع شدة شكيمتها وعظيم كبرها ومعارضتها
بهواها وتسهلت أحكام الله تعالى وإذا المؤمن تبعها مع ذلك نفع عداوة
إذ يعلم أنها لو وجدت سبيلا إلى خروجها عن حد الأمر والزلة التي هي فيه
ورجعت إلى وطن أخلاقها الرذيلة لأهلكت الحرث والنسل وبين [illegible]
لا يتمكن المؤمن من الاستعانة بالنفس على ما يعينه من طاعة الله تعالى إلا أن
يغلبها وتكون عنده في الذلة وعدم الإجابة إلى حظ من حظوظها بمنزلة الدابة

التي

الشيء ذكرنا وأما من استعان بعمله على ما يحبه وهي عن درجة عنده وحظوظه فهو
قليلة وأو مرد ا مطاعه ونسوا تهم حسنة فإنها تهلكه ولا ينتفع بشيء من عمله
في الغالب وللتوفيق لا استعانة بها في طاعة الله تعالى على ما ذكر في فرع المولف رحمه الله
تعالى المحمول لا بالإيمان بالحضور في قوله بل استعان عليها كان عمله أي بغلبها وعدم اجتنا
بها لحظوظها استعان على الانتفاع بها كان عمله **وفي رسالة القشيري**
عن ذي النون المصري قال ما أعز الله تعالى عبدا بعز هو أعز له من أن يدله على ذل نفسه
وما أذل الله عبدا بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه **قال إبراهيم الخواص**
ما هالني شيء إلا ركبته **قال محمد** بن الفضيل الزاهد هي الخلاص من أماني النفس
وقال أبو حفص النفس ظلمة كلها وسراجها سرها ونور سراجها التوفيق فمن لم
يصحبه في سره توفيق من ربه كانت ظلمة كلها وأراد بسرها ما فيها من الإيمان والتوحيد
لكن لا ينتفع به إلا بعد الخلاص من شرور النفس لا بتوفيق الله تعالى **وقال أبو**
عثمان رضي الله تعالى عنه لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئا
ولا يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الأحوال **وقال أبو حفص** ما أسرع
هلاك من لا يعرف عيب نفسه فإن المعاصي بريد الكفر **وقال أبو الحسن** ما
استحسنت من نفسي شيئا فاستحسنته **وقال** إذا أراد الله تعالى أن ينقل العبد من ذل
المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه فمن
أعطي له ذلك فقد أعطي خير الدنيا والآخرة وبالله تعالى التوفيق انتهى كلام الشيخ
رضي الله تعالى عنه وهو في غاية الحسن كان رضي الله تعالى عنه يعظ كلا بحسبه
في تشخيص داء السيء بفراسته ومكاشفته أنه لا يجمع حب الدنيا والاشتغال
بالله جميعهم ويقولون كما قال عليه السلام الدنيا جيفة قذرة ويقول الإنسان
يسوق الإنسان عن ربه ويترك جميع ما خلقه من أهل وولد ومال ودار وأرض وروض
وغير ذلك مما كان يملكه ويقول كيف يغتر الإنسان بشيء عارض يزول عن قرب وأنه
لا ينفع في هذه الدنيا الفانية التي هي دار الزوال إلا ما يبقى به الرضا من مولاه تبارك وتعالى
ويقول لو كان الإنسان عاقلا حقيقة لتأمل ما هو قادم عليه عن قرب وعظائم ..
وأهوال لا يستطيع سماعها فكيف بمباشرتها ولا ينظر بها **وقد روي** أن من
آخر ثمانية عشرة ألف سنة الهول الواحد من أهوال القيامة عشرة آلاف سنة والسيم بد

تلك الأهوال التي يعي حيث ولحظته في الحال على شغل حجر منها وهو لا يشعر
بها مع جهل خاتمته وانهواء أمره على فتنته فلا حرى أنه يلغى بهذه الأهوال
عن قريب عن غمومه وحزنه واستحقرها إن كان عاقلا وتزهد كل شاغل يشغله
من لذة وشهوة دنيوية **وسمعته رضي الله تعالى عنه**
يقول ما معناه جاء ولي من أولياء الله تعالى إلى بعض الملوك فقال له الأمير وقرره على سبيل
المباسطة ما أزهدكم تزهدون في الدنيا **فقال الولي** للأمير أنتم أزهد منا فقال له
الأمير ومن أين ذلك قال له لأن زهدنا إنما هو في الدنيا وزهدكم أنتم إنما هو في
الآخرة قال فلما اجتمعنا نتأمل الأمير على ما خاطبه به الولي موجز كلامه كأنه قال
أنتم الحمقى ونحن عقلاء لأنا زهدنا في شيء حقير لا قيمة له لفنائه ونحن زهدنا في
شيء قليل جدا لا قيمة له ليسارته وخسته ولا شك أن من بذل شيئا خسيسا
ليأخذ عنه عوضا لا قيمة له لشرفه هو الذي يقال له إنه عاقل حقيقة كما هو شأن
هذا الولي وغيره من الأولياء ومن بذل شيئا نفيسا لا قيمة له لشرفه في شيء
خسيس هو الأحمق حقيقة كما هو شأن هذا الأمير وغيره **قال الشيخ**
فانظر ما أبلغ وعظ هذا الولي وما أحسنه وما انطوى عليه كلامه الموجز
من نسبة الحمق والشح للأمير على وجه لا عتاب فيه ولا غلظ عبارة ومن نهج
أوصاله بأفصح عبارة وأيسر إشارة بسهولة ولطافة من غير أن يظهر عليه
صولة ولا منعوها أصلا **قال** وهكذا شأن العلماء العارفين الأخيار فيكون
مواعظهم تجد منها ليس تعوق الخلق إلى الله تعالى بعبارات لطيفة سهلة من غير
عنف ولا فهم ولا إضمار صلاح في العبارة على رموز لا يفصح ويغمض
فلا ينتفع الناس بكلامهم انتفاعا عظيما بخلاف من له نصيب من علم اللسان
نحوية وغيره يعبر بعبارات غليظة ويظهر الصولة والفهم على الناس لأنه
أمر عجيب وأنه أنهى نحو بحجب وربما إذا أراد تفهيم المخاطب أن ينهى رجلا عن
شيء لا ينفعه في حقيقته بل ربما خشي ذلك في الدنيا المسكين في محفل من الناس
فيبذله حيلة وشبه التشبه به قال وإن والدي من علماء الشو
ر رحمه الله تعالى ونحن أن يكون محمد بالحجارة لكثرة جفائه وغلظة عبارته
وإظهار الشماتة والفضيحة لأخيه المسلم أو كما قال رضي الله تعالى عنه

وقد

قلت وانشد ان القسم ربا وامن هو بين ادفسمين هو حال السنية

رضي الله تعالى عنه تجزكم بسوق الناس الى الله تعالى بسياسة ودعاية ولين وبحجج بحبي وتسلية لا تكلفي فيه بعمد الخاص والعام لا بعجزه

كلامه والمشرف به كما يفعله اهل الدنيا، والسلامة من التقاطع والانجماع والطولة
في كلامه بل نجده رضي الله تعالى عنه يتكلم بكلام سهل لين ولا يواجه احدا بسوء
ويجيبه بالخصوص بل يعظ الناس على الجملة فيسمع كل واحد من اهل مجلسه ما
هو عليه ويرجع بنفسه ويعرف انه المراد بشيء، ويستحي من نفسه ولا يرى لها قيمة بوجه

من الوجوه حتى يعود كل واحد من خواص مجلسه الى نفسه فيعيب تكلمه وادراكه لحظوظه وكل بعض ما يليق فيه مع الرتبة الشريفة من التحري فيها والاعراض

عنها

عنه كالنقدي ويعظ المتكبر على الغفلة بالنظر الى اصله الذي كان عليه من كونه نطفة قذرة
خسيسة في غاية الخسة قذرة في غاية الاقتذار والى ما يؤول اليه الامر من الموت
والصعود في باطن الارض وكيف ترجع ذاته التي كانت تتقعقع في الدنيا وكان ما اكله
وشربته جيفة بعد الموت انتن من كل قبيح فاذا نظر الانسان فيها يجدها مملوءة دودا
وترابا الى غير ذلك ويعظ المتعبد بعدم الاتكال على عبادته ويحذره من ان يرى العبادة
لنفسه اثرا وشعورا على غيره ممن لم يتعبد وان يكتم عبادته للناس ويقول
رضي الله عنه كثيرا في وعظه يعني ذلك المتعبد بالليل يسمع الخاص من قيام وتهجد
ويفعل افعال من لم يفعل الا من ذلك كانه ما رآه ويقول رضي الله تعالى عنه الذي يجهل
هذا الحال فهو عدو لله تعالى مرائي في عبادته فحسب انه تعبد وتنسك ويقول فيلزمك
لذا لا حتى يتكل عليها ويستحقر غيره بسببها ولم يدم عليها الا وهل وصل لهذه
تعلق بعبادته فعلا حتى يفتخر بها على خلقه ويرى لها اثرا ولنفسه مزية على غيره كيف
والخلائق لا يرى لنفسه شعورا ولا جميلا على الحق الا بثلاثة شروط الاول ان يكون هو
الخادم حقيقة اي هو الفاعل لها والمخترع لها الثاني ان يوصل المخدوم نفعا من خدمته
الثالث ان يكون حرا لا مملوكا فاذا توفرت هذه الشروط استحق ان يرى لنفسه شعورا
على المخدوم وهذه الثلاثة كلها منتفية في جانب مولانا جل وعز فكيف يفتخر على
غيره ويرى لنفسه شعورا ومقاما وهو مملوك لمولانا سبحانه وتعالى والعبادة التي
صدرت منه من خلقه تبارك وتعالى لا اثر له في اختراعها وهو لا يوصل بعبادته
لمولانا جل وعز نفعا ولا اثرا فكيف يفتخر ويرى لنفسه شعورا ويدعي لنفسه مقاما
يفضل غيره فاذا نظر الانسان في هذه الثلاثة وانها منتفية كلها في حق مولانا تبارك
وتعالى يقدر ما يعرف نفسه من عرف نفسه فقد عرف ربه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
الى غير ذلك من مواعظه رضي الله تعالى عنه فان قلت ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم
من عرف نفسه عرف ربه قلت ذكر الشيخ ابن عطاء الله رحمه الله ورضي الله تعالى عنه عن شيخه ابي
العباس المرسي رضي الله تعالى عنه في معنى الحديث تأويلين احدهما ان من عرف نفسه بذلها
وعجزها وفقرها عرف الله بعزه وقدرته وغناه فتكون معرفة النفس اولا ثم معرفة الله
من بعد الثاني من عرف نفسه عرف ربه اي من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على انه عرف الله

الله عز وجل من قبل ما لم يدرك ادراك الشئ الكلي والثاني حال العجز وبه انتهى من الطابع المنقول فإن قلت
ما حقيقة الكبر الذي تقدم ذكره قلت قال شيخنا وبركتنا الحسيني ومولانا محمد بن يوسف السنوسي
رحمه الله تعالى ورضي عنه في شرحه لقصيدة سيدي احمد الجزائري رحمه الله تعالى في قوله ابا لهم والكبر
فيه اعني الذليل من نطفة ببطن الانسان مبتداه ما نصه قلت وحقيقة الكبر رؤية شفوف
النفس على غيره من خلق الله تعالى ولوازمه العجب والعزة ونحوهما ولهذا قالوا كل من لم يقبل الحق
من الشرع بغيا والذي يرى في الناس شرا منه فهو متكبر قطعا ومن سمع كلمة حق فردها بل ابي
هواه فقد ردها على الله عز وجل ثم ان من تواضع ورأى انه قد تواضع فهو متكبر لان رؤية
التواضع لا يكون الا برؤية الشخص للنفس منزلا ووهمه عن مقام الاعلى قال الفضيل بن
عياض من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب وسئل عن التواضع فقال يخضع للحق
وينقاد له ويقبله ممن قاله وقيل لابي يزيد متى يكون الرجل متواضعا قال اذا لم ير لنفسه
مقاما ولا حالا ولا يرى في الخلق من هو شر منه وبنفسه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان
فقال رجل يا رسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا فقال ان الله جميل يحب الجمال ان
الكبر بطر الحق وغمط الناس احتقارهم بطر الحق اخفاؤه وغمط الناس احتقارهم وقوله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر يحتمل ان يكون اراد الكبر على الايمان
بدليل اخر الحديث ويحتمل ان يكون اراد به انه لا يدخلها مع السابقين بل حتى يأذن له الله تعالى
باهوال الموقف وكونه كالذر وبعضه الرعية ويكون اخر الحديث اشارة الى انه وان دخل في الوعيد
فلا بد ان يدخل الجنة ان مات ومعه اصل الايمان فيكون اول الحديث يرد على المرجئة واخر الحديث
يرد على الخوارج والمعتزلة ويحتمل ان يكون المراد التحذير من الكبر وانه قد يجر صاحبه سوء
الخاتمة وسلب اصل الايمان عند الموت فلا يدخل الجنة اصلا اذ لا يدخلها الا من معه اصل الايمان
كما اشار اليه اخر الحديث واعلم ان الكبر اصل خبيث في النفس تنشأ عنه خبائث كثيرة فلنقتصر
لعدم الاستيعاب ولها من جملتها الحقد وتتابع من سعة الرياء والغضب والصلف ونحوها ومنها
الحسد والغيبة والرياء والسمعة وحب الجاه والمنزلة والتعنيف عند الموعظة واظهار التخشع
والتعقيد في قلب الطبيعة وعدم الانصاف من نفسه وثقل المشورة على كل من نصحه بالسمع
والاحتياج اليه في امر من الامور فانه يطلب لكبره كلاما وسلاما خاصا ومجلسا خاصا وطعاما خاصا

ولباسا

وقد اشار الى جملة ذلك على المتكبر على المذموم سرا وما امكنت منه وما اجرى الله في قلوب الخلق من
ان المتواضع على الحق منه في جميع ذلك وروى ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يعلف البعير ويقم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع
الخادم ويطحن معه اذا اعيا وكان لا يمنعه الحياء ان يحمل بضاعته من السوق الى اهله وكان يصافح
الغني والفقير ويسلم مبتدئا ولا يحقر ما دعي اليه ولو الى حشف التمر وكان هين المؤونة
لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس
متواضعا من غير مذلة جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم لم يتجشأ قط من
شبع ولم يمد يده الى طمع وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعود المريض ويشيع الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني
قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف من ليف وعن عروة بن الزبير رضي
الله تعالى عنه قال رايت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعلى عاتقه قربة ماء فقلت يا امير
المومنين لا ينبغي لك هذا فقال لما اتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فاحببت
ان اكسرها ومضى بالقربة الى حجرة امراة من الانصار فافرغها في انائها ورئي ابو هريرة
رضي الله عنه وهو امير بالمدينة يمشي فيها وعلى ظهره حزمة حطب ويروى انه تقاول ابو ذر
وبلال رضي الله عنهما فعير ابو ذر بلالا بالسواد فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا ذر انك امرؤ فيك جاهلية ما علمت انه بقي فيك من كبر الجاهلية شيء او كما
قال صلى الله عليه وسلم فالقى ابو ذر راسه على الارض وحلف لا يرفع راسه حتى يطأ بلال خده
بقدمه فما رفع حتى فعل بلال ذلك رضي الله عنهما وقال ابراهيم بن ادهم ما سررت في
اسلامي الا ثلاث مرات كنت في سفينة وفيها رجل مضحاك يقول كنا ناخذ العلج في بلاد الترك
هكذا وياخذ بشعر راسي ويهزني لانه لم يكن في تلك السفينة رجل احقر في عينيه مني
والاخرى كنت عليلا في مسجد فدخل المؤذن وقال اخرج فلم اطق فاخذ برجلي وجرني الى الخارج
والثالثة كنت بالشام وعلي فرو فنظرت فيه فلم اميز بين شعره وبين القمل لكثرته فسرني
ذلك وفي حكاية اخرى عنه ما سررت بشيء كسروري يوما كنت جالسا فجاء انسان وبال
علي وقيل مشى عبد الله بن محمد بن واسع مشية لا تحسن فقال له ابوه رضي الله تعالى عنه تدري
بكم اشتريت امك اشتريتها بثلثمائة درهم وابوك لا اكثر الله في الاسلام مثله وانت تمشي

وانتقضني لنزق المشية وقال الفضيل بن عياض لشعيب بن حرب وهو في الطواف يا ابا صالح
ان كنت تظن انه شهد الموسم شر مني ومنك فبئس ما ظننت وعن سفيان الثوري رضي
الله تعالى عنه انه قال اعز الخلق خمسة انفس عالم زاهد وفقيه صوفي وغني متواضع
وفقير شاكر وشريف سني وقال يحيى بن معاذ التواضع حسن في كل احد لكنه في الاغنياء
احسن والتكبر سمج في كل احد لكنه في الفقراء اسمج وقال الشبلي ذلي عطل ذل اليهود
وقال ابو سليمان من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة وقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما من التواضع ان يشرب الرجل من سؤر اخيه ومن تذكر انه من نطفة يعلم الانسان مبداه
ليزداد وانه يرى الشيخ لعلة الكبر يعود والعاد برحيج وورد وارد الشرع بذم وعقوبة
الله تعالى لصاحب الكبر ومقته له وحرمانه من كل خير دنيا واخرى عاما انقضى حياته وهو واري
العقل بان الممكنات كلها على حد السواء ما يقبله ادناها من اللوازم يقبله اعلاها لا فضل
لشيء منها على غيره بحسب ذاته وانما هو تعالى جل وعلا يفضل ما شاء بما شاء من غير استحقاق
شيء مزيد عليه من الفضل ثم هو سبحانه قادر ان يجعل الادنى في منزلة الاعلى والاعلى
في منزلة الادنى كما هو واقع كثيرا بالمشاهدة فكم مؤمن اصبح كافرا وكم كافر اصبح
مؤمنا وكم عزيز اصبح ذليلا وكم ذليل اصبح عزيزا وكم غنيا اصبح فقيرا وكم فقير اصبح غنيا
وكم كاس اصبح عريانا وكم عالم اصبح ناسيا وكم جميل اصبح ذميما وكم ذميم اصبح جميلا وكم
مبصر اصبح مضللا الافاق والجوب بالبلد وكم مضلل اصبح مخصبا الى غير ذلك مما لا ينحصر فالكبر
اذا رجح اذن في العقل بما يشهد به العقل المستقيم والشرع العادة ولهذا فالمولى يوجب
عليه قبل الشرع وما بعده متكبرا بان قلت اذا كان الواجب ان يحيى العبد شهود ما
لنفسه ولو على الكابر والكلف والعزة بل لا يرى اشرا منه جهلا وان حصل مقام التواضع
والانكار من آفة الكبر كما ذكرتم فقد وقع بسببه في آفة عظيمة هي اكبر الاباذا وارذلها
وهي كفران النعم بعد مرونها والشكر عليها ومن قال اذكروا يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين فقد اعتقها من التواضع على الخلاص من آفة
بر منح في مثلها وما هو اشد قلت لا يخفى على ذي قلب بعد التأمل ان مقابل الكبر هو المنافي
للشكر وان مقام التواضع هو الثاني المستلزم للاتصاف به وانه على قدر ما يحل القلب
من الكبر ينقص من الشكر وعلى قدر ما يحل فيه من التواضع يتصف به من الشكر ووجه

ذلك

في الاذا رأى النعمة نسبها لمن له الكمال في نفسه وجعلها مستحقة بسببه كان ذا امتنان زيادة
بطغيه في جهم عما ينسبها اليه انه تكلم في نفسه من ذكاء او تعب في درس او سهر لمطالعة او سفر في
لقاء مشايخ ونحو ذلك مما هو كثير مما نسمع في اهل الدعوى والحمق ممن ينتمي الى العلم وغيره
ومن كان على هذه الصفة كيف يقع منه شكر نعم الله تعالى على الحقيقة بل هو في عمى عن شكرها
كما حكى الله تعالى عن الكافر في قوله ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن هذا
بحسب الالهية والاستحقاق واما المتواضع الذي كان يرى النفس من حيث ذاتها شيئا وما
عليها شيء ولو على الجمادات والعذرات ونحوها لاستواء جميع الممكنات بالنسبة الى قدرة
الله تعالى واراه ان جميع ما اتاه الله من نعمة يفضله الله تعالى بها على بعض الممكنات كحياة
او سمع او بصر او علم او ايمان او نحو ذلك علم انه انما هو محض خلق الله تعالى وجميع كرمه لا علية
فيه لشيء منها البتة وان فقده له لا يكون محلا لها ولا خصه احدها مثل فقد سائر الممكنات
لها من حجر وجمادات وحيوانات بهيمية وغيرها فان الذي يفضله في الممكنات شرفه بان
يستحق نحو من الكمال لا لما يستحقه لذلك المحل وهذا المعنى الذي احضره هذا المتواضع هو شكر
في نفسه بل هو اعلاه، وفوائد هذا النوع من الشكر المذكور لا اعتقادا فيكون كافرا او احضارا
فيكون ما سبقنا فاما انه يقر للمتواضع المذكور في ذلك المعنى من قلبه ثمرات شريفة فان جميعها
المعتبر في الحياء من الله تعالى والخوف منه والاذعان في امتثال اوامره ونواهيه وترك الدعوى
والعجز لذلك مما يطول تفصيله الا ترى ان ابليس اللعين لما رأى النفس شيئا ولمحها ذاتيا
على آدم كفر نعم الله تعالى عليه التي كان يفتخر بذكرها امتثال امر الله تعالى بالسجود لآدم عليه
السلام والملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام لما انطووا بكمال المعرفة والتواضع وراوا
ان لا كمال لهم من حيث ذاتهم على احد من المخلوقات كسلهم آدم في كل ما هو فيه من النعم فهو
مجتلب من جهة الله تعالى ومحض فضله لا يستحقون معه على الله شيئا وهو القادر سبحانه
ان يرد ذواتهم المضيئة مظلمة بل يعدمها البتة ويرد الذوات المظلمة مضيئة كذلك
بغير في مراتبه لا معارض له ولا دافع عليه ولا حول عن قبضه ولا يسأل عما يفعل تبارك وتعالى فخضعوا
صلوات الله وسلامه عليهم فزادهم هذا التعرف الذي لهم نعم ما انعم عليهم تبارك وتعالى فوقعوا كلهم اجمعون
سجدا لآدم بنفس ما سمعوا الشريف امره جل وعلا وكل خطابه لهم بذلك ولهذا قال تعالى
لبني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم فاضاف النعمة اليه تعالى في الموضعين اشارة الى

فمقام التواضع فيه أنه يجب أن يرى المتلبس بالنعمة نسبتها إلى غيره وأنه لا استحقاقا منه لها
ألبتة بل هي نعمة مملوكة لله وحده أنعم بها عليه بمحض فضله تبرعا وتفضلا فكأنه نعم
أمره أن يرى ما تلبس من النعمة تلبس الفضة إلى أن ذكرها الله تعالى وهي نسبتها إليه وحده
لا لنفسه ولهذا قال جل وعلا وإني فضلتكم على العالمين ولم يقل إلا بفضلنا وقال أيضا
على العالمين إشارة إلى أنهم لا يستحقون شيئا من هذه النعم كسائر العوالم إذ أنهم من جملتها
وعلى حد السواء معها ولهذا أنكر على اليهود والنصارى قولهم في أنهم أبناء الله تعالى وتوهموا
أنهم بذلك حقيقون بما عبر عنه رد سبحانه عليهم وتسويته بغيرهم وقال تعالى وقالت
اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء. وسافر لما لا يكشف لك الغطاء عن بعض ما يتوهم من المنافاة
بين مقام التواضع ومقام الشكر على النعم ويوضح لك الضرورة أنه لا منافاة بينهما وذلك لو فرض ا نا
ملك من الملوك وهب لعبيده دارا في شأنها إذ أدبته لنفسه لا يبيت فيها إلا الشكر
ولا يحصل لها إلا لليالي ونحوها مما يجرونه مستويين بذلك مع الملك بعرفة لك الأرض
منها يجعل عليها حائطا عجيبا دائرا ورواقا نفيسا أعلاه خشبا منها أنواع العود والزعفران
وخلع نفيس الثياب ونحو ذلك وأباح لعبيده أن ينتفع بها الفضلة وعمد الأرض إذا مماثلة لها
وبل أشرف منها بحسب العادة باختيار أن جعلها محطا للأزبال والعذرات ونحوها مما
يتقذر بها وأحبها الذي أعطيته لدى العرض أن العبيد كلهم مستوون بالنسبة إلى الملك لا ينتفع
بواحد منهم نفعا ولا يتضرر به ضررا ما فإن كان العبد الذي خصت أرضه بأخصية من
البقاع والنعم ما فلا يغفلها بنفسه ولا في أرضه ورأى ويتضرر بها أن لا يشعر ۝
لنفسه على سائر العبيد أصلا ولا يرى نفسه من هو شر منه بل قد يرى نفسه شرا منهم لأنه على نفيس
من عيوبه ومع أنه قد شاهد ما فيه إلا فيما قد غاب عنه عيوب غيره وكذا أرضه لأن المالك نفسه شعورا
على سائر الأراضي أصلا ولا أنه يرى في سائر الأراضي ما هو شر منها بل تكون هي أرذل من سائر الأراضي
بحسب العادة ولا ينسب شيئا من تلك النعم إليه وهذا الملك بمحض الفضل أرفع الرفيعة ولا
يتوهم أن أرضه هي التي استحقتها ولا عاندتها ومعها فيها بوجه من الوجوه وإنما أنها العادة
لها السوء والعوائج ونحوها فإن أخطأ أن هذه الرؤية والمعرفة تحمله على غاية الشكر
والمحبة للملك لرؤية تلك النعم منه وحده بمحض الفضل لا بسبب من الأسباب ولا استحقاق فيه

حـ ..

ثم حيث خرج منه من سلب تلك النفع في كل الحطة اذ هو وغيره ممن سلب تلك النفع على حد السواء
وان كان في تلك العين التي حضر الملك ارضه ما خصها به من الزينة والنفع والانوار محل الغفل
باسم الادراك نسب تلك النفع الى ارضه ويتوهم انها اختصت وزادت على ساير الاراضي
بكمال او خاصية من انبات نحو العود والزعفران وغيرهما مما يعتبر على ظاهرها واخذت
يعظم ارضه ويحقر ساير الاراضي المساوية لها وهي احسن منها بحسب العادة او ينسب
تلك النفع الى نفسه واستحقاقه لذلك على الملك دون غيره ممن يعطاله فلا خفاء ان هذا
الهوس والاختلال الواقع من هذا العبد يخرجه عن اهل شكر الملك ومحبته ويحط له بحسب
قوة هذا الخلل في قلبه او ضعفه وذلك موجب لمقت الملك ونشر جناح العقوبة عليه ۝
وسلبه من تلك النفع حتى يرى الاحمق ما يليق به وبارضه فهذا مثال المتواضع والثاني
مثال المتكبر والمطابقة جلية لا تخفى على عاقل فافهم وبالله تعالى التوفيق انتهى كلام الشيخ
العارف بالله سيدي محمد السنوسي رضي الله عنه ونفع به وهو في غاية الحسن وانما ارخيت
هنا بكم الكلام لما احتوى عليه من مواعظ حسنة وفوائد جليلة وحكم وايمة جميلة لما تضمن الاعز
كمال المعرفة فهذا كانت مواعظه رضي الله تعالى عنه في مجالسه امرا به في كل علم ولا يخلو مجلس
من مجالسه من مواعظه الحسنة وعباراته اللينة السلسلة فيحصل للحاضرين ببركة حضور
مجلسه وبركة كلامه نفع عظيم دنيا واخرا وان يا اخي تجد في هذا الزمان الذي كثر شره
وقل في غاية الغفلة خيره من يعظك فضلا عن ان يزيل القساوة من قلبك بلين مواعظه بعض
الشيخ رضي الله تعالى عنه ولقد احسن الفقيه الاديب الاجل الكاتب السيد ابو عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن الهوزي حفظه الله تعالى في قصيدته التي رثا بها الشيخ رضي الله تعالى عنه حيث
قال مشيرا لمواعظه ومحاسنه رضي الله تعالى عنه حيث قال ۝

۝ من للعلوم على اختلاف فنونها ۝ يبدي لنا نكتا برونق حسنها وبهاها ۝
۝ من للقلوب اذا قست وتنافست ۝ تاتي مواعظ يذهب داءها ودواها ۝
۝ ماذا الامر خصالة النبي ۝ اعطاكها ربك له اعطا وهباها ۝ بعظه

وسنذكر القصيدة بكمالها في اخر الكتاب ان شاء الله تعالى ومن حضر في مولده ما كان الامر
خصايصه اي فانه لم يبق في هذا الزمان من يعظك فضلا عن ان يزيل الصدا والقساوة من
قلبك لبعده رضي الله تعالى عنه ونفعنا به ولقد جرا في ذلك كله على سنن رسول الله صلى الله

عليه وسلم وسنن الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله تعالى عنهم ومن رأيت أن أذكر هنا
شيئا من مواعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيئا من مواعظ الصحابة والتابعين
لهم بإحسان وشيئا من أحوالهم وما كانوا فيه من الجد رضي الله تعالى عنهم لعل نفوسنا تتعظ
به وتنزجر عن غيها وتقمع لحرصها آثارهم فإنا اليوم في قوم من يستعين الإنسان به في
دينه ويجتهد في العبادة اجتهاد الأولين بعد وفاة شيخنا ومولانا ومختارنا رحمه الله
تعالى ورضي عنه الآن نادرا في غاية الندور وإن يسمع به فضلا عن رؤيته فنتنقل إلى سماع
أحوالهم ومواعظهم كما نقلهم قبل هذا من كلام الغزالي رضي الله تعالى عنه في قوله فينبغي أن
ينتقل من المشاهدة إلى السماع في شيء المحصن من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم
وما كانوا فيه من الجهد الجهيد إلى آخر ما ذكر ولعل الله تعالى ينفعنا بها في هذا الزمان
الذي فقد فيه الشيخ رضي الله تعالى عنه أما وقت حياة الشيخ فكنا نستغني برؤيته حاله و
مواعظه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وبجميع أوليائه وبسم الله أول الشروع فيما جاء من ذلك
فنقول وبالله أستعين لا أنه خير معين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم روي عن ابن عمر
رضي الله تعالى عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ذرفت منها العيون
ووجلت منها القلوب فكان مما ضبطت منها أيها الناس إن أفضل الناس من تواضع عن
رفعة وزهد عن غنية وأنصف عن قوة وحلم عن قدرة وإن أفضل الناس عبد أخذ من الدنيا
الكفاف وصاحب فيها العفاف وتزود للرحيل وتأهب للمسير ألا وإن أعقل الناس
عبد عرف ربه فأطاعه وعرف عدوه فعصاه وعرف دار إقامته فأصلحها وعلم سرعة رحلته
فتزود لها ألا وإن خير الزاد ما صحبه التقوى وخير العمل ما تقدمته النية وأعلى الناس منزلة
عند الله أخوفهم منه انتهى الحديث الأول الحديث الثاني عن أبي سعيد رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث إما من شبهة
في الدين ارتكبوها أو شهوة للذة آثروها أو غضبة لحمية أعملوها فإذا لاحت لك شبهة
فاجلها باليقين وإذا عرضت لك شهوة فاقمعها بالزهد وإذا عنت لك غضبة فادرأها
بالعفو إنه ينادي مناد يوم القيامة من له أجر على الله فليقم فيقوم العافون عن الناس
ألم تر إلى منزلة تعلي من عفا وأصلح فأجره على الله الحديث الثالث عن عبد الله بن مسعود
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم تؤتى كل يوم

رزقك

وانت تطلب ما لا و بكيفية انت فيها تفرح وانت من عمرك كل يوم ينقص وتزيد وانت برزقك
بطمعك لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع الحديث الرابع عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه
قال قيل يا رسول الله من اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال الذين نظروا
الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها واهتموا باجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها
فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم فما عارضهم من نائلها الا
رفضوه ولا خادعهم من رفعتها خادع الا وضعوه خلقت الدنيا عندهم فما يجددونها
وخربت بينهم فما يعمرونها وماتت في صدورهم فما يحيونها بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم
ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم وينظرون الى اهلها صرعى قد حلت بهم المثلات فما يرون امانا
دون ما يرجون ولا خوفا دون ما يحذرون الحديث الخامس عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك
في الموتى واذا اصبحت نفسك فلا تحدثها بالمساء واذا امسيت فلا تحدثها بالصباح وخذ
من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك فانك
لا تدري ما اسمك غدا الحديث السادس عن كريب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض خطبه ومواعظه ايها الناس
لا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم ولا تؤثروا اهواءكم على طاعة ربكم ولا تجعلوا ايمانكم ذريعة
الى معاصيكم وحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ومهدوا لها قبل ان تعذبوا وتزودوا للرحيل
قبل ان تزعجوا فانما هو موقف عدل واقتضاء حق وسؤال عن واجب ولقد ابلغ في
الاعذار من تقدم في الانذار الحديث السابع عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جاهدوا انفسكم بالطاعة والبسوها قناعة الحياء
واجعلوا آخرتكم لانفسكم وسعيكم لمستقركم واعلموا انكم عن قليل راحلون والى الله صائرون
ولا تغني عنكم هنالك الا الاعمال الصالحة علم قدمتموه وحسن ثواب حزتموه انكم انما تقدمون على ما
قدمتم وتجازون على ما اسلفتم ولا تخدعنكم زخارف دنيا دنية عن مراتب جنات علية
فكأن قد كشف الغطاء وارتفع الارتياب ولاقى كل امرئ مستقره وعرف مثواه
ومنقلبه الحديث الثامن عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول واياكم وفضول المطعم فان فضول المطعم يسم القلب بالقسوة ويبطئ بالجوارح

عن الطاعة ويصم السمع عن سماع الموعظة والاباية وبطول النظر فانه ينبعث الهوا ويورث
الغفلة والاباية واستشعار الطمع بانه يشوب القلب بشرة الحرص ويختم عليها بطابع
حب الدنيا وهو مفتاح كل سيئة وسبب احباط كل حسنة **الحديث التاسع**
عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون امتي في
الدنيا على ثلاثة اطباق اما الطبق الاول فلا يحبون جمع المال وادخاره ولا يسعون اصناف
في اقتنايه واحتكاره وانما رضاهم من الدنيا سد جوعة وستر عورة وغناهم فيها ما بلغ الاخرة
اوليك الامنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون **واما** الطبق الثاني فيحبون جمع المال من اطيب سبيل وصرفه في
احسن وجوهه يصلون به ارحامهم ويبرون به اخوانهم ويواسون به فقراءهم ولعض احدهم على
الرضف اسهل عليه من ان يكتسب درهما من غير حله وان يضعه في غير وجهه وان يمنعه من حقه
وان يكون له خازنا الى حين موته اوليك الذين ان نوقشوا الحساب عذبوا وان عفي عنهم سلموا
الحديث العاشر عن انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يا معشر المسلمين شمروا فان الامر جد وتاهبوا فان الرحيل قريب وتزودوا فان السفر بعيد
وخففوا اثقالكم فان وراءكم عقبة كؤودا لا يقطعها الا المخفون **ايها** الناس ان بين يدي
الساعة امورا شدادا واهوالا عظاما وزمانا صعبا تتملك فيه الظلمة وتتصدر
فيه الفسقة فيضطهد الامرون بالمعروف ويضام الناهون عن المنكر فاعدوا لذلك
الايمان وعضوا عليه بالنواجذ والجأوا الى العمل الصالح واكرهوا عليه النفوس واصبروا
على الضراء تفضوا الى النعيم الدايم **الحديث الحادي عشر** عن ابي سعيد الخدري رضي الله
تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اي رجل يعظه ارغب فيما عند الله يحبك
الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس ان الزاهد في الدنيا يريح قلبه وبدنه في
الدنيا والاخرة والراغب فيها يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والاخرة وليجين اقوام
يوم القيامة لهم حسنات كامثال الجبال فيومر بهم الى النار **قيل** يا نبي الله امصلون
فقال كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل لكنهم كانوا اذا لاح لهم شيء من الدنيا
وثبوا عليه **الحديث الثاني عشر** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما اسكر حب الدنيا قلب عبد الا التاط منها بثلاث شغل لا ينفك
عناه وفقر لا يدرك غناه وامل لا ينال منتهاه ان الدنيا والاخرة طالبتان ومطلوبتان

فطالب

فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يأخذه
الموت بغتة ألا وإن السعيد من اختار باقية يدوم نعيمها على فانية لا ينفد عذابها وقدم
لما يقدم عليه مما هو الآن في يديه قبل أن يخلفه لمن يسعد بإنفاقه وقد شقي هو بجمعه
الحديث الثالث عشر عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أيها الناس اتقوا الله حق تقاته واسعوا في مرضاته وأيقنوا من الدنيا بالفناء
ومن الآخرة بالبقاء واعملوا لما بعد الموت فكأنكم بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل أيها
الناس إن من في الدنيا ضيف وما في يده عارية وإن الضيف مرتحل والعارية مردودة ألا
وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك
قادر فرحم الله امرأ نظر لنفسه ومهد لرمسه ما دام رسنه مرخى وحبله على غاربه
ملقى قبل أن ينفد أجله فينقطع عمله الحديث الرابع عشر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة قد
ترحلت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ويوشك أن تكونوا في يوم حساب
ليس فيه عمل وإن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلا من يحب وإن
للدنيا أبناء وللآخرة أبناء فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا إن شر
ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل فاتباع الهوى يصد قلوبكم عن الحق وطول
الأمل يصرف هممكم إلى الدنيا وما بعدهما شيء خير من دنيا ولا آخرة الحديث الخامس عشر
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ألا أريك الدنيا جميعا
بما فيها فقلت بلى فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها
رؤوس من الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم ثم قال لي يا أبا هريرة هذه
الرؤوس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم تصير عظاما بلا جلد ثم تصير
رمادا وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها وقذفوها
في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم ولباسهم فأصبحت
والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد
فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال أبو هريرة فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا الحديث السادس عشر
وهو آخرها عن قيس بن عاصم المنقري قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم

فقال لي اغتسل بماء وسدر ففعلت ثم عدت إليه فقلت يا رسول الله عظنا موعظة
ننتفع بها فقال يا قيس إن مع العز ذلا وإن مع الحياة موتا وإن مع الدنيا آخرة وإن لكل
شيء حسابا وعلى كل شيء رقيبا وإن لكل حسنة ثوابا ولكل سيئة عقابا ولكل أجل
كتابا إنه لا بد يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت فإن كان كريما
أكرمك وإن كان لئيما أسلمك ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه فلا تجعله
إلا صالحا فإنه إن كان صالحا لا تأنس إلا به وإن كان فاحشا لا تستوحش إلا منه وهو فعلك
انتهى قلت نظم بعضهم معنى هذا الحديث الكريم في ثلاث أبيات من الطويل فقال

تزود من الدنيا من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولن يصحب الإنسان من بعد موته ... إلى قبره غير الذي كان يعمل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

ولنقتصر على هذه الأحاديث فيها كفاية للمريد الباحث على الزهد والتجريد بل الكفاية
حاصلة من حديث واحد من غير مزيد لأن كل كلمة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي خص بجوامع الكلم تحتها من المعاني الفقهية والأحكام الدقيقة والأخلاق الشرعية
والأسرار المنيفة ما يعجز بعضها الأمة لو عقل وأدرسه نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى آله
صلاة تنقذنا بها من هول يوم الوعيد وأما موعظة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين — على موعظة الصحابة رضي الله عنهم
فأكثر من أن تحصى وقد أوردنا منها بعضها بحسب التيسير لأجل التبرك بكلامهم
وأبلغ موعظة رأيتها ما خطب بها سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يوما
وتسمى الخطبة ونها التي بين فيها علي رضي الله عنه فيها أنه لا يزري العالم وسبب
التزامه ذلك ما روي عنه أنه كان جالسا مع جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتذاكروا الحروف فأجمعوا أن الألف أكثر دخولا في الكلام من غيرها فقام علي رضي الله
عنه فخطبها على البديهة فقال حمدت وعظمت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت
رحمته غضبه وتمت كلمته ونفذت مشيئته وبلغت قضيته حمدته حمد مقر بربوبيته متنصل
من خطيئته معترف بتوحيده ومؤمل منه مغفرة تنجيه يوم يشغل كل عن
فصيلته وبنيه وشهدت له تشهد مخلص موقن وعظمته تعظيم عبد مؤمن ووحدته
توحيد معترف منه عن ليس له شريك في ملكه ولم يكن له ولي في صنعه جل عن مشير ووزير

وعن

ومعينه ونظيره علم فستر وملك فقهر وعصي فغفر وحكم فعدل لم يزل ولن يزال له جميع
خلقه شمل ليس كمثله شيء، وهو قبل كل شيء وبعد كل شيء، منفرد بعزته متمكن بقوته متقدس
بعلوه متنزه بسموه، ليس يدركه بصر ولا يحيط به نظر قوي منيع بصير سميع مقتدر
بديع حليم كريم رءوف رحيم عجز عن وصفه من يصفه وضل عن نعته من يعرفه يجيب دعوة
من يدعوه ويرزقه ويحبوه، ذو لطف خفي وبطش قوي رحمته موسعة وعقوبته موجعة
وشهدت ببعث محمد عبده ورسوله ونبيه وحبيبه وخليله وصفيه وصلى عليه صلاة
تحظيه وتزلفه وتعليه وتقربه وتدنيه بعثه في خير عصر وحين فترة وكفر رحمة لعبيده
ومنة لمزيده، ختم به نبوته ووضح به حجته فوعظ ونصح وبلغ وكدح فعليه رحمة وتسليم
وبركة وتكريم من رب غفور رحيم ووصيتكم جميع من حضرني بوصية ربكم وذكرتكم بسنة
نبيكم فعليكم برهبة تسكن قلوبكم وخشية تذري دموعكم وتقية تنجيكم قبل يوم يذهلكم
ويبليكم يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته وخف وزن سيئته ولتكن مسألتكم مسألة ذل
وخضوع وشكر وخشوع وتوبة ونزوع وندم ورجوع وليغتنم كل منكم صحته قبل
سقمه وشبابه قبل هرمه وفرغته قبل شغله ويسره قبل عسره وحضوره قبل سفره
من قبل كبر يضعفه وهرم يذهبه ووجع يولمه ومرض يسقمه فيمله طبيبه ويعرض
عنه حبيبه وينقطع فعله ويتغير عقله قبل موته ثم هو موعوك وجسمه منهوك
قبل جد في نزع شديد وحضور كل قريب وبعيد قبل شخوص بصره وطموح نظره
ورشح جبينه وخطف عرنينه وسكون حنينه وجذبت نفسه وحفر رمسه وبكت
عرسه ويتم ولده وتفرق عنه عدده وقسم جمعه وذهب بصره وسمعه ولقن ومدد
ووجه وجرد وغسل وعري ونشف وسجي وبسط له وهيئ ونشر عليه كفنه وشد
منه ذقنه وحمل فوق سرير وصلي عليه بتكبير ونقل من دور مزخرفة وقصور مشيدة فجعل
في ضريح ملحود ضيق مرصود مسقف بجلمود وهيل عليه عفره وحثي عليه مدره
وتحقق حذره ونسي خبره ورجع عنه وليه وشقيقه وصفيه وشفيقه ونسيبه
وقريبه وتبدل حبيبه فهو حشو قبر ورهين قفر يدب في جسمه دود قبره ويسيل
من بدنه على صدره ونحره ولتسحق تربته لحمه وينشف دمه ويرم عظمه حتى ينفخ في
صوره ويحيي لنشوره، فثم بعثرت قبوره وجيء بكل نبي وصديق وشهيد ونطق

ووقف للعرض وقد يجد بعبادة خبير بصير في موقف مهيل ومشهد جليل بين يدي
ملك عظيم بكل صغيرة وكبيرة عليم فيلجمه عرقه ويحصره قلقه وتنشر صحيفته وتبين
جريرته ونطقت عينه بنظرته ويده ببطشته ورجليه بخطوته وفرجه بلمسه
وجلده بمسه ويهدده منكر ونكير وكشف له حيث يصير فسلسل جيده وضنو ربه
وغل ملكة يده وسيق يسحب وحده فورد جهنم بكرب وشدة وظل يعذب في جحيم
وسقي شربة من حميم وتضربه زبانيته بمقمع من حديد ويعود جلده بعد نضجه بجلد
جديد يستغيث فيعرض عنه خزنة جهنم ويستصرخ ما ادركا فلم ينفعه ندمه
ويحسر حين زلت به قدمه نعوذ برب قدير من شر كل مصير ونسأله عفو من رضي عنه
ومغفرة من قبل منه فهو ولي مسألتي ومنجح طلبتي فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل
في جنته بقربه وخلد في قصور مشيدة وملك حور عين وحفدة وطيف عليه بكؤوس
وسكن حظيرة قدس ولبس غير ملبوس ودام تقلبه في نعيم وسقي من تسنيم وشرب
من عين سلسبيل قد مزج بزنجبيل وختم بمسك مستديم ملكه مستشعر حبوره يشرب
من خمور ليست تنزف وليست تغور فهذه منزلة من خشي ربه وحذر نفسه وتلك
عقوبة من جحد مشيئته وسولت له نفسه معصيته لهو قول فصل وحكم عدل وقصص
ووعظ نص تنزيل من حكيم حميد نزل به روح القدس من عند ربه على نبي مهتد مكين
ورسول سيد زكي صلت عليه رسل سفرة مكرمون بررة ونعوذ برب عليم كريم من شر عدو
لعين رجيم وليتضرع متضرعكم وليبتهل مبتهلكم وليستغفر رب كل مربوب لي ولكم انتهت
خطبته رضي الله تعالى عنه وعن سائر الصحابة وروي انه رضي الله عنه لما ماتت فاطمة رضي الله
تعالى عنها سمعات ثوبها بكى حتى جرت دموعه فقال

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الممات قليل
أرى علل الدنيا علي كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل
وإن افتقادي واحدا بعد واحد ... دليل على أن لا يدوم خليل

وقال رضي الله تعالى عنه وعن سائر الصحابة اجمعين من غير الالف الا ايها الموت الذي ليس تاركي
أرحني وقد أفنيت كل خليل ... أراك بصيرا بالذين أحبهم ... كأنك تنحو نحوهم بدليل
ولما تفجر بيده رضي الله تعالى عنه من زاب فيرها تمثل بعزل بعض ذي ضب

حيث

ق أمراً فيه فاضت دموع عيني شهية * فإن الأرض نفعاً والأخلاء تذهب ه
ق أخلاء لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الموت معتب ه

وقال الأستاذ أبو بكر الطرطوشي في سراج الملوك ولما ضرب ابن ملجم عليا رضي الله عنه أدخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق فدعا أولاده الحسن والحسين ومحمدا فقال أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل على الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون العافية من أبصر عيب نفسه يشتغل عن عيوب غيره ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ومن كشف حجاب أخيه كشف عورات بيته ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن أعجب برأيه ضل ومن جالس العلماء وقر ومن خالط الأنذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين يا بني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلا عن ذكر الله وواحد في ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يا بني لا شرف أعز من الإسلام ولا كرم أعز من التقوى يا بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله انتهى وقال سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني وثلاث أحزنتني حتى أبكتني أما الثلاث التي أضحكتني فمؤمل دنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك بملء فيه ولا يدري أساخط عليه رب العالمين أم راض عنه وأما الثلاث التي أحزنتني حتى أبكتني ففراق محمد صلى الله عليه وسلم وفراق الأحبة أصحابه والوقوف بين يدي الله تعالى ولا أدري أيؤمر بي إلى الجنة أم إلى النار وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ويل لمن كانت الدنيا أمله والخطايا عمله عظيم بطنته قليل فطنته عالم بأمر دنياه جاهل بأمر آخرته وقال ما كانت الدنيا همه أحد إلا لزم قلبه أربع خصال فقر لا يدرك غناه وهم

ما يبقيهم سراه وتشغل ما يتبعهم اولاه وعمر ما بورك منتهاه ، ولما دخل ابو الدرداء رضي الله
تعالى عنه الشام قال يا اهل الشام اسمعوا من اخ لكم ناصح فاجتمعوا عليه فقال ما لي اراكم
تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا واملوا بعيدا
وجمعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا وجمعهم ثبورا ومساكنهم قبورا ووعظ الحسن بن الحسين
رضي الله تعالى عنه يوما فقال كانكم بحبال الله التي قبلها واحد الوالي ونشر عليها تركتم الذكر
وعملتم بالاعمال الخاسرة وخلفتم بالاعمال الفاجرة فضعف يقينها وكثرت ذنوبها وظهرت
عيوبها وانخسفا الرمق ابدا وبعدت امالها وتمادت في طغيانها اذ نبذتم الامانة واظهرتم
الخيانة واخذتم نعم الله بغفلة الشكر المليح الامل ومرضتم العمل حتى اتاكم الاجل انما
خلقكم لتعبدوه ورزقكم لتشكروه وانذركم لتخافوه ودعاكم لتجيبوه وندبكم لتطيعوه
وامهلكم لتستغفروه وحذركم لتخافوه لئلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل استعملتم
الريبة وشكرتم الغيبة وبطلتم كل عجيبة وعظمتم في ايديكم المصيبة فلا تم حرفا ذكر
ومنعتم زكاتكم واكثرتم سبابكم ورضيتم في المعروف ولم تغيثوا الملهوف وقطعتم ذكركم
بالنوادر وسعدتم اعمالكم بالهاون بسبوب ولغو وغلس ونسيتم العرض على الله والوقوف
بين يديه غدا واتبعتم الشهوات ولزمتم السيئات واستغنيتم بالتجارات وتركتم
الجماعات وصليتم في غير الاوقات ورفعتم في المساجد الاصوات ولم تراقبوا اله السموات
جبار جبابرة واعظم زاجر وما نابكم ذلك من الحمل وخاب السعي وعلى مرجعكم نتعبر منه وحذران
تركتم ما وعدكم واتبعتم ما وعد الشيطان وعصيتم الرحمن فبركتكم الزلازل واورثكم
الخبل وفسدت القلوب وانهمكتم في كسب الذنوب وستر بعضكم على بعض العيوب وجمعتم
الاموال من الحرام والحلال وركبتم في طلبها البحار وعملتم بعمل اهل النار وخالفتم
الملك الجبار ان نهيتم جحدتم وان ضيق عليكم غضبتم وان بين لكم الحق رددتم وان وعظتم
نكصتم تنبيتم القدور وان خبيتم الستور وشربتم الخمور وعملتم عظائم الامور وغركم
بالله الغرور فجهزتم فترك الدار ورا وسنتم كنوز قبيرا لرد يوم القيامة فخذوا من الدنيا
ما تبلغكم به دار غرور قبل ان تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وان كنت
لمن الساخرين او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان
لي كرة فاكون من المحسنين مفترو الله يا ابن ادم جاءك النذير وخوفك التنزيل وبشركم

بعفوه

بقبول التوبة وغفران السيئة فحتى متى تغترون وتشغلون بالدنيا كأنكم لا تشعرون وتضحكون
ولا تبكون كأنكم لا تعقلون وفي الدنيا من موعظة لو صادفت اذنا سامعة ونفسا زاكية حيية
بأنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وأنه لمجاز بمثاقيل الذر من الخير والشر
فيا لها لا تتذكر ايها المغرور وعند انطمست السبل وتحير الدليل وحان منك الرحيل وختم
على العباد بالفناء فلا يقبل توبة التائب الا بالبقاء فحل وعلى حملوا الدنيا على ظهورهم وتركوا الافراح
تحت اقدامهم فيما ارتاب في عرصات الموقف اجمعين وفي ظلمات القيامة متحيرين وكلهم من هول
ذلك اليوم خائفين واجتمع كل العالم في صعيد واحد يسألهم عما جاءت به الرسل وانزلت به
الكتب فاذا انتقضت المسألة وفاضت الجنة مارت السماء مورا وسيح مورا انشقت
السماء وتناثرت النجوم وانطمست وكورت الشمس والقمر سواد فيها واشتد على الخلائق
وهجها فذلك يوم الكبير وقام الناس لرب العالمين ان زلزلة الساعة شيء عظيم وفي بعض
الخطب ايها الناس كيف يستطيع العيش من كان للموت متذكرا وكيف يغتر بالدنيا من كان الى
الاخرة متحسرا انما يعقل نظر الرحمن بعيا حر الالاعمر اوره الناس ايها والهاو باكل وكان له
ذلك عن الاغنياء زاجرا يعلن انقطاع الدنيا وفنائها ويطمئن اليها ولم تخلق للبقاء دارها
ابن سكانها الاولون وعمارها ابن الذين شادوا ديارهم كيف درست آثارها نظر الى قبورهم فقد نزلوا منازلها
من يغتر بالدنيا مغرور اليوم في الديار وعن قليل في القبور اليوم فكم فيهم من مسرور وعند القبر
بساحته مقهور وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اليوم تكاثر في الاموال والاولاد وغدا
وحشة في القبور انفراد وذهاب من الدنيا بلا زاد انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ولا تغتروا من الدنيا بما كان زاهيا ولا يكن لهوها
ولعبها لكم اعيادا ولا يكن جهادا عن قلوبكم غالبا والعبوها على حد زمانها لا تدع صاحبا وفي
بعض الخطب ايضا ايها الناس اذكركم ولا تكونوا عن التذكرة معرضين واصبحوا اسماعكم
لا تعقلوا لكن امور لعل قلوبكم تلين وتذكروا فان الذكرى تنفع المومنين ما بال من فاته ان تكون
الغافل مستغرقا بلهو نفسه معهما صبرا اماله بعجلة وكان بالبكاء احرى وباكل وبيتو
ولا يجد الحلو من العقد كان قلبها ان يعيش حزينا ويموت ذعرا لما علم ان الحجر يلقى من شفير
جهنم فيهوي سبعين عاما لا يدرك لها قعرا فجزاء الله وان نار دنيا لا تشد من ناركم جزءا
اعاذنا الله من الزموم ووعده وبعد ماتم الذين خلقهم من النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين بانعامه ووفقنا للخير واعاننا على التزامه وغفر لنا ذنوبنا وعافانا وتجاوز
عن آثامه والحمد لله حمدا يبلغ الفائل وهو ختام كلامه وفي الغزالي رضي الله تعالى عنه
في الاحياء. قال قال ابو ذر بن النجم بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد
الحرام اذ اتي بحجر منقوش فطلب من يقرأه فاوتي بوهب بن منبه فقرأه فاذا
فيه ابن آدم انك لو رأيت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت
في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك
واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الولد والقريب ورفضك الوالد والنسيب
فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل
الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا. وقال وهب بن منبه اصبنا على قصر في
... وهو قصر سيف بن ذي يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الحميرية مكتوب
بالقلم المسند فترجم بالعربية فاذا هي ابيات جليلة وموعظة عظيمة
وهي: باتوا على قلل الاجبال تحرسهم ◌ غلب الرجال فلم ينفعهم القلل
واستنزلوا من اعالي عز معقلهم ◌ فاسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا ◌ اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت محجبة ◌ من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم ◌ تلك الوجوه عليها الدود ينتقل
قد طال ما اكلوا دهرا وما شربوا ◌ فاصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا
انتهى وفي الشريشي في شرح المقامات والطرطوشي في سراج الملوك
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما قدم وفد عبد القيس على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ايكم يعرف قس بن ساعدة فقالوا كلنا نعرفه يا رسول
الله قال لست انساه بعكاظ على جمل احمر وهو يخطب الناس ويقول ايها
الناس اجتمعوا فاذا اجتمعتم فاسمعوا فاذا سمعتم فعوا فاذا وعيتم فقولوا
فاذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان في السماء
لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار
لا تغور اقسم قس بالله قسما حقا لئن كان في الامر رضا

ليكونن سخطا

ليكون سلطانا لله حجة يفوا جب ابيه في دينه فهذا الذي عليه مضى اري الناس
يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا فناموا ايكم
يروي شعره فانشد ∴ في الذاهبين الاولين ∴ من القرون لنا بصائر ∴
لما رايت مواردا ∴ للموت ليس لها مصادر ∴ ورايت قومي نحوها ∴ يمضي الاصاغر والاكابر ∴
لا يرجع الماضي ولا ∴ يبقى من الباقين غابر ∴ ايقنت اني لا محالة ∴
حيث صار القوم صائر. ثم قال رجل يا رسول الله رايت منه عجبا انفلتت
راحلة لي فاتبعتها فاذا انا بعين خرارة وشجرة عادية واذا انا بقس في ساعة ما عرفتها تحت
الشجرة وبيده قضيب وقد ورد على العين سباع كثيرة فكلما ورد سبع على صاحبه
ضربه بالقضيب وقال لا تعجل حتى يشرب الذي ورد قبلك فلما رايت ذلك ذعرت منه — ثم رشة
ثم رجع مسرعا فالتفت الي وقال لا تخف فالتفت واذا انا بقبرين بينهما مسجد
فقلت ما هذان القبران فقال هما قبرا اخوين كانا يعبدان الله تعالى في هذا
الموضع وانا اعبد الله بينهما حتى الحق بهما فقلت له افلا تلحق بقومك فتكون في خيرهم
فقال ثكلتك امك او ما علمت ان ولد اسماعيل تركوا دين ابيهم واتبعوا الاضداد
وعظموا الانداد ثم اقبل على القبرين فقال ∴



خليلي هبا طالما قد رقدتما ... اجدكما لا تقضيان كراكما
ارى النوم بين الجلد والعظم منكما ... كان الذي يسقي العقار سقاكما
الم تعلما اني بسمعان مفرد ... وما لي فيه من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لست بارحا ... طوال الليالي او يجيب صداكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية ... لجدت بنفسي ان تكون فداكما
سلام وتسليم وروح ورحمة ... ومغفرة المولى على ساكنيكما
ابكيكما طول الحياة وما الذي ... يرد على ذي عولة ان بكاكما
كانكما والموت اقرب غاية ... بروحي في قبريكما قد اتاكما

فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة واحدة قال ابو بكر
الطرطوشي ان كل امة امتنا بنبيها تبعث امة وحدها لا يدخلها غيرها
يبعث قس ايضا وحده امة ليس معه احد انتهى وقال ابو بكر الطرطوشي:

يعني ان كل امة اتبعت نبيها تبعث امة وحدها في الطمع غيرها ويبعث قس ابن ساعدة وحده
انه ليس معها احد انتهى وقال ابو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك ومن عجائب
اخبار الخضر عليه السلام قال سئل الخضر عن اعجب شيء رايته في الدنيا او في طول
سياحته وكثرة خلواته وقطعه القفار والفلوات والبحار فقال اعجب ما رايت اني
مررت بمدينة لم ار على وجه الارض احسن منها فسالت بعضهم متى بنيت هذه المدينة
فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا متى بنيت وما زالت كذلك من عهد
الطوفان ثم غبت عنها نحو من خمسماية سنة وجزت عليها بعد ذلك فاذا هي خاوية على
عروشها ولم ار احدا اسئله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت اين المدينة التي
كانت هنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا انها كانت قط ها هنا
مدينة فغبت عنها نحو من خمسماية عام فانتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينة بحر واذا
غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ها هنا فقالوا
سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا بان ها هنا قط منذ بعث الله الطوفان قال فغبت
عنها نحو خمسماية سنة فانتهيت اليها فاذا ذلك البحر قد غاض ماوه واذا مكانه
غيضة ملتفة فيها قصب وبردي والسباع فيها واذا صيادون يصيدون السمك في زوارق
صغار فقلت لبعضهم اين البحر الذي كان ها هنا ومتى نشفت هذه المدينة فقالوا سبحان
الله ما يذكر احد ان هذه الغيضة غير حالها منذ بعث الله الطوفان قال فغبت نحو من
خمسماية عام ثم انتهيت اليها فاذا على بابها ساحلها وفيه تنزح بيد دخان شديد ولم ار
احدا اسئله ثم رايت راعيا فسالته اين المدينة التي كانت ها هنا ومتى حدث هذا
الدخان فقال سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا الا ان هذا الموضع كان هكذا
منذ كان الطوفان فهذا اعجب شيء رايته في سياحتي في الدنيا فسبحان محيي العباد
ومفني العباد ووارث الارض ومن عليها انتهى وقال بعضهم من كان يعلم ان الموت مورده
والقبر مسكنه والبعث محشره اذ هو بين جنات يتنعم فيها يوم القيامة او نار تحرقه فكل
همه التفكر في سنحه وما اقبل عليه منه اسمع تر الدنيا الحق الدنيا لدو طمعها بين ان الغايا
مشرب ترعيه وقال بعض الصالحين اجتاز علينا يوما ابراهيم بن ادهم فقلت له الا تعظنا
فقال اني مشغول باربعة اشياء لو فرغت منها لجلست معكم ووعظتكم فقلت له وما الاربعة

اشياء

اشياء بن رحمه الله فقال اني تذكرت حين اخذ الله الميثاق على بني آدم فقال هولاء الى
الجنة ولا ابالي وهولاء الى النار ولا ابالي فلا ادري من اي الفريقين كنت والثانية تفكري
في نزول ملك الموت بقبض روحي فلا ادري امع المومنين او مع الكافرين فاما ربي يكتب الشقي في تلك
الساعة والرابعة تفكري في يوم القيامة اذ حشر الله الاولين والاخرين في صعيد واحد
يصعون النار فيجارهم وتقول لاهل المحشر وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلا ادري من اي الطائفتين
اكون فيا لها اليوم انتهى وقال ابو موسى الترمذي رحمه الله تعالى توفيت امراة الفرزدق
فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن رضي الله تعالى عنه فقال له الحسن يا ابا فراس
ما اعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام
الفرزدق على قبرها فقال اخاف وراء القبر ان لم يعافني اشد من القبر التهابا واضيقا

اذا جاءني يوم القيامة قائد … عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد آدم من مشى … الى النار مغلول القلادة ازرقا
يساق الى نار الجحيم مسربلا … سرابيل قطران لباسا محرقا
اذا شربوا فيها الصديد رأيتهم … يذوبون من حر الجحيم تمزقا

انتهى نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة وقال الحريري في كتابه
المسمى بدرة الغواص في اوهام الخواص ذكر ابو بكر محمد بن القاسم الانباري في كتاب الاخبار بعد حكاية من طرف الا
عاجيب وغرر الغرائب مرفوعا باسناده الى الهيثم بن الكلبي قال عاش عبيد بن شرية ثلاثمائة
سنة وادرك الاسلام فاسلم ودخل على معاوية بالشام وهو خليفة فقال له حدثني باعجب
ما رأيت قال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم فلما انتهيت اليهم اغرورقت عيناي بالدموع
فتمثلت بقول الشاعر

يا قلب انك من اسماء مغرور … فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ما تخفيه من احد … حتى جرت لك اطلاقا محاضير
فلست تدري وما تدري اعاجلها … ادنى لرشدك ام ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به … فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبطا … اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه … وذو قرابته في الحي مسرور
حتى كأن لم يكن الا تذكره … والدهر ايتما حال دهارير

قال وقال رجل في الغرفي من يقول هذا الشعر فقيل له فقال ان ما يليه لهذا الزهد فقال الشاعر
وانه الغريب الذي لست تدرجه نبكي عليه وهو الذي خرج من قريه اسر الناس رحابه واسرّهم
بولده فقال له معاوية لعن الله ابن عجلان ابن الميت قال عمر بن عبد العزيز انه شره ويروا ان
فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهما نظرت في جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت
مستترة وكانوا رجاء ثم اصبحوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت
وقال الاصمعي لما زخرف الرشيد مجالسه وزوّقها وصنع فيها طعاما كثيرا ارسل الى ابي
العتاهية وقال صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

عش ما بدا لك آمنا ... في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح وفي البكور
فاذا النفوس تقعقعت ... في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ... ما كنت الا في غرور

فقال احسنت ثم ماذا فقال فبكى هارون الرشيد عبرة له حتى كاد يموت وبكى من
من كان حوله فقال الفضيل بن يحيى بعث اليك امير المؤمنين لتسره فاحزنته فقال
هارون دعه فانه رآنا في عمى فكره ان يزيدنا عمى انتهى وانشد الفاضل ابو العباس
الجرجاني بالبصرة فقال ان كنت تسمو الى الدنيا وزينتها فانظر الى ملك الاملاك هارون

رمى الامور فما اعيته مذاهبها ... وسخّر الناس بالتشويق والعين
حتى اذا ظن ان الدنيا غالبه ... ومكنته فرماه اي تمكين
ناخت عليه المنايا روحت رحلتها ... ثم المليح والعز تحت الماء والطين

وحكي ان سبب اخراج ابي جعفر المنصور من الخلافة انه كان ذات يوم نائما فاتاه آت
فقال

كأني بهذا القصر قد باد اهله ... واوحش منه اهله ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة ... الى جدث تبنى عليه جنادله

فاستيقظ مرعوبا ثم قام فانشد

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت ... سنوك وامر الله لا بد واقع
فهل كاهن او عراف او منجم ... ابا جعفر عنك المنية دافع

قال بها جنته

تستلب

فاستلبت سبعا بعد عشرين ليلة … الى منتصف الشهر وما الشهر كامل

فقال هو الله ان الشهر عشرون ثمانية وفي ذلك العمر وكتب على بابه

ومن يأت ذا باب شريف وحاجب … يعش ما قليل يقحم الباب صاحبه

وبرود [illegible] ثم لما بنى المأمون قصره وانفق فيه بيوت الاموال وكان من عجائبه ان صنع فيه بركة مدارها اثنا عشر وجعل في وسطها قبة مورقة من زجاج وصب الماء الى راس القبة على تدبير حكماء المهندسين وكان الماء ينزل من اعلى القبة والمأمون قاعد في القبة في زمن الحر فبينما هو نائم فيها اذ سمع منشدا ينشد ويقول

اتبني بناء الخلد وانت [illegible] … بقاؤك فيه لو عقلت قليل

لقد كان في ظل الاراك كفاية … لمن كل يوم يقتضيه رحيل

وقال بعضهم في هذا المعنى

يا نفس كوني من الدنيا على حذر … وكوني في حذر الموت واعتبري

الموت اعظم ما تلقاه من كدر … والموت اعظم تذكار لمن كبر

يا ابن ادم الموت ذا عز لعز [illegible] … وما ذا تبالي اذا استوفيت من العمر

وكن مع ذوي مقدار النظر لوحشته … في بيت دود مع الاحزان والغير

فرد وحيد رهين المحاو [illegible] … نادى [illegible] في ظلمة القبر

فمن فارق الاهل والاوطان من تجلد … هيهات هيهات ما يرجع من السفر

كيف الخلاص من القبر وروعته … ومن جواب لمنكر مع نكير

لنا تخلص باموالنا من كدر … من ذا الذي يكتسب بالدوام الضرر

وقال بعض الشعراء فاحسن

اذا ما شئت ان تنعم على حكمها … وتلحق بالرجال ذوي الكمال

فلا تعبأ [illegible] الدنيا بشيء … ولا تخطر لك الدنيا ببال

وفي كتاب ديوان عن محمد بن موسى المنجم قال كنت عند المتوكل امير المؤمنين في مجلس فيه جماعة من العلماء والفقهاء فسألهم عن القدرية والزنادقة والجهمية وعن مقالات اهل الوقت وخلق القران فيه فقال عن ذلك واكثر ما عن رد الجواب وما لهم الى الجواب فقد ودري بشيء لهم في شيء من المناظرة وكان في المجلس رجل من اهل مصر له عقل وادب فقال

اصلح الله امير المومنين عندنا بارض مصر رجل يقال له ذو النون بن ابراهيم المصري يقال انه فصيح
يتكلم بدقيق الكلام فيحسن ويجيب عن رد الجواب تنبعث الحكمة من منطقه بالصواب والناس
منه على وجوه شتى فطائفة تقول انه نبي وطائفة تقول جاهل ومنهم من يعرفون فضله ويكتبون
ما يسمعون من كلامه ويتبركون بدعائه فامر المتوكل باحضاره فاحضر فلما وقف بباب
المتوكل قال له الحاجب اذا انت دخلت على امير المومنين فسلم قال جعفر المتوكل وقال ذو
النون متوكلا على امر نفسه ان الرب فرد واحد ونسبح اخلاقه نحو المكيال برزقه فقال
له الحاجب لا ادري ما تقول ولكن اذا دخلت الى امير المومنين فدع العاطلة وحسن كلامك يرزق
الله لك ذلك فلما دخل عليه ومثل بين يديه نادى السلام عليكم يا من شرب بكاس التجبر
السلام عليك يا من تغمر بغيوم الجبانة السلام عليكم يا من اشتمل بشمايل الجبابرة يا من
غضب عليه في وقت الخلوة صاحب البر والعناية كانك بك وقد اتاك داعيه وقد غلبك العجز
بك عن سرير ملكك واخرجت من مقاصيرك بك الى الفضاء من الارض وطرحت في التراب معفر
الخد وعفر وجهك في التراب واستوحش منك الانيس وحملت الى ضيق الارماس يا من
تشبث بالبنيان وملك العزة والسلطان وجمع واكثر واستعمل بتجبر واغتر الطمع بالخلود
الى ميقات يوم الموعود فلعلك يحميك ما خولك من الانعام عن امر ذي العزة والانعام فاذا قام
الله بعد طول البقاء فتجرع كاس الفناء فزال عزه فيا في اسرع زوال واشرب عن فقد ملك
الاملاك وعاين فعله وجره وخطاه وعمده وحل محل الاموات بين صميم رفات فيا الله
يا مسكين لو قد نظرت الرحيمة بالملك ونشر عليك ديوان جنايتك فقد اغضبت مولاك الذي
انعم عليك في وقت خلقك عن التقى بين يدي جبار بر معبود الرحيم المسالة وسل التوبيخ
فيا له ثم عيانه فيه لك عن عيانه رياض نعيمها الرحمن محفوف وطلح منضود وظل
ممدود وان كانت جنايته وقعت على فنن الهلاك دقيق دحي عنه وجهم الطريق وقد اثبت كتابك
فيه بالتحقيق بين يدي الشفيق الرفيق فان تفضل بالرحمة فالجنة مثواك وان طالبك
بالجرم فالنار مثواك فاعمل لنفسك متقلبا ومثابا فقال له الحاجب خذ برجله
واسحبه الى الجب لا يفعل فيما ودمر يقول

اصبر على الظلم لا تنتصر ، فالظلم مردود على الظالم
وكل الى الله ظلوم فما ، ربا على الظالم بنسيم

فقال

فقال ردوه، وقد بلغني أنه قد رثي فقال ورد الفتى ربي يا أمير المومنين قال إنه اختلج في العظمة
وتعاظم في التكوين ما فتش ثم برز المتقد على الأجبر بكل شيء أبرا مقتدرا

قد كان إذ شاء كيف شاء ولم ، يكن على ما غيبه بشرا ،
دبر أمر العباد مقتدرا ، محتجبا في علمه ليس يرى ،
قضى أمور الخلق أحسن ، ليس يشهدها أبدا ولا نظرا ،
ثم جرى بالذي قضى قلما ، أجراه في اللوح ربنا مجرا ،
بكل ما كان أو يكون إلى ، غاية أحصاه كلما قدرا ،
أتقنها أولا وأحكمها ، ثم جرى بعد ذلك ما غبرا ،
السعد أهل السعداء كلهم ، إلا لعبيد أبقاه محتقرا ،
والنار فيها أهل الكفر هم ، من كل ألف موحد شكرا ،
نحن عبيد أذلة خضع ، لحاله فيه نهى وفيه أمرا ،
ليس لنا أن نقول كيف ولا ، نعمل في علمه العكسا ،
لا يملك العبد دون خالقه ، نفعا ولا قوة ولا ضررا ،
بل له الله وحده ولنا ، في الخلق أن يحتسب وأن يذكرا ،
دار بنا من خلقه لهما ، جنة عدن لنا الإله وسقرا ،
لا خير في كثرة الجدال ولا ، فيمن تعدى أو أنكر القدرا ،
من يهده الله من يضلل ومن ، يخذل يخسر وقد خسرا ،
دعونه للإله ثم ملته ، وحصبا بالجبر منهم زجرا ،

ثم قال أمير المومنين ردوه فلما وقف بين يديه قال بلغني أنك زنديق قال يا أمير
المومنين وما يقول الزنديق قال يعرف ليلا ونهارا السماء ثم وفي جاحدا قال يا أمير
المومنين أسألك عن مسألة قال سل قال والله ما استغفر ثم حرم إني لكما أني إحسان كل
شيء دون الله صغير في جنب وكل أجزئه من سجنه في بطن أمه نشقا أكما وينظر إليها بعين
الإشفاق وأمر الملائكة أن يحبسوه في أحشائها والطفل المشيمة عما وجهه وجعل الغرفة
على الطرفة ممن أشبعه قال الله قال إن نقلة من فتح الرحم فجعله بعد النطفة علقة
وبعد العلقة مضغة وبعد المضغة عظاما ثم كسا العظام لحما وأجرى الروح في جسده ثم

امر بقنوف نقل الاحشاء للعروق ان يخترق الى المجرور وفيه الامعاء فيعفون من البطن الى
الرئة وارسل لبنا فيبعث عينا من بين فرث ودم لبنا خالصا فجعله الرئة نحو الفرج
خارجا من طرف الحلمة قال الله تعالى وما يعلم على سنة العزة الا الله تعالى ثم قال
يا امير المومنين من عجيب ما في العين جعل ارض الحدقة سوداء وكحلها ابيض وما بين
الماء من يجعل المالح في السواد وجعل العذب في البياض خشية منه على الادمي قال الله تعالى
فما جرت من جعل الفم منتصبا بالعكس وقدم العكس على الكتفين وشد الكتفين بالعضد
من وديه العضد من بالزند من وجعل الانامل زاينة حول الادهان قال الله تبارك
وما جرت من جعل الساق متصلة بالفخذين وشد الفخذين بالوركين وجعل الاصابع مفترقة
نسبها قال الله قال فما جرت من عجيب صنع الله قال الله فكيف يخرج العبد من صنع الله
اذا كان نعمل كله من تدبير الله قال يا ذا النون بلغني انك جهمي قال ما تقول الجهمية
قال بخلق القران فقال يا امير ان يوم الرحمن امضى، وعند الله تجتمع الخصوم، ترد الخلق
في دار المنايا، وكم قد رام غيرك ما تروم، سل الاثار عن امم تقضت، ستخبرك المعالم
والرسوم، ثم قال يا امير المومنين فعلي زنة تقى ومرة جهميا ومرة قدريا يا متوكل
ارض عن الله وتب الى الله وكل شيء بقضاء الله ومجد الله بتمجيده الله ما انه صفة الله
النفع والبسط مع الله ولا تشكو العفو ايدي الله تعالى مسبه احسن من كلام الله ما انه صفة
الله الله سماه كلاما وخلق الله سموه خلق الله فقال الحاجب خذه البطح حتى
استلمه عنه لبطا وهو يقول، انطمع في الحياة الى التنادي، وتحسب ان ما لك من معاد
ه ، ستسأل عن مقالك وابتعاد، ستسأل بعد ذلك ما اللحاد العباد، ه
قال فلما كان من الغد فنشر له على مرج من الرياح وقعد على فيته من ورق الجمر
ودعا عن يمينه جاريته ثم امر بذي النون يدخل عليه فلما نظر اليه في ملكه وبهاء ناداه
يا متوكل اما تستحي ان تتجبر بين يدي قامع الجبابرة ومذل المتكبرين في يوم فيه تشخص
عن المنظر البصر وتنقطع الامور جاء ربك والملك لعرض الامم وحسابها وعقابها وثوابها
فاظهر الله السوال عن جميع الاعمال وانقطع الصوت وانقطع النطق وسكنت الحركة
من خوف الهلكة وبلغت القلوب الحناجر عند خوف سوء الكتاب فجعلوا عن ما ذكر
مساوي من يطول عويله فانهملت عينا المتوكل بالبكاء وخر من على سريره ساجدا

وجع

على وجهه وسمع العواد بين الغصون فقال للفتى كل منهما خذوا من ابنتكم يا اخا الغصن تكلم ما تقول
في مليح هذا قال ما احسنه لو دام عمر انه لموت وتدعو الغيرة اجابه لك السلوة الاخرى فقال نعم
قال بلغني ان في الجنة مرجانا من ورقة اسر جيب فيه من شقائق النعمان وسط القبة قصر من
ورقة سروسن المرج والقصر والقبة في قبة من كافور ابيض مرشحة بنور العرش على كثبان
من عود رطب اخضر وسط تلك القصر اربعة ابواب قصر من ورق الصندل في كل قصر الف بيت
من ياقوت جوهرة النرجس في كل بيت الف سرير عليها فرش بين كل فراش وفراش اربعة انهار
من ماء ولبن وعسل وخمر تخترق البطائن وتصطفق بين حشر الظاهر والباطن فلا تنفد
بطائنها ولا يتبدل ظواهرها الفاخرة واربعة الاحر الاول ينتهي الى نواهد الابكار
والثاني ينتهي الى الجواهر رياض ناعمات الجمال والحد الثالث ينتهي الى الينع المنبسط
بالزوال والحد الرابع ينتهي الى دار السعادة فيها مفاخر لم تتغير باهلها الاهوال ولا تقع
عليهم صروف حوادث الازمان تحفه اشجار غرست في رياض الكافور وغذيت بماء السلسبيل
مزجت بالرحيق المختوم في الجنة جانب القصر اغيد ادعج امرد لم يطرف احور وجهه مليح
ولسانه فصيح وكفه لطيف ونفسه من الحال عجيب في حسن يوسف وسن عيسى وطول ادم
فيا حسنه مع خلوب كعوب لعوب على الرائك الاستبرق وفرش الديباج الازرق في خيمة
مرجان وقبة عقيان وكلة برهان وقد طابت الارياح ودارت الافراح ورنت الاطيار
وتناسمت الاشجار وهي تنف الاذان ورنت الحان وفاح العبير ودارت الحبور ودام د
السرور نامون وعلى جيب الكاس واجروز والى الله ناظرون وعلى امره الذهب متقبلون
وبالكة لزينة ولبرة جزيرة وللعو حريرة وملة طويل ورب جليل وعيش موجود ونعيم
غير مفقود حيث لا يخاف زواله في جوار العزوس ومنة اعتق النفوس وما تلذ به الاعين
وتشتهيه الانفس ذات الدل والحسن معدن الغنج والجبر فيا حسنها جارية غضة رطبة
ذات خد تريب وحد عطيف ولسان نطيق وقد رشيق ودبا بيتوا ممن لطنه يا بطال
بجانب تلك الدار معانقو النواهد والابكار متكي على تلك النمارق في نعيم السرمد في
جوار النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقال ٢١

يا ابن كم فيها من غلام • فذا الف الكرم والغيام
يختم موت ما جنها د • بلا فرار ولا منال

بفيهم ولو البزاق نقطة * نومي على مسلمة حرام

بلام في كل ، بييت كي * اذا خر قلبه المكلم

ولسنا ثم فيه لمع يوم * والحزن فيه قد حل الطلل

احسن شي رافهم عيني * حوراء فيه زوجت عطل

قال بلاد ما المتركل الرائي ارتين فتبسمنا جنقال خذ والنوزيا منتري ل انتعر على
بما تبين الجارتين وهما تايهتان زيها المنكه بما يبقى الحوراء وعن يسر بدا من الرحمن فمن (من زرائب)
زبرجد اخضر عليها مرط من الذهب فيه زينت باصحاب الجلال والبست على ايلا من
سندس تتشبع في مشيها وتتشد د المحبوبها بكاد اهل الاولى ولما تخرج من خيمة
خدبها لما سبعون ذوابة من شعرها تجل الليل البهيم البيض من سوادها والحسن يجل منها
والجمال ينتخ للهالة بنا بلها الالكل حازم خدوم والمتاج بفضه على راسها والاكليل
تتبسم على جبينها والخلاخل تتبسم بالحاشرة في جمن كعبها والعابر يسبحن على لباتها ان
بالقامة منها معرفة معنطفة تتخلخل مسرورة وانا ملها نجما يا مهوفة وبعض
الولي اليها مشرفة تولد فور النور من نور يورها ثم قال الازج لهيم الطيب

بكاد ضرب العرجرح خدها * بلحظه وهي القرب من خارج الشفر

ولو نثيث عند الحوريها عنقه * كغصن من الرجاز ذهب ورفخ خر

لليوم كيف بالفعل سنا على الثرا * ما عشب وجه الارض من غير ما قطر

ولو تعلقت في الارض شمس غابها * لطاب ما اهل البحر شرب من البحر

بقال المتركل ياذا النوزان من ما نال الراضي المنزلة لغير نالها ملكات طيبها حب لي
من سواه بقال قوم البحسم الله النور انشاهم من جنته وجلاهم بالبهاء من راحه ذات منه
ووضع على معارفهم تيجان منزلته ونشر لهم المحبة في قلوب خليقته ثم طهر قلوبهم
اليه واودع القلوب ذخائر الغيوب بهي معلقة بمواصلة المحبوب فقلوبهم اليه سائرة
واعينهم الى عظمته ناظرة ثم اجلسهم بعد ما احسن اليهم على كرسي طبيب المعرفة وعرفهم
منافع الدواء وجعلهم اهل الورع والتقا وظهر لهم الاجابة عند الدعاء وقال يا ولياءي
ان اتاكم عليل من عبادي فعالجوه او مريض من عبادي فداووه او محب لي فعزبوه او ناس
لنعمتي فذكروه او ميل على معاصي فزجروه يا وليائي بالكم ذاطبته ولكم عنفت ومنكم الدواء

طلبت

طلبت عطاء فلهم افضل العطاء ومعاملتهم افضل معاملة ومطالبتهم اشرف مطالبة فانما استخدمهم
الجبار في الدنيا المتكبر انا علام الغيوب انا مرصاد لهم انا الناظر بالطرف الحواجب
واغماض الجفون وما انثنت عليه الاعطاف في خلوة عن من اراد في حسوء فقصمته من توليته
ومن احسن الحكم ارضيته وقيل لا تنظر القلوب التي هيمها ربهم فيغيبون من حب
سبيلهم فيتشبث خوالج القلوب ويسلط عليها كل عارض دون المحبوب والقت الجوارح ذلك
الراحة ولزمت الاعضاء العبادة فان كشفت عن قلوب بالخشية منكسرة وفي الحكاية انه عامله
بين شمس النهار وقمر الليل الشاهدين حين جنته طائفة من المسلمين بامير المؤمنين وانشد ما

وان في صفوة من عباده ... فلدلهم في غيب حكمته تجربا
فبابه انهم قد اسكنت حركاتها ... فجالت في قلوب القوم من خشية الرب
ترى لهم صوتا خاشعين لربهم ... وانفسهم مجموعة الهم بالقرب
معلقة بح نتائج استغرقت قلوبهم ... يجيب يرون الغيب بالغيب كالجهر

ومن صفته فقال المتوكل اللهم ما اخترت لي فانا راض عنه ولكنه يعرض عليه ما لا اجد بلة
فابا بما مر له فلا ابالي بان يقبله ومعا ولمو يعقولن

ماد على النعم المعصية ... الا انهن الجبار والكرم
وما الرجى منو ترى ... وما خشي لمن لعله فدم

فقف على احوالهم
فقال لهما الذي تريد قال ردني الى الدنيا بامر ربي حتى انظر نعت الحكاية بطولها من
ديوان العزا واما احوالهم رضي الله عنهم ونعتهم فقال الحسن رضي الله عنه ادركت
اقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اذا اقبل ولا يأسفون على شيء
منها اذا ادبر ولهي كان اهون في اعينهم من هذا التراب الذي تطؤونه بارجلكم ان كان احدهم
ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب قط ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض
شيئا قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون
وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة وحثوا بها
ودأبوا في شكرها وسألوا الله ان يتقبلها منهم واذا عملوا السيئة احزنتهم
وسألوا الله ان يغفرها لهم والله ما زالوا على ذلك وكذلك والله ما سلموا من الذنوب
ولا نجوا الا بالمغفرة انتهى وحكي ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه

بعوده وهو في مرضه فاذا هو شاب ناحل الجسم فقال له عمر رضي الله عنه يا فتى ما الذي بلغ
بك ما ارى فقال يا امير المومنين اسقام وامراض فقال له عمر نشدتك بالله الا ما صدقتني فقال
يا امير المومنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة فصغرت عندي زهرتها فاستوى عندي ذهبها
وحجرها وكاني انظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمات لذلك نهاري
واسهرت له ليلي وقليل حقير كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقالت امراة مسروق
ما كان يوجد مسروق الا وساقاه قد انتفختا من طول الصلاة قالت والله ان كنت لاجلس
خلفه فابكي رحمة له وقال ابو الدرداء رضي الله تعالى عنه لولا ثلاث ما احببت العيش
يوما واحدا الظما لله تعالى بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون اطايب
الكلام كما ينتقى اطايب التمر وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر
حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها
اريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط فدخل عليه انس بن مالك والحسن
رضي الله تعالى عنهما فقالا له ان الله تعالى لم يامرك بكل هذا فقال انا عبد مملوك
لا ادع من الاستكانة شيئا الا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة
حتى اقعد من رجليه فكان يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة
كيف ارادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف انست بسواك عجبت للخليقة كيف استنارت
قلوبها بذكر من سواك وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت
يمينا ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة
الله تعالى وكل من نظر بغير الاعتبار كتبت عليه خطيئة وعن بعض الصالحين انه قال بينما
انا اسير في بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هناك اذا انا بصوت قد علا واذا
تلك الجبال تجيبه لها دوي عال فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة عليها شجر ملتف واذا برجل
قائم فيها يردد هذه الاية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو
ان بينها وبينه امدا بعيدا قال فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد ذلك اذ صاح صيحة
خر مغشيا عليه ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول اعوذ بك من مقام
الكذابين اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال اواه خشعت
لك قلوب الخائفين وطمعت لك ذلت قلوب العارفين ثم جعل يقول مالي وللدنيا

وسال الله ان يجعل الليل بينهما نصيبا وعافية بينهما يقدر ذلك فاذا الغلام بانه تعالى
لما نشأ في الوبل نشأ المريد فيمن رغب فيها وفيمن يشتهيها ويكلف نفسه التعب فيها في جعل
يقول اين القرون الماضية والامم الخالية اين من رفع طار في قبورهم رحمنا الحشر غدا والوقوف
بين يدي المولى اما الى جنة عالية واما الى نار حامية فقال فناديته يا عبد الله ما تقول في هذا
اني في هذا اليوم خلعت انفطر من اخذه فقال فنظر في وقال لي كيف يفرغ من بيادر الايام ثم
يجاوب العرض على رب الارض والسموات ويجاوب المنية ان تنقطع بالممات وقد انقطعت الشبهات
ام كيف يفرغ من تذهب ايامه وتنقضي اثامه ثم قال اني لها ولكل شيء انو فع بني ولها
فارحني يا ذا الفضل والنعماء قال ثم لها عني ساعة وبدا وبكا الى من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وصاح صيحة اشد من الاولى وخر مغشيا فقلت في نفسي ما اراه الا وقد خرجت
نفسه فدنوت منه فاذا هو يفحص بشفتيه وهو يقول ما انا وما خطري في الورى هب لي اساءتي
يا ذا الفضل والنعماء وجد برحمتك واعف عني بكرمك وجلالك اذا وقفت بين يديك فقلت
له بالذي ترجوه لنفسك وتثق به لمشتك الا ما كلمتني فقال اليك عني يا من انه
اشغلني فقلت له ما لقيت بالله العظيم الا ما اخبرتني فقال يا هذا اقسمت علي عليك
بكلام من ينفعني كلامه وحرم كلام من لا ينفعه اتاه ابي في هذا الموضع منذ ثلاثين سنة
اجاهد ابليس ويجاهدني يطلب عونا على ليخرجني مما انا فيه الا بك فاليك عني يا مخدوع فقد
عطلت علي امري وملت الى حديثك تشغلني من قلبي فلقد عني فاني اعوذ من شرك بالرحمن
من يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي الله اخاف ان اشغله
ان يعاقبني الله في موضع هذا فانصرفت وتركته وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير
بر ابن ربي الكلاب انها ردها ... الله قيل له يرحمك الله ومن
يستطيع هذا قال يا ابن اخي هذا منزلة حولتها الى اني جعلت طعام النهار بالليل
ونوم الليل بالنهار وروي ان ابا مسلم الخولاني علق سوطا في مسجد بيته يخوف
نفسه به وكان يقول لنفسه قومي والله لازحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك
لا مني فاذا ادركته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول لها انت
اولى بالضرب مني ويقول ايظن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يستأثروا به دوننا كلا
والله لنزاحمنهم عليه زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا وراءهم رجالا اللهم

ارضى عنه ما كان احسنه وقال ابو حازم ادركت رجالا كان يريد ان يحول رمضان في

في اجتهادهم شيئا وما يتغير حين وجد من اجتهاده شيئا وعن منصور بن عمار قال الحمد لمن اتخذ

العبادة حرفته والفقر امنيته والعزلة شهوته والاخرة همته والموت فكرته وطلب

من العيش بلغته وشغل بالزهد نفسه واماتها بالذل عزته وشكا الى الله غربته ورجا

بالتوبة رحمته فطوبى لمن كانت هذه صفته ويروى عن رجل من اصحاب علي بن ابي طالب رضي

الله عنه انه قال صليت خلف علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه صلاة الفجر فلما سلم انفتل

عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب وجهه الينا فقال والله لقد

رايت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا والله

يصبحون شعثا غبرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله ويراوحون بين اقدامهم

وجباههم وكانوا اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ومادوا كما تميد الشجرة يوم الريح وتهملت

اعينهم حتى تبتل ثيابهم وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال سيما الصالحين صفرة

الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين

وقيل للحسن رضي الله تعالى عنه ما بال المتهجدين من احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا

بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وكان كرز بن وبرة رحمه الله يختم القرآن في كل يوم ثلاث

مرات وجاهد نفسه في العبادة غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك فقال

كم عمر الدنيا فقيل سبعة الاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة قيل خمسين الف سنة فقال

فكيف يعجز احدكم ان يعمل سبعة ايام حتى يامن من ذلك اليوم يعني انك اذا اشتغلت عمر الدنيا

واجتهدت سبعة الاف سنة فتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين الف سنة كان ربحك

كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والاخرة لا غاية لها قال بعض الحكماء ان

لله عبادا انعم عليهم بمعرفته وشرح صدورهم بطاعته وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه

فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة

فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع

ومعها طرائف من لطائف الفوائد ما لا يمكن واصف ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج

حسنا وهم في الظاهر مناديل مبذولة لمن ارادهم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما

هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال عبد الله بن داود كان احدهم اذا بلغ اربعين سنة

طوى

كورى من هاشم اي كان لا ينام طول الليل وكان عثمان رضي الله تعالى عنه يحيي الليل فقد قيل
في قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية انها نزلت في عثمان رضي الله
تعالى عنه لانه كان يحيي الليل واما الصحيح انها عامة في كل من اتصف بهذه الصفة وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما القانت بالمطيع والقنوت في الكلام يقع على القراءة وعلى طول القيام
في الصلاة وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما وذكر الشيخ ابو محمد عبد الحق بن عبد
الرحمن الاشبيلي في كتاب العاقبة له عن قبيصة بن عقبة قال رأيت سفيان الثوري
في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال

نظرت الى ربي عيانا فقال لي … هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا … بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده … وزرني فاني منك غير بعيد

وعن ابن عيينة قال رأيت سفيان الثوري في المنام كأنه يطير في الجنة من شجرة
الى شجرة ومن نخلة الى نخلة وهو يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقيل له بماذا دخلت
الجنة قال بالورع قيل له فما فعل علي بن عاصم قال ما نراه الا مثل الكوكب وكان
شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام رجلين فاضلين جليلين وكانا من ثقات المحدثين
وجلتهم وكان شعبة البصري اجل الجماعة قال ابو احمد اليزيدي فرأيتهما في المنام وكنت
الى شعبة اميل مني الى مسعر فقلت له يا ابا بسطام ما فعل الله بك فقال وفقك
الله يا بني احفظ ما اقول لك ثم انشأ يقول

حباني الهي في الجنان بقبة … لها الف باب من لجين وجوهرا
وقال لي الجبار يا شعبة الذي … تبحر في جمع العلوم واكثرا
تمتع بقربي انني عنك ذو رضا … وعن عبدي القوام في الليل مسعرا
كفى مسعرا عزا بان سيزورني … واكشف عن وجهي ويدنو لينظرا
وهذا فعالي بالذين تنسكوا … ولم يألفوا في سالف الدهر منكرا

انتهى وقال الربيع اتيت اويس القرني فوجدته جالسا قد صلى الصبح ثم جلس فقلت
لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة العصر ثم جلس مكانه حتى
صلى المغرب ثم ثبت حتى صلى العشاء الآخرة ثم ثبت حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته

عليناء فقال للشيخ ابن المؤذن بل من غير نوم ولكن لا تشبع فقلت حسبي منى رجعت
وكان سيدي الغربي رضي الله تعالى عنه يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة واحدة
وهذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة فقلت وقد سمعت شيخنا سيدي محمد
السنوسي رضي الله تعالى عنه يقول في بعض مواعظه ما معناه ان هذه الدنيا من اولها الى
اخرها لا تكفي سجدة واحدة فيجعل بها العبد لمولاه ويحضر قلبه فيها ويتذلل له
ويخشع فيها فكيف بما زاد عليها من انواع القربات قلت اذا كانت لا تكفي لسجدة واحدة
فكيف يشتغل الانسان بالفواني والعثور وبما لا يعنيه من الغوايات وكثرة الشهوات
الدنيوية التي لو حكها الانسان بحك التحقيق الشاه وجد لها خسارات فانية وعثرات
شنيعة وبترك عبادة ربه ويقول رضي الله تعالى عنه النفس الذي يخرج من الانسان
في كل وقت اذا خرج منه ولم يذكر الله تعالى معه فقد ضيع زمان خروج نفسه ومقت فيه عن
ذكر الله تعالى ولم يكن ان يخلفه ابد الاباد **قلت** الامر ان فرض عمر الانسان من اول الدنيا
الى اخرها وهو سبعة الاف سنة فكيف وعمره قصير جدا ما نسبته له لعمر الدنيا القليلة
وبحارته ومع ذلك انه في غير شيء ولو صرف هذه اللحظة اليسيرة من عمره وحبس
نفسه في الاشتغال بخدمة مولاه ليلا ونهارا ولا يفتر عن ذكره في كل لحظة وقطع جميع
العلائق التي تشغله عن ذلك لكان فاز بنعيم لا ينقطع ابد الاباد ولا لذة اعظم منه
الا لذة النظر الى وجه الله العظيم **الى** غير ذلك من كلامه رضي الله تعالى عنه **وسمعته**
ايضا يقول رضي الله تعالى عنه معناه شتان الفارين بان لا يغفل عن الله تعالى طرفة عين
ولو كان احد لهم في اسماع الناس ويقول لهم من رجل يتكلم مع الناس وفي الصلاة يحسبه
الانسان انه معهم بقلبه وانه غافل عن ذكر الله تعالى وهو مع الله سبحانه وهو لا يغفل
عنه في كل حال في مجالسته مع غيره لا تخرج عبده مع اهل الدنيا فيصير قلبه في رياض
الملكوت يرعى **قلت** وهذا كان هو رضي الله تعالى عنه **فاني** ما رايته قط مع غيره
من الملوك الا مشتغلا متعلقا بذكر المولى تبارك وتعالى الا في حال كلامه لغيره فانه يذكر
الله بقلبه اما اذا كان لغيره هو الذي يتكلم والشيخ يسمع له فانه يذكر الله تعالى بقلبه (0)
وبلسانه ولا يشغله اصغاؤه لكلام الناس عنه وربما اسمع صوت ذكره في بعض الاوقات الذي
اذا كنت بازائه وغيره يتكلم واسمع لفظه بينا عليها من شدة الخوف والحزن والمراقبة

ترى

لنه تعالى عن الزوال وانشد بعض العارفين في هذا المعنى حيث قال

وما شربت لذيذ الماء من عطش * الا رايت خيالا منك في الكاس

ولا ذكرتكم محزونا ولا فرحا * الا وذكرك مقرون بانفاسي

ولا جلست الى قوم احدثهم * الا وانت حديثي بين جلاسي

وقال ايضا

وما غضضت لي نظرة مذ عرفتكم * بانظر الا كان لي حيث انظر

اغار على عيني له فكلما جنت * اذا رام لحظي غيره ليس ابصر

فيا منتهى سؤلي ويا جل بغيتي * ويا غايتي ودادك في قلبي اليوم احصر

وقالت رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي * واباح جسمي من اراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس * وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي

وسمعته يقول رضي الله تعالى عنه ونفعنا به حقيقة العبودية امتثال الاوامر واجتناب المناهي مع كمال الذلة والخضوع وهكذا قلت كان سيرة السلف الصالح ومن تبعهم رضي الله تعالى عن جميعهم في مواعظهم واجتهاداتهم ومراقبتهم لانفسهم اناء الليل واطراف النهار ولنقتصر على ما ذكر تبعا فان ما ذكر شفاء بفضل الله تعالى للقلوب الغافلين وعبرة للمعتبرين وزيادة في تقوية الايمان في المعتبرين وسوف انبه هنا اشارة على سلوك طريق اهل الاعمال المجتهدين كما قال الامام ابو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه في الا حياء فمهما قد ثقلت عليك نفسك عليك واستثقلت من المواظبة على العبادة فطالع احوال هولاء يعني المجتهدين فانه قد عز الان وجود مثلهم وان قدرت على مشاهدة من تقتدي به فهو انفع في القلب وابعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة وان عجزت عن ذلك فلا تغفل عن سماع احوال هولاء فاذا لم يكن الا فخير وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في غمارهم وهم العقلاء والحكماء وذو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من ابناء عصرك ولا ترض لنفسك ان تنحشر في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتوثر مخالفة العقلاء فان حدثتك نفسك بان هولاء رجال اقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفي ان تكوني اقل من امراة فاخسس برجل يقصر

على امورنا في امر دينها ودنياها انتهى وقال الغزالي ايضا رضي الله تعالى عنه في جزء من هذا
الموضع بعد ذكر احوال الرجال والنساء فعليك ان تفتش من اين تطيب نفسك لنفسك ان تطالع
احوال الرجال والنساء من المجتهدين ليبعث نشاطك ويزول كسلك واياك ان تنظر الى
اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ثم قال فان حدثتك نفسك
بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما تيسر تحصيل الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والان
وان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا او سخروا منك فوافقهم فيما هم فيه فما يجري عليهم لا بد
يجري عليك والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تنخدع بحبل غرورها وتتخدع بشرورها
وقل لها ارايت ان الموت يعم سيل جارف يغرق اهل البلد وتبقين على موافقتهم ولم
تاخذي حذرك بحيلة فجيلة الحال وقدرت على ان تعملي زورقا سفينة لتنجين بها
من الغرق فهل تشتغلين في نفسك اذ ذاك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تتركين موافقتهم
وتستجهلينهم في صنيعهم وتاخذين في حذرك من تعذيب هاذا فاذا كنت تتركين موافقتهم
خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف تهربين من عذاب الابد
وانت معرضة له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل
عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقتهم اهل زمانهم حيث قالوا
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك
او حملها على الاجتهاد فاستعصت الا ان تدوم معاتبتها وتوبيخها وتعريفها سوء نظرها
لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها انتهى كلام ابي حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه
وارضاه قلت فهكذا كانت مواعظ شيخنا سيدي محمد السنوسي قدس الله روحه
ورضي عنه ونفعنا به ولنقتصر على هذا القدر اليسير من مواعظه ومن احب ان يعرف
الانسان قدره وان يشتغل بما يعنيه في دينه ودنياه من امتثال ما امره الله به واجتناب
كل ما نهاه الله تعالى عنه وان يزهد بقلبه في كل ما سوى الله تعالى وان يقبل على مولاه
بالكلية ومن اراد ان يستوفيها فعليه بمطالعة تواليفه اذ هي محصورة بين يديه وكذلك
عليه ان يطالع كتاب توبيخ النفس من احياء علوم الدين فان شيخنا رضي الله تعالى عنه في مواعظه
وتوبيخه والله تعالى المسؤول ان يلهمنا رشد انفسنا وان يعيننا على ما فيه رضاه وان يجعلنا
بفضله وكرمه ممن علم وعمل بما علم ودام على ذلك الى يوم لقائه وان يجعلنا مع شيخنا رضي
الله

الله تعالى عنهم في اعالي الفردوس وسريع الكابر من اختاره واصطفاه بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى
الله عليه وسلم النبي الاواه ولنرجع الى ذكر اوصاف شيخنا فنقول **فاما ورعه رضي الله**
تعالى عنه وتقشفه فلا تسأل ولا خفاء انه كان اورع اهل زمانه في ورعه وورعه عن الاجتماع
مع ابناء الدنيا واهل دار السلطان من الوزراء والقواد والخدم وما شيء اثقل عليه من
الاجتماع بهم والنظر اليهم وقد خرجنا معه رضي الله تعالى عنه يوما الى الصحراء فرأينا البعض ناسا
راكبين على خيول وعليهم ثياب فاخرة **فقال** لنا من هؤلاء فقلنا له هؤلاء خدام السلطان
فقال رضي الله تعالى عنه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ورجع عن طريقه ومشى على طريق
اخرى فجاء الله تعالى من لطفه له وكذا اتفق له مرة لقيهم بالقرب فلم يمكنه الرجوع لكثرة الزحام
فادار وجهه الى جهة الحائط وغطى وجهه بطرف لباسه حتى اجتازوا كلهم ولم يروه **وكذا** ايضا
لما فرغ الشيخ رضي الله عنه من تفسير كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقد كان وقف على سورة الاخلاص سمع بذلك وزير السلطان واراد
ان يحضر لختم التفسير **وكان** الشيخ انما اراد ان يختم سورة الاخلاص في يوم والمعوذتين في اليوم
الذي يليه وسمع الوزير بذلك اراد ان يحضر عنده في اليوم الثاني الذي يقرا فيه المعوذتين
وهو يوم الختم **فلما** سمع الشيخ بان الوزير اراد ان يحضر عنده في اليوم الثاني الذي يكون فيه
الختم وما حضر في اليوم الذي قبله قرا الشيخ رضي الله تعالى عنه تفسير سورة الاخلاص والمعوذتين
في يوم واحد ولم يؤخر تفسير المعوذتين الى اليوم الثاني كما عزم عليه اولا مرة خيفة ان يحضر
الوزير عنده فيحضر التفسير في اليوم الثاني فختمه في يوم واحد **وكان** رضي الله عنه
لما شرع في التفسير بعث له السلطان رسوله وطلب منه ان يطلع اليه ويقرا التفسير بحضرته
كما يطلع غيره من المدرسين **فامتنع** رضي الله تعالى عنه من الطلوع الى السلطان فيما طلب في
ذلك ثانيا وثالثا الى ان الحوا عليه كتب رضي الله تعالى عنه كتابا الى السلطان والى وزيره
لما درى الى ايهما كتب واعتذر له بانه يغلب عليه الحياء بل لكثيرا ما يلازم الموضع ولا يقدر ان يتكلم
بشيء فيه فكيف يتكلم في مجلس المقام بحضرة امير السلطان منه **وعلما** انه ما حاجة للشيخ
به ولا طاقة له على الاجتماع به وانه ليس كغيره من الفقهاء والمدرسين الذين يحبون الدنيا والاجتماع
باهلها والميل الى زينتها وكذا رضي الله تعالى عنه اذا سمع بان وليمة عند احد من ابناء
الدنيا تجده يتخلف عن حضورها خيفة ان يدعى اليها فلما يظهر نفسه جد له اليوم بالكلية.

وربما تخلف قبل الوليمة بأيام حتى يطوي نفسه الأربعة أيام الوليمة لكيلا يجد فيها لنفسه وقد نفع
زهده في تلك الخلعة التي أراد السلطان أن يكسيه منها أن يقبل منه شيئا وما نال الثياب الكلية
وما الوحاجب فمنكرا كان زروق رضي الله تعالى عنه وكان لا يقبل شيئا مما يأتي إليه من قبل
السلطان وغيره من أهل دنيو وخاصته كالوزراء والقواد ونحوهم ممن هو منسوب للسلطان
وربما نسا ولده الفهم أبا قال رضي الله تعالى عنه في شرح الحديث الشريف ما نصه نسأل الله أن الطمع
من الآفات المتعلقة لصاحبها ويناديه بنا المنزع له الذل والهوان في هذه الدار وفي الأخرى
قال وهب بن منبه أربعة من الكبر الغضب والحرص والطمع والشهوة وعنه صلوات
الله وسلامه عليه أنه قال إياكم والطمع فإنه فقر حاضر وقد قيل فساد الدين ونحله الطمع
وملاكه الورع وقال أبو بكر الوراق رضي الله عنه لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور
ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل ولو قيل له ما غايتك لقال الحرمان وقال الشيخ
أبو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن المخلوقين وقال
إبراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنه كثرة الحرص والطمع تورث الغم والجزع وقلة الحرص والطمع
تورث الصدق والورع وقال سماك الحداد رضي الله عنه العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع
وقال لولا الأطماع الكاذبة ما استعبد الأحرار بكل ما خطر له وحقيقة الطمع ما قال الغزالي
رضي الله تعالى عنه هو إرادة الشيء المخاطر بالحكم يعني إرادة ما في خطره أن يكون وما يكون
وعلى تقدير أن يقع فيحتمل أن يكون فيه صلاح للعبد أو لا فيه شيء فيتهور الطامع فإن حكم
فيه مع هذه المخاطرة بأن له فيه صلاحا ومنفعة أو له فيه فسادا أو مضرة كالأسفار غير
الواجبة والتجارات والصنائع ونوافل الطاعات فيستغرق في طلب هذا المخاطر
ما جزم فيه بالمصلحة لنفسه فيتعطل بسبب ذلك واجبات عليه وتختل في دينه ودنياه
وضد الطمع التفويض وهو ترك اختيار ما فيه مخاطرة إلى المختار المدبر العالم بمصالح الخلق
وقال الغزالي رضي الله تعالى عنه المرء تعرف له أن التفويض إرادة أن يحفظ الله عليك
مصالحك فيما لا تأمن فيه الخطر قال والطمع في الجملة على ضربين أحدهما في معنى الرجا
في شيء لا خطر فيه وفيه مخاطرة بلا استثناء وذلك ممدوح غير مذموم كما قال تعالى إنا
نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا والثاني طمع مذموم وهو شيئان أحدهما أن يكون انطباب إلى
منفعة مشكوكة والثاني إرادة الشيء المخاطر وهذه الإرادة تقابل التفويض بل هي عين

قال

قال وخوف النفوس في ذي خطر الامور وامكان السلامة والعطب وهو حصن ذي حجز لي
عن الاعتصام عن ضروب الخطر والامتناع من الوقوع فيها بجهله وغفلته وقصبته قال ثم اختلفت
عبارة الائمة في الخطر فعن بعضهم ان الخطر في الفعل هو احتمال ان يكون دونه نجاة وبكسبه
ان يجامعه ذنب بلا ايمان والسنة والاستقامة لا خطر فيها اذ لا يمكن ان يكون دون الايمان
نجاة والاستقامة لا يجامعها ذنب فاذا اتضح ارادة الايمان والاستقامة بالحق وقال
الاستاذ رحمه الله تعالى الخطر في الفعل ما يمكن ان يعرض فيه ما يكون الاشتغال بالعارض
اولى من الاقدام على ذلك الفعل وذلك لا يقع في المباحات والسنن والنوافل كمن عرض له في
اثناء الصلاة انقاذ غريق ونحوه فلا يتضح اذ الارادة بالمباحات والنوافل والكثير من
النوافل بالحق قال وبعد سمعت الامام رحمه الله عليه في هذه المسألة انما امر الله على
عبيده من الصلاة والصوم والحج ونحوه فيه صلاح لحالة العبد ومحض ارادة تعالى بالحق
قال في نفي رتبة على ذلك لا في عينه المباحات والنوافل اذ ليس من الحق ثم هل امر المفروض
الصلاة والعبادة انما هو في الغالب او دائما لانه لما يفعل بالامام فيه حكم الحق بفضل الله
تعالى فوائد واختار شيخ الغزالي الثاني منهما قال اذ لولا ذلك لما دونت المباعثة على النوافل
وما يلزم من ان يكون خلله الصلاح هو الافضل بل قد يكون مقصوده ما ان المقصود للعبد طلب
النجاة من المهالك من العقل والشرع وللمعترض ان يطلب من الله تعالى ان يجمع له بين الصلاح
والافضل جميعا قوله واعلى ان صاحبها من التملق في ذل الحجب والدليل على ذلك النصوص
وقد قدمنا منها ما يكفي في المشاهدة وهذا قال ابن عطاء الله في حكمه ما بسقت
اغصان ذل الا على بذر طمع اي ما طال الذل وانتشرت في الكون ثم قال الشيخ ابو الفتح رضي الله
عنه ايس وعبد لما انت له طامع يعني ان الطمع يحمله على الاستغراق في طلب مطموعه
وذكر منته وحمل الشوق والرغبة بتحصيله وهذه الرغبة ذل للشيء الذي رجا حصول ذلك
من قبله وهذا غاية ما يفعل العبيد البارون بسادتهم والسبب الذي يتوصل
منه الطمع استغراق النفس في اسناد الاثار للاسباب العادية لما شاهدت ارتباطها
بها كثيرا وعميت عن ادراك الموجود بها بدونها كثيرا واسناد هذه الاثار للاسباب
العادية ان يجاز عن اعتقاد تاثيرها فيها محبوبه عنه السلم وقد نقلح في العقائد بل
وان كان لغفوتهم ارتباطها وتوقفها عليها فيوجب لما هو انما توجد معها وبدونها

ومن اسباب الطمع الجهل بالمقدور وعدم الثقة بضمان الله تعالى وكفايته لمن فوض امره وتوكل
عليه ومن اسبابه ايضا جهله بقدر ما لديه ربه وبقدر النعم التي منحه الله تعالى من غير سؤال
فاذا اهان نفسه بان اخرجها عن الانتساب والعبودية لمولاها الى ملاحظة المملوك مثلها ونقلها
الى انظار عبيد امثاله حادث عاجز مثله قوله فمن قبل اخرجه نكرة محذوفة بعين اخرجه
كلمة الطمع واشار بهذا الى ما قال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه قال الطمع
ثلاثة احرف مجوفة فصاحبها بطن لا يشبع زاد بعضهم انها كلها يابسة كما ان
صاحبها فانه مبتلى بالحرمان وبيبس الافراغ وكيف لا وهو قد طلب الشيء من غير محله
وعلى غير وجهه فاعتمد على الاسباب وركن الى الانتساب الى رب الارباب وتوجه للمخلوق واعرض
عن الملك المعبود بحق فان قلت لم جعل الطامع يعطي بعض من الاسباب التي تعلق
بها واستغرق في حب منها قلت لان طمعه بعرض اليسير الذي يفوت معظما فقد اتعب
ظاهره وباطنه وفوتته من منازل العز ودرجات الاخرة والعز في الدارين ما كان
نسبته لذلك الحظ اليسير الذي يفوت المشوب بالطمع والاحزان والذلة والمهانة في
الدارين، ومن قدر ان يكون عبد الملك يخلع عليه الخلع النفيسة ويركبه المراكب
الملكية ويخدمه الخيل والرجال فعدل عنه رضا ان يكون عبدا لسفلة له لحمل من
الازبال والقذرات ثم يسد جوعته بكسرة ويستر عورته بخرقة افلا يكون في غاية
الحرمان واين هذا ممن قوته بعبوديته الاسباب من مال وجاه وملك وتجارة وصناعة
وجمال امرأة وخدمته كلهم وخروجه لحقيقة العبودية لمن تفرد بالملك والعزة وحرص وحيرة
من خزائن النعم والمكارم في الدارين ما لا نهاية له وهو يعلي المنزل في مراتب الجنان لعباده
المقبلين على طاعته ويعطي جلله ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويملك
الدنيا لجنى ابن يامع رضي الله عنه والسلامة والعافية ابد الاباد فمن زلة وما فيهم بالنسبة
الى نسبيته واحق بعز العبد هاما ويذكر مولاه العظيم به مع حضور قلب وفراغ
نفس وكيف نسبة ما جعل للطامع في الاسباب من العرض اليسير الحقير الى ما يناله من
علوم نافعة وكرم في جنان المولى العظيم جالبه وحضور قلبه في اداء فرائضه والاوراد فيما
ندب اليه من ذكره وانواع قربه وكثرة الصلاة والسلام على مصطفاه من خلقه سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم نسئله سبحانه ان يلهمنا رشد انفسنا وان يعيننا على المداومة على

ذكره

ذكره وشكره وحسن عبادته ثم جاء أشرف خلقه حبيبنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
انتهى كلام الشيخ سيدي ومولاي ابن محمد السنوسي قدس الله سره ورضي عنه وأفاض علينا
من بركاته وأنواره ونفعنا بعلمه ووفقنا إلى اتباع كريم آثاره وجعلنا بفضله وكرمه في
أعالي الفردوس من جوار حبيبه وخليله عليه الصلاة والسلام سيدنا ومولانا ونبينا
محمد صلى الله عليه وسلم شفيعنا وشفاعته ذا اليقين بنا وإلى ملة الله تعالى ينفع الرب والمولى تنبيه
قال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه ونفعنا به في لطائف المنن واعلم رحمك الله تعالى أن ورع
الخصوص لا يفهمه إلا قليل فإن من جملة ورعهم ثم ورعهم أن يسكنوا إلى غيره ويميلوا بالحب لغيره
أو تمتد الطماعية بالمطمع في غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسائط
والأسباب وخلع الأنداد والأرباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد
على الطاعات والسكون إلى الأنوار التجليات ومن ورعهم ورعهم عن أن تفتنهم الدنيا أو تقفهم
الآخرة ثم ورعوا عن الدنيا وورعوا عن الوقوف مع الآخرة حجبا قال الشيخ عثمان بن عاشوراء
خرجت من بغداد أريد الموصل فإذا أنا أسير وإذا بالدنيا عرضت علي بعزها وجاهها وزينتها
ومراكبها وملابسها ومن بناتها ومشتهياتها فأعرضت عنها فعرضت علي الجنة بحورها
وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لي يا عثمان لو وقفت مع الأولى لحجبناك
عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها هو ذا لك وقسطك من الدارين يأتيك
وقال الشيخ عبد الرحمن المغربي وكان مقيما ببشنين في الإسكندرية حججت سنة من السنين
فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع إلى الإسكندرية فإذا بي ألهمت أنه العام القابل عمرنا
فقلت في نفسي لذلك العام القابل ها هنا فما العود إلى الإسكندرية فجئت إلى الذهاب
إلى اليمن فإذا نحن بأناس قد عاتوا ساحلها وإذا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم
فإذا رجل قد فرش سجادته على البحر ومشى على الماء فقلت في نفسي أصلح للدنيا وأنا للآخرة
فإني أخاف أن يقال لي من يصلح للدنيا وأنا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه
الورع نعم الطريق لمن كمل ميراثه وأجل ثوابه وعقباه انتهى الورع إلى المتحقق من الله تعالى وعن
الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم
أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا يمشون
ولا ينطقون إلا بالله ولله من حيث يعلمون فهم بهم الحق على حقيقة الأمر مجموعون في عين

الجمع في شيء من وجه انهم اعلم فيما يراد منهم واما امثالنا فالادنى في حقنا والله يورعنا عنه
ثواب الورع مع الحفظ لمنار حرمات الشرع عليه ومن لم يكن لم يعلمه وعمله ميراث فهو محجوب
بالدنيا ومحروم بعد عنا ومن ميراثه الفخر في خلقه والاستكبار على امثاله والدلالة على الله بعلمه
فمن اهل الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع
ويستغفرون الله منه ومن لم يزده علمه وعمله الا افتقارا الى ربه وتواضعا لخلقه فهو سالك
فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن صلاحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم
عن صلاحهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم فانظر رحمك الله سبيل اوليائه ومن
عليه لطائف نعمه احبابه هذا الورع الذي ذكر الشيخ رضي الله تعالى عنه هل كان يحاسب في الرسائل
هذا النوع من الورع الاكثر من قوله فيه انه نهاية الورع الى الاخذ من الله عز وجل والقول بالله
والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة اللائقة فهذا هو ورع الابرار والمقربين
لا ورع المتقشفين الذين يتشبعون بما لم يعطوا وغلبة الوهم انه من لطائف المنن نسأل الله تعالى
النجاة من مهلكات الغش والغرور ظاهرا وباطنا على الوجه الاحسن بجاه حبيبه وحظ بابه وخليله
ونجيه سيد الاولين والاخرين وخاتم الرسل المجلين سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته واما ورعه هو رضي الله تعالى عنه
ونفع به فكان ظاهرا في ذلك العجب العجاب وقد اتاه ابن الخليفة ابو ما ... ولد رضي
الله عنه عينا فطلبه وقبل يديه ورجليه الكريمتين ليأخذ منه ذلك ويقبله منه فأبى
ان يأخذها رضي الله تعالى عنه فلما ايس ابن الخليفة من الشيخ رضي الله عنه ورأى الشيخ
ابى ان يأخذها قال له يا سيدي خذ هذه الدراهم وتصدق بها على من شئت من الفقراء فامتنع
من ذلك ثم ان ابن الخليفة دفعها وفرقها على بعض المساكين من اصحاب الشيخ رضي الله تعالى عنه
ونفعنا به ولم يرض الشيخ لصاحبه ان يأخذها منه فانظر يا اخي هذه الدرجة ما اعلاها
وما احسن من يتصف بها ... في زماننا هذا من رغب الورعات في اخذ شيء من حطام
الدنيا فلا يأخذه ولا يقبله ولا يميل اليه ولا الى صاحبه بوجه من الوجوه فعدا الشيخ رضي الله
تعالى عنه بل من يعرض عليه في اخذ شيء فقطع الرغبة في اخذه فلا يأخذه ولا يبالي به ولا
بصاحبه مع ما علم من حال الشيخ رضي الله عنه ومن عادته انه اذا طلب بشيء فيعد الجواب الذي
جبل عليه ولم يقدر ان في اغراض الناس وازهدها فلم ... ويفسدهم حتى انه يكره شيئا

بيه

في غاية الكراهة فقل الكتب بذلك مرارا وهو في ذلك فيجيب اليه من يطلبه في الكتابة لكل حاجة من
الحوائج فيكتب له حياء من الطالب فاذا كان هذا الموصوف له مع الخلق في غاية الحياء وانه لا يقدر
على ان يواجههم بما يكرههم ويسوءهم فعلى ان مقتضى حاله انه لما طلبه السلطان وقبل
يديه ورجليه الكاتبين في اخذ ما اهدى اليه وقبوله منه غلبة الحياء الذي جبل عليه فياخذ
ويقبله منه واقل ما في ذلك ان ياخذ بنية التصدق به على من يستحقه لكن لما [illegible] وحيرته
وعدم فراسته وعلمه بما تشعبه ان المصلحة في هذه النازلة المخالفة في اخذ ذلك وعدم
قبوله منه فتح حق الله تعالى وتركه ولم يعبا به ولا بصاحبه ولم يلتفت بعلو همته وبنور
بصيرته اليه ولم يخف في الله لومة لائم فهذا هو شان العارفين بجلال الله تعالى وعظمته هذا
كله مع اظهار البشاشة وكثرة التبسم في وجه صاحب المال والدعاء له وطلب المجازاة
من الله تعالى بالخير له ولا يتحرج صاحب المال عنه الا بطيب نفسه مع رد ماله فهذا كان حاله
مع الخلق رضي الله تعالى عنه مهما تعارض عنده امر حق من حقوق المولى تبارك وتعالى وحظ احد من
قدم حق الله تعالى على وجه لا يكون فيه حرج ولا يظهر عليه [illegible] الا ان يوافقه الشيخ فيما طلبه
منه واما اذا لم يكن فيه حق من حقوق الله تعالى كما اذا طلب منه ان يكتب للامراء ونحوهم
فهذا يغلبه الحياء الذي جبل عليه ولا يقدر ان يخالف الطالب ويعلم بما يسوءه بالكلية
مع كراهته للكتب اشد الكراهة ولو تكرر الكتب مرارا كثيرة ونقلت عنه انه اخبره بعض [illegible]
الوزير رحمه الله تعالى وقد غضب عليه يوما وقال له يا سيدي تكثر من الكتب للسلطان فقال
له فما كيف بذلك فقال له لا تواجه من يطلبه في الكتب وقل له انا لا اكتب فقال له والله
يا اخي ما يمنعني من ذلك الا غلبة الحياء فما قدرت ان اقول له لا اكتب فقال له لا تستحي
من احد فقال رضي الله تعالى عنه وارضاه والله لكنت في الفردوس الاعلى اذا امنوا الجبارة
يدخل صاحبه النار فانا ادخلها [illegible] من الله من رونقها او كما قال رضي الله تعالى عنه ثم
قلت ونحو هذا جاء في فضيلة الحياء انه لا ياتي الا بخير وانه شعبة من الايمان فقد
كان فيها من الخلق رضي الله تعالى عنه وبالجملة فمن رفع همته عن دنيات الامور وتوجه بكل عزمه
جميع المخلوقات تعظمه عند العام والخاص فتجده رضي الله تعالى عنه لا يانس باحد ولا ينتسب
في معرفة احد بل يود ان لا يراه احد ولا يعرف احدا كما اخبرني بعضهم رضي الله تعالى عنه
بذلك قال والله يا ولدي لو صفا ما ان احدا [illegible] احدا ولا تعرف احدا ابدا لتبعتا وهو [illegible]

ما اشتغل بالله سبحانه وفارقوها بقلبي من قبل الناس ان كان معظم حجي ان يعطوني بذلك
منفعة سلمني لي جميع ولا حاجة لي باحد ولا بشيء من الناس او كما قال رضي الله تعالى عنه **قلت**
فهذا هو العز الاكبر والكنز الاوفر كما قال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه
والله ما رايت العز الا في رفع الهمة عن الخلق **انتهى** نسأله سبحانه ان يزيل من قلوبنا حب
ما سواه وان يلحقنا رشدا بنفسنا بجاه سيدنا ونبينا ومولانا **محمد** صلى الله عليه وسلم تسليما
عن دوام الالتفات سبحانه **تنبيه** قال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه في لطائف المنن
لداعي ان رفع الهمة عن الخلق شان اهل الطريق وصفة اهل التحقيق **ولقد** سئل الجنيد
ان من العارف فقال وكان امر الله قدرا مقدورا ولقد سئل الشيخ ابو العارف بالله عبد الله
لمقال الا وانما مراد الحق سبحانه وتعالى ان يوجد للعبد في كل شيء حبا وثقة وتوكلا وخوفا
ورجاء وذلك الذي يتشوق في ربه وكان بعض العارفين ينشد **شعر** ٢١

حرام على من وحد الله ربه ، وافرده ان يجتدي احدا رفدا ،
ويا صاحبي قف بي مع الحق وقفة ، اموت بها وجدا واحيا بها وجدا ،
وقل لملوك الارض تجهد جهدها ، فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى ،

ورفع الهمة انما ينشا عن صدق الثقة بالله تعالى وصدق الثقة بالله تعالى انما ينشا
عن الايمان بالله تعالى سبيل المعاينة والمواجهة فيوجب لهم ذلك العز بالله تعالى قال
الله سبحانه وتعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والنصر بالله قال الله سبحانه وتعالى
وكان حقا علينا نصر المؤمنين والنجاة من العوارض الصادرة عن الله لكم قال الله سبحانه
وتعالى كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين **معنى** المؤمن ثقته بالله مولاه ، وشعار اهل الارادة
ودثارهم الاكتفاء بالله ورفع الهمة عما سوى الله تعالى وصيانة نفسه عن الايمان من ان
تدنس بالميل الى الاكوان او الطمع في غير الملك المنان **ولنا** في هذا المعنى ٢١

تحركت قلوب كان ما زال احجما ، بصدق عزم عظيما ان نضحى بها ،
ما تنكر عنه النفوس [illegible] ذات ، ما ان يطالب بالموجود ولا اشغبا ،
لا فخر ان كنت فيه مرتفعا ، فالبر بعد ان بعد او ان خصبا ،
الله اعلى النفوس ذو همة ، تلهو بالدنيا عفة ونفس قصيا ،
لا ما هو على الوراد باحنة ، وارتفعا عن الملوك واشرفا ،

وابرا

وأرى بهم أن الفقير البهيم ، وجميعهم لا يستطيع نصرا جا
أم كيف أسأل رزقه من خلقه ، هذا العمى إن فعلته سوى الجفا
يشكو الضعيف إلى الضعيف فقله ، عجز أقام بحاملية على شفا
فاستغن بالله الذي إحسانه ، عم البرية منة وتعطفا
والجأ إليه فجوده فيما ترتجي ، لا تعد عن أبوابه متخلفا

والذي يوجب له رفع الهمة عن ما سوى الله تعالى علمه بأنه في جوار مملكة الله وفي كنفه ومنحه وأعطاه في تنوله حاجة عند غيره وإذا كان في اقتضاء الفهم عن الله تعالى أن يكتفي بعلمه عن مسألته فكيف لا يوجب الفهم إلا الاكتفاء بعلمه عن سؤال خليقته ومن قام بالحق تعالى أغناه عنهم في أحيانه . وفيه اقتضاء معنى رفع الهمة إليه كما اقتضاه من غيره ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى ولقد جئتمونا فرادى من المتالف والفراق الجهلة ما تقر عينيه وكيف لا يكون منه فيه وقد أتم وجود عنايته وحضائر ربانيته بلا مفية له عن التعلق بغيره وكان بعض العارفين ينشد فيقول

البعض يعوم في علوم الحقائق ، وبعض انبساط في مواهب خالق
وفي جنب إشراف على ملكوته ، أرى بسطا كفا الرغب رازق

وإن كان في رتبة من الخلق فيرضاه منهم أن تقصد رتبة تضييق المنع والعطاء والولاية والعزل فيه لغيره فيرضى الله الحق سبحانه أن تعرف له ربوبيته وتضيف آثارها لغيره فاحذر أن تكون من الذين قال الله فيهم وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وقبيح أن تكون في حياتك وتوجه وجه طمعك ولله در القائل

أتجلس في جد إكرامكم وعزكم ، أوجه يوم الحاجات رجائيا
فكان في الود الذي لمحتني ، أخلد بهما سواكم ورائيا

وما تطلب ممن هو لغيرك عنه وتترك الطلب ممن هو أقرب إليك من حبل الوريد ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان وقال سبحانه وتعالى ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقال سبحانه وتعالى ادعوني أستجب لكم وقال تعالى واسألوا الله من فضله وقال تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه كل ذلك ليجمع عباده عليه ويكون فزعهم في حوائجهم إليه انتهى كلام ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه وعنا سائر أوليائه ووفقنا بفضله وكرمه إلى اتباع طريقة أوليائه وأحبابه وجعلنا بفضله ورحمته في دار كرامته لا حجاب بحجابه سيد الأولين والآخرين سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

خاتم رسله وانبيائه واما حلمه رضي الله عنه ونفعنا به فيبين وكان من شانه انه لا ينتقم
لنفسه ولا ينتصر لها فمن عظيم حلمه انه ربما يقال فيه ما يكره سمعه فيتغافل عنه ويرى من
نفسه انه لم يكن شيء من ذلك ولا يوثر ذلك فيه بالكلية بل سماعه لم يزل وعلى سماعه على حد
السواء عنده وربما يظهر البشر والتبسم عند ذلك ولقد تكلم رجل بحضرته بكلام قبيح جدا
يرجع شيء منه الى الشيخ حتى خجل بعض الحاضرين من قبح كلامه وهم ان يسبه وان يقيمه من
مكانه ويطرده فاخذ الشيخ رضي الله عنه يبتسم من كلام الرجل ويظهر له البشر والبشاشة
في وجهه حتى يظن بالرجل انه لم يصدر منه سوء ولا صدر منه شيء حسن ولقد اتفق لي في قضية
اذا كنت مع الشيخ رضي الله تعالى عنه في صحراء الجار رجل فقال للشيخ كلاما رديا حتى خجلت
خجلا عظيما وكان ذلك في وقع ذلك الكلام فاخذ الشيخ يضحك ضحكا شديدا في وجهه والرجل
يزيد في كلامه الرديء فقال البعض منا قلت للشيخ ما شان هذا الرجل يتكلم بهذا الكلام ٥
فقال لي رضي الله عنه كان يعرفني في صغري فلعله لم يا سر علي او كما قال رضي الله عنه وهذا
شانه في جميع ما يوجب التغير والغضب عادة يتغافل عنه ولا يلتفت له بالا بوجه من الوجوه
وكنت مع الشيخ رضي الله عنه يوما في روض ونحن ناكل معه وكان ذلك الزمان زمان ورد فرايت
شجرة ورد فقطفت اليها وجئت منها بوردتين ووضعتها الى الشيخ رضي الله عنه فالقيتها امامه
وهو ياكل الطعام ويلفت وردتين في حجره فرميت بها الى الشيخ رضي الله تعالى عنه وقصدي انها تسقط
امامه فاذا بها سقطت على عين الشيخ رضي الله تعالى عنه حتى اغلقها فلما رايت ذلك
خجلت خجلا عظيما وكدت ان اموت حياء من اجل ما وقع مني والهرقة بر الرابي الى الارض فلما بطش
الشيخ في دعوتي فلي من الخجل العظيم فقال لي فاهة ان الله يجعلني ياولدي لو كان احد يفرح بشيء
فالوردة يفرح بها الذي كان في الروح لانها من نعم الله تعالى ولها رائحة طيبة ذكيتها فهي بها احق
ولو كان الناس يفرحون بالحجارة كذي تصنع ولا تخاب الامن الحجارة او كما قال رضي الله عنه
ثم قال لي كل ولا عليك فهذا كلام مليح ولا علمت معناه الا الان او كما قال فانا زال الله ما كان بي
من الخجل العظيم وادخل الشيخ بسبب ذلك القول الحسن البليغ علي سرورا عظيما وفرحا كثيرا
فانظر هذه الاله تعالى الحلم الكريم الذي من فضله واحسانه ان اتفق الشيخ من عظيم الحلم والرافة
والرحمة والشفقة على جميع الخلق الى ما لم يبلغه على احد ممن عاصره فنجزه رضي الله عنه يسمع ويصبح
عن ما يقع من سوء الادب من تلامذته وغيرهم كما اذا اغتاب الغافري عرضه وخلقه وختم عنه العين عذرا و

وقع تشاجر فيما بينهم او كلام رديء ونحو ذلك مما لا يليق **فيجد** الشيخ رضي الله عنه يتغير في نفسه
تغيرا عظيما عند ما يقع منهم ذلك ويصبر على ذلك الامر اياما حتى يظهر علامة ذلك في وجهه رضي الله
تعالى عنه حتى ان اصطلح العفو وجاءوا يطلبون من الشيخ ان يسمح لهم سمح للكل وينبغي لكل واحد
منهم خفية عن ان يعود لمثل ذلك ويتكلم الشيخ واحد بكلام لين سهل يسير فيهذا وما على انيا **فعند**
ذلك تظهر البشارة في وجهه والفرح من اجل ما حصل لهم من التاديب فلولم يعد ما تنافرت
القلوب وكثرت منهم العيوب ولقد وقع منهم هفوات وتجاوز بها مع الشيخ ولم ار فيها احقد
والشيخ على ابن لاخر ظننت انه يغلب على محبته بها وافرت عنه باصدر منه من سوء
الادب **فقال** رضي الله عنه والحق في هذا لا نغتر من هذا ولا عليكم منه وليس في هذا كبيرة
او نحو ذلك من كلامه الذي يسلي الخاطر ويعجب الناظر وربما دعوا لهم انا بين خرج خاطري وما
عليه بيا ولدي نحن بين عما لي بما ارجوا ان اجري في الاخرة بركته واما الدنيا فقد رأينا من بركته
وصالح دعائه ما لا نطيق شكره ولله المنة نسئل الله ان يجعل مستقره في اعلى الجنة وان
يجعله مما يتنعم في اعالي الفردوس بروية ذاته العلية في كل لحظة وان يبلغنا بفضله وكرمه
مراتب اهل الكتاب والسنة بجاه سيد الاولين والاخرين سيدنا ومولانا **محمد** صلى الله عليه
وسلم الهادي للامة **وكذا** كان يسير تسمع الخلق منجرحا ولا حقد على احد ولا يظهر العبوسة
في وجه من اساء اليه حتى ان الغبي الجاهل الذي تكلم في عرض الشيخ بدا له الشيخ بالسلام والتحية
بالكلام والتحية والاعظام ولا يظهر له ما يدل على الملام حتى يعتقد المعتقد ان ذلك الرجل
صديقه وحبيبه ثم اذا غاب الرجل تحدث الشيخ عليه بان قيل له انه خير حمد الله على ذلك وان
قيل له انه مريض عاده وان مات انه خرج لجنازته ان امكنه ذلك **وكذا** كان ... الدمع من تكلم في عرض
حبيبه بغيره حتى لم يبق ان الانسان يميز صديقه وعدوه ومحبه وبغيضه **وبالجملة** فالذي تكرر من
الوقائع فيما يرجع الى التعصب لا يعنى الي وكتا ممن يدعي الذاع على اهل الارض وانه
فعل للواحد من العلماء كثيرة جدا تحتاج الى ديوان مستقل من جملته ذلك ان الشيخ رضي الله
عنه لما الف بعض عقايده واظهر فيها الوحدة الوجودية بفنية تبع المسلمين انكر عليه كثير ممن يعرف
منزله من علماء زمانه وتكلموا في عرضه ونسبه بعضهم الى الالحاد والكفر وبرو ابن عطية ان
ومثله خيال الى ان ما فعله الشيخ من اظهار العقايد من اكبر البدع وان تكذيبه هو الورع ان
فلما سمع الشيخ بذلك تغير تغيرا عظيما وبقي محزونا كئيبا نحو من ثلاثة ايام **ثم** ان الشيخ

رضي الله تعالى عنه ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في نومه وتقووا فيه على راس الشيخ
ويبرك بسيفه او عصاه ويقول تعالى على راس الشيخ ونحو ذلك مما وكان يقال له ما هذا الخوف والجزع من
الناس او كما قال رضي الله تعالى عنه فاجتمع الشيخ رضي الله عنه وعلم زال حزنه وتغيره واتسع
قلبه على المنكرين عليه مجلس ان الله خير المستنكر ولم يقدروا ان يتكلموا فيه بشيء مما ان الله تعالى اذا اعلى
الحق بين الخلق واظهر ان الشيخ رضي الله عنه ما مع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وشرف
وكرم لغريبة ظهرت لي عند هذا حدثت بين الرؤيا الكونية لما تستبيل الدار في هذه الرؤيا اشرف
الخلق وافضلهم عند الحق سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما لكنه لم يرد
جوابا على عادته في كتمان ما ابرزه من عظيم الكرامات وغرائب المكاشفات ومع هذا كله
صفح عنهم وسمح لتلك الزلات رحمة الله عليه فرجع الكل يجثو تذللا وتذلل بالعفو والخصوصية
وكون ذا الحجة عالية والدار نعت مقامهم في سطوة هذه العاتية وان قلبه متعلق بالدار الباقية
الامن لجميع الله على قلبه متجرد بذمة ولم يرد له مزيد فهذا ما كان يخاف عليه سوء الخاتمة
والعياذ بالله لقول النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى من آذى لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة وقال بعض الجهة اهل التصوف يخشى على المكذب لهم سوء الخاتمة وقال صلى الله عليه
وسلم من احتقر عالما فهو ملعون في الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم العالم سلطان الله
في الارض فمن وقع فيه فقد هلك ولهذا هو الحرمان العظيم الذي يقضي بصاحبه الى العذاب الاليم
ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا
خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم نعوذ بالله من الطغيان ومن الخيبة والحرمان الذي يؤدي الى
العطب ويسلب اهل الايمان نسأل الله ان يرزقنا احسن الظن بجميع اولياء المتقين
وان يميتنا على محبتهم ويجعلنا من اهل جوارهم بجاه سيد الاولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم صلاة تنور بها قلوبنا بنور اليقين والحاصل انه لما بعد لا احد في عصره
حلمه ورفقه وشفقته ورحمته على الخلق عاقلهم وغير عاقلهم صغيرهم وكبيرهم اما شفقته
ورحمته وحلمه على العاقل فمعلوم ضرورة عند الخاص والعام يتجه كل من غصب له شيء او ظلم
فيه او خاف من شيء او وقعت له حاجة الى سلطان وغيره يجيء الى الشيخ ويرفع اليه في
اموره لما علم من عظيم حلمه وشفقته ورحمته وزيادة بسطه رضي الله عنه الى الكل بعين الرحمة
والرضى ويقضي حوائجهم ويسلي قلوبهم فلا ينصرفون عنه الا وقلوبهم طيبة مسرورة من اجل

فعل شفقته ورحمته
رضي الله
تعالى عنه

ما رأيناه من إقبال الشيخ عليهم وتبشّشه في وجوههم وقضاء حوائجهم فيفيد ذلك وعلى من كانت
وسكنوا على الدوام في شفقته على الضعفاء وقضاء حوائج المخلوق رضي الله تعالى عنه وأما شفقته ورحمته
على غير العاقل من الحيوان فيدخل على ذلك ما حدثنا السيد رضي الله تعالى عنه قال ذلك أنا كنا معه على شفقته
رحمته رضي الله عنه يوما في صحراء فبينما نحن كذلك إذا بذيب خرج أمامنا وتبعه جري على عطفه
وإذا بالكلاب فاصطرت نحو ذلك الذيب ونهاش عليه في الجري وراءه فبقي الشيخ ما من أجل له
ذيب خرج وراءه حتى أدركه من جاء رسلت كلابهم عليه فقتل الذيب في بعض الكلية ودنا كل
من الجري وعلى حزنه من الكلاب فحسبته الكلاب وضربه بد الأرض وجرحه ثم لجأ رجل خرج
في موضعه حتى وصل الشيخ إليه فنظر الشيخ إلى الذيب ملقى على الأرض مجروحا فيه فبكى رضي الله
تعالى عنه ورأيته بجميع الدموع من عينيه وهو يقول لا إله إلا الله وإن الروح التي كان يحيى
بها هذا الذيب وقال وإن السر الذي يحيى به فتأملوا فيه كثيرا ثم سأل الفقهاء الشيخ رضي الله
تعالى عنه عن حكم أكله فأجابه بأنه يكره أكله والله تعالى أعلم ومن عظيم شفقته على غير العاقل
أيضا أنه كان إذا مشى على الأرض وضع قدماه عليها برفق وينظر في حال مشيه أمامه وإنما
يفعل ذلك والله أعلم خشية أن يطأ على شيء من خشاش الأرض فيقتله بثقله على بطن الأرض
يعرف ذلك الكلية وإنما يضع رجله عليه وضعا خفيفا وينظر أمامه وأخبرت بعض من حوله مرارا
في المجلس يقول ينبغي للإنسان أن ينظر أمامه حال المشي وأن يضع قدمه على الأرض برفق
لئلا يقع على الأرض حيوان فيقتله أو كما قال رضي الله عنه وقد تقدم ذكر صفة مشيه رضي الله
عنه ومن عظيم شفقته على غير العاقل أيضا أنه ربما اجتاز يحدث في بعض الطرق فإن رأى إنسانا
يضرب حماره الضرب العنيف فيتغير وجهه ويتبدل لونه من ذلك ويقول لصاحب الدابة ارفق
بها يا مبارك وربما يقول والعياذ بالله تعالى من قساوة القلب ونحو ذلك من كلامه وما ذاك
إلا من عظيم شفقته ورحمته التي لا ينزعها الله تبارك وتعالى من قلب شقي وربما ركب الشيخ
رضي الله تعالى عنه حمارا في بعض الأوقات ويكون الحمار ممن لا يستعجل كثيرا في المشي أو ممن يبطئ
فيعود الشيخ رضي الله تعالى عنه يشير إليه بالقضيب وربما يضربه ضربا خفيفا حتى إذا احتاج
إليه فيمشي بقدرة الحي الذي لا يموت وما ركبه غيره لما أذعن إليه إلا بالضرب العنيف وما رأيته
قط ضرب بيده شيئا إلا إذا ضرب حمارا ضربا خفيفا فيما احتاج إلى ذلك بل كان رضي الله تعالى عنه كثيرا
ما ينهى عن الضرب الكثير لغير فائدة كما ضرب المؤدبين للصبيان ويقول رضي الله تعالى عنه كثيرا من

المؤمنين لم تجد فيهم رحمة ولا شفقة للأولاد والعياذ بالله منه **ويجري** إذا رأى من الصبيان شيء
لا يرضيه الجنون من سوء خلقه وقساوة قلبه فيضربهم الضرب العنيف ولا يبالي في أي موضع
ضرب **وربما يكون** وقع بينه وبين شيطانه يعني زوجته مشاجرة فيغضب لذلك ويرد غضبه
على الصبيان الصغار والكبار فيجري مثل المجنون أو الحرس الذي يقع في الحروب فيضربهم بأي آلة
وجد وربما أخذ له آلة فيقتله **ويقول** رضي الله عنه هذا وأمثاله لا يجيء منه واحد شيء
ولا ينفعهم الشيخ من تلك القراءة التي منه ولما على هذا المؤدب الخبيث لأنه يعتقد بزعمه
وجهله أن الضرب يقع الزجر والطرد بالتعليم وأنه لولا الضرب ما كان أحد يفلح وهذا اعتقاد
اعتقاد المعتزلة في نسبة التأثير لغير الله تعالى المخترع لجميع الأشياء **فيجب** فينبغي
الصبيان يتركه التأديب بل الغالب على مثل هذا أنه لا يرجى بتركه التأديب فيهم الأسرار وينتشر
ويقول رضي الله عنه وهذا والعياذ بالله لا يليق به إلا أن يرجع حرسيا وشرطيا عند
الحكام الظلمة لأنه لا شفقة معه ولا له رحمة في جانب أحد وكيف وقد يطمع في الرحمة **وقد قال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يرحم الله من عباده الرحماء **وقال** عليه الصلاة والسلام
ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء **وسمعته** رضي الله تعالى عنه أن لله تعالى مائة رحمة واحدة
جعلها في الدنيا وتسعة وتسعين ادخرها إلى الآخرة **قال** ولا مطمع لأحد في تلك التسعة والتسعين
إلا من اتسم بالرحمة لجميع الخلق في الدنيا والشفقة عليهم حتى على الكفار بدعائه لهم بأن يقلب
الله قلوبهم للإيمان وأن يجنبهم طريق الكفر والردى **وسمعته يقول** رضي الله عنه لما أراد يعمون
رضي الله تعالى عنه أن يدخل ولده للمسيد وبعثه للمؤدب اشترط على المؤدب أن لا يضربه وأنه
مهما صدر منه شيء مما يستحق عليه الأدب وترك الدرس واشتغل باللعب فيذكر على حاله
ولا يضربه أصلا **فرضي** المؤدب بذلك فجعل يذهب ابنه للمؤدب حتى قلت لما ينبغي له شيء
فعلم ذلك يعمون رضي الله عنه بابنه **فقال** لما ذكر له الزجر والضرب مما يورث نقصانا في العقل
ولو بعد الكبر **قال** وإنما لما رأى يعمون رضي الله عنه أن لا تأثير للضرب ولا للزجر في حفظ
وحفظه قلة وللعقل أن الأمر بيد الله تعالى في جلب نفع أو دفع ضر وأن المتوكل على الله
سبحانه إذ منه النفع والضر فيه أمر أمره إلى الله تعالى واستودعه إلى الله تعالى وعرف
أنه لا يكون شيء إلا بإذن الله تعالى ومشيئته أو كما قال رضي الله عنه **ثم** قال الشيخ رضي الله
عنه **فهذا** يفعل المؤدب السني الطيب الذي يعلم أن كل شيء واقع بإرادة الله تعالى وقدرته

وإن

وانه لا تأثير لشيء من الكائنات في الترك كضرب وزجر ونحوه ذلك فاذا رأى من الصبيان من يستحقون
عليه من الادب ويعلم ان الضرب يفيد فيه يضربه ضربا غير مبرح باعتقاد ان من ينفع به الادب
مع قطعه بانه لا تأثير للادب في شيء وانما هو سبب عادي اجرى الله سبحانه العادة بان
النفع يحصل عند وجود الادب لا به ومن يتعلق بان يوجد الادب ولا يحصل به نفع كما هو مشاهد .
بالضرورة في كثير من الصغار والكبار جدا يزيدهم التأديب الا شرا وفتنة واما ان ظن
ان الضرب لا يفيد فيه لم يجز ضربه اصلا لان الضرب حينئذ انما هو للتشفي والغيظ ونحوه حرام باجماع
فمثل هذا الشيخ الذي يقف عند اوامر الله تعالى ونواهيه به ينفع الله تعالى من يؤدبه ويجعل
الله البركة فيمن يقرأ عليه لانه علم ان النفع والضر لا من الله تعالى ولا يتوكل الا عليه ومن قال
الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه بخلاف ذلك الفقهاء المعلمين الجاهلين المجنونين لا ينفع
الله بهم احدا الا نادرا ولا بد من كلامه رضي الله عنه في الحض على الاتصاف بالحلم والرحمة والشفقة
لجميع الخلق ونحو ما تقدم من الغضب والحقد والغل وسوء الاخلاق المنافي للقرب من المولى الخلاق
قلت ونظير حكاية سحنون حكاية سيدي عمر والد سيدي محمد الهواري رضي الله تعالى عنهما
وذلك انه لما من الله على سيدي عمر بولادة ولده لقنه القرآن الكريم ونحوه سيدي محمد الهواري رضي
الله تعالى عنه يختار له من افاضل الاساتيذ رجلا اهلا اسمه [illegible] بن عيسى وشارطه على تأديب
سيدي محمد وتعليمه القرآن وقال له [illegible] ان جرحه الولد [illegible] وشرط له ذلك ارجو من
الله تعالى ان يكون عتيقه به ومعه امثلة شديدة ومعونته في ختم المعلم وتأديب وتعليم
بدا عليه المعلم اثر الغفلة والفتور في احواله فظن ان ذلك من البلد الذي يعتري كثير الصبيان
فشدد عليه في الزجر وامره بالتعليم الحفظ والعطفة وربما ضربه علة لم يحفظ بعد الرسم
سيدي عمر فقال له يا فقيه لا تضربه ودعه على حاله فانه اولى عنه لا تخافه سبحانه وتعالى
ولي ارجو من الله تعالى ان يجعله من الصالحين لانه يبصر كل اوقاته ما يطلب على طعام ولا شراب
ولا وقف له فيما على كثرته فقال له المعلم كيف ان لا تأديبه ونحو على حسن الحالة من الغفلة
والفتور وعدم الحذق في احواله فقال له والده دعه على حاله فان ذلك من حالة التنزيه
والتوفيق الذي ينشأ عليه الشاب الذي يخصه الله بولايته ويخصه بالعبادة انتهى
قلت ذكر هذه الحكاية سيدي محمد بن سعد في صلحاء المهمة بروضة النسرين
ولعل الكاتب للاسم سيدي محمد السنوسي في صغره كان يبرئ التغافل عن امور الدنيا ومع ذلك

كان ابو يعقوب يوسف يتوجع بالكلية لما يقوم بيه من مقابل الرعاية وقد كان الشيخ رضي
الله عنه ممن يشار اليه بالصلاح في عصره لكثرة خوفه وخشيته وكثرة حنوه وشفقته على الفقراء
والمساكين وعطفه وشفقته ورحمته رضي الله عنه ممن يشار اليه بالصلاح في عصره لكثرة
خوفه وخشيته وكثرة حنوه وشفقته على الفقراء والمساكين وعطفه وشفقته ورحمته رضي الله عنه ونحو
ذلك من محاسنه التي جبل عليها في عصره ان الصالح اذا رايته ملوما ايقنت ان سيصير من الكاملين
وانه كان حفظه الله والحمد لله تعالى رضي الله تعالى عنه وغفر له ورحمه ونفعنا به دنيا واخرى وجمعنا
معه في الدرجات العاليات وحشرنا واياه مع سيدنا محمد الذي كان بالمومنين رحيما صلى الله عليه وسلم
وعلى اله وصحبه وازواجه وذريته وسلم تسليما وقال الشيخ رضي الله تعالى عنه في شرح
اسماء الله الحسنى بعدما ذكر تفسير اسمه تعالى الرحمن الرحيم قال وحظ العبد منهما الاتصاف
بالرحمة لجميع العباد ورحمة كل ما سواه تبارك وتعالى الكبريا برحمته الواسعة التي اليها
الاستناد في هذا اليوم ويوم يقوم الاشهاد ولزوم الشكر لمولاه الكريم ورؤية المنة
له تعالى وحده في كل ما يبدو من النعم بالتحميد والتعظيم انتهى وقال رضي الله تعالى عنه
بعد تفسير اسمه سبحانه الغفور وحظ العبد منه ستر الذنوب والمعايب الصادرة منه
بالتوبة المقتضية تبديل تلك المساوي وتغطيتها باضدادها وستر زلات العصاة
بالنصح لهم حتى يتركوها والتضرع للمولى الكريم الغفار ان يغفر لهم وصيانة اللسان عن
كشفها وفضيحتهم بها للغير من غير موجب شرعي وستر ذنوب من اساء اليه ومقابلته بالاحسان
ليظفر بذلك من المولى الكريم دنيا واخرى بجميل العفو وعظيم الغفران انتهى وقال رضي الله
عنه بعد تفسير اسمه تعالى الحليم وحظ العبد منه الاقتداء بالمولى الكريم حلما وعلما ويقابل الاساءة
اليه بالاحسان وطمعا من فضله بجميل العفو والغفران انتهى قلت وهذه كانت سيرته مع
الخلق رضي الله عنه ونفعنا به وكان يوقر الكبير ويرحم الصغير ويحلم على الجاهل الفقير ويصبر
الصبر الجميل على من اساء اليه ويرى ذلك امرا لازما من الرب الحليم الكريم العليم العظيم الذي له سبحانه
الملك التام والتصرف العام والخلق والامر وهو سبحانه العلي [illegible] في الصبر وبالجملة
فبعظم حلمه وشفقته ورافته ورحمته على جميع الخلق اكثر من ان يوصف ولذلك كل من جنى جناية
وخاف من سلطان او غيره على نفسه او على ماله فانه يفر اليه ويدخل في موضع حرمه ولا يقدر
احد ان يتجاسر على اخراجه من حرم الشيخ رضي الله تعالى عنه وعلى ان يامر السلطان بسوء فيه

الجاني بغير الشيخ ان يسلمه اليه لشفقته ورحمته وقد اتهموا امراة انها سمعت
بان السلطان اراد ان يسجنها وان يمثل العامل بها فهربت الى دار الشيخ رضي الله
تعالى عنه فبعث السلطان عليها فقيل له انها في دار الشيخ رضي الله تعالى عنه فبعث
من يسوقها فجاء الرسول الى دار الشيخ والرسول يرتعد خائفا اذ كانت الهيبة غالبة من الشيخ
ولم يقدر ان يتجاسر على اخراجها من حرمه فقال يا سيدي السلطان امرني ان نسوق هذه
المراة وقال للشيخ والله يا سيدي ما جئت الا بامر منه وطاعة فقال له الشيخ طاعة
السلطان واجبة قال الله سبحانه يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فلما سمعت المراة بذلك خافت على نفسها اشد الخوف وعلا صوتها بالبكاء
وجاءت تتضرع وتبكي بين يدي الشيخ رضي الله عنه فجاء الشيخ عليها وادركته شفقة
ورحمة عليها ولم يقدر ان يعطيها الى الرسول فقال الشيخ للرسول ما معنا سل الى امير
المومنين وقل له ان المراة عندنا فرجع الرسول الى السلطان وذكر له كلام الشيخ رضي الله
تعالى عنه فقال السلطان للرسول ارجع اليها وسقها رغما على انفها فرجع الرسول الى الشيخ
واخبره بمقالة السلطان فقال الشيخ ايضا للرسول ارجع الى امير المومنين وقل له ها هي
قد تركتها جالسة مع الشيخ او كما قال رضي الله عنه فرجع الرسول ايضا الى السلطان واخبره
بمقالة الشيخ رضي الله عنه فقال السلطان ايضا للرسول ارجع اليها وسقها [illegible] لا بد
فرجع الرسول ايضا الى الشيخ واخبره بمقالة السلطان فلما سمع الشيخ بذلك تغير تغيرا عظيما
وادركته شفقة ورحمة على المراة ولم يقدر ان يسلمها الى السلطان فبقي قليلا الشيخ
وتفكر تعالى عنه ثم قال الشيخ للرسول ارجع عني الان الى السلطان ولعله لا يقول
شيئا فقال الرسول يا سيدي قد خفت على نفسي من السلطان ان يعاقبني فقال الشيخ
ارجع الان فان المراة امشي اليه وقل له اني قد تركتها جالسة بين الشيخ وبين [illegible]
واهله وحبيبه فرجع الرسول الى السلطان وهو خائف على نفسه واخبره بمقالة الشيخ
رضي الله عنه فسكت السلطان ولم يقدر ان يرد جوابا ثم قال الرسول له وهل الشيخ
حبيبه قال له نعم فقال له ما اسمه قال له هو عمر وهو يمشي على رجليه او كما قال وهو
حبيبي من ابنته رضي الله عنه ثم قال الرسول له هل على الشيخ وقبل عن يديه وقل له ان [illegible]
حين [illegible] حملت [illegible] وافرغها وبعث السلطان [illegible] من ملك الرحيبة الشيخ

وقال لرسوله ارجع بهذه الى الشيخ وقل له هذه العبارة بعينها الحكيمة فرجع الرسول بمقالة
السلطان مع الهدية الى الشيخ رضي الله عنه فلما دخل على الشيخ قال له الشيخ وما
قال لك السلطان قال له … على الشيخ ومن عندي … وقل له ان … جسد لا جل
… فخرج الشيخ بذلك … وظهرت البشارة
على وجهه … الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا
به ثم … فانظر يا اخي الى هذه الشفقة العظيمة والرحمة
الجسيمة التي جبل الشيخ عليها رضي الله تعالى عنه من … ابنها عند ما
حين يأمر السلطان بعقته مع عظيم شفقتها ورحمتها وحنانتها على ابنها الذي هو قطعة
من كبدها … الاجنبي فهذا هو الشيخ رضي الله عنه … التي اجنبية
عنه ولا بينه … بحسب الطبع كثرة حنان وشفقة للام … حنان وشفقة
ورحمة على المرأة ولم يقدر ان يسلمها الى الفتنة والمحنة فهذا مما يدلك … على عظيم
شفقته ومراقبته ورحمته على جميع الخلق وجرى على ما ذكر … غاية الندور
ولم نر مثل هذا النادر ولا سمعنا به حتى صارت رحمته وشفقته اعظم من شفقة الام على ولدها
بكثير فهذا الله ان نظرت الى عظيم شفقته ورحمته على الخلق باعتبار الدنيا وخوفه عليهم من
المهالك الدنيوية واما ان نظرت الى عظيم شفقته ورحمته على الخلق باعتبار الاخرة وخوفه
عليهم من المهالك الاخروية فهذه الشفقة والرحمة لا نسبة لها بالقضية الى شفقة الام
وحنانتها وخوفها على ولدها … غاية ما تخاف عليه من الضرر الدنيوي الذي لا يعتبر
مثل الضرب والجرح والموت ونحو ذلك من المخاوف الدنيوية التي لا بقاء لها ولا بد للانسان
من الرحيل عنها ولو بقي ما بقي وخوفه هو رضي الله عنه من الضرر الاخروي والهلاك الذي
لا فناء له ولا غناء للانسان عن الرحيل الى الاخرة والمصير اليها … لا يقدر الانسان عن العدول
عنها الى غيرها ولا … ضررها … ابدا فهذا هو رضي الله تعالى عنه يخوف به على الخلق من عذاب
الاخرة وعظيم شفقته ورحمته … ويدلهم على طريق الحق والسداد ويسلك بهم سبيل البر
والنجاة والرشاد ويريهم حبل الله العظيم الذي من تعلق به واعتصم به نال خير الدارين ووصل
به غاية المراد ويحضهم على سبيل الشفقة عليهم والنهي لهم طريق الشر والفساد الذي يؤول
بصاحبه الى المهالك والعطب ابد الابد واين هذا من شفقة الام على ولدها وحنوها
عليه

عليه الذي غاية المنى ولا بد له منه ولم يفق شأوا ولو شفقته عليه وحنوه على الخلق مما يوجب
لهم الطرد والابعاد من رحمة مولانا تبارك وتعالى المواضع التي اليها الاستناد ولنقدم قول القائل حيث قال في هذا المعنى الذي اشار اليه

مثل المعلم فيه ليس يلحقه • حنو ولا ابن بر عطف ابت
بعد ابن بر في الدنيا معيشته • ونيل الحكمة من رجع الى ثبت

قلت ووجدت هذين البيتين بخط الشيخ رضي الله تعالى عنه ومن خطه نقلتهما ومعناهما
الذي اشار اليه ولاجل ما كان عليه رضي الله تعالى عنه من عظيم الشفقة والرأفة والرحمة على الخلق
كان لا ييأس احد من العصاة من رحمة المولى تبارك وتعالى ولقد سئل رضي الله تعالى عنه ونفعنا
بعن رجل كان به مرض عظيم وصدرت منه فظائع عظيمة من الحلف بالايمان الكاذبة واتيان
النساء في الحيض والسرقة وعقوق الوالدين والزنا ولم يزل مستمرا على ذلك المخنق فقد بينه
وبين السلطان مكالمة وكلمه الشيطان في البغضة بان قال له اتتكابر ما تسم بن له من عمل
الطاعات وترك الطاعات كلها بسبب ذلك حتى قلت منه القرآن لعنها ولم يبق في صدره الا
قل هو الله احد وكلمة الشهادة ثم بعد ذلك ينطق بهما بمقال السائل في مكتوبه هل يرجى بكم هذا
الرجل ان يسير الى فاجاب الشيخ رضي الله تعالى عنه بما نصه الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله هذا الرجل المذكور اعلاه من لعب بعقله الشيطان اللعين واتسع من
رحمة الواسعة وقد تجاسر عليه بسبب اصغائه اليه وقبوله منه ما افتراه من الحكم بتكفيره
وهو والله لا يقع منه ما يوجب كفره بوجه من الوجوه لان اليمين الكاذبة وعقوق الوالدين
والسرقة والزنا واتيان النساء في الحيض وغير ذلك من المعاصي والكبائر كل ذلك لا يخرج المومن
من الايمان ولا يخلده بسببه في العذاب والنيران بل اذا تاب من ذلك في حياته فهو كمن لا ذنب
له وان لم يتب من ذلك حتى مات فهو من عصاة المومنين في مشيئة الله ان شاء الحق سبحانه
عفا عنه بفضله وان شاء جازاه على عمله بقدر ذنبه ثم اخرجه الى جنته ونعمه بفضله واحسانه
ولا يخلد في النار مع الكفار الا من هو كافر بالله تعالى وبرسله عليهم الصلاة والسلام هذا الذي
اجمع عليه اهل السنة ودل عليه القرآن والحديث ولم يقل بكفر اهل المعاصي الا الخوارج
الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم كلاب اهل النار واما مذهب اهل الحق والصحابة
والتابعين لهم باحسان من غير خلاف بينهم فهو ان كل من مات يشهد ان لا اله الا الله محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلا بد له من الجنة بفضل الله تعالى وان زنى وان سرق وشرب الخمر وعمل

كبائر ما تقدم من المعاصي فالواجب على هذا الرجل المسكين أن يقطع بأنه مومن وإن صدرت منه
تلك المعاصي وأن يقطع بكذب الشيطان اللعين فيما أخبره به من الكفر ولا يلتفت الوهم له
المكابرة ولا يجعل الحديث المذكور بوجه من الوجوه وليصح والله ورسوله المصطفى صلى
الله عليه وسلم وأئمة المسلمين وعلماؤهم وقد قال بذلك رده ونقل أن الله لا يغفر أن يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال جل من قائل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ولا تيأسوا من روح
الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقال عليه الصلاة والسلام شفاعتي لأهل
الكبائر من أمتي والشيطان اللعين كلب من أكل عقبه والشيخ بشأنه أكثر الشيخ عليه ومن
أجريه وأعرض عنه وسكتا عنه فأعرض بالأحرى عن هذا اللعين الكذاب وارجع إلى المولى بالتضرع
والتوبة وأحسن ظنك بالله تعالى يقبل توبتك ويغفر ذنبك ويفرج كربك وهمك وصل برقه
وحسن ظنك بمولاك الكريم جاز منه أن يشاء الله إلا ما يحب وقد أكرمه سبحانه بذلك
المرض الذي ذكرت لترجع إليه بالتوبة والتضرع ويكفر بذلك ذنوبك ويعظم بذلك أجرك فابشر
بكل خير من المولى الكريم إن حسنت ظنك وكذبت الشيطان اللعين العدو في تكفيره وتأييسه
لك من رحمة الله تعالى فتبا للكلب اللعين الكذاب والمريد الخبيث العدو الذي يجعل فيك كذبه فبادر
بالإقبال على الصلاة والتوبة وحسن الظن بالمولى الكريم البر الرؤوف الرحيم بعباده المومنين بجاه نبيه
ومصطفاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين آمين يا أرحم الراحمين يا ذا
الجلال والإكرام انتهى جواب الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا به دنيا وأخرى وهو في غاية الحسن
قلت وهذا كان دأبه رضي الله تعالى عنه مع الخلق في عظيم شفقته ورحمته ورأفته وعدم تأييسه
لأهل الكبائر من رحمة الله تبارك وتعالى وإبعاده لهم عن سبيل النصيحة أو ارتكاب طريق الخلق في
التي ما يسلكها إلا من أراد الله فتنته من أهل الغباوة والجمود على ظاهر حلمه عن أسماء الأئمة
من علماء زمانه وغيرهم بالجملة فطوبى لهذا المولى تبارك وتعالى عنا وعن أمة نبينا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم أفضل جزائه وجعلنا بفضله وكرمه ممن ينتفع ببركة ذاته العلية والتمتع
بجزيل عطائه ومن علينا سبحانه بأن جعله من جوار أشرف خلقه وأقربهم إليه سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم مع سائر أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وأكابر أصفيائه وأحبائه وجمعنا
معه في أعالي الفردوس في ظل جاه سيدنا ونبينا وشفيعنا ووسيلتنا إلى ربنا محمد صلى الله
عليه

عليه وسلم عدد ما في ارضه وسمائه **تنبيه** قال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله عنه في لطائف
المنن بعد كلام له في الحال واعلم علمك الله من العلم الذي يزيد لك عليه وجعلك من الداعين
بين يديه ان انتصار الحق لاوليائه ليس ذلك لهم في طلبهم من الله ولكنهم لما اصلحوا التوكل عليه
وارجعوا الامر اليه انتصر الحق لهم **الخ** تسمع قوله وكان حقا علينا نصر المومنين **وقوله** سبحانه
ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولا تعتقد ان منهم من ينتصر لنفسه فعلا بل عند نفسهم من نصر الله لهم
بانه الغالب الذي لا يغلب والقادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يقبل اهل السماوات والارض ذرة
بابه ولو وضع ذرة من نور اثر قهره على الجبال لذابت **ثم** قال في معنى ما سمعته من شيخنا ابي العباس
المرسي رضي الله عنه انه قال كان اذا اوذي انسان يصلي للوقت وانا الان لست كذلك
فانا مستتر في الغيب ذلك فقال الشيخ المعرفة **قال الشيخ** ابن عطاء الله رضي الله عنه
ومعنى قول الشيخ الشفعة المعرفة ان المريد في مبدا ارادته بصحته وفي نهايته بوجود معرفته
فاذا كان في مبدا ارادته توجه الهمة في طلب النصرة ولضعف عطيه عن الصبر عن تاخير الانتقام
له والعارف اتسع عليه حال المعرفة فانطوت همته واشغاله وتدبيره في اشارة الحق وتدبيره
اياه ومن غلب عليه شهود المشيئة فانى همته تبع الله وايضا انه اذا اخرت عقوبته من اذاه
شعه حسن اختيار مولاه فلا يجعل له الانتصار لانه لا يخفى عليه ما يخفى على المريد من عجز الصبر
اذا اخر الانتقام وايضا ان العارف لو توجه لطلب الانتقام ممن ظلمه فامتد الرافة والرحمة
التي لا بد لمتخلق بخلق معرفة لجعلها من الانتصار وان كان عالما له قادرا **وكيف**
ينتصر من الخلق من سر الله فاعلمهم ثم اولياء الله اهلهم على صفات داع بدعائهم
الى الله تعالى من ظلم استنصار الا اذا امنه الفرج واستخرج منه الاضطرار حصل الذي لا يرجع
دعاؤه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب
القسم الثاني الذين اذا ظلموا لجؤوا الى الله سبحانه في طلب النصرة وتعجيل الاذاية عن
انهم يعلمون ان الله تعالى العزيز اجعل رجعوا اليه امرهم نصر ابصرهم مولاهم اولى بانتصار الحق
لهم لتوكلهم عليه ولا رجاؤهم الامر اليه وقد قال سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ولقد ذكر ان امرأة كانت لها دجاجة ليس عندها غيرها وكانت تتقوت ببيضها فجاء
سارق فسرقها فلم تدع عليه وارجعت الامر الى الله تعالى فاخذ السارق الدجاجة فذبحها
ونتف ريشها فنبت جميعه في وجهه فسعى في زواله فلم يستطع وسأل الناس فلم يقدر

احد على ان الله ما نزل بي البلاء الا وانا الرجو من احبائي اسراء بل وقد رايت احد الله احد والان
تدعو عليه المراة التي سرقت دجاجتها فان تعلمت ذلك تشفيت فارسل اليها من قال
لها ابري دجاجتك التي كانت عندك فانك سرقتها فلم المعل اذا اذن سرقها فانه من رجل
قالوا وقد جعل في بيتها فانه لم تزل كذلك فلم يزالوا بها حتى ابرت اثار الغضب منه بدعت
عليه جنسها فزال الريش من وجهه فقيل له الجزار ان علمت هذا فقال انها لما سرقت
دجاجتها تدعو عليه ورجعت الى الله في امره فانتقم الله لها فلما عف انتقمت لنفسها
بسبب الريش من وجه السارق **القسم الثالث** لله عباد ظلموا فطلبوا من يرعاهم وان
يلجئوا على الله في طلب الانتقام ممن ظلمهم ولكن يوضعوا الامر الى الله تعالى وكان هو
المختار لهم **القسم الرابع** في الطبقة العليا وهم الذين اذا ظلموا رحموا من ظلمهم
وقال الحسن البصري رضي الله عنه واذا اذى الظالم فعليك بالصبر والاحتمال واحذر ان تكون
نفسك فيمنع عليك ظلم ان تكون غيرك له وظلمه لنفسك فاذا فعلت ما الرفق من الصبر
والاحتمال اثابك بسعة الصبر حتى تعفوا وتصفح وربما اثابك نور الرضا ان ترحم به من ظلمك
تدعو له فتجاب فيه دعوتك وما احسن حال اذا رحم به من ظلمه فتلك درجة الصديقين
الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين انتهى من لطائف المنن **قلت** وما شاهدنا الشيخ
سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه لمن هذا القسم الثاني الشريف العالي لانه كان
كثير الرحمة والشفقة والحلم عمن اساء اليه وظلمه كما تقدم والصبر على اذاية الخلق والاحتمال
لما يقع [illegible] على احتمال الامر اتسعت معرفته وعظمت رايته وشفقته ورحمته [illegible] الشيخ رضي
الله تعالى عنه كانه جبل من الجبال في احتماله وصبره على الاثقال وكونه لم يبالي بمن ظلمه بسوء
القول والفعل **فلا** يعاقب بل له بعظيم الصبر والاحتمال ودليل على [illegible] اساء اليه بالمغفرة
والمعونة عما عن [illegible] من سوء الاقوال والافعال وقد [illegible] من ذي خبرة وكثرة احتماله عظيم
الذي [illegible] العارفين من رجال **فائدة** قال ابن عطاء الله رضي الله تعالى
عنه اثر كلامه المتقدم ذكره على ان اولياء الله تعالى **حكمهم** في بدايتهم ان يسلط الخلق
عليهم ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا ولئلا يساكنوا الخلق باعتماد او يميلوا اليهم
باستناد ومن اذاك فقد اعتقك من رق احسانه ومن احسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [illegible] جبلت القلوب على حب من احسن اليها **وقال** الشيخ

عليه

عليه شيء من اسباب الدنيا فعرج فيكابده فان لم تقدر فما اعز والد لك ذلك ليتخلص القلب
من احسان الخلق ويتعلق بالملك الحق وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله تعالى عنه اهرب من
خير الناس اكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك
ولان تصاب في بدنك خير من ان تصاب في قلبك ولعدو تصل به الى الله خير لك من حبيب يقطعك
عن الله وعد اقبالهم عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا الا تراهم اذا اقبلوا افتتنوا وتسليط
الخلق على اولياء الله في مبدا امرهم سنة الله في احبابه واصفيائه ولذلك قال الشيخ
ابو الحسن رضي الله تعالى عنه اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم
بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسالك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل
وجد يحجب عنك فنسالك عوضه فقدا تصحبه انوار محبتك ومما يدلك على ان هذه سنة الله
في احبابه واصفيائه قوله سبحانه وتعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه
متى نصر الله الا ان نصر الله قريب وقوله عز وجل ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض وقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا
وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله الى غير ذلك
من الايات الدالة على هذا المعنى ثم حالهم في بدايتهم كما [illegible] ابراهيم بن ادهم [illegible]
وقال [illegible] رحمه الله تعالى وقال ما فرحت في عمري الا ثلاث مرات مرة كنت
في مسجد فاصابني البطن وكنت اقوم واقعد فجاء صاحب المسجد وامرني ان اخرج فلم استطع
لقوة الضعف فاخذ برجلي يجرني حتى اخرجني والمرة الثانية نزعت يدي ما كان علي من لبس
فما ادري من كثرة القمل والمرة الثالثة ركبت في سفينة وكان فيها مضحاك وكان يقول كنا
ناخذ العلج في بلاد العدو هكذا ويمد لحيتي فيلطمني فما احد من اهل السفينة
احقر مني وهذا شانهم في بدايتهم على ما مر بوجود البقاء فلما ارادوا ان ينتصروا بانفسهم ما
بانفسهم فيسقطوا من عين الله فرجعوا الى وجود الحق كما [illegible] ايديهم عن الانتصار لعلمهم
بان الانتصار للنفس [illegible] عين الحق سبحانه وعادته في اصفيائه كثرة الاعداء والفقر
فيهم قال الشيخ ابو الحسن رضي الله تعالى عنه اذاني انسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت
فرايت فاذا يقال لي من علامة الصديقية كثرة اعدائها ثم لا يبالي بهم وحيث ان تعلم ان النفوس
شانها التخلف الا لمن في مواطن العز والرفعة فلو تركها الحق سبحانه وما تريد لهلكت

فان عجلها شر له بما سلط عليهم من اذاه المومنين ومعارضة الحاسدين وقال بعض العارفين
الرحمة من العزة وسوء الله يجري في القلوب اذا سكنت غيرة لله لا لرقة القلب
في نيل العز والجاه وهو حجاب عن الله العظيم وصدق رضي الله عنه وهذا الصنع من حسن
نظر الشيخ وليا بنيه واحبابه والفقرا انما اثار رونا ينته عليهم لقوله الله ولن الخير امضا
فاذا نفثت انوارهم وتطهرت من البقايا اسرارهم حكمهم في العباد واذ لم يكن جميلين يكون
العبد المحجبين سببا من سبوب الله فينتصر الله به لنفسه من هذا الباب دعا سعد
على المراة التي افترت عليه كذبا اللهم اعم بصرها واقتلها في مكانها فاستجاب الله له
ولما دخل عثمان الدار ولطمه انسان وجر زوجته فقال له عثمان رضي الله عنه قطع
الله يديك ورجليك واخلاك في النار فرئي ذلك الرجل في الشام وهو مقطوع اليدين والرجلين
وهو يقول دعوة عثمان استجيبت في اثنين وبقيت الثالثة ولهذا قيل للمنبسطين في
احوال الرجال على عموم العباد فبعض الاوليا لهم جمع على ولي لهم بالنشر وعلى بعضهم يكون
جمع من جمع لعله بالبقايا في نفسه ودعا الرابع لعله يتطهر من البقايا فيدعا اضطرارا
له فانتهض من لطايف المنن قلت وقد نقل في ان الشيخ رضي الله تعالى عنه ما يدعو قط
على احد فيما علمته الا مرة واحدة دعا على مسكين بالجلاد عدوه مضطهد مغلوب عليه وقد
في امره مرة وقد وامر الذكر بما يقول على صبر عنه لغضب لاجل الله واصابته غيرة لله
سبحانه فانتصر الحق سبحانه له ومن علمت وتحققت عظيم حلمه ورافته وشفقته ورحمته
على جميع المخلوق امنا وانه ما احد يعادل لذلك له ويسطف له نهر لا يسطا اشيا فيها احتاج
معه الى مزيد والله تعالى المسؤول ان يملأ قلوبنا بالرحمة والشفقة والحلم على من اسا الينا
من العبيد وان يجعلنا وجميع احبتنا بكلمتي التوحيد وان ينفعنا من اهوال يوم الوعيد
وان يجعلنا بفضله وكرمه في عالي الفردوس مع نبينا ومع من نحب من قريب ومن بعيد
في سبيل الاولين والاخرين وفي ابي الغر المحجلين سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
صلاة وسلاما دايمين بدوام الملك المجيد واما صبره رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا
به وبساير اوليايه فلا خفا انه كان رضي الله تعالى عنه من المنافسين في مركز الصبر فمن علمهم
صبره على اذية الخلق له بحيث يسمع منهم او يبلغه عنهم ما يكره ويوجب التغير والتنكر
والغضب الشديد فلا يبالي بشيء من ذلك ولا يوجب له تغيرا ولا اثرا بالكلية حتى يقفل

الانسان

[illegible]

[illegible]

الانسان انه لم يسمع ما قيل فيه مما يكرهه لكثرة اعراضه عنه وعدم الالتفات اليه اصلا
بل يقابل من اساء اليه بكثرة الاحسان وعظيم الغفران كما تقدم ذكره وهذا الكلام شامل
مع من اساء اليه حتى صار المنكرون عليه من علماء عصره والمبغضون له من حساده كلهم
يقرون بعلمه وفضله وولايته وعظيم مكانته ويشهدون بذلك له وما ذاك الا لما علموا من عظيم
صبره وكثرة احسانه وحلمه عمن اساء اليه وعدم الالتفات الى ذلك وصرفه في طاعة
الله عز وجل والميل الى الهمة الكلية وسعة معرفته ولهذا لما مرض مرضه الذي توفي
فيه اتاه بعض من كان كثير الاذى له من علماء زمانه فطلب من الشيخ رضي الله عنه ان يسمح له
فيما وقع منه من الاساءة والاذى في عرضه فسمح له وغفر له ودعا له ثم لما توفي الشيخ
رحمه الله تعالى ورضي عنه اسف عليه ذلك العالم بعينه وبكا عليه بكاء شديدا وبقي كذلك
اياما حتى انه اذا ذكره بكا ويقول فقدت الدنيا بفقده وكذا غيره واكابر علماء
وقته وهذا كان عظيم صبره وحلمه عمن اساء اليه فتجده رضي الله عنه لا يغضب من سوء
القول ولا يتكدر سماعه لذلك مرارا كثيرة بحيث لو سمعها غيره بل لو سمع اقل شيء منها لما
قدر على الصبر عليها كان يبلغ بالمسيء من ذلك وما يظهر عليه اثار ذلك حتى صار سماعه
للخير والشر على حد سواء عنده وكما انه لا يزيد المدح فيه شيئا كذلك لا يزيد فيه
سماعه للقبح شيئا بل كثيرا ما يتغير ويتقبض عند ما يسمع ما يقال فيه من الخير وما ينسب
اليه من الصلاح حتى يظهر اثر ذلك على وجهه رضي الله تعالى عنه ولقد مدح رضي الله
تعالى عنه بقصائد من جملة بقرية بحضرته فانقبض رضي الله عنه عند ذلك وكثر حزنه حتى ظهر
ذلك في وجهه وبقي كذلك اياما وما زاده ذلك الا كآبة وحزنا رضي الله تعالى عنه
عند انشد بحضرته يطرق براسه الى الارض ويتغير لونه ويكاد يتفطر قلبه عند ذلك
وهكذا كان حاله عند ما يسمع ما يقال فيه من الخير واما حاله عند ما يسمع ما يقال
فيه مما يكره فتجده رضي الله عنه ربما تبسم ويرى من نفسه انه لم يعبأ بذلك ويبقى بل
يزداد وبرا وشفقة بوجه من العجب حتى يظن الانسان انه ما قيل فيه الا خير كما تقدم
ذلك في حلمه رضي الله تعالى عنه ولهذا كان رضي الله عنه يفضل بعض من اساء اليه على بعض
من يحبه ولقد حدثني رضي الله عنه عن بعض علماء زمانه من الذين كانوا يترصدونه ويسيئون
اليه كثيرا ويفضله رضي الله عنه [illegible] رجلا من [illegible] اهل العلم ويقول

أما كان يمدح الرجل بما فيه من الخصال المحمودة كذا وكذا وكان فيه من الخصال المحمودة كذا وكذا
ويكون رضي الله عنه من الثناء عليهما وعلى غيرهما ويدعو لهما كثيرا وقال لي عن واحد منـ
ـهم رحمه الله ينفعنا ببركاته وينفع المسلمين به ويطيل حياته الرغيدة لأن ثناءه عليهم
في حال غيبتهم أكثر إذا كان حاله رضي الله عنه ونفعنا به مع من أساء إليه من علماء زمانه
ومن عظيم صبره رضي الله تعالى عنه على ما يكابد من المشاق العظيمة وقضاء حوائج الناس
من الأمراء وغيرهم فيجيء كل من عرضت له حاجة إليه ويطلبه في قضائها مثل الكتب
للأمراء وكونه وحضور مجلس خصام يخلص بينهم فيشتغل قلبه بذلك في غاية الشغل
وثقلها على قلبه أعظم من الجبال ومع عظم ثقلها وصعوبتها عليه وعسرها على قلبه
في غاية العسر يحتمل رضي الله عنه ويقابل بعض الأمر ببعض الاختيار والصبر المحمود في
الرغبة في الثواب والأجر ويقضي حوائج الخلق ويسلي بذلك أكثر خواطرهم وبعضهم كان
يقابلهم بالبشر والبشاشة فيتبسم في وجوههم ويقضي الحوائج ويبذل المجهود
في قضاء حوائجهم من كتب الأمراء وغيرهم مع كراهته لذلك أشد الكراهية لهم الكتب
للأمراء وكونه ولقد سمعته رضي الله عنه ونفعنا به يوما إن كتب يوما كتابا من
غير قيد قال وكلفني إنسان بكتابة فكتبت له ثم قال لي لو كان الإنسان
ينسخ مثل هذا في كل يوم لظفر بأسفار عديدة من الكتب أو كما قال ثم قال انظر
يا ولدي هذه المصائب التي ابتلينا بها والأشغال التي اشتغلنا بها عن ما ينفعنا
في ديننا فقلت له يا مولاي ونسأل الله تعالى يزيدكم أجرا على أجركم ويضاعف
به ثوابكم فقال لا أبغي إلا الله يخلصنا منها كما جعلنا فيها ومن عظيم صبره صبره
على كثرة الوعود مع من يقف معه من الخلق وما يعاين من وقف معه حتى يتحرى الرجل
الذي وقف معه لنفسه فيجلس بين يدي الشيخ رضي الله عنه ولا يقدر أن يتحرى عنه ويذهب
بل يبقى معه ذلك الرجل حاضرا حتى أن بعض الناس إذا وقف معه ويرى إقبال الشيخ عليه
وتبسمه في وجهه يكثر للشيخ من فضول الكلام ما لا يعنيه وما دام يرى الشيخ مقبلا
معه ويتكلم معه أكثر له من اللغو بأن يغتر بما يرى من لطفه ويظن أن الشيخ أحب كلامه
ووقوفه لما يراه يضاحكه ويتبسم في وجهه ويعلم الله أن كلامه أثقل على قلب الشيخ
من الجبل ولو يدري هذا المغتر بحال الشيخ رضي الله عنه جل النهار ما انفك الشيخ عنه وربما

يكون

يكون الشيخ رضي الله عنه في اجمع يوما شتا فلا يغير رضي الله عنه صغار فيهم بل يحتمل اذى البول
ويصبر على المقام معه حيث حياتها فلا يتغير الشيخ عنه الا انشق النفس وهكذا كان في الدع
الخلق واحتمال ضررهم وصبره عليهم وقضاء حوائجهم من كيف الامراء وغيرهم من الامور الشاقة
التي لا يقدر على احتمالها الا اكابر اهل النور يقين واصفياء العارفين وعظماء المقربين رضي الله تعالى
عنهم الذين اتسع لهم معرفتهم فلا تطوف همتهم واشتاقهم وتدبيرهم في اشارة المولى تبارك
وتعالى وتدبيره اياهم ومن غلب عليه شهود المعيشة فلا يرى بحجة تنفيذ الدوم مع كثرة اشتغاله
بقضاء حوائج الخلق وتشويشهم اياه في اكثر الاوقات اي بركة حيث معا كان يعمله من
انواع الطاعات ولا يفتر بشيء من انواع القربات بل لا زاد الاجر واجتهاده في طاعة
من اخترع المكونات لا سيما في اواخر عمره وقرب اجله فانه رجع عن كثير من قضاء الحاجات
واشتغل في ظاهره وباطنه مما يقرب به الى محبوبه وقد انقطع جملة لانه الذي لا مثل لها
ولا لذة اعظم من لذة روية فيها تنقل الاشياء عنه وبينها جميع اللذات فسبحان المولى العظيم
الرب الكريم الذي لا تنتهي ذاته العلية ذاتا من الغمرات وصفاته السنية لا تترك
شيئا من خاصة الصفات اللهم انا نتوسل اليك يا مولانا بذاتك العلية ثم بنبيك
ورسولك ذي النفس الزكية سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما
دائمين في جميع الساعات ان توفقنا لصالح العمل وتفتح لنا ولجميع اشياخنا واحبابنا
بخير عند حضور الوفاة وان تجمعنا مع الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به واحبابه واقاربه
في اعالي الدرجات وان تتوب علينا توبة نصوحا تمحوا عنا بها جميع الزلات ومن عظيم
صبره رضي الله تعالى عنه ونفعنا به صبره في مجلس اقرائه على الاسئلة البارزة التي
تقع كثيرا من العوام فيجيب رضي الله عنه يجيب كل من سأله عن شيء ولا يتغير منها
وربما يردد السائل مسئلته ويكثر السؤال عنها حتى يغضب الحاضرون منه ويملون كلام
ويكثر لغطهم والشيخ رضي الله تعالى عنه لا يزال يجيبه عن مسئلته وعن كل ما سأل فيه وربما
يكثر السائلون ويكثر كلامهم وكل واحد يسأل عن حاجته فيجيب الشيخ رضي الله تعالى
عن كل واحد على ما سأل عنه واذا رأى الشيخ ان السائل لم يفهم كلامه بل جاوبه اعاد
عليه الفرق بعبارة لطيفة يفهمها الخاص والعام حتى يفهم عنه وربما يكون الشيخ
رضي الله تعالى عنه في بعض الاوقات يعمل في الزاوية ويحب التخفيف لامر يعرض له من قضاء

وخايف عليه ونحو ذلك فيشغله بعض الحاضرين بكثرة الاسئلة البارحة فيغير
الشيخ ذلك وغاية ما يقول الشيخ له اذا اثقل عليه يا ابا زيد قلت لك كذا وكذا
بقصد اغاثته له وحتى يبقى على ذلك شيئا ولذلك كان من يقرا عليه في وقته لا
يقرا الا شيئا يسيرا ثلاثة احزاب او ربعه واكثر ما يقرا سبعا واذا اكثر
من القراءة قرا عشرة احزاب رشقا ويشتغل في كل اوقاته وما ذاك الا لكثرة ترداد
الاوقات في الاسئلة للحاضرين لمعنا ولغير معنا فلذلك كان رضي الله تعالى عنه
يقلل من القراءة ويحب ان لا يقرا احزابا وان لا يشتغل اوقاته في الاقراء وكان
رضي الله عنه يبقى جمعة لا يقرا فيها حزبا وربما يبقى نصف جمعة او اقل او اكثر من
جمعة على حسب ما يراه في وقت ذلك وكان يقول رضي الله فيما حكاه البخاري
رضي الله عنه في صحيحه في باب رفع العلم عن ربيعة انه قال لا ينبغي لاحد
عنده شيء من العلم أن يضيع نفسه قال الشيخ رضي الله عنه ما معناه
ان المراد بتضييع النفس ان يشتغل به في كل اوقاته ويستغرق فيها فيه
والغالب عليه ان يكون مشتغلا بمخالطة الناس وكثرة المخالطة تقسي
القلب وتذهبه بل ينبغي له ان يتخذ بعض الاوقات لخلوته بربه ومناجاته
في اوراده وان يتفكر فيما ينفعه من تلك العلوم وما يخفى حتى يحصل
ويحوز اصلها كليا فيصدق عليه انه لم يضيع نفسه انتهى بالمعنى
قال ويحتمل ان يكون مراده بقوله ينبغي ان لا يضيع نفسه اي ان في
العمل بمقتضى علمه وان يترك جميع الشهوات التي تضر به عن على اهل رتبا
فان قصر في ذلك بحيث انه لم يعمل بمقتضى علمه فقد قصر عن تلك الدرجات
فاذا قصر عن ذلك فقد ضيع نفسه وفاته خير عظيم وثواب جسيم انتهى
بالمعنى قلت وذكر الشيخ رضي الله عنه في معنى هذا الكلام
اقوالا منها ان المراد به ان من كانت فيه قابلية للعلم وله عقل وافر
وفهم تام فلا ينبغي ان يهمل نفسه فيترك الاشتغال بالعلم فيؤدي
ذلك الى رفع العلم او مراده الحث على رفع العلم لاهله لئلا يموت
العلم او مراده ان يشهر العالم نفسه ليؤخذ عنه لئلا يضيع

علمه

علمه فيشاب عليه لذلك او مراده بذلك تقطيع العلم وتوقيره بان يبين نفسه بان يجعله غرضا للعرض فيما
انتهى **واختار** الشيخ رضي الله عنه ان يكون المراد به ما تقدم او مما يكون به يستغرق فيه او فيما ثم
وقد كان يوصي بعض الصحابة ويقول له اياك واياك ان تستغرق او قال تنكب بالكلية عن ذلك فيغيب
القلب بسبب ذلك في الخطرات النفسانية كما قال رضي الله عنه **قلت** وقد اشار الامام ابو حامد الغزالي
رضي الله تعالى عنه الى هذا المعنى الذي قرره الشيخ رضي الله تعالى عنه في كتابه المسمى بكيمياء
السعادة ونصه وما اشد ما سمعته من الصوفية انهم يقولون العلم حجاب اشد الطريق فما انكرت
هذا القول فلا تنكره فانه حق فان المحسوسات وكل علم حصل من طريق المحسوسات
اذا اشتغلت به واستغرقت فيه كان حجابا من هذا الوجه ومثل القلب في ذلك مثل حوض الماء
ومثل الماء الجاري من فم الحوض فتدبر ان تخرج الماء الذي في الحوض كله والطين الاسود الذي
من اثر الماء تخرجه ايضا وتسد طريق الانهار كلها حتى لا ياتي لما فيه من الماء الخارج ويحفر
قعر الحوض حتى يظهر الماء الصافي من باطن الحوض فما دام الحوض مشغولا بالماء الذي حصل فيه من
خارج فلا يمكن ان يظهر من باطنه ماء **كذلك** هذا العلم يحصل من باطن القلب ولا يظهر حتى يخلو
من جميع ما حصل فيه من خارج انتهى محل الحاجة منه **ولنرجع** الى ما كنا بصدده فنقول ولاجل
عظيم صبره على الاكثار من الاسئلة الباردة وكثرة ما يوردون عليه منها وكونه يجيب
الكل بما يليق به فيجمع كل من حضر مجلسه واراد ان يسأله عن شيء سأل ولو كان على ابعد الخلاف
مجلس غيره ما يقدر فيه العامي على سؤال المدرس لعدم صبر المدرس على كثرة اسئلتهم
ومقابلتهم اياه بما يكره من ضيق ومقابلته بسوء العواقب الغالب **بخلاف** مجلس الشيخ
رضي الله تعالى عنه لما علموا ان الشيخ يصبر على سؤال الكل من سأله وكونه لا يقابل احدا بما
يكرهه تسهل عليهم السؤال ولم يخش احد منهم ان يصدر لهم من الشيخ رضي الله تعالى عنه ما يكرهون
في الحال فتكاثروا بسبب ذلك على ما كان الشيخ بلا يعني حتى يرجع المجلس بمنزلة ومع ذلك
يقابل الشيخ رضي الله عنه ذلك بعظيم الاحتمال **ومن عظيم صبره** رضي الله تعالى عنه صبره على
الامراض الثقيلة التي لو وضعت على الجبال لذابت لا سيما في مرضه الذي توفي منه **وقد قال**
بعض الشيوخ رايت الزمنى والمرضى كثيرا ورايت من صبر صبرا جميلا فما رايت مريضا اعظم
من مرض الشيخ رضي الله تعالى عنه وما رايت صبرا اعظم من صبر الشيخ رضي الله عنه ولقد
حكى لي بعض الكلام ولقد كانت به امراض عظيمة لو كان يطيق منها ويتلقى جميعها بالصبر

العظيم والتحمل الجسيم والابتلاء بسببها وتناوشوا منها بل تجده رضي الله عنه كالصحيح
يقوم ويقعد ويروح من نفسه ان يسر بدنه حتى يظهر في الاحيا وجهه من صبره وضعف قوته
بحيث لا يقدر على حركته ولا على تصرفه فاذا بلغ به الامر الى هذه الحالة فحينئذ يظهر
الحال الى الاطباء وملازمة الفراش ولقد دخلت عليه يوما في غير مرضه الذي توفي
منه فوجدته قد دخل بدنه الحمى مدة وهو محموم وهو في ذكر الله تعالى فقلت له كيف
حالك يا سيدي فقال في خير ان شاء الله فاغرورقت عيناي بالدموع فنظر الي وقال انا بخير
ما في شي بفضل الله تعالى او كما قال رضي الله عنه ولما مرض الذي توفي منه رحمة الله مرض
دائمة عليه واشتد عليه كثيرا واشتد الالم كان يتكلف الكلام لاجل الناس حتى صار
المرض يتضاعف عليه في كل يوم بل كل لحظة ويتزايد بشدته وينقص الحال ويثقل جسمه
ولم يقدر ان يخاطب احدا الا بالاشارة مع ما كان من عادته انه اذا
كلمه احد او سلم احد يرد عليه ولو بالاشارة حتى رايت الزائرين يأتون
والعابرين من اكابر العلماء والصالحين وغيرهم يقبلون يده ورجله وهو ينظر
الى كل واحد منهم ويعرف كل واحد منهم ولم يرد على احد ولو بالاشارة فعلمت
حينئذ علم يقين انه في امر عظيم من شدة المرض وثقله عليه في غاية من
الثقل وهو مع ثقله وشدة شدته والمه صابر لم يتأوه ولا ان بالكلية
ولم يصدر منه رضي الله عنه مادام الى شدة ما هو فيه من عظيم الالم
اصلا بل تجده ينظر الى كل من اقبل عليه وعيناه تذرفان من شدة
الحرارة والوجع وهو لا يتكلم وجلست عنده ساعة زمانية وهو ينظر الي
مرة والى اخي مرة وكان ذلك الوقت وقت الظهر يعني انه اذن للوضوء
مخافة فوات الوقت فلما قرب فوات وقته رضي الله عنه فنظر الي والى اخي ،،
فقال بكلام ضعيف قوما توضأ وصليا وقت الصلاة او كما قال رضي الله
عنه فعلمت انه كان يشغلني فعلمت لا اخالف كلام الشيخ رضي الله نفعنا به
فقمت انا واخي وتركناه على حاله ولما قرب اجله بثلاثة ايام لم خففنا عليه
فوجدناه في سكرات الموت وقد اراد خشية عيناه وشفتاه ولم يتحرك يداه ولا
رجلاه وضعفت في غاية من الضعف قواه وقد اشتد بدنه وتغير صوته

وكانوا

وهبوطه بنظرته البعد وقد اهتز خاشعة كل عضو وهو على حالته يبطش ويبين من حضره
بالملاء صبرا على البكاء الشديد ما رأيت قد رجعت عنه وتعجبت من عظيم صبره واحتماله
لتلك المقاسات والنشر ابرو يبقى في النزع ثلاثة ايام وهو على حالته يعقل من جاء
اليه الى ان فارق الدنيا رحمة الله تعالى ابد الآباد عليه وبالجملة فما رأيت والله رجلا
صبر مثل عيشه صبر الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به فمن عرفه ومن باب ما جرا له في ايام مرضه
شيء من هذا فنسأل الله تعالى ان ينفعنا باتباع طريقة الشيخ رضي الله عنه في الحال والمآل
وان يحشرنا بفضله لصالح الاعمال وان يختم لنا ولجميع احبتنا بالخير عند حضور الآجال
وان يجمعنا بفضله وكرمه مع الشيخ في اعالي الفردوس وينفعنا والجميع ببركة ذاته
العلية العربية المثال في جاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء
والارسال فوائد الاولى نقل الشيخ ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه في لطائف
المنن عن شيخه ابي العباس المرسي رضي الله عنه انه كان يقول الصبر مشتق من الاصبار
وهو الغرض الذي يرمى عليه بالسهام فالصابر من نصب نفسه غرضا لسهام القضاء
ثم قال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه واعلم رحمك الله ان الصبر على ثلاثة
اقسام صبر على الواجبات وصبر على المحرمات وصبر في البليات وصبر الاكابر على كتمان
الاسرار ومعه الركون الى الاكثار وعلى الوصف مع الانوار صبرهم على احمال الاذى من
والثبوت تحت مجاري الاقدار صبرهم على حمل اثقال العباد والصبر مع الله فيما اراد صبرهم
على القيام باحكام العبودية والثبوت لمجاري احكام الربوبية صبرهم على مكارم الاخلاق
والقيام مع الله بشرط الوفاء فصبرهم على حمل الملح عليه ورجوعهم في كل امر اليه صبرهم
على الجلوس للخلق والدلالة على الملك الحق انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه الثانية
ذكر الشيخ ابو طالب المكي رضي الله تعالى عنه في قوت القلوب عن سهل بن عبد الله رضي
الله تعالى عنه الصبر تصديق الصدق وافضل منازل الطاعات الصبر عن المعصية ثم
الصبر على الطاعة وقال في معنى قوله تعالى استعينوا بالله واصبروا اي استعينوا
بالله على امر الله واصبروا على اداب الله وقال عليه السلام احب الله العبد صبر على البلاء
والشكر عجيب لمن يشفى عليه وكان يقول الصالحون في المؤمنين قليل والصادقون في الصالحين
قليل والصابرون في الصادقين قليل قال ابو طالب رضي الله تعالى عنه فجعل الصبر ثالثة

الصدق والصابرين خصوص الصبر بعينه وكذلك قال الله تعالى وهو احد في القائلين في
مدح الصابرين على الصبر بعينه في ترتيب المقامات فجعل الصبر مقاما يلي الصدق
وان كانت الاوصاف المنسوبة نعتا واحدا للمسلمين وكانت الواو للمدح وان كانت
مقامات والواو للجمع فقد جعل الصابرين فوق الصادقين ودون القانتين في قوله تعالى ان
المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات
والصابرين والصابرات ثم قال ابو طالب بعد هذا الكلام باسطار وفي الخبر عن بعض
السلف يوتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويوتى باصبر اهل الارض
فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى
كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء
الشاكرين ثم قال وجاء في الخبر ان ابواب الجنة مصراعان يابان عليها زحام كثير الا باب
الصبر فانه مصراع واحد ما يدخل فيه الا الصابرون واهل البلاء في الدنيا واحدهم واحد
وقد قال الله تعالى في جزاء المخلصين اولئك لهم رزق معلوم وقال في جزاء الصابرين انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قيل في التفسير يغرف لهم غرفا والمعنى في ذلك ان الصبر
اشق شيء على النفس واكرهه وامره على الطبع واصعبه ومعه يكون الادب وحسن
الخلق وفيه الحلم والكظم وعنه الذل والحلم ومنه التواضع والكظم ومنه يكون
كف الاذى عن الخلق واحتمال الاذى من الخلق وهذه من عزائم الامور التي تقضي
بها الا ذو الصبر وفيها اكراه النفوس وحملها على المكروه والبوس وقد جاء
افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس ولاجل ذلك اشترط الله سبحانه على المتقين
والصابرين الصبر في الشدائد والمكاره وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم والكمل بدرجتهم
واعمالهم بقوله تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين
صدقوا واولئك هم المتقون فمعنى ان الصبر حبس النفس عن السعي في هواها وحبسها
ايضا عن الاعتراض بمرضات مولاها بمثل ما يوجب المجاهدة على قدر ما يبتلى به العبد
لان المجاهدة على قدر البلاء والحبس على نحو الشرود وحبسها على دوام الطاعة وحبسها
عما في الطبع الذي يظهر سوء الادب بين يدي الرب وصبرها على حسن المعاملة والادب
في المعاملة ثم قال ابو طالب بعد هذا او قد شرف الله الصبر بان اضافه اليه لعل الاسر

به فقال واصبر وما صبرك الا بالله وقال تعالى ولربك فاصبر ان كان كل شيء به وكل
عمل صالح له وما يحب الله عبدا او يثني عليه حتى يبتليه فان صبر وخرج من البلاء
سليما من جزعه وجعله والابتلاء لمن كثر به دعواه وقيل لسفيان الثوري رضي الله
عنه ما افضل الاعمال قال الصبر عند الابتلاء وقال بعض العلماء واي شيء افضل
من الصبر وقد ذكره الله عز وجل في كتابه في نيف وتسعين موضعا لا نعلم شيئا
ذكره الله تعالى هذا العدد الا هو وما يطمعن طامع في مدح الله له وحسن ثنائه عليه
قبل ان يبتليه فيصبر له وما يطمعن احد في حقيقة الايمان وحقيقة اليقين قبل ان يمدحه
الله تعالى ويثني عليه ولو اظهر الله تعالى على جوارحه سائر الاعمال ثم لم يمدحه
ولم يثن عليه لم يومن عليه سوء الخاتمة وذلك ان من اخلاق الله تعالى انه اذا احب
او رضي عمله مدحه ووصفه فمن ابتلي بكراهة ومشقة او بالعدو والشهوة فصبر لذلك
وصبر على ذلك فان الله تعالى يمدحه ويثني عليه بكرمه وجوده فيدخل هذا العبد في
اسماء الموصوفين وفي الصبر واحرز المدحة فيضعفها بثبت قدمه من الزلل ويختم
له بما سبق من صالح العمل ثم قال ابو طالب بعد هذا وفي مناجاة ايوب على نبينا
وعليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اوحى اليه يا ايوب ايه البث على نعيمي لم تثبت للصابرين
ديوان توبيخ ولا نظر الى رحمة الوالدة ولا روعهم نقص الميزان جازيتهم دار السلام ثم قال ابو
طالب ايضا واعلم ان الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار لانه جاء في
الخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فيحتاج المؤمن الى الصبر على المكاره
ليدخل الجنة ويحتاج الى الصبر عن الشهوات لينجو من النار انتهى كلام ابي طالب
المكي رضي الله تعالى عنه ونفع به الثالثة قال الشيخ محمد بن احمد بن محمد بن مرزوق
رحمه الله تعالى ورضي عنه في شرحه لعمدة الاحكام ما نصه اعلم ايها الواقف على ما اسطره
بعد حمد الله اني نظرت بعد ان اجتمعت فكرتي وتتبعت الاحكام الشرعية التي
نتعبد بها والاخلاق المحمودة التي يشرف العبد في الدارين باكتسابها والخصال المذمومة
التي يبعد المرء باجتنابها ويشقى في الدنيا والآخرة بارتكابها فوجدت مجموعها يدور على
خصلة شريفة اثنى الله بها في كتابه العزيز علينا وندب رسوله صلى الله عليه وسلم
في غير ما حديث اليها ونبه خصلته صلى الله عليه وسلم التي امر بالتزامها وشيمته

افضل العمل من الوسائل التي جاءت بها في محكمها واحكامها خصيصا فطفق بذلك الذكر
الحكيم وجاءت في تيسير للمرسلين النبي الكريم محمد عليه وعليهم الصلاة والتسليم ونعت
الصبر بانواع القربات الدينية والمالية والخصال المحمودة العادية دارت عليه
وراجع محمودية الدينية والدنيوية اليها بيعا من وبقي الله تعالى قيام القائم
وصيام الصائم وعبادة العابد وزهد الزاهد وجهاد المجاهد وحلم الحليم وكرم الكريم
والعياذ بالله لمن حرمها بجهل الحرمان ويقع الخسران وبهوان العصيان ويحرم المرء
ثواب الاحتساب والاعتذار ويفضي الى مصارع الذل والهوان ويتعرض لسخط الرحمن
ويبعد من حزب الشيطان لمن يصبر على مشاق الطاعة منع المفترضات واهمل الحقوق
الواجبات ووقع في كبائر السيئات فيجازى حسنه وكل وحفظ وطغا ولم يرد ووقع
المحارم وفارق المناهي وهوى العطب ومن تتبع الاثار التي ... عامل القرآن من
قوله تعالى ان الله مع الصابرين ... معه كان مطيعا محفوظا وفي السنة كثير وقول
عمر رضي الله تعالى عنه وجدنا خير عيشنا الصبر وقول علي كرم الله وجهه الصبر من الايمان
بمنزلة الراس من الجسد ومن انتزع راسه لا حياة له وقوله رضي الله عنه الصبر مطية
لا تكبو وقول الحسن امر الله عنه الصبر على ادكام الكتب والسنة فيه ...
الله اشرت الباب وفي ذلك قلت من نظم

وجدت الصبر مشتملا * على الطاعات مجتمعه
به الحسنات حاصلة * به الدرجات مرتفعه
ومن يحرم فضيلته * فان الخيرات ممتنعه
ويأتي كل ما فسق * اذا مال الهوى اتبعه
كذا الشيطان يلحقه * فيحمله اسار معه

انتهى من كلام الشيخ سيدي محمد بن مرزوق رحمه الله تعالى ورضي عنه قلت وكما ان القرآن
العظيم مملو بالحض على الصبر وما رتب الله عليه من عظيم الثواب والاجر وكذا السنة
وكتب الائمة كلها بالحض على الصبر محشوة بلا حاجة الى الاطالة به وفيما ذكرته كفاية
وبالجملة فيكفي ما علم للشيخ رضي الله تعالى عنه من الصبر العظيم وكثرة تحمله للمشقات
والنوائب المعضلات ما تعجز عن حملها الجبال الراسيات وهذا كان رضي الله عنه

يحمل

كثيرا ما يحث عليه اصحابه وهم تشكا اليه اخ من صنفي بان يقول له جار ظلمني واخذ حقي او سبني
او يقول ما بقي عندي علة ونحو ذلك من المصائب الدنيوية الا قال له عليك بالصبر قلت ولقد
اخذ ابي انسان غير ما مرة فشكوت به الى الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وكتبت له
شكواي في براءة فلما قرأها وعلم مضمنها اخذ قرطاسا وكتب لي بخط يده الكريمة ما نصه
الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام يا ولدي
ورحمة الله تعالى وبركاته ثم لا تلتفت يا ولدي لما تسمع ولا لما ترى مما تكره من اهل الدنيا في الدنيا
من سباب الناس وانما العاقل من اشتغل بما ينفعه في دينه ولم يبال بما يلقاه دون ذلك
من المشاق اذ لا تزداد معالي الامور الا بالصبر على ما تكرهه النفوس قال من عرف قيمة ما
يطلب عليه احتقر كل ما يبذل في ذلك من لذة وغيرها وانظر مولاه تعالى وجعلنا من الذين
يصبرون بامرنا لما صبروا ونحو ذلك مما هو كثير وكل من استعظم مشقة في جنب ما يطلب
لم يجي منه شيء دنيا ولا اخرى واذا سلمت للعاقل العين التي يبصر بها منها ويستغني
بها عن غيرها فلا يضره ما ينشأ عنه من الذل والتغير فيما يعني والله سبحانه المسؤول ان يجمع شمل
جميعنا على طاعته وما فيه رضاه وان يمن علينا باستقامة الجمع الصدق وحسن الخاتمة والمغفرة
بالجنة يوم نلقاه ومعاد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى نسأل الله تعالى
ان يجازي عنا شيخنا رحمه الله تعالى ورضي عنه بافضل الجزاء وان يجعله بفضله ممن ينعم
في اعالي الفردوس برؤية ذاته العلية وان يجعلنا بفضله وكرمه ممن عمل وعاد على ما خلص
ودام عمله ذلك الى الموت وان يجعلنا بجوده وكرمه مع شيخنا في اعالي الفردوس بجاه سيدنا
ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عدد ما احاط به علم الله تعالى باب في قال صاحب
الفريد المنتقى من كلام اهل التقى اعلم انه لا يعطل الانسان عن الصبر حتى يوطن نفسه
على مباشرة الكره ومعارفة الهوى فاذا وقع اول قدم في حيز الكره وتجرع اول جرعة
منه وجب له العون بما اعطى نفسه فكلما تقدم في الصبر قدما نكصت الغفلة عنه مولية
وقامت العصمة تحجبها عنه واعلم انه لا ينال حظا من العصمة حتى يتجرع جرعة
يفوزها من الصبر في مصاعب الامور وقوة النفس بما يبصر العاقل ثم كلما تقدم سهل عليه
امره وحل التيسير عنده محله ونكصت الغفلة مولية عنه وان دام فيه ونما استولت
عليه وسلطت بصيرته كلما تقدم فيها فلا يزال العبد في ذلك يبحث عليه ما دام مدة من صراح

العقل فيقف حتى اذا انقطع خواطره عني وجازه الشيطان فلا يبرح غير مشعورته فلا يضارع
حينئذ الاخير انه براءة ولا يستقبله لانه من نكد قلبه انتهى منه وأما سداد
فراسته رضي الله عنه ونفع به آمين مع ما ينضاف الى ذلك من شمايله فكان رضي
الله عنه شديد التحفظ من حقوق العباد مهتما على الوفاء بذلك حتى انه يوفي الشيء
قبل استحقاقه اذا اعار له احد كتابا رده لصاحبه في اقرب زمان قبل ان يطلبه صاحبه
منه وربما يكون الكتاب ضخما كبيرا بحيث لا تمكن مطالعته فيما اقل من ثلاثة ايام فيختم
الشيخ بالمطالعة في يوم واحد ويرده الى مالكه ولا يحب ان يبقى عنده بعد فراغه منه
وقد امرني يوما ان استعير له كتابا من انسان فسقته له وفيه نحو من ثلاثة عشر او خمسة
عشر كراسا من القطع الربعي فبقي عنده ليلة واحدة ثم رده الي في صبيحة تلك
الليلة وقال لي ارجعه الى مالكه وسلم عليه وقل له جزاك الله عني خيرا فقلت
له يا سيدي لاي شيء رددته وقد امرتني ان استعيره لك فقال لي رضي الله عنه قد ختمته
فهل وعيت ما فيه او كما قال فقلت له في ليلة قال نعم فتعجبت من ذلك مع انه رضي
الله عنه من عادته ان يحيي الليل او جله فقال تعجبت من ذلك واخذ يخبرني بمضمنه بتمامه
كله رضي الله عنه ثم قال لي ما فيه وكلمته بالمعنى او كما قال وكذا يفعل بساير الكتب
تجده بيده الكتاب بالمطالعة فلا يقضي ساعة الا وقد اتى على اخره رضي الله تعالى عنه
هذا مع انه مشتغل بذكر الله تعالى في حال مطالعته لا يفتر عنه فكيف لو انفرد بالمطالعة
فسبحان من يخص من يشاء بما يشاء لا يسأل عما يفعل وكان رضي الله عنه اذا اودع عنده
شيء من خبز او غيره كتب بخطه رضي الله عنه اسمها وعددها واسم مودعها والظن
انه يكتب مع ذلك تاريخ الشهر واليوم الذي اودع عنده فيه فاذا جاء مالكها امر الشيخ
بدفعها لحينه برمته ولا يبقيه عنده هكذا رايته يفعل وربما يرفعها من غير عد وكان رضي
الله عنه اذا اهدي له شيء تلقاه بالبشاشة والقبول ويدعو لمن احسن اليه وجزاه
خيرا واكثر ما كان يدعو له بظهر الغيب وكان رضي الله عنه لا يشق على مريديه ولا يروع
عليهم من اصحابه خشية عليهم ان يحسدوا حتى اذا ابعد الشيخ بنفسه ويكون مع بعض
اصحابه لعجزه فيكثر من الثناء على بعض اصحابه اذا حضر الكلام اليه وقد سمعت منه رضي
الله عنه يكثر الثناء على بعض اصحابه وتلامذته وربما يقول لما عندنا الا فلان وفلان

تحفظ الشيخ رضي الله عنه [illegible]

وفي

وقد حضر بعضهم عند قرب موته فقال ما عندنا الا جازوا يسعفني الان نفقته لا في
بيت الا امرت وكان رضي الله عنه كثيرا ما يامر اهل داره بالتصدق على الفقراء لا سيما في
زمان المجاعة ويقول لهم لعله من اسباب الجنة فليكثر من الصدقة ونحو هذا في هذا الزمان
الذي قل فيه الطعام وقد كان عمر رضي الله عنه يتولى التصدق في يده للفقراء لا سيما في اواخر
عمره كان كثيرا من الفقراء والمساكين يدورون الى مسجده رضي الله عنه فيخرج هو الذي يتولى
اخراجه من داره رضي الله عنه واكثر ما كان يفعل ذلك بالليل حين يأتي اخر وربما كان يقرب
اليه عشاؤه ويعلم انه لم يحضر شيء فيعطيه للفقراء الذين في مسجده فيدفع لهم عشاءه
في خفية ويعطيها للفقراء والمرضى الكائنين في المسجد او يفضل له من عشائه رضي الله عنه
لو كان هذا كان يفعل كثيرا في اواخر عمره رضي الله عنه ونفعنا به وهذا انما يدل على عظيم
كرمه وسخائه وجوده رضي الله عنه سمعت انه اذا انتهت نفقته ذو وجه لا ولده ولا يمسك
منه شيئا ما اذا اراد التصدق بشيء طلب زوجته ان تعطيه ما طلب وربما تمتنع في بعض الاوقات
من الامر بيده لها او لمن يتعلق ان يتصدق بشيء لفقراء فيها حاجة في بعض الاوقات فيجيبها
للتصدق وكيف لو كان الشيء بين يديه رضي الله عنه وربما يأتي اليه فقير فيبطئ ما يعطي
له فما يمكن من ذلك فيبقى رضي الله عنه حزينا لشفقته ورحمته ورأفته على اهل المحنة كثير
فلا يزال كذلك حتى يفيض الله له من يتصدق على الشيخ ويعطيه لذلك الفقير فحينئذ يفرح
رضي الله عنه وقد اتفق له مرارا عديدة فيجتمع ربما يأتي اليه جماعة كثيرة يستضيفونه
ولم يكن له شيء فيفيض الله له من يعمهم بأجمعهم ويضيفهم وذلك كله ببركته رضي الله عنه
واعلم انه انسان فقيه معلوم اجاصا وكان الشيخ في مجلسه يشتغل بين المغرب والعشاء
فقال الشيخ ارفع هذا الى الدار ورد الفقيه له اجابة عنه فنظرت في ذلك الاجاص فاعجبني
كثير لكبره وحسن منظره ونضاجه فيه فما زلت من الفقيه اجاصتين ورجعه الى الشيخ ما عطيت
الفقيه لها جيدا وسلم على الشيخ وانصرف ثم اخبرني الشيخ بما اعجبني من ذلك الاجاص واريته
الاجاصتين فقلت له انا وعقبه من عند الله فضحك رضي الله تعالى عنه وقال لي بر شيء
ما من عبد كلك انت اولى به او كما قال ثم قال لي ما علمت فانه خير لم نر بعده ثم قال في مثل
ما احتاج فيه الى الاخذ لان الله تعالى قال في محكم كتابه العزيز ليس عليكم جناح ان تأكلوا من بيوتكم
وتلا الى ان بلغ او صديقكم فقال انت من الصديق وقال انه عن نفسه الرغبة في ذلك من عظيم

كرم الوزير فاتبقا سوا يغلب عليه بالقلب الاحوال الاكيا مس جهلوبالعيد، انزالله
وحده وجاد بربيه لم ينقع وكان رضي الله عنه كثيرا ما يخرج الى الخلوات والمواضع
التي كانت عامرة ثم خربت ويقف على اثارها وخصوصا المنصورة ويعجبه الخروج اليها
كثيرا فيجب رضي الله عنه اذا خرج اليها يكثر من النظر في تلك الحيطان ويعتبر في تلك
الاثار والبنيان وما فيه من عجائب الانقاش وسيوف الحديث وهو مولدها الله عليه وسلم
رحم الله عبدا صنع شيئا في نفسه ويقول رضي الله عنه اين سكان هذه المدينة وكيف
كانوا فيها يتنعمون ويأكلون ويشربون ويتحكمون ويتصرفون الى غير ذلك من كلامه
ثم يرى عائلة الحلابيب الخالية ويقول اين الذين كانوا يفرحون ويسعدون ويشربون
في الامس كانوا هنا يتحرمون لكن الخالي اليوم فعن قريب نصير تحت التراب كما قال الذي

هذي منازل اقوام عهدتهم ، في خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا ، الى القبور فلا عين ولا اثر

ثم اذا جلس على الاوعورة على ما رفيعا بحرم يجرح النظر اليه وربما يجلسه بيسرع
رضي الله عنه ويتأمل فيه زمانا طويلا ثم اذا رأى الاشجار والاحجار انظر اليها بعين
التذكر والعبرة لما من كثرة نظره وتفكره في عجائب المخلوقات وغرائب المصنوعات
فاذا نظر الى سواد ذكر ظلمة، واذا نظر الى شيء اخر ذكر نظيره فيعتبر ذكراهم، كما هو
شأن العقلاء والاولياء رضي الله عنهم على ما ذكره الغزالي رضي الله عنه في الاحياء فان
العاقل يتعلق في ذكر الاخرة في لحظة فانه مصيره ومستقره فيجوز له في كل ما يراه من ماء
او نار او غيرها عبرة فان نظر الى سواد ذكر ظلمة اللحد وان نظر الى صورة مرعبة يتفكر منكرا
ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر
نعيم الجنة وان سمع كلمة رد وقبول تذكر ما ينكشف له من اخر امره بعد الحساب من رد او
قبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا
فاذا نسب مدة مقامه في الدنيا الى مدة مقامه في الاخرة استحقر الدنيا ان لم يكن اغفل
قلبه واعميت بصيرته انتهى من الاحياء. فلنقف قبل ذلك حال الشيخ رضي الله عنه في الدنيا
والى ذلك تجرد رضي الله عنه فيتلون وجهه فمرة تجده احمر ومرة تراه احمر ومرة يغلب
عليه القبض فيجري متغير اللون من نظر الوجه على ما قطع الذي في امر عظيم من الخوف والحزن

ومرة يغلب عليه البسط فتجده منشرح الوجه منبسطا للخلق لكن الغالب عليه اذا
كان منفردا ان ينقبض وليس معه احد كثرة القبض واذا كان مع الخلق فيبتسم لهم وربما
ينقبض لا سيما اذا كان مع بعض الصالحين وسمعته رضي الله عنه يقول ما معناه انه لحسن
انسان الذي يجلس مع الناس وقلبه يبكي من خوف الله سبحانه لحسبه الجاهل انه كما يجلس
بظاهره يجلس بقلبه فيلبس كما هو ثم قال لكن انشان العارفين بالله تعالى لجمعهم لسعة
معرفتهم في الظاهر مع الخلق وقلوبهم مع الملك الحق قلت ونظير هذا الذي قال الشيخ رضي
الله تعالى عنه ما نقلت عن بعض الاولياء واظنه الجنيد رضي الله تعالى عنه انه قيل له ما لنا لا نرى
المشايخ يتحركون في السماع فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب انتهى
كلام الجنيد رحمه الله تعالى ورضي عنه وعن جميع اولياءه قلت ونحو المعنى الذي ذكر الشيخ
رضي الله تعالى عنه قد اشار اليه الشيخ ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه في حكمه حيث قال
العارفون اذا بسطوا اخوف منهم اذا قبضوا ولا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل
انتهى قال الشيخ ابن عباد رضي الله تعالى عنه في معنى هذا الكلام انما اشتد خوف العارفين
في البسط مما يشترك في القبض من قبل انه للعوائد مجلبة بخلاف القبض كما سيقوله
المؤلف الان فيما بعد من حظوظ النفس وذوق لطع انبعثه وبذلك الحركة والبعد وقد
كتب يوسف بن الحسين الرازي الى الجنيد رضي الله عنهما لا اذاقك الله طعم نفسك فانه اذا
ذقتها لا تذوق بعدها خيرا ابدا ومن ثم يتأكد عليهم في ذلك الامر لزوم الادب ودوام
الانقباض والانكسار ودون ذلك امر عسير في هذا الحال ولذلك لا يقف على حدود الادب في البسط
الا قليل كما قال المؤلف رحمه الله وقد قيل قف على البساط واياك والانبساط وقال
رجل لابي محمد الجريري رضي الله عنه كنت على بساط الانس وفتح علي طريق البسط فزللت
زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل اليه دلني على الوصول الى ما كنت عليه فبكى ابو محمد
وقال يا اخي الكل في قهر هذه الخطيئة لكني انشدك ابياتا لبعضهم والشاعر يقول

قف بالديار فهذه اثارهم ٭ تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا ٭ عن اهلها او صادقا او مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها ٭ فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسئل بعض المشايخ عن تلك الزلة فقال الانبساط مع الخلق بغير ادب قال الاستاذ

ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن هذا حق الاكابر والسادة قال في لطائف المنن
البسط زلة اقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجائهم والقبض اقرب الى وجود
السلامة لانه وطن العبد اذ هو في اسر قبضة الله تعالى واحاطته الى محيطا به ومن
اين يكون للعبد البسط وما ذا اشتاته والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق
بهذه الدار اذ هي وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق
الله تعالى قال واخبرني بعض الصوفية قال رايت شيخنا الشيخ في المنام بعد موته مقبوضا
فقلت يا استاذ ما لك مقبوضا فقال يا بني القبض والبسط مقامان من لم يوفهما
في الدنيا وفاهما في الاخرة قال وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط
انتهى من ابن عباد قلت ولاجل ما كان الشيخ رضي الله تعالى عنه من كثرة القبض
وتغير الوجه حتى ان بعض الطلبة الذي جرت عادته بالبحث على احوال الشيخ واسراره
وقال له يا سيدي مرارا يتلون وجهك وتتغير كثيرا هل من امر متعب او كما قال فقال
له الشيخ رضي الله عنه دع عنك هذا وطلبه ثانيا فاجابه الشيخ مثل ذلك فطلبه
ثالثة فقال له الشيخ ما اقول لك الا بشرط ان تكتمه ولا تخبر به احدا ما دمت حيا فقال
لا ندع فقال له الشيخ رضي الله عنه ما اطلعني الله سبحانه وتعالى فيه اطلعني على رؤية
جميع العباد وما لله تعالى رؤية ما فيها نعوذ بالله منها وما يؤول اليها فقال
فمن حينئذ مرة انتفت واحزن الى الان من هذا السبب فيها اركاعا وجبى من النقير او كما
قال رضي الله عنه واخبرني شيخنا وبركتنا سيدي ابو القاسم الزواوي حفظه الله تعالى
والمسلمين عونه وحرسه من جميع النوائب حوزته وهو من اكابر اصحاب الشيخ رضي الله تعالى
عنه ومن تلامذته قال قال سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول ما معناه ان هذه العوالم
كلها من عرشها الى فرشها مرصوصة علي واني لم يبق في جميعها ما بين مع بعض الرتب من
حسنها بالكلية او كما قال رضي الله عنه قلت وما ذلك الا من عظيم خوفه من الله
سبحانه ومراقبته له في كل لحظة وكثرة اشتغاله بالتفكر في العوالم الارضية والسماوية
حتى كانه مسجون فيهما وانه في قبضة الله تعالى مثل ذلك الى ان ضاقت عليه كلها فهكذا
كان رضي الله عنه في كثرة تفكره وكثرة خروجه الى الخلوات واعتباره في جميع المخلوقات
وبذلك نال الدرجة العلية وهجر كل ما سوى الله بالكلية وقد جاء في الخبر تفكر ساعة

خير

خير من عبادة سنة وفي خبر آخر خير من عبادة سبعين سنة وسيأتي كيفية الجمع بين
هذا في الخبر في باب ما يسر الشيخ رضي الله عنه من الأحاديث النبوية إن شاء الله تعالى
ومن نقلي من قول الشيخ لي كما رأيته في النوم وسألته أي ما أفضل كثرة الركوع والسجود أو
التفكر وقال لي بالمغربي وأنا في عبادة أفضل من التفكر سيما إذا انضمت مع الركوع
والسجود أو كما قال رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يصوم ويفطر وأظنه كان يصوم يوما
ويفطر يوما وهذا أعلى درجات مقادير الصوم كما ورد في الحديث أفضل الصيام صيام داود
عليه السلام وهو أن يصوم يوما ويفطر يوما قال المؤلف رضي الله عنه وسمعت أن من صام الدهر
صار الصيام له عادة فلا يجد مشقة في نفسه فلا انكسار في قلبه بالصيام وفي شهوته
بالضعف قال المؤلف إنما يتأثر بما يرد عليه لا بما مرنت عليه ومما يعضد هذا أن الأطباء
أيضا ينهون عن اعتياد شرب الدواء وقالوا من تعوده لم ينتفع به إذا مرض إذ بالعادة
صار مزاجه طبيعيا له انتهى من كتاب الأربعين للغزالي رحمه الله تعالى ورضي عنه وإذا أفطر على أقل
شيء يسير من الطعام ولا يكثر الأكل واليوم الذي يكون فيه مفطرا لأنه ما يبيت على الأكل
بل ربما يبقى ثلاثة أيام وأزيد لا يأكل إن تفقده أهل داره بالطعام أكل وإلا بقي
كذلك وربما يجيئه أهل داره بعد مضي جل النهار لعلمهم أنه مفطر وما يعرفون أنه ليس بمفطر
وأحيانا يغفل أهل الدار لعلمهم ويظنون أنه قد علموا بأنه مفطر فيسكت ويطرق برأسه إلى الأرض
ويستحيي رضي الله عنه ونفع به وكان رضي الله تعالى عنه يعجبه كثيرا ما خف من الطعام
كالمرق والخبز غير المعطر ونحوهما وربما يتجنب ما ثقل من الأطعمة وكان رضي الله
تعالى عنه لا يأكل في الغالب من الخبز إلا فتاته ولا يأكل قشره ولعله لما أن صون باطن
الخبز من القاذورات التي تكون فيه البراني بخلاف القشر الظاهر فإن الغالب عليه
عدم السلامة من القاذورات فيحترز رضي الله عنه بتورعه عن ذلك فيتبع غالب أمره لذلك
والله أعلم بمراده وكان رضي الله عنه إذا اجتمع مع غيره على الأكل يطرق برأسه إلى الأرض
ولا ينظر إلى أحد من الحاضرين إلا ضرورة وإذا أكل من طعام أحد يقتصر على ما يزيد على معتاده
من الأكل وحده وربما يتكلف زيادة الأكل إذا طلبه صاحب الطعام في ذلك ولا ينتهي
في ذلك إلى درجة الشبع وربما تكون الأطعمة مختلفة وما يعلم الشيخ بها ويظن أنه ليس ثم طعام
إلا ما حضر فيخبره فيأكل الطعام معتادا من طعام واحد على أنه لم يبق شيئا ثم يأتي طعام آخر

فيتكلف الأكل شيئا منه ثم يأتي نوع آخر من الطعام فيطلبه صاحبه بأن يأكل منه ويعلم
الشيخ أنه لا يقدر على أكل شيء منه فيتجرد ويرفع في فيه شيئا يسيرا إلى أن يغلب صاحب
الطعام ولقد حضرنا يوما وقد قدم له أناس كثير من الأطعمة كل واحد أتاه بنوع من
الطعام فأكل رضي الله عنه من الأول شيئا يسيرا إلى أن أكل من غيره فلما فرغ منه قدم له الثاني
فأكل منه شيئا ثم قدم له الثالث فحاول أن يأكل شيئا فلم يقدر فطلبه صاحب الطعام
أن يأكل من طعامه كما أكل من طعام غيره فاعتذر له الشيخ الذي وقد كشف عن بطنه فقال لي
احصر أما في حفرة من الطعام الذي أمامي فيصفا أن الموضع الذي نزل منه الطعام ويبقى
صاحب الطعام إذا تكلف من هذه الحفرة أو كما قال رضي الله عنه ففعلت ما أمرني
به رضي الله عنه فأزلته من مكانه قدر حفنة ثم وجعلته أمامي ولم يعرف في أحد
ثم نظر صاحب الطعام إلى الشيخ وطلب في الأكل فقال له هذا هو الموضع الذي أمامي وأومأ
بأنه قد أكل ولا يعلم أن أكل رضي الله عنه وما فعل ذلك إلا جبرا لقلبه لأنه لا يقدر أن يفعل جل
أحد أما فيسوءه وكان رضي الله عنه لا يكبر اللقمة ولا يصغرها بل تكون متوسطة ويجري
في حال الأكل فيجعل ركبة رجله اليمنى على بطنه ويرد الأيسر على الأرض وربما يجلس
كما يجلس للتشهد إلا أن تعتريه الصحة فإن يفعل في حال الأكل وجلوسه في غير الأكل
إما محتبيا أو مستندا إلى شيء أو متكئا على جنبه الأيمن أو الأيسر إن لم يكن معه أجنبي غير
صاحب وكان رضي الله عنه ربما يمزح مع بعض أصحابه وأهل فنائه ولا يقول إلا حقا ولا تجد
أحسن ولا أنفع انبساطه مع الخلق فإذا تكلم مع أحد لا يرفع صوته به ولا يجاوبه به بل
تجد كلامه معتدلا من غير تطويل ولا إفراط ويمشي رضي الله عنه في وجه الغني والفقير
والصغير والكبير والصالح والطالح وإذا مشى على وجه الأرض تجده معتدلا في مشيه ويضع
قدميه على الأرض فوق ويبرز ومع ذلك لا تجد أحسن من مشيه ولا أبرك منه ويقطع بمشيه هذا
مسافة بعيدة كالمسافة التي يقطعها الماشي في زمن يسير ولا تمل من المشي معه ولا تعيا ولو
مشيت يوما كاملا بل لا تشعر بنفسك في حال مشيك معه إلى موضع بعيد حتى تصل إلى ذلك
الموضع ولا تعرف بعد المسافة وصعوبة الطريق لو مشيت فيه وحدك أما إذا مشيت
معه فلا تشعر بطول المسافة وصعوبة الطريق ما دمت معه وقد جربنا ذلك كله معه رضي الله
عنه وكان رضي الله عنه إذا ابتدأ إحدا ورد من البعد وعلى إذا يأتي إليه وقف ينتظره

وربما يمشي إليه خطوات لا يسمع فيها حسا من كان ضعيف البدن كالشيخ الكبير ونحوه
وإذا طلب أحد منه أن يدعو له قال الله يفتح لنا ولك في خير أو يقول الله يفتح في خير وربما
يدعو بغير ذلك كما أنه يقول معه يوما وذلك أني كنت معه يوما في قراءة ولم يكن
معنا أحد وهو يحدثني عن مناقب الصالحين وأحوالهم فأعجبني كثيرا لما رأيت من
حلاوة كلامه ولذيذ خطابه الذي ينشرح به الصدر ويمتلئ بأنواع من السرور
فقلت يا سيدي والله ما رأيت مثلك لا خلقا ولا خلقا فتبسم رضي الله عنه تبسما
كثيرا ثم قلت له يا سيدي ومولاي ادع الله لي أن يطيبني في حياتك وأن لا يفرق بيني وبينك
فقال لي لا تقل ذلك فقلت له يا سيدي أنا إذا بقيت بعدك لا أحيى، فبكى، فقال
يا ولدي في الفرقة لا بد لنا منها فقد أذكر واه للدنيا ولكن أدعو لك بما كان يدعو
به سيدي أحمد بن عبد الله لي إن كذا ولا حاجة به فقلت له كيف كان يدعو قال يقول
لي كلما طلبت منه الدعاء بعدم الفرقة في الدنيا الله يجمعنا في الجنة حيث لا فرقة فقال
وأنا أقول لك الله يجمعنا في الجنة حيث لا فرقة فقلت له آمين الله يقبل منا يا سيدي
بن لا بد داخل في قلبي من السرور ما لا يعلمه إلا الله جل جلاله وتقدست
أسماؤه فيا له من خير ما أعلاه ويا له من سر ما أنقاه وما أحلى خطابه وأجل
ذكره بالقلوب وما أحسن لطفه والدار العلي والذنوب ونظرته وأحواله فيه تفريج القلب
تزيل الكروب فنسأل الله تعالى العظيم الرحمن الرحيم بجاه النبي الكريم صاحب الخلق
العظيم سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عدد ما في علم الله سبحانه أن
لا يحرمنا من بركات دعوات الشيخ رضي الله عنه وأن يجمعنا بفضله وكرمه معه في جنان
النعيم وأن يجيرنا بفضله ورحمته عن أهل الجحيم يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين
يا أرحم الراحمين وكان رضي الله عنه يصلي بالناس وأخ أول المصلى بين يدي المتبعة
وبين الناس يكثرون تحليقه وربما أحضرهم ذلك وأنه لو لم يمكنهم تراعوه
وناولته ابن لكم وكان رضي الله عنه لا يلبس لباسا حضريا جيدا يعرف به بل تجده يلبس
اللباس المعتاد بين أهل الحاضرة المتعارف فيما بينهم فيلبس في زمن الشتاء ثوبا من كتان
وجبة عليه وبرنسا من صوف له وفي رأسه إحرام تونسي يسدل له على ظهره كما هو المعتاد
اليوم عند أهل الحاضرة وفي زمان الربيع والصيف يلبس بدعاعة ثوبا من كتان مع الإحرام

وربما يلبس البياض سيما في الصيف وفي رجليه نعلان الكتان يلبسهما اذا مشى الى
موضع قريب واما البعيد فيلبس بسبب اطالة الكل كما هو اليوم والحاصل انه كان لا يتميز
في ملبسه بزي مخصوص يعرف به ويعرف به من كان من اهل هذه الطريقة كلبس عباءة ن
وكساء من صوف ونحو ذلك بل لا يلبس الا ما كان متعارفا بين الناس من انواع الرداء مما
لا يعرف به لكن انه من جملة اهل الحاضرة وكذلك ايضا في مطعمه وفي جميع اموره تجده متوسطا
في جميع ذلك والغالب العرف في ذلك وكان رضي الله عنه لا يتوسوس في وضوئه ولا
في صلاته ولا يسرف في الماء بل كان وضوءه معتدلا متوسطا لا تفريط ولا افراط ولهذا
كان رضي الله عنه كثيرا ما ينهى عن الوسوسة في الوضوء والصلاة ويقول لا ينبغي
للانسان اذا اخبره الشيطان بانه بقي عليه شيء من اعضائه وضوءه او يخبره بان وضوءه
فسد فيستغفر ان يبني على كلامه ويتبع في ذلك انه لا يقبل الامر الى ان يتحقق من ذلك
حتى يوقع الصلاة خارج وقتها فاما ما في ذلك الا الاختلال بالعقل ومن قال جماعة بوجوبه
الى غير ذلك من كلامه رضي الله عنه وكان رضي الله عنه كثيرا ما يكره ان يتكلم احد بعد
صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وكان رضي الله عنه يبتدئ في تكبيرة الاحرام بعد الاقامة
ولا يكبر لها الا بعد حين وربما يكبرها بعد الاقامة بزمن يسير وكان رضي الله عنه يقرأ
في الاولى من صلاة الصبح بسورة الانفطار وفي الثانية بسورة الطارق وفي الغالب
وربما يقرأ في الاولى من الصبح بسورة الانشقاق وفي الثانية بسبح ويقرأ في الاولى
من المغرب باذا جاء نصر الله وفي الثانية بقل هو الله احد وربما يقرأ في الاولى من المغرب
بقل يا ايها الكافرون ويقرأ في الاولى من العشاء بالتين والزيتون وفي الثانية بسورة
الفيل وربما يقرأ في الاولى بسورة التكاثر وكان يحسن الاستماع بقراءته وتلاوته لما فيهما
من التدبر والخشوع وكان رضي الله عنه يطول في الركوع والسجود طولا معتادا مقدار
ما يقول الانسان سبحانه تلك تسبيحه كلما كثيرا ما عرفته خمس مرات وربما يخفف
فيهما في بعض الاوقات ويدرج صلاته في تمام ومع تطويله في صلاته لا تجد احدا منها
ويود الانسان ان يزيد الشيخ رضي الله عنه في التطويل بالصلاة لما يجد فيهما من
الحلاوة وحضور قلوبهم في صلاته خلفه رضي الله عنه فكلهم يتعشقونه وكان رضي الله عنه
اذا قام من الليل يتهجد يسمع له انين عظيم في صدره من خوف الله سبحانه ولقد رايت

في دارنا الليلة فمضى له في العشاء فأكل وأكلنا معه فصلينا وراءه صلاة العشاء ثم جلس ونحن قبالته وبقينا معه كذلك إلى قرب نصف الليل فأخذنا النوم فقام سيدي رضي الله عنه للصلاة فسمع له في البيت أنينا عظيما وبقي كذلك إلى أن طلع الفجر فلما أعلمه المؤذن بالصبح قمت أنا من النوم فوجدته جالسا على سجادته مستقبل القبلة وهو يذكر الله تعالى فلما بدا النهار بطلوع الفجر خرج إلى مسجده فصلى بالناس صلاة الصبح وكان رضي الله عنه إذا صلى الصبح يبقى على حاله يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس أو إلى قرب طلوعها وربما يجعل رأسه بين ركبتيه وهو في تلك الحالة غائب مستغرق فيما هو فيه حتى أنه لا يشعر بكلام من تكلم حوله وقد جرى يوما كلام في مجلسه بحضرته ووقع بين بعضهم تشاجر ومضاربة بحيث يسمعه القريب والبعيد فلما فرغ الشيخ من ورده شكا له بعضهم وقال له أما سمعت يا سيدي ما قال مني فلان بحضرتك قال له وأي وقت كان ذلك قال له حين كنت تسبح فقال له الشيخ والله ما سمعت شيئا من ذلك أو نحوه قال رضي الله عنه قلت وما ذاك إلا لغيبته عن الخلق وحضوره مع الملك الحق حتى أنه لا يشعر بنفسه فكيف بما وقع من كلام أحد من الجنس من النطق وحدثتني السيدة زوجة الشيخ رضي الله عنه أن الشيخ كان في ابتداء أمره إذا قام من الليل نظر إلى السماء ويقول يا سيدي كيف ننام وأنت تقول الوعيد قالت ثم يرمي على نفسه حتى على ذاته ثم استيقظ ورجع إلى النوم قالت ثم حين رجع إذا استيقظ من نومه لا يعود إلى النوم ويبقى كذلك إلى أن يطلع الفجر رحمة الله عليه قالت وعادته أنه ينام في أول الليل شيئا ساعة ثم يحيي الليل كله بالصلاة وبعض الليالي يقف الليل كله سائلا حتى يطلع الفجر وجهه قلت ولقد كان رضي الله عنه كثيرا ما يغلب عليه النعاس فإذا أفاق يقوم مرعوبا من شدة الخوف من الملك الواحد القهار ومن طول بكائه من خشية الله تعالى وطول قيامه بالليل حتى انتفخت قدماه وطال صومه حتى غارت عيناه

ينادي ربه والدمع جاري ... إلهي إن قلبي مستطار
صبور في قيام الليل حتى ... وصوام إذا طلع النهار
يقول النفس جدي واكدي ... فما في خلد الرحمان عار
إلهي ما سناء جنة دار ... من أجلها فزت بسكناها الحوار
وما جنات عدن يا حبيبي ... وما شجر تزينه الثمار

والحزن وجهد الما مولى سوى ۞ لمن بر بمعين ذا الحد الجبار

قلت فلهذا كان رضي الله عنه في اجتهاده وتهجده وسعيه تعبه في طاعة ربه
وعدم راحته لنفسه وقد تقدم ذكر احواله وشرحها بما تم ذكره وكذا حال غيره من سائر
اولياء الله تعالى رضي الله تعالى عن جميعهم وحشرنا في زمرتهم ونفعنا بهم ولنقتصر على هذا
القدر اليسير الذي ذكرت من احواله وفضائله فان محاسنه لا تعد ولا تحصى ولا يمكن ان
يستقصى وما ذكرته من صدر الكتاب الى هنا انما هو اشارة الى بعض احواله ومحاسنه
وخصائصه التي انفرد بها عن غيره بحسب ما سمح به الخاطر في جلبه مختصرا

لو كان نظمي كثيرا والكلام حصى ۞ لما ابلغ العشر من معشار من حسنه
ولا احطت بجزء من محاسنه ۞ ولا وصلت لبعض من فضائله

ومن علم مكانته ومرتبته وخصائصه وشهدت له بذلك اكابر الاولياء [illegible] عجبا
وبعضهم اطلعه الله تعالى على مقامه واخبر به وبلغ الخبر الى الشيخ رضي الله عنه فتبسم
رضي الله عنه عند ذلك وقال صدق فلان المولى او كما قال رضي الله عنه وبعض الاكابر والاولياء
انه حضر بعضا من اهل تلمسان على الصلاة وراء الشيخ رضي الله عنه وقال انه يصلي وراء
من المنابذ له مكان الحجب عن ترجع الا الله تعالى وبعضهم حرض بعضهم على صلاة العصر من يوم
الجمعة وراءه الى غير ذلك من حكايات الاولياء الاكابر عنه رضي الله تعالى عنه وسيأتي
شيء من ذكر بعض فضائله في باب وفاته رضي الله عنه ان شاء الله تعالى ومن رأيت ان اختم
هذا الباب بفائدة تبين ما ينبغي لمن اراد ان يكون له نصيب مما لاولياء الله تعالى الاولى قال
ابراهيم بن ادهم رضي الله تعالى عنه لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجاوز ستة عقبات
اولها ان يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة ثانيها ان يغلق باب العز ويفتح باب الذل
ثالثها ان يغلق باب الراحة ويفتح باب التعب رابعها ان يغلق باب النوم ويفتح باب
السهر خامسها ان يغلق باب الغنا ويفتح باب الفقر سادسها ان يغلق باب الامل
ويفتح باب الاستعداد للموت انتهى كلامه رضي الله عنه الثانية قال الشيخ ابو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه اعلم انك اذا اردت ان يكون لك نصيب مما لاولياء الله تعالى فعليك
برفض الناس جملة الا من يدلك على الله تعالى باشارة صادقة واعمال ثابتة لا ينقضها كتاب
ولا سنة واعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيئا على ذلك بل كن في ذلك

عبد الله

فائدة ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه

فائدة الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه

عند الله امره ان تنقض عروته فان تعب في هذا فبين المخلصين الاعراض عن الدنيا والتزهد
في الناس فانهم مع الله بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية والاستغفار بالانابة
والخضوع للاحكام بالاستقامة وتفسير هذه الاربعة ان ذكرها عبد الله فيما ياتي وتذكر
وترافق فلبدا الان في المملكة تشبه الغيب فان انتبهت بهذا نادتك هواتف الحق من انوار
العزة فقد عجبت عن طريقها الرهش ان لك القيام مع الله بالمراقبة وانت تسمعه كان الله
عليك شهيدا رقيبا وبعضها يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة منها ظننت انك مرتبة فالتزم
التوبة بالرعاية بقلبك وما تشعر لك منه بحال فتعود الى ما خرجت منه فان محق هذه
منك نادتك الهواتف ايضا من قبل الحق التوبة منك بر... والانابة عنه تتبعها واشتغاله
فاشهد وجب لك الحجاب عن مرادك فبعضها تنظر او حافه فتستعين بالله منها وتاخذ في
الاستغفار والانابة فالاستغفار طلب للستر من الله وحاجة بالرجوع اليه او حابه فان
كنت بهذه الصفة اعني الاستغفار والانابة نادتك من قريب اخضع لاحكامي ودع
عنك منازعتي واستقم مع ارادتي بتوجه ارادتك وانما هي ربوبية تولت عبودية وحق عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء فاذا رايت منك ذرة وكلتك اليها وانا بكل شيء عليم فان فهمت
هذا الباب ولزمته شرفت منه هنا على اسرار لا تكاد تسمع من احد من العالمين انتهى كلامه من
كتاب القصد الى الله تعالى فائدة عجيبة قيل للجنيد رضي الله عنه ما للمريد في مجاراة
الحكايات فقال الحكاية جند من جنود الله تعالى تقوى بها قلوب المريدين فقيل له هل في ذلك
شاهد فقال قوله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك انتهى من
كتاب مناقب الابرار ومحاسن الاخيار نسأل الله تعالى ان يعمر بالحزن على الاخرة قلوبنا
وان يطهر بالعفو جوارحنا من دنس ذنوبنا وان يرزقنا ذوق الانابة بهمة الصادقين وتوبة
برهانية الخائفين وان يميتنا على محبة الاولياء المقربين وان يجمعنا مع شيخنا وجميع احبتنا
في اعلى عليين بجاه سيد الاولين والاخرين وقائد الغر المحجلين سيدنا ونبينا ومولانا محمد
الذي فاق الورى بجيشه مع من احبه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه كلهم وازواجه وذريته
عدد ما احاطه علم الرب **الباب الرابع في عدد مصنفاته رضي الله عنه ونفع**
به آمين شرحه الكبير الذي وضعه على دلائل الخيرات وسماه بالمقصد المستوفي في شرح دلائل
الجزولي وهو كبير الحجم كثير العلم وهو اول ما الف من الكتب العلمية وهو ابن تسعة عشر سنة

او ثمانية عشر سنة على احطها في ذلك وقد اشار الشيخ رضي الله عنه الى ذلك في اخر
هذا الشرح فقال كنت جمعت هذا التقييد في زمن الصغر فاحدا جزءا لم انفع بنفسي لعدم
تمكني من شرح استعين به على فهم هذا الكتاب فحين اجمع ما اتسع من القراءة من ابتداء في
واخذ الذي لما استحسنته من كلام بعض شراحه واكثر ما كنت اعتني به كلام شارحه
الشيخ الامام العلامة العالم ذي الاراء العجيبة والنظرات البارعة الغريبة ابن
ابي عثمان سعيد العقباني غفر الله له ورفع له الدرجات العالية فانه شرح تقيد
عقول النبهاء عقول ولم يرا مثله ولا يروى والله اعلم مثله قبله ولا بعده وقد تضمن
هذا التقييد كثيرا من فوائده اذا كان عليه معتمدي في ايضاح فهم الكتاب وبيان
ما ادق فيه من حسابه مع اختصار كثير مما يستغنى عنه فيه وزيادة ايضاح لمسائل
يوضح صورها وازالة الحجب عن كثير من مشكله فهو جدير بتحصيل الغرض لمتأمله
ان شاء الله تعالى والله اسأل ان يجعله خالصا لوجهه وان ينفع به من كتبه او نظر
فيه او سعى في شيء منه بمنه وكرمه انتهى كلام الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به قلت
ولما فرغ الشيخ رضي الله تعالى عنه من جمع هذا التقييد اطلع عليه الشيخ الولي العارف
بالله تعالى سيدي الحسن ابن مخلوف الشهير بابركان رضي الله تعالى عنه فنظر فيه وتامله
كله فاعجبه كثيرا ثم امر باخفائه وعدم ظهوره وقال لا تظهر هذا الشرح الا بعد
حين والحكمة في ذلك حتى يبلغ عمر مؤلفه اربعين سنة وقال هذا الشرح لا نظير له فيما علمت
فاذا ظهر في هذا اليوم مع صغر سن المؤلف ربما يحسد عليه وتصيبه العين او كما قال
فلم يظهر هذا الشرح الا بعد حين واثنى الشيخ سيدي الحسن عليه كثيرا ودعا لمؤلفه
كثيرا رضي الله تعالى عنهما وحشرنا في زمرتهما وقد نقل ان سيدي الحسن ابركان كان اذا
دخل عليه شيخنا سيدي محمد بن يوسف السنوسي رحمه الله تعالى ونفع به ينعش في وجهه
ويلقاه بالكلام ثم يقول لمن جاء اليه لم جعل الله من امة المتقين وقد اجاب الثناء عن الله
وحقق فيه فراسته رضي الله تعالى عنهما وعن جميع اولياء الله تعالى وحشرنا في زمرتهم
ونفعنا بهم قلت والحوفي هو بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وكذا نص عليه الشيخ
في صدر شرحه للحوفي ومنها عقيدته الكبرى المسماة بعقيدة اهل التوحيد المخرجة
بعون الله من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغم بفضل الله تعالى انف كل مبتدع وعنيد

وهي

وهي في نحو عشر أوراق من القالب الرباعي وهو أول ما صنف في التوحيد ثم شرحها
الذي هو في نحو ثلاثة عشر كراسا من القالب الرباعي ثم عقيدته الصغرى وهي أخص
من الوسطى ثم شرحها الذي هو في نحو ستة كراريس من القالب الرباعي وهذه العقيدة
هي المسماة عندنا اليوم بذات البراهين وهذه العقيدة وهي معلومة وهي من أجل العقائد.
ولا نظير لها عقيدة من عقائد من تقدم وأما من تأخر فقد أشار الشيخ رضي الله عنه إلى ذلك
في صدر شرحها لما علم ما تقدم ذكره في الباب الذي قبل هذا أو ذكر أنه لا يعدل عنها بعد
الاطلاع عليها إلا من هو من الحمق وبين الزيغ إذ ذكر قلت لعمري لأعاش بها وحاشها
دون غيرها لما حدثني به موليها سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله تعالى عنه قال حدثني
صاحبنا سيدي محمد بن يحيى قال كان لي صاحب يقرأ على الشيخ سيدي محمد بن مرزوق رحمه الله
ورضي عنه قال وأراد أن يضع العقيدة الصغرى يعني عقيدة الشيخ رضي الله عنه
قال ثم مات قال سيدي محمد بن يحيى فرأيته في النوم فقلت بالله إلا ما أخبرتني عما لقيت
من منكر ونكير وعن أول ما سألاك عنه فقال الميت بنفس ما دفنت وانفصل الناس
عني إذ منكر ونكير دخلا علي فأجلساني وسألاني عن ربي وأول ما سألاني عن التوحيد
فقالا لي ما الذي قرأت من كتب التوحيد قال فقلت لهما قرأت عقيدة فلان وفلان وسماهم
قال فقالا لي بغضب على سبيل المنفعة بر وأي شيء ما تقرأ عقيدة السنوسي أو قالا الشيخ
محمد السنوسي قال فقلت لهما من دونها غيرها من العقائد قال فقالا لي وهل فيها
لعقيدة محمد غيرها أو قالا لو اقتصرت عليها لاستغنيت بها عن غيرها قال فضربا بمقمع
من حديد ضربتين أو ثلاثة الشك من الشيخ رضي الله عنه لكونك قرأتها قال الميت فلم أر في
هذا العذاب والضرب إلا كأنه أجل عمري من أني لما مع أني كنت حال من ترددا على التوحيد
أطالع وظائف التعليم أو كما قال قلت حدثني بهذه الحكاية الشيخ رضي الله عنه ببعضها
وبعضها بالمعنى وحدثني أيضا رضي الله تعالى عنه قال حدثني بعض من أهل طائفة تلمسان قريب
لي والمنة قال كان رأوا ابن أخي الشيخ في واقعة في النوم وقد كان من الصالحين يحفظ القرآن فقلت
له ما فعل الله بك قال أدخلني الجنة فرأيت فيها سيدنا إبراهيم خليل الله على سيدنا محمد
وعليه الصلاة والسلام وهو يقرئ الصبيان عقيدة الشيخ سيدي محمد السنوسي وهم بين يديه
في الألواح والمنة قال العقيدة الصغرى قال والصبيان يجهرون بقراءتها أنتهى وحل هذه الحكاية

بلحظ الشيخ رضي الله تعالى عنه ثم قال ابن الشيخ رضي الله عنه لما تشكل نسخ هذه العقيدة
لا نظير لها فيما علمته ومن اقتصر عليها فانها تغنيه عن مطالعة الدفاتر والدواوين
الكبار او كما قال رضي الله عنه ونفعنا به دنيا واخرى قلت ولقد احسن الشيخ العالم
الاديب النابه سيدي محمد الحاج بن محمد الشنقيطي حفظه الله تعالى ونفع به حيث قال
مشيرا لمحاسن هذه العقيدة نظما في شعره ونصه هذا

وبر بن صالح الامام المرتضى ۞ العالم الحبر التقي الامجد
نجل الكرام الصالحين ذوي العلى ۞ الطاهر الاصل الشريف محمد
بحر العلوم ومعدن الاسرار من ۞ بين الانام بعصره والمشهد
لو ابحرت عيناك حسن عقيدة ۞ من صاغها هذا الامام الاوحد
لرايت ما يجلي القلوب من الصدا ۞ وسلها نور احكام المرشد
وعلمت يا نعم الحبيب بانها ۞ تزري ببحر ابن حج ونظامها يتوجد
في شرحها ظهرت غرائب علمه ۞ فاقصد اليه ورد منبع المورد
عول على كتب الامام فانها ۞ تغنيك عن طلب الشيوخ وتسعد
اذ ما يكون من القلوب بروزه ۞ فالقلب يقبل ما يقول المنشد
فالله ينفعه وينفع من ۞ رام الذي قد صاغه ويؤيد
ويثيبه اجرا عظيما دائما ۞ ويجيره حيث النبي محمد
وعليه من رب العلا صلوات ما ۞ دام في اعلى الجنان مخلد
ثم الرضا عن آله مع صحبه ۞ والتابعين ومن تلى من بعده

انتهت القصيدة وهي في غاية الحسن قلت وصاحب هذه القصيدة من اولياء الله
تعالى وله قصائد في طريق القوم تدل على علو مقامه وعلو مكانته وقد كانت بينه وبين الشيخ
رضي الله عنهما مكاتبات ومراسلات وكان يكتب الى الشيخ بالنثر والنظم وسياتي
قريبا ذكر بعض قصائده حيث نذكر شعره الذي مدح به تاليف الشيخ وشراحها لشرح
الابي على صحيح مسلم ان شاء الله تعالى نسال الله تعالى ان ينفعنا بمحبته اولياءه دنيا واخرى
ومنها عقيدته المختصرة في غاية الاختصار وهي اصغر من العقيدة الصغرى المتقدم
ذكرها التي وهذه بمثابة صغرى الصغرى ومن كان وصفها المولى حفظه الله تعالى منه

كل

كل احد ويليه وانالهم الدرجة العلية وفي هذا والذي لما قرأ على الشيخ رضي الله عنه
عقيدته الصغرى وختمها عليه في التدريس عشر مرة رأى انه من ثقل عليه درسها
وحفظها لكبره وكثرة همومه فطلب من الشيخ رضي الله عنه ان يجعل له عقيدة اصغر
من الصغرى بحيث يمكنه درسها وحفظها فعمل له هذه العقيدة وكتبها له بخطه وقد نبه
رضي الله عنه فيها على نكت جليلة ودرر انيقة لم يسبق بها في العقائد السابقة ثم
شرحها الذي هو في نحو من اربعة كراريس وفيه جواهر عجيبة ونكت غريبة بل جميع كتبه
جواهر تدل على اختصاص مؤلفها وامداد الله تعالى له بالمعارف الربانية والعلوم الزكية
والاسرار الالهية والانوار المحمدية رضي الله عنه ونفعنا به في الدنيا والاخرة ونفعنا
ما ابلغ طي جفنه وبركته وجعلنا معه بجاه جده سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه
وسلم ابد الاباد في المنازل الفاخرة ومنها المقدمة التي وضعها مبينة لعقيدته
الصغرى وهي غريبة في بابها ثم شرحها الذي هو في نحو خمسة كراريس ومنها عقيدة
اخرى كتب بها لبعض الصالحين وقد كان طلبه فيها وفي هذه العقيدة دلائل قطعية ترد
على من زعم واثبت التاثير للاسباب العادية ومنها شرح على اسماء الله الحسنى
وهو في نحو من عشرين ورقة فيه بعض ما يذكر في تفسير كل اسم من اسمائه تعالى بعض اسرار ذكره في
حظ العبد من الاسم كذا وكذا ومنها شرحه للتسبيح الذي حض عليه الشرع دبر
كل صلاة وهو سبحان الله والحمد لله والله اكبر ثلاثة وثلاثين مرة في كل واحدة من
هذه الثلاث ثم يختم المائة بلا اله الا الله الى اخره فذكر السبب او ما في معنى التسبيح
والحمد والتكبير ثم ذكر حكمة تقديم التسبيح وتوسط الحمد وتاخير التكبير وسنذكره
ان شاء الله على حسنه وبديع ما فيه في باب ما يسر من الاحاديث النبوية ان شاء
الله تعالى ومنها شرحه لعقيدة مرجزة وهي للفقيه الاجل ابي عبد الله محمد بن عبد
الرحمن الحوضي حفظه الله وهو الذي طلب الشيخ رضي الله عنه ان يشرحها وهو في نحو
من خمسة كراريس والله اعلم ومنها شرحه الكبير الذي وضعه على قصيدة الشيخ الامام
العلامة الولي الصالح سيدي احمد بن عبد الله الجزائري رضي الله عنهما التي وضعها في التوحيد
واولها الحمد لله وهو الواحد الازلي سبحانه جل عن شبه وعن مثل وهو من اجل القصائد
التي الفت في التوحيد لانها جمعت بين حلاوة الكلام والنظم كما اشار الشيخ رضي الله عنه

تعالى عنه الذي لا يحصر شرح حسنًا وهو كبير الحجم كثير العلم وابن اجيه الشيخ من الامثلة
الرايقة والاجوبة البايقة وبديع النكت ومحاسن العبارات ما ثقف عقول
الاذكياء عنه ونحن ذكرنا في هذا الشرح اذا رأينا في كلام صاحب العبقرية ما يوجب الاعتراض
على كلامه او ظاهره انه حشو يحتمل ان يكون مراد المولف كذا او يحمل كلامه على معنى حسن
وبيناه والله تعالى ولكن حسنًا بحيث لا يبقى على المولف رد ولو عرض ذلك على المولف لم يتوقف في الجواب
وقد اجاب صاحب الفصيح بن الاعتراض [illegible] شرح الشيخ رضي الله عنه على قصيدته
ورائيه من بديع التعبير وغرائب التاويلات ودقائق الاشارات وحسن اجوبة عن
الاعتراضات قال الناظم بعض الرشي من تلك الاحتمالات وانه لو عرض عليه هذه
وانتقد على الشيخ كثيرا وجزاه خيرا وبحر بتلك الشرح وبحاشيتها رضي الله تعالى عنهما
وحشرنا في زمرتهما قلت هذا كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه [illegible] ممن ادرج في
كلام عالم سيما ان كان وليا من اولياء الله تعالى كصاحب الفصيح مما ظاهره علم
الحكمة مثل [illegible] ولكلامه معنى صحيح لا خلل فيه ويحمله على معنى حسن يليق به بحيث
يقطع الانسان لو يطلع لعله هو مراده احب ذلك الكلام نسأل الله تعالى ان
يرزقنا لاتباع طريقة هذا السيد الامام وان يجمعنا وجميع المسلمين بالايمان والا
سلام وان يجمعنا معه بفضله وكرمه في دار السلام بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد
عليه الصلاة والسلام ومنها مختصر العجيب لاكمال الاكمال للشيخ الابي صاحب
مسلم وسماه الشيخ مختصره بتكميل اكمال الاكمال وزاد فيه ذكر ما غرب ودرر العجيب وهو
في سفر كبير وقد ورد في نحو الشيخ المدرس سيدي محمد بن الحاج المناري في قصيدته
فقال
ابا من يريد العز من كل نعمة ... ويطمع في اعلى مقام ورفعة
عليك بباب العلم والزم واجتهد ... تنل كل ما ترجوه من كل بغية
وبادر الى علم الحقيقة فانه ... هو الاصل حقا وهو كل الخفية
على اهله كل الفواعش تنقضي ... وتحيه بارواح افطع بحجة
بمجمل الفوائد العظام فيفيده ... وهو عماد الدين عند الخليفة
على نهج حبر السنوسي فهو مصطفى ... وخادمه بن الحاج الحاكم بحجة
معا معا للمرام من كل جهة ... ودع من بامور وكن ذخيرة

وما يطيق المرء تحقيق وصفه ۞ فيا لو اعتنا الآباء من دون مرية
فلا زلت أرجو أن يحظى بسر لحاجتي ۞ فيا در لنا الحبيب الرضي المثبتة
إمام الورى بحر العلوم بعصره ۞ وقد خصه المولى بأن كان سجيته
محمد نجل الشيخ ذي المجد يوسف ۞ سليل الكرام الصالحين الأئمة
لسبط رسول الله يا صاح ينتمي ۞ به حاز ما قد نال من حسن رتبة
له السبق في التصنيف والعلم والحجا ۞ ومعرفة الأنفاس من كل وجهة
فيا درها قد صاغه من جواهر ۞ تنل كل ما ازدهى من كل بغية
ونبصر حسنا عند الناس مثله ۞ وتبرز أسرارا علا قدر رفعة
حوا من لطيف المعاني لبابه ۞ وضمنه من كل خير وبهجة
فليس يرى في ذلك الفن مثله ۞ فلهو إذا للخلق أعظم عدة
حماه الإله العرش من كل محنة ۞ وأعطاه ما قد رام من كل منية
مع الأهل والإخوان والصحب كلهم ۞ وأسكنهم أعلا قصور بجنة
بفضل بأنوار النبي وصحبه ۞ فمن هو المقصود في كل لحظة
عليه صلاة الله ثم سلامه ۞ مدى رنة الأطيار في كل دوحة

انتهت القصيدة وقد جمع فيها بين الثناء الحسن على الشيخ والثناء على المختصر ولعمري أحسن فيها رضي الله عنه كل الإحسان وذلك موهبة من المولى الكريم العزيز الوهاب المنان وقد تقدم منا فيها الوعد بأن نذكر هنا بعض قصائد في هذا الولي رضي الله عنه على سبيل التبرك بها فنقول رأيت عند شيخنا وبركتنا سيدي وموالي سيدي محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه ونفعنا به قصائد من نظم هذا الولي والفقيه نجله ما ظهر حبها قوله ۞ تفرد بجمع الجمع في المقعد الأسنا ۞ وما تلتفت غيرا وحسن بنا الظنا

ولا تخش باب الغير إن رمت نيله ۞ وصل للذي فيها ودع كل ما يفنى
فلله من قوم فيها ادعيتم ۞ وخلفتم بلا تقيف ونحن بها خلفنا
رجعنا إلى ما كنت قبل مجانبا ۞ وخفت بلا تشنيع فيها أنا منها
ركنت إلى مثوى الغرور وزوره ۞ وحدت عن المقصود ما أكثر افلتنا
نقضت عهودا بعد شد وثاقها ۞ وملت إلى الأغيار بعد ما طبنا

وعاملتنا بالعفو بعد وفاتنا ، فيا حسن ما قد جئت يا جامع المعنا
كذبت بما قد تم في من محبتي ، فلو كشف ذا احد ولقاك تحاببنا
وبارزتنا جهرا بكل فضيحة ، وانت تقول الله اكبر هالحق فهم تبقنا
وجئت باسرار امورنا بكتمها ، لكل نفوس سرنا فيه او في عضنا
فجاهدتنا فعل الذي يدعي الوفا ، ويطمع في نيل الزيادة والحسنا
عرفت طريق الوصل بعد غموضه ، فما عرفت عنه بعد ما الحق نبتغنا
ولبست ثوب المرء في حال بعثه ، كذي توبة في القرب الذي في عنه عثرنا
فيا انت منه ويثبت بالعصر بيننا ، وعرفت لما نتجلا فهاذي فمن عمنا
ومهما تخف سر الفواتح حملت ، فيمن الينا واتخذ ذي ناحجنا
وسارع الينا نستدعي حقوق ثمنا ، ونحيي ثمار الانتاع والحجنا
فمهما الحى يوطئ تحركه لحا لعب ، وما منزله خلا وما غابل عضنا
فمن كان في عون المحبة هاد فا ، تجالعنا يهوى بمالي احبتنا
ولكن ما قد جاءت في حال جهله ، وما من في التقريب اذ يحفظ الجفنا
وجاء الينا فاصطفى منجرد ، وعاملنا بالصدق والطرح الكونا
وجاهد فينا للعدو وحزبه ، وخالف حظ النفس واستنجز المعونا
فمن كان موصوفا بما مر ذكره ، فذاك هو القطب الذي عنه اعربنا
فمسلكه ينهج العارفين وجعلهم ، فنال منال ما نال وما يخشى غبنا
ونسقيه بكاس من مدامة حبنا ، فيلبس لها منا ومن ذا لها عضا
فمن فاته الراحة مقام بحضرة ، مع السادة الاخيار والمعن الاسنا
على رغم انف الحاسدين معا ، ونحظا بعز لا يضام ولا يعنا
فذا دأب شاداب الكرام ولا فخر ، بجمعهم لما نعطي لهم من ثناءنا
ايا رب بالمبعوث للخلق رحمة ، نسألك توفيقا لما يعقب الامنا
ففي نشر ما كتمنا من كل فاضح ، ولا تخزنا يوم الحساب اذا نحنا
وصل على من ليس في الخلق مثله ، ولولاه ما كان الوجود ولا كنا
وضاعف على الحامد شهم السلام ، رضاه منا ما ناح صب وما اثنا

ومن قصائده ايضا رحمه الله تعالى ورضي عنه

مرادي منه لي السيئات ، وما يبقى من المحسنات
ونتبع ما استكا حبل اعتصام ، بدا وعلى عنقكم من منجيات
على الطاعات تدوم في كل وقت ، وصل للباقيات الصالحات
وخالف للهوى واعمل بامر ، تنل الخيرات من كل الجهات
ففي بالنفس تغفل في كل حرب ، اذا اخلصت تظفر بالنجات
وان ظهرت بك من سوء عيب ، بين الاكوان تبصر مشرقات
ومن نوح في الاسحار جفنا ، من الاغيار واستعمل ثقات
وخف ان تشتغل بالخير امن ، وتحظى بالعجائب من هبات
وتظفر بالمنى من كل شيء ، وفي الجنات تبصر حسن ذات
بدار خلد الجنان جنان خلد ، مع الحور الحسان الغامرات
جوار الهاشمي خير خلق ، حبيبي من جميع المبدعات
يصلي عليه تظفر بالاماني ، عبادنا بالعشي وبالغدات

ومن محاسن قصائده ايضا رحمه الله

نبا خبر بالامال جاءت نبا در ، ولم يثنها عن مقتضى السعد زاجر
فنيل الاماني واجتماع احبة ، وانس وروح لا يخيب فيه عاثر
على رغم انف الحاسدين من العدا ، وكل عدو وانشانه المدمر ماكر
فنسال رب العرش نصرا به شملنا ، وعكس الذي رامو فبالله قادر
بجاه جميع الانبياء وفضلهم ، شفيع الورى يوم تبلى السرائر
واصحابه والتابعين بجمعهم ، يحقق لنا يا رب ما هو حاضر
فهنيئا لمن نال قرب حبيبه ، وزال الذي من كان قبل يحاذر
واصبح من بعد الخمار جهد امضا ، ومحبوبه لغير القطيعة حاضر
تحفنا على عهد الاحبة وارعهم ، بمن كان في على عهده هو ظاهر
وكن كانما للسر نطق بوزنهم ، بمن يكشف الاسرار له الا غادر
وكن راضيا بالحكم منهم ولا تكن ، معارضهم فجاز من هو صابر

وكن تاركا فعل الذي بك نوهوا ، ولا ترض حشو الزيد التغاير
تعز بها ما ابن وافق اب والعجم ، اذا كنت فيهم بالغناء تخاطر
فمن كان في دعوى المحبة صادقا ، يجود بنفس وهو في الناس نادر
يخالف ما يهوى لاجل حبيبه ، فليس له بين الانام منافر
يبادر وقت الامر من خشية ، ورضاه عنا بانعم فات در
ونأمن تأمين الحساب وكن لنا ، وليا وبلغ سؤال من نحوك آخر
ودعهم بغفران جميع ذنوبنا ، بجاه شفيع الخلق نذعا جابر
عليه صلاة الله ثم سلامه ، متى ما بدا النجم وغرد طائر

انتهى قلت وفضائله رضي الله عنه كثيرة في هذا المعنى والذي وقع عكسه في الغرب تدل على علو مقامه وسموه ولم ادر منها شيئا سوى ما رأيته بين الشيخ رضي الله تعالى عنه ولم تزل الرعية تتوالى الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا به فنقول ومنها شرح العجيب الذي وضع على صحيح البخاري رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهما وشرح منه جملة كافية ولم يكمله واشتغل بالشرح الى باب من ابتدى الزينة وقد رأيته بخطه رضي الله عنه ونفع به ومنها شرح لمشكلات وقعت في اخر البخاري كقوله عليه الصلاة والسلام في شأن جهنم اعاذنا الله منها حتى يضع الجبار فيها قدمه وكقوله ايضا صلى الله عليه وسلم نحن ونزد في ليلة نزول القمر ليلة البدر وغير ذلك من المشكلات التي تحمل على ظاهرها وهو شرح جليل مختصر نحو الكراسين والله اعلم وسنقف عليه بكماله في باب ما بشر من الاحاديث النبوية ان شاء الله تعالى ومنها اختصاره للزركشي على صحيح البخاري وقد رأيته بخطه رضي الله تعالى عنه ونفع به ومنها اختصاره حواشي التفتازاني على كشاف الزمخشري وقد رأيته بخطه رضي الله عنه ومنها شرح الذي وضع على مقدمة الجبر لمحمد عبد الله ابن حجاج يشهر بابن الياسمين وقد وضع هذا الشرح في زمن صغره ورأيته بخطه رضي الله عنه ونفعنا به ومنها شرح جمل الخونجي في المنطق وقد رأيته منه كراسين بخطه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به ولم ادر هل كمله ام لا ومنها شرح العجيب الذي وضعه على ايساغوجي في المنطق وهو لابي الحسن ابراهيم بن عمر بن الحسن الرباط بن علي البقاعي الشافعي وهو شرح كبير الحجم كثير العلم ومنها شرح الذي وضعه على مختصر

حميه

الشيخ ابن عرفة في المنطق وجل ما فيه كلام ابن عرفة وحل ما صعب من كلامه واجترى الشيخ
رضي الله عنه قال ابن (؟) كلام ابن عرفة صعب جدا وخصوصا في هذا المختصر قال وقد اتعبت نفسي
كثيرا في حل كلام ابن عرفة في مختصره هذا الصعوبة فيه غاية قال وما استغنيت عن هذا الشرح
الا بالخلوة قال وشرحت منه الجل ولم اكمله لكثرة الاشتغال وضيق الحال او كما قال رضي
الله عنه ومنها مختصره العجيب الذي وضعه في المنطق زاد فيه زيادات على ما في جمل
الخونجي ثم شرحه عليه وهو شرح عجيب جدا لم ار مثله ولم ار والله اعلم ابدا ومنها
شرحه العجيب الذي وضعه على القصيدة المسماة ببغية الطلاب في علم الاسطرلاب
وهي لشيخه ابي عبد الله محمد بن احمد بن الحباك رحمه الله تعالى وهو شرح جليل تقف عقول
الاذكياء الالباء عنده وقد رايته بخطه رضي الله تعالى عنه ومنها شرحه الذي وضعه
على ارجوزة ابن سينا في الطب وهو شرح عجيب وقد رايته بخطه رضي الله تعالى عنه الا
انه لم يكمله والله اعلم ومنها اختصاره لكتاب في القراءات السبع ومنها شرحه
على الشاطبية الكبرى وقد رايته بخطه غير مكمل ومنها شرحه على المدونة وشرح منها
جملة كافية وقد رايته بخطه ولا ادري هل كمله ام لا ومنها شرحه للوغليسية في
الفقه وشرح منها شيئا يسيرا ولم يكمله رضي الله عنه لكثرة الشواغل التي تشغله
عن اكماله والكمال غيره ومنها نظمه الذي وضعه في الفرائض وهو في الحجب ثم الباعث
الوارث الاخر وغير وارث وقد رايته بخطه رضي الله عنه وعلى هذا النظم في (؟)
حفيده ولا ادري هل كمله ام لا ومنها اختصاره لرعاية المحاسبي رضي الله عنهما ومنها
اختصاره للروض الانف للسهيلي وقد رايته بخطه ولم يكمله والله اعلم ومنها اختصاره
تاليف الساحلي المسمى ببغية السالك في اشرف المسالك ومنها شرحه لابيات في
التصوف تنسب للامام الابياري وصدرها (؟) في بعض مقلقة تشدك انت انت ونسقه
عليه بكماله في باب ما تشرح من كلام اهل الحقائق ان شاء الله تعالى ومنها شرحه لابيات في
التصوف لبعض العارفين وصدرها تطهر بماء الغيب ان كنت ذا سر والا تيمم بالصعيد
وبالصخر وهي ثلاثة ابيات وسنقف عليه بكماله في باب ما فسر من كلام اهل الحقائق ان شاء
الله تعالى ومنها شرحه لبيتين لبعض العارفين في التصوف وصدرهما الاول شمس النهار
تغيب بالليل وشمس الليل لا تغيب وسياتي بكماله في باب تفسيره لكلام اهل الحقائق ان شاء الله

نفعا ومنها شرح للمرشد رائية مكمل الخطط ومنها شرح للجرومية سماه الدر المنظوم
في شرح قواعد ابن آجروم رائية الخطط مكمل قال في اوله قال الفقير رحمة ربه وغفرانه
محمد بن يوسف السنوسي الترتيب الفرهي لطف الله به ثم من خطه رضي الله عنه ونفعنا
به ومنها شرح الرق وضعه على كتاب لبعض المشارقة وهو على نمط طوالع البيضاوي
بل اصعب ولم ارسل الشيخ الا ان الشيخ رحمه الله ورضي عنه اخبرني به وبهذا الكتاب
وقال لي هذا الكتاب هو على نمط البيضاوي بل كلام البيضاوي اسهل بالنسبة الى
هذا الكتاب قال والبيضاوي نقطة من بحر هذا الكتاب قال وكلامه صعب في غاية
الصعوبة قال وشرحته بكلام صعب الا انه ابين من هذا المشروح قال ولما شرحته
رفعه بعض الطلبة الى بعض ما عاصرنا من العلماء قال واوصيت الطالب ان لا يعلم احدا
ممن يعني بنفسه الذي شرح هذا الكتاب فالح عليه الطالب للعالم في تبيين احب
ان اعلم عليه هذا الكتاب المشكل مع شرحه قال فقال لي العالم وهل شرحه احد فقال نعم
قال واخرجه اليه واراه اياه وظن العالم ان هذا الشرح قديم ولم يعلم بانه شرحي قال
فقرا الطالب عليه شيئا من هذا الشرح فقال له العالم اعد علي فقرا ثانيا عادة فلم
يفهمه هذا العالم فقال له هذا العالم هذا الشرح لا يفهمه الا الذي وضعه وانا لا افهم
ما يعني شارح هذا الكتاب الله يرحم شارح هذا الكتاب او كما قال او كلاما اخر شبيها
بهذا الكلام وهو بالمعنى ولم احقق جميع كلامه لطول العهد به وسمى لي الشيخ رضي
الله عنه هذا العالم ولم يسعفني تعيينه قلت ولا شك ان هذا العالم عارف بالعلوم
العقلية والنقلية ومن حضر مجلسه مرات كثيرة من اكابر اصحابنا سند وجماعة غيره ومع
ذلك لم يفهم كلام الشيخ رضي الله عنه قلت ونحو هذا وقفت على المكتوب بخط الشيخ بعد
موته ذكر فيه بعض مصنفاته ثم ذكر طلبه في ذلك ومن جملة ما ذكر هذا التاليف الذي ذكر لي
انه شرحه وسماه في هذا المكتوب ولم يسم لي قبل ذلك لما نهم الحث على تعيينه ونصه ومن
المصنفات شرح على جواهر العلوم للعضد في فن الكلام على طريق الحكماء وهو كتاب عجيب
جدا يعز مثله في هذا الا انه صعب مستغلق جدا على الافهام اسأل الله تيسيره انتهى من خطه
رضي الله تعالى عنه ونفعنا به دنيا واخرى قلت ومن هذا نعرف ان العلوم الالهية كلها منح
الهية ومواهب اختصاصية لا انها بحسب الحفظ ولا الفهم ولا الذكاء عقلا ولا بكثرة الاجتهاد

ثم قال مالك رضي الله عنه فيما تقرر ذلك ليس العلم بكثرة الروايات وانما هو نور يقذفه
الله في قلب من يشاء فسبحان من يختص من يشاء من عباده بما يشاء محض الاختيار ومن فضل
الله تعالى ان يوفقه لاعمال الفاضلين الاخيار وان يجمعه مع الشيخ رضي الله تعالى عنه ورحمه
في دار القرار بجاه سيد ولد آدم سيدنا ومولانا محمد النبي المختار صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وصحبه عدد ما احاط به علم المولى الكريم العزيز الغفار ومنها تفسيره العجيب
للقرآن العزيز وقد رايته بخطه رضي الله عنه ثلاث كراريس ونصف من القالب الكبير وقد
انتهى تفسيره هذا الى الآية التي بعد قوله تعالى في سورة البقرة اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون وآخر كلمة وقف عليه بخطه قوله يدل على الاعتناء بالخ وهو بالغ حسن وقد
كان رضي الله عنه عزم في اواخر عمره ان ينقطع عن الناس جملة وان يتفرغ الى هذا التفسير
والى الخلوة بمولاه تبارك وتعالى فكان من امر الله ما كان فسبحان الذي اذا اراد شيئا ان
يقول له كن فيكون ومنها تفسيره ايضا السورة حم وما تحتها من السور وقد رايت منه
كراريس بخطه رضي الله عنه ولما ادركه الزمان انتهى اليه فيه من السور لطول العمر به ومنها ما
علقته من تواليفه رضي الله عنه وزدت مع ذلك اكتبه من الاجوبة على المسائل التي ترد
عليه في جل الاوقات وبعض الاجوبة يحسن ان يعد هذا من تواليفه رضي الله عنه لكبرها
واستقلالها بنفسها وما كتب من المواعظ والوصايا والرسائل والحجب التي يطلب
فيها وما نسخ بيده من تصانيف العلماء ودواوين القدماء وقد رايت منه
بخطه رضي الله عنه ونفعنا به وجمعنا معه في جنته فانظر رحمك الله هل يمكن في هذا
الزمان ان يعمل احد مثل هذه الاعمال في مدة حياته فضلا عما نقص من ذلك مع اشتغاله بغيرها
من الاعمال وغاية الامر ان يبلغ جهده فيها ويشغل جل عمره بها مع عدم اشتغاله
بغيرها هذا مع ما علم من حال الشيخ رضي الله عنه انه كان مشتغلا في جل الاوقات بكثرة
الاوراد والطاعات ولزوم الخروج الى الخلوات وتعليم العلم النافع في مجلسه ليلا ونهارا
واشتغاله بقضاء حوائج الخلق في اكثر الساعات فانه كانت عادته في النهار اذا صلى
الصبح في مسجده وفرغ من ورده اشتغل باقراء العلم للخلق بقية الوقت المعتاد
ثم يخرج من المسجد العظيم فيقف الناس معه ساعة زمانية عند باب داره ثم يدخل
الدار فيصلي صلاة الضحى فيبقى ما شاء الله تعالى مقدار ما يقرا الانسان فيه عشرة

ان ابن من القرآن ثم يتنفل بما يفرغ من صلاة الضحى يشتغل بالنظر او بالنسخ ان كان النهار
طويلا والا فيقرب من وقت الزوال او سويعة قبل وقت الضحى فاذا دخل الزوال نزل فيتنفل
او ما ينتظر خروجه الى الصلاة فلا يخرج الا عند الغروب وان لم يخرج فيبقى في داره اشتغل بما يستعد
للوضوء فاذا توضأ تنفل باربع ركعات ثم يخرج الى المسجد ليصلي بالناس فاذا صلى
الظهر وفرغ من الذكر الذي يذكره في دبر كل صلاة قام فيتنفل باربع ركعات فيصلي العصر
ثم يقرئ اذا شاء او يخرج الى داره فاذا دخل الى داره اشتغل بما ورد الى غروب الشمس
ثم يخرج لصلاة المغرب فاذا فرغ منها تنفل بثلاث تسليمات فيبقى الى العشاء او
قريبا ثم اذا فرغ من صلاة العشاء قرأ ما شاء الله ان يقرأ ويخرج الى داره ثم ينام ساعة
من الليل ثم يشتغل بالنظر او بالنسخ ساعة من الليل ثم يتوضأ فيقوم لصلاته فيبقى
في الصلاة او في الذكر الى طلوع الفجر هكذا كان حاله في الاكثر لا سيما في اواخر عمره
ومع ذلك كله جمع هذه التواليف وفرغ منها في اقرب زمان مع صغر سنه الذي لم يجاوز من
السنين باعوام على ما اخبرني هو به رضي الله عنه قبل موته بعام او عامين فانا اسأل الله ذات
يوم عن سنه رضي الله عنه فذكر انه خمس وخمسون سنة والله اعلم ومع هذا فقد جمع في هذه
المدة اليسيرة من عمره من التصانيف المفيدة والخصال المحمودة والمعارف الربانية
والعلوم الدينية والاسرار التوحيدية وغير ذلك من المحاسن والاختصاصات ما لم يمكن
ان يجمعه من كان عمره ضعف ايامه هو وما ذلك الا انه لما اشتغل بطاعة ربه وما ينفعه
كفاه الله مؤونته وسهل عليه كل عسير وبارك الله في عمره فنال ما في زمن يسير
وعمر قصير من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت العبارة كما قال الشيخ ابن عطاء الله في
حكمه من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمان من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة
ولا تلحقه الاشارة قال الشيخ ابن عباد رضي الله عنه في معنى هذا الكلام ما نصه
البركة في العمر ان يرزق العبد من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام اوقاته والتهمم
في مدة امكانه خشية فواته فيبادر الى الاعمال القلبية والبدنية ويستفرغ من ذلك
مجهوده بالكلية وفي اثناء ذلك يصل اليه من المنح الالهية ما تعجز العبارة عنه ولا تستطيع
الاشارة اليه ويكون ذلك في زمن يسير وعمر قصير فمن نفع له في شهر مثلا ما لم ينفع لغيره في
الف شهر فمن نزل له ليلة القدر والعمل فيها لمن جاء بها خير من الف شهر قال العارف العلامة

كل

كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر وكان سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه نقل عنه يقول اوقاتنا
والحمد لله كلها ليلة القدر **وهذا** نحو البركة في العمر لا تطويله وزيادة مدته **وقيل** هذا
المعنى في تطويل ما روي في الخبر من زيادة في العمر انتهى كلام ابن عباد رضي الله عنه وارضاه
اللهم انا نتوسل اليك يا مولانا بذاتك العلية **ثم** بنبيك ومجتباك وحبيبك ومصطفاك
ذي النفس الزكية سيد الاولين والاخرين وقائد الغر المحجلين سيدنا ونبينا وشفيعنا
ومولانا **محمد** صلى الله عليه وسلم عدد ما احاط به علمك ان تمتعنا بشيخنا وسيدنا ومولانا
بن حاله وان تضاعف له في اعالي الفردوس نعماه وان تجعله في كل لحظة مبراته وان تجمعنا به
في فسيح جنته ومستقر رحمته وان تجزيه عنا خير الجزا بفضلك ومنتك **الباب الخامس**

في آيات من كتاب الله سبحانه تكلم على تفسير معانيها وازال ما ظهر من اشكال فيها

سبحانه

نسأله بجاه نبينا ومولانا **محمد** صلى الله عليه وسلم ان يشرح صدورنا لفهمها ولما خفي علينا من
سرها **قال** رضي الله عنه في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين ومن خطه نقلت ما نصه قد اختلف
السلف في التسمية في اول هذه السورة الكريمة **فمنهم** من جعلها اية منها **و**منهم من جعلها
للاستفتاح خارجة عنها وهو الصحيح وحكمة استفتاح القرآن الكريم بها تعليم المومنين
ما يقولونه عند كل امر ذي بال وهو التنبيه على ان بدء كل امر وتمامه ليس الا بالله اذ
هو تبارك وتعالى المنفرد بالايجاد لكل ما سواه فيجب تعلق الباطن به جل وعلا **و**طلب
من العبد ان الذي هو من جانب الباطن ان يصرح بالتعلق بذكره تعالى ويلوذ بنفحات من
رحمته الواسعة تبارك وتعالى ولهذا اختصت البسملة باسم الرحمن الرحيم تقوية لباعث
التعلق بجناب كرمه سبحانه في نيل الغرض المقصود **و**في ذلك ما يشد عضد الاخلاص
وحسن النية المطلوبة في الاعمال سيما عند ابتدائها فانه اذا استحضر العبد بالبسملة
ان جلب النفع ودفع الضر بيد الرب تبارك وتعالى لا بما يعلمه سواه جل وعلا ولما يطلب
الجزاء عليه الا منه تبارك وتعالى بل اذا تامل وجود ذلك العمل انما هو من رحمته تعالى وتوفيق عبده
الضعيف العاجز للشروع في ذلك العمل اذ لا خالق سواه تبارك وتعالى فيستحيي العبد
عند ذلك ان يذكر نفسه في ذلك العمل فضلا عن غيرها من سائر الممكنات فيبقى بذكر منة الرب
تبارك وتعالى في توفيقه له لذلك العمل عن طلب الجزاء عليه من المولى جل وعلا وفضلا عن غيره اذ الفعل
في الحقيقة انما هو للرب تبارك وتعالى **فكيف** يطلب العبد الجزاء عاملا بفعل الله لا بقول المجاز

يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم الآية. والله خلقكم
وما تعملون فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم. وبالجملة فاستحقاق العوض على العمل يعتبر له
فيه ثلاثة شروط أن يكون العامل مالكا للمعمول له وأن يوصل بعمله نفعا للمعمول له وأن
يكون له العمل حقيقة لا للمعمول له ولا شك أن هذه الشروط كلها منتفية في أعمال الخلق
ومعنى الحمد لله الثناء بكل كمال قديما كان أو حادثا إنما هو في الحقيقة لله تبارك وتعالى
أما الكمال القديم فلا خفاء أنه خاص به تبارك وتعالى لوجوب الوحدانية له تعالى
في ذاته وصفاته فلا يشاركه شيء على عظم نعوت الحسنى كيف هو وأما الكمال الحادث فلا
خفاء أنه تبارك وتعالى هو المنفرد باختراعه والمتفضل بالإحسان به على من شاء من عبيده إذ لا خالق
سواه جل وعلا فما حصل في الحقيقة إلا لله تبارك وتعالى ومن إحسانه تبارك وتعالى للعبيد
ما تفضل به عليهم من إنزال كتابه العزيز إليهم وجعل فاتحته هذه السورة الكريمة المحتوية
على أمهات علومه والمشيرة إلى أصول مقاصده ففيه براعة الاستهلال تعجيلا لهم باحضار
جميع فوائده ورموز أسراره في أول ما طرق الأسماع وتعليمهم تعالى إياهم من حمده والثناء عليه ما
يفوزون به في كل أمر ذي بال وأيضا فمثال العبد في القراءة مع مولاه على ما كتبه فإن غيره وضع الحمد أوله
ليكون أرجى لمقبوله وأيسر لما يخوف به ثم لما ذكر سبحانه أن الابتداء بالحمد إلا كتب العبيد لعدم
القرآن الذي هو كلام رب العالمين فهم قدروا أن يعتنوا بكلامه المبشر فكيف سبحانه ذلك
وعلمه للعبيد بما يفتتحون به كلامهم عند ابتدائه وربما ذهلوا عن حمده عند افتتاحه
فجعل الحمد منه ليتحقق استفتاحه بما قصروه أولا وأيضا فليس في قوة البشر وضع حمد
على مثال السورة الموضوعة في أول القرآن ويبين ما تحتوي الكتاب فحمد على نفسه تبارك وتعالى بعجز الخليقة
عن الإتيان بمثله ومع حمده يفتتح به فيكون مناسبا لما يناسبه إلا ما تعرضه انتهى كلامه
رضي الله عنه وقال رضي الله تعالى عنه في قوله رب العالمين أصل التربية نقل الشيء
من رتبة إلى رتبة حتى يصل إلى الكمال الذي يريده المربي فيه ويطلق في اللغة بمعنى المعبود
والسيد والمالك والقائم بأمور المصلح لها والملك والعالم من جمع ما معنى غير ناسي
موجود على وهو كل موجود سوى الله تعالى جميع أشياء الراجعة إلى أنواعه وأشكاله وبيانه
وألوانه وسائر صفاته وكثرته ولا شك أن الثناء على الله تعالى بمعنى الوصف العام فيتحقق
ما دل عليه جملة الحمد قبله من أن كل كمال وتكميل إنما هو لله تبارك وتعالى تستلزم هذا الوصف

الدال

انفراده تعالى بجميع صفات الالوهية وانفراده جل وعلا باختراع جميع الحوادث التي من جملتها
كل نعمة وكل كمال حادث فان قلت انما يتم الاستدلال بهذا الوصف على ما ذكرته اذا قام
البرهان القاطع على حدوث جميع العوالم ووجوب استنادها الى المولى تبارك وتعالى حتى يلزم
ان يكون ربا لجميعها وما الدليل على ان هذا الوصف عام له فما يبرهن على حصول هذا كان الحاصل
قبله قلت بل اسم رب العالمين في غاية التمام فانه قد تضمن هذا الوصف برهان حدوث
جميع العوالم وذلك ماخوذ من كل واحد من لفظي المضاف والمضاف اليه اما لفظ المضاف
فلما اشار فيه بالتربية الملزومة لتغير العوالم المربيات من حال الى حال وكل متغير حادث
اذ المتغير بالقبول او بالحصول يستلزم ملازمة التغير احوال حادثة وملازم الحادث
مثله حادث فالعوالم اذا تلازمها التغيرات بالحصول او بالقبول كانت حادثة واذا
كانت حادثة وجب استنادها جميعها للفاعل المختار لاستحالة اندفاع عدمها الاصلي
وانصافها بالوجود العرضي الجائز بلا فاعل فعلم بان هذا اقتضى برهان حدوث العالم كلها
ووجوب استنادها الى المولى تبارك وتعالى بلفظ رب المضاف واما لفظ المضاف اليه
فلما اشعار جميع العوالم فيه بانصافه بخروج من الجائزات لا حصر لها كاختلاف اجناسها
وانواعها واعدادها واشخاصها واشكالها وذواتها ومقاديرها والسنة ذوي الالسنة
منها واختلاف امكنتها وازمنتها وسائر صفاتها وهذا والله سبحانه اعلم حكمة جميع
العالم مع ما فيه من الحاء لفظ على العدا عن لفظ جميع سعته وايضا لجمع السلامة
من جموع القلة فيه اشارة الى ان العوالم وان كثرت كثرة لا حصر لها فهي بالاضافة الى
قدرة الله تعالى وعلمه من حيز القليل الذي لا بال له واذا عرفت هذا علمت انه يجب عليك ان هذا
الجمع يقتضي ملازمة كل جزء من اجزاء العوالم الخروج من الجائزات ملازمة الحدوث لاستحالة القلة
على الجائز من مساواة مقابله في الجواز وملازم الحادث مثله حادث فهو مفتقر الى الفاعل
لاستحالة وقوع الحادث وترجيحه بالوجود على مقابله المساوي له من غير فاعل مختار لوجوده
وذلك الفاعل هو الرب المسمى بالاسم الاعظم الذي وجب له الحمد تبارك وتعالى وبهذا الغرض
علم سر تخصيص هذه السورة الجليلة وعظيم فضل المولى الكبير الذي منّ بان انزلها الينا
وتعليمها لنا لانها قد انطوت على سر المعرفة بالرب تبارك وتعالى على ابلغ الوجوه من
تكلم حسن سماعها وجه تعليمه وخير جلي للبصائر والعيان على منحة واضح البرهان

ومن اسما يرجب للمومن زيادة الحب للمولى العظيم ولنبيه ومصطفاه سيدنا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم الذي اظهر المولى سبحانه على يديه هذا الفضل العظيم انتهى كلام رضي المشت
عنه وقال رضي الله عنه في قوله تعالى الرحمان الرحيم ما نصه لما بين سبحانه بالوصف الربع
قبل وجوب استغناء جميع العوالم اليه تبارك وتعالى وانه المنفرد بايجاد جميع ذواتها وصفاتها
المدبر وحده لجميع شؤونها بيّن تبارك وتعالى بهذين الوصفين الكريمين وجه معاملته
سبحانه لتلك العوالم بيّن جل وعلا انه عاملها بان انعم عليها بجلايل النعم ودقايقها
دينية ودنيوية عاجلة واجلة ومن حقت عليه كلمة العذاب من الانس والجن فله
نسبة له الكثيرة من ذلك بفضله عنه ذلك من ملايكة السموات السبع وحملة العرش
والملايكة الارضية والحور والولدان والخلق الذين ينشئهم سبحانه لفضلة الجنة والحيوانات
البهيمية واجزاء الارض والسموات والعرش واللوح والكرسي واجزاء الجنان والنيران
وغير ذلك من العوالم التي لا يحيط بعلمها سواه تبارك وتعالى وكل ذلك مما انعم عليه المولى
جل وعلا بالنجاة من انواع العذاب اذ كل جرم فهو قابل للعذاب بخلق الحياة فيه ثم خلق الالم
وقد تفضل سبحانه على كثير من تلك العوالم بان جمع تبارك وتعالى الرحمة عليها من دوام
التنزلات ابد الاباد فيما لم يكن حصره ولا يكتسب لقطعه من الوان الشهوات وضروب
النعم واللذات وقد عمت رحمته جل وعلا غضبه ومن انتقم تبارك وتعالى منه عن جرم
محبوب حسب من لا ينتقم منه فكانا درجتا الانتقام نسبة له وما بال لداعما والرحمان معناه
من رحم عن اللبيب من راحم لفصل المبالغة ومعناه البالغ في الرحمة والانعام ومعنا
الرحمة التعطف والشفقة والميل الروحاني وهذا المعنى من صفات الاجسام مستحيل
على المولى تبارك وتعالى فالمقصود انعامه جل وعلا بلازم ذلك وهو كثير الانعام ودوامه
والرحيم مثل الرحمان الا ان وصف الرحمان ابلغ منه وانما قدم عليه وان كان المقصود تقديم
غير الابلغ ليبقيه ويكون الكلام زيفيها لان المقصود الاعظم هنا ذكر ما دل على الانعام
بجلايل النعم ثم ذكر بعده ما يدل على دقايقها ليبان انها غير ملتفت اليها بان تسأل
منه لعظمه ولا تنقطع من جهته بذكر ذكر الرحيم بعد ذكر الرحمان على هذا من باب التكميل
المسمى بالاحتراس وامثال ورد استعطي ولو منح عجينة وعلف دابته ويحتمل ان يكون
لجلايل النعم المدلول عليها بوصف الرحمان يستلزم الانعام بدقايقها لاكرة انه المطابقة

[illegible]

اقوى

اقوى منه لانه الالتزام فذكر الرحيم على هذا بعد ذكر الرحمان من باب التتميم الذي يقصد به المبالغة

وقيل اسم الرحمان اشبه باسم الله الاعظم من جهة مشاركته له في الاختصاص بالمولى تبارك

وتعالى وزيادة المعنى فكان بالتقديم اولى واما عدل في هاذين الوصفين عن الحقيقة الى المجاز

لقصد المبالغة بان من اتصف بالرحمة العزيزية الحقيقية كثر منه الانعام وذلك فيتم بهاذين

الوصفين على انه سبحانه عامل خلقه معاملة من تقتضيه حقيقتهما او في هذا المجاز نكتة

اخرى وهي التنبيه على ان كل ما وقع منه سبحانه من نعمة لخلقه بعد ذلك انما هو من باب

الرحمة والفضل لا من باب الوجوب والاستحقاق اذ لا حق لاحد عليه تبارك وتعالى ولا يجب عليه

جل وعلا مراعاة اصلح ولا صلاح وهذا مذهب اهل الحق وخالف في ذلك المبتدعة اخزاهم

الله تعالى انتهى كلام الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به وقال رضي الله عنه في قوله سبحانه

جل وعلا ملك يوم الدين لما تضمن ما قبله سبحانه ما يجب الايمان به من العقليات عرف تبارك

وتعالى في هذا الوصف ما يجب الايمان به من السمعيات اذ العقل غايته ان يحكم بجوازها

ولا طريق له بذاته دون الشرع الى معرفة ثبوتها او نفيها وقدم سبحانه النوع الاول على الثاني

لتوقف صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين هم الطريق لمعرفة السمعيات على معرفة

المولى تبارك وتعالى بطريق البرهان العقلي وقد ارشد سبحانه الى معرفته على التمام

بما سبق من الاوصاف فاذا عرفت المولى العظيم وعرفت وحدانيته تبارك وتعالى وعرفت

من ذلك صدق رسله عليهم الصلاة والسلام لتصديقه سبحانه لهم بالمعجزة النازلة منه تبارك

وتعالى منزلة قوله صدق عبدي فيما يبلغ عني عرف سبحانه في هذه الاية ان بعد هذا الكون

الذي ابتدا تبارك وتعالى فيه الخلق ومن عليهم فيه بالحياة والاقامة الى اجل ما عظيما سماه

يوم الدين اي يوم الجزاء والحساب على الاعمال الصالحات والسيئة لا يملك فيه الامر سواه

جل وعلا اي تنقطع فيه الدعاوى وتسلب فيه الاملاك والعزل فيه ذا الامر ويستوي

الخلق كلهم فيه في الذلة والفاقة ويشهد العقل هذا وجه تخصيص ملكه تعالى بذلك

اليوم والا فالملك على الحقيقة اولا واخرا ليس الا للمولى تبارك وتعالى وهذا امام عليه

اللغة مطابقة ودل بالالتزام على احياء الخلق بعد اماتتهم وان لهم من النعيم والعذاب

ما يحصل به الجزاء على الحسنات والسيئات وان سبحانه كلفنا اليوم باعمال عليها يقع الجزاء

في يوم الدين يتميز منها المطيع فيها والعاصي وقد بين سبحانه ذلك كله في ايات سائر القران

على لسان نبينا عليه الصلاة والسلام ومن ثم زين ذلك اليوم الحكيم العلي الا ثم النبي
الرسول عليه الصلاة والسلام اذ ما فاه من اهوال هذا اليوم العصيب الا بان نتعلق
باذيال حرم هذا النبي الشريف والبحث على معرفة ما بلغ عن المولى تبارك وتعالى ليتفقه
العبد ظاهرا وباطنا من ذلك بما ينجيه من هول ذلك اليوم ويسر ظاهرا وباطنا مما يرد فيه
فيه وهذا التعريف بهذا اليوم من رحمة الله تبارك وتعالى وجميل احسانه حيث عرف سبحانه
عبيده بما غاب عنهم من اهوال هذا اليوم العصيب وشرح لهم احواله وبعث رسله
عليهم الصلاة والسلام وبين على المستفيض فيما لا نشا فيما مراتب الاعمال وجزاءها ورغب
وحذر وبالغ في النصيحة بما امرنا به عليه ثم يعرف المكلف وفرق سبحانه من شاء بالجسم
فضله ويحجب عن الاستحقاق لهذا الامر العظيم من شاء بعدله جل تبارك وتعالى الحق
على كل حال ويحتمل ان يكون المراد في قوله تعالى يوم الدين بمعنى الطاعة او الاسلام فيسمى
على هذا يوم الدين لان فيه تظهر دولة الدين وعز اهله وشرفهم كما يقال هذا يوم فلان
اذا ظهرت فيه دولته وشرفه ويحتمل ان يكون الدين بمعنى الخضوع والذلة ومنه قوله
دانت له الرقاب اي ذلت وخضعت فيكون المعنى يوم ذلة الخلق وخضوعهم فيه لهول
ذلك اليوم نسأل الله تعالى النجاة فيه والخلاص من انواع شروره بمحمد النبي كما مر
رضي الله عنه ونفعنا به وقال رضي الله عنه في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين لما ارشد
المولى تبارك وتعالى المكلفين الى معرفته وعرفهم جلاله وعلاه بالبرهان القاطع جل من [illegible]
من العوالم من كونه [illegible] ثم خص فيه [illegible] الملك لغيره والنعمة [illegible] ان لا نفع ولا
ادنا ضرا [illegible] على القطع ان ليس في العوالم كلها من يستطيع ان يعطي او يمنع البد
او يدفع له [illegible] مستو جميعها في الفقر التام والعجز الكامل وان لا مستحق للعبادة
والحمد والشكر على الحقيقة سواه تبارك وتعالى اذ منه المبدأ واليه المعاد وبه البقاء
ومنه الامداد ارشدهم سبحانه تعالى بفضله الى ما ينفعهم في الغد ويبلغهم به النجاة والنعيم
السرمدي لمن [illegible] في يوم الدين وهذا التوجه اليه تبارك وتعالى وحده بالعبادة وهي امتثال
الاوامر واجتناب النواهي على سبيل كمال الذل والخضوع ولما كان العباد مغمورين بالعجز
والجهل وكثرة الملل وغلبة الهوى [illegible] من الموانع والقواطع ارشدهم سبحانه
بمحض الفضل الى ما يختص به العباد من ذلك وهو الاستعانة به جل وعلا والاستمطار [illegible]

ثم

منه تبارك وتعالى فيها اياك نعبد نخصك بالعبادة اي نجعلك منفردا بها لا نعبد غيرك
اذ كل ما سواك عاجز عن العدم لم يشر لنا الاصلاح عقلا وداش علم ومعنا اياك نستعين نخصك
بطلب العون منك اذ لا مبدع للكائنات غيرك سواك وانما عدل في هذا الكلام عن الغيبة
المناسبة لما سبق الظاهرة المذكورة فيما قبل الى الخطاب وسماه البلغاء عند البيانيين
التفاتا لامور احدها ان العبد قبل الشروع في قراءة الفاتحة اما جاهل بمعرفة مولاه
تبارك وتعالى او متجاهل او غافل عنه فهو في معنا الغايب اللايق عن حضرة جلال المولى
العظيم فهو اعني عن الذات العلية بما يسبق في لفظ الغيبة ثم لما اجرا على المولى وجه
من اوصاف كما لديه ما نظير لها استبعاد العبد من سكرة جهله او تجاهله او غفلته
وحركه باعثه للتوجه لحضرة مولاه تبارك وتعالى التي لا يليق العبد فيها الا خضوعه وجلاله جل
وعلا باثر مملكته جرم الدين وجال بفكره في طوارق لذا اليوم وعظم اهواله وانتشار عمومه
وما اعد فيه للمحسن والمسيء نظاهر عقله ولم يلبث حيرا على ان يتخذ كل ما سوى المولى
تبارك وتعالى وراجعه لعبا ولهوا ورما يتنفسه في باب العز والانقياد تبارك جل
وعلا وفي ذلك غاية العز والرفعة فقال بلسان التذلل والخضوع مخاطبا للمولى
تبارك وتعالى اذ هو اللايق في معنا الحاضر لا في معنا الغايب اياك نعبد واياك نستعين وفي
هذا الخطاب الشريف تنبيه ايضا على ان المطلوب من العبد في العبادة الحضور فيها مع
المولى العظيم لا الغيبة عنه واعني بالحضور معه جل وعلا عمارة البال بمعرفة جلاله وجلاله
وعظيم احسانه لعبيده وذكر لما اناسب ما تلبس به من عبادته تبارك وتعالى وفي تاخير
الخطاب بالعبادة عما اوشر سبحانه اليه من معرفته بما يجب له وما يستحيل وما
يجوز تنبيه على ان ما يجب على المكلف ابتداء معرفة مولاه العظيم جل وعلا ثم بعد ذلك
يتوجه اليه بالعبادة اذ على قدر معرفته مولاه تبارك وتعالى يكون حسن عبادته جل وعلا
ولهذا يصح ان يجعل من نكت الالتفات في كون المجهول غائبا فناسب ان يعبر عنه ذا التعريف
به بلفظ الغيبة فاذا انتهى التعريف به حضر في هذا المعرج لديه ما يناسب الخطاب اذ هو
من عبارة الحضور وفي انتقال الامر الى العبادة والاذعان لما بوصف ملك يوم الدين المشعر
بعظيم الخوف لما بوصف الرحمن الرحيم المشعر بعظيم الرجاء اشارة الى ان يبعث الاحوال على العبادة
واحمد شيء للنفس على زد ما في الشهوات وارتكاب مشق مكاره الطاعات عمارة القلب

بالخوف ولهذا قيل صاحب الرجاء يجلو ويطير وصاحب الخوف لا يبرح مقعده وقيل فالرجاء ان القلب
اذا خلا من الخوف فهو خراب يبقى مزبلة لشيطان الانس والجن ولا خفاء ان الخائف يقطع
في الزمن اليسير ما لا يقطعه غيره في الازمنة المتطاولة ولقد ولهذا استشهد في قطع المفازات
التي يقطعها الخائف الدنيوي وان الخائف الدنيوي الذي لا بال له من بجهتها الخوف الاخروي
الذي لا يكاد يوجد فيه مطلوبان الاول ما حكمة تقديمها اذ في المقام عبر بالترجيح ان الخوف
انسب بحسب الظاهر لحسن الادب والتواضع والجواب من وجوه الاول يحتمل ان يكون
ادخلت النون فيهما لبيان روح العبد نفسه في غمار العابدين لله المستعينين به جل وعلا
ولعوارف للتواضع من حيث انه تخلص من العجب ودعوى الانفراد بهاتين المنزلتين
العظيمتين الثاني اظهار العجز والاغتباط بعبادة الله تعالى الله والاستعانة
به جل وعلا لاشتغال العبادة وانه من شرف العبد المقبل على باب الشرف حيثيه وتعظيم المولى
العظيم على ما هو عليه من الجلال والجمال والكمال الذي هو اهل لاشتغال عبادته والتعلق
باذيال خدمته فيدخله في حزب العظمة على سبيل شكر النعمة الثالث لما كان العبد
مدينة اشتمل على اجزاء واعضاء كالقوى والهمة وللمولى العظيم تبارك وتعالى تكاليف
على كل جزء من اجزائه ابتداء خلقه الموزون للتنبيه على شمول العبادة والاستعانة لجميع تلك
الاجزاء والله تعالى اعلم السؤال الثاني ما حكمة تقديم العبادة على الاستعانة مع ان
الاستعانة بالله سبب في التمكن منها ولولا فضل الله علينا ورحمته ما زكى منا من احد ابدا
ولكن الله يزكي من يشاء اجيب باوجه الاول للشيخ ابن عرفة ان تقديم العبادة على
الاستعانة اقرب لكمال الافتقار وخلوص النية فان المكلف اذا اقر اولا بانه لا قدرة له
على الفعل وانه انما يستعين فيه بمولاه جل وعلا ثم فعل العبادة بعد ذلك فانه قد تحول نيته
ويغفل وتزهو نفسه ويتوهم ان الفعل انما وقع منه بقدرته استقلالا بخلاف ما اذا كان
اقر بفعل العبادة بان لا استعانة له عليها الا بالله تعالى فانه انفى للتهمة واقرب
لمقام التذلل والخضوع الثاني للقاضي العماد ان طلب المعونة من الله تعالى لا يكون الا بعد
معرفته ومعرفته هو التوحيد وهو العبادة قلت وفيه نظر فان الظاهر ان العبادة اعم
من التوحيد وانما الانفراد بالتوحيد وغيره من سائر ما يتعلق به التكليف فلو قال الطلب
الاستعانة لا يكون الا بعد المعرفة الداخلة في الاقرار بالعبودية لكان قريبا الثالث

العبادة ليست إلا لله تعالى فناسب أن تذكر مع ما قبلها لأنه لم يتعلق أيضا إلا بالله تعالى
بخلاف الاستعانة فإنها طلب المعونة على الحوائج الدنيوية والأخروية فأخرت لما فيها
من الأمر الدنيوي قلت وهذا بناء على أن متعلق الاستعانة عام بدليل الحذف طارئية
يخص وأما إن قلنا إن متعلق الاستعانة هو العبادة السابقة وهو الظاهر فيرد ما تطلبه
من المدد العظيم ما هو كالسبب منه فلا يقسم هذا الجواب الرابع طلب المعونة عبادة خاصة
إذ هي من جملة ما كلفنا به وإياك نعبد عبادة عامة والعام مقدم على الخاص قلت ينبغي
أن يعطف العام على الخاص أكثر من عكسه الخامس ظهر أن نقول الحمد أن الإقرار بالعبادة
من جهة تفكره في عظيم جلاله وجماله وعميم إحسانه ومن جهة ما خوطب به من يوم الجزاء والعدل له
الذي لا يجازيه مجاز بهذا المعنى كان دعا الخلق إلى التخصيص بعبادته فإنها تناسب الآن ليسارع
العبد الراجي به مولاه العظيم جل وعلا فيبادر إلى الدعاء إليه ويظهر أنه قائم بما خوطب به وثانيا ظاهرا
وباطنا لما أنزل عليه فقال أنزلت الأوصاف الجليلة إياك نعبد ثم إنه استحضر الأدب إليك من
جهة انسلاخه من الحول والقوة وأنه لا استعانة له في جميع أموره إلا بمولاه فبادر ثم نعلى
ولم أجاب أولا بقوله وإياك نستعين قال في صورة من يقول بلسان الحال المأمورة لي على شيء
الآية وإن تلك الأوصاف العظيمة التي قررت عليهم تفتشكم وهذا أن عجز الانقياد نشيبا
وقد فرغ سبحانه من ما ظهر لهم أنه خرج في نياتهم بما يقال جل من قائل بلى إنه جامع
بأسنانه عنقا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون السادس قدمت
لفظ العبادة على الاستعانة لتتصل الاستعانة بما يناسبها إذ هو بيان لها وهو
أنه منه إلى آخره السابع قدمت العبادة على الاستعانة لرعي الفواصل وهو جواب البيطر
الثامن للزمخشري أن العبادة وسيلة والاستعانة مقصد وتقدمت الوسيلة قبل الحاجة
قلت وهذا الجواب ظاهر الفساد لما فيه من جعل الشيء وسيلة إلى الإعانة على تحصيله
فيلزم تقدمه من حيث إنه وسيلة وتأخره من حيث إنه لا يحصل إلا بإعانة الله تعالى لا يقال
يجعل بعض العبادات وسيلة إلى الإعانة على بعض ما لا نعوذ له البعض الذي جعل وسيلة
لا يحصل إلا بإعانة الله تعالى وفي هذا الجواب أيضا مسحة اعتزالية حيث اقتضى أن العبد
أوقع عبادة بقدرته يتوسل بها إلى الله تعالى أن يعينه في المستقبل إلى ما بعد وقوعها
شيئا يقدر لو نزل به كيف والعباد في جميع أفعالهم وصفاتهم الاضطرارية والاختيارية خلق له تعالى

وما يخترع لطائر من الكائنات سواه تبارك وتعالى وكسب العباد الذي هو متعلق التكليف
عبارة عن تعلق قدرتهم الحادثة التي خلقها الله تعالى لهم بالأفعال المخلوقة له ابتداء تبارك
وتعالى من غير تأثير لقدرتهم فيها لا مباشرة ولا تولدا اشارات صوفية لما سمع كثير
من العقلاء الموفقين قوله تعالى ملك يوم الدين ايقنوا بفناء الدنيا وان اهلها يلتقون
فيه بل جميع الخلائق لمحاسبتهم على ما يعتقدون عليه في يوم عظيم بعد هذا اليوم ويحاسبون
عليه ويجازون عليها وعلموا بان كل احد يوم موته اذ من مات فقد قامت قيامته ولعل
هذا اليوم قد دنا نزوله وان تأخر فهو قريب جدا فلما اشتد خوفهم عند هذا التأمل
وتضعضعت اركانهم وتزلزلت منهم اللحم ورفضوا التعلق بما حال لديهم من الشهوات
الفانية وحثوا على ما يستعدون به لهذا اليوم قبل نزوله ونحن وان في ذلك فاذا هم
قد قرع سماعهم اثر ذلك قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فعرفوا ان النجاة من هول
ذلك اليوم والسعادة فيه لا بالتعلق باذيال عبادة المولى العظيم تبارك وتعالى والاستعانة
به وطلب القرابة منه جل وعلا على الدوام فبحثوا على معرفة تكليفهم ووجوه عبادته
تعالى التي اوجب البناء على لسان رسوله الصادق المصدوق سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم فوجدوها في الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح فنبذوا الحرام والمكروه
اذ العبادة في تركهما لا في فعلهما وكذا رفضوا المباح الموصل اليهما اذ للتسبب حكم
المسبب وتعلقوا بالواجب والمندوب اذ فيهما عبادة المولى العظيم ثم نظروا في المباح
الماذون فيه فوجدوا منه ما لا يخفى ربما يفضي الى عدم العبادة فيه وعدم ترتب العبادة عليه
وفي تعاطيه مشغلة عن تعاطي اسباب الفلاح والنجاة في مفازة العمر القصير ولم يتمكنوا
منه بالضرورة الذي يستعان به على عبادة الرب تبارك وتعالى وبنية الخيرية التقوي
على العبادة لا غير وكلما احضرهم من حيلهم يرونه المنة لا للمولى العظيم اذ لا استعانة الا به
ولا استطاعة الا منه جل وعلا فاقتصروا على هذا الامر الشريف فليطيب لهم في هذه اللحظة اليسيرة
من العمر وجازوا كثيرا ويحصلوا اثر الموت سعادة لا منتهى لها والله سبحانه يرزقنا التوفيق
بفضله للتمسك بكلام الشيخ رضي الله عنه ووفقنا لاتباع طريقته وهو في غاية الحسن
وقال رضي الله عنه في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم الى اخر السورة ونص هذا
بيان لما اجمل والاستعانة بما هي من الاستعانة البيانية كأنه قيل من جهة المولى الكريم تبارك

وتع

ونظر بعين فؤاده جل وعلا اياك نعبد واياك نستعين كيف اعتنى بك فغ الواهب بالى اخره
ولهذا فصلت هذه الجملة عما قبلها لاتصالها بسبب السؤال منزلة السؤال المسبب
ويحتمل ان يكون فصلها عنها لما بينهما من كمال الانقطاع لان ما قبلها خبر لفظا ومعنى وهذه
انشاء لفظا ومعنى واعلم ان طريق الاعمال التي يسلكها المكلفون في حياتهم على ثلاثة
اقسام قسم لا يوصل ابدا الى المقصود الذي هو الامن من غضب المولى تبارك وتعالى والفوز
بشريف رضوانه جل وعلا بل صاحب هذا الطريق لا يزال معذبا عليه ابد الاباد وهذا
الطريق هو طريق الكفر والعياذ بالله تعالى وقسم يوصل الى المقصود السابق لكن بعد طول
هموم ومحن وطول موقف وحساب وربما انفذ الوعيد في بعضهم بالتعذيب في النار
وهذا الطريق هو طريق العصاة واهل الكبائر المتشاغلين من اهل الغفلة بما لم تدعهم
اليه الضرورة من شهوات الدنيا وقد ورد حبس اهل الغنى والتنعم بالطيبات الدنيوية
عن الجنة للحساب نصف يوم وهو خمسمائة سنة والقسم الثالث الموصل قريبا الى ذلك
المقصود وليس بين العابد والتنعم والسرح فيها حيث شاء ثم ياوي الى قناديل
من ذهب معلقة تحت العرش العظيم بل يفوز بمنازل المعالي الاعلى وبشائر السرور في ذلك
المحل الاعز الارفع الاسنى من معالي الامور التي لا تخطر ببال العقول الا نزر اللحظة
اليسير من النعم بل يجعل المولى لهم سبحانه في حياتهم الدنيوية من لذات مناجاته
والاطلاع على اسرار ملكوته ما تتلاشى معه كل لذة حسية وشهوة دنيوية حتى
انه لا شيء من جملة وهذا الطريق هو طريق اهل العلم العاملين الذين تخلوا عن دار
الغرور وانابوا الى دار الخلود وشمروا عن سواعد الاجتهاد واستعدوا لما قبل نزوله
تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون وهم الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فالطريق الاول والثاني
لا استقامة لهما الى المقصود الا ان الاول مستحيل دليله فيه لا يوصل اليه ابدا والثاني
غير مستحيل الا انه لاعوجاجه وعدم استقامته تطول معه المسافة ويتاخر معه
الوصول على قدر ما فيه من الاعوجاج والطريق الثالث مستقيم لا اعوجاج فيه فمن
وصل فاجد الى المقصود فيه بعد وقد قال المهندسون ان الخط المستقيم اقصر الخطوط
وادناها الرام متخذ جميعها اليه واذا عرفت هذا عرفت منه عظيم رحمة المولى الكريم تبارك

وسعة فضله وجوده حيث ارشد بفضله عبيده واذن لهم بجوده ان يسئلوا منه الهداية
الى الصراط المستقيم من الاعمال وهو الطريق الثالث الذي قدمنا وهو طريق الذين انعمت
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وان شئت قلت هو طريق العارفين
بالله وباحكامه العاملين بمقتضاها ذلك الى الممات وقد عبر عن هذا المقام الشامل
الاعم الشرعي من ضال وغضب عليه بالمغضوب عليهم ويحتمل ان يكون المراد بهم الذين عرفوا
استقامة ذلك الطريق وسهولته وقربه ثم تنكبوا عنه اما كبرا او حسدا او ركونا الى
البدع او ايثارا للدعة والراحة او لذة او التمتع بالشهوات ومن هؤلاء اليهود فانهم
عرفوا الحق وتنكبوا عنه كما قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله
على الكافرين وقوله فباءوا بغضب على غضب واما الضالون فيحتمل ان يكون المراد
بهم الجهال بالطريق المستقيم والمعرضون عن تعلمه مع امكانه او لوجود المانع عليهم
العارفين الداعين اليه الهادين لسلوكه ومن هؤلاء النصارى ومن الغالب عليهم
الجهل ويدخل في معناهم المبتدعة والمتعبدون بغير علم وتفسير الصراط المستقيم
بصراط الذين انعمت عليهم تنبيها على ان الاستقامة ليست بالتحسين العقلي وانما رحمه تعا
هي بالتحسين الشرعي بدليل الاقتران بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين
ومن كلام احمد ثم الحق ان الصالحين المفلحين اخذوا الخير كله في الاتباع ومن ذلك لا ينجو احد
ومن قال تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون قيل معناه اعملوا فستعرض
اعمالكم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع المؤمنين الكاملين والصحابة
رضي الله عنهم والتابعين لهم باحسان فلا يقبل الله من العمل الا ما شهدت له الثلاثة بحسنه
والا فهو ساقط مردود على صاحبه وقوله تعالى انعمت عليهم دليل على ان الهداية الى الاستقامة
والطاعة محض نعمة وفضل من المولى الكريم تبارك وتعالى منته فيها الا الدخل وغاية الاختراع
فيها للغير تعالى وكيف يستحق اجرا عليه تبارك وتعالى والمراد بالهداية هنا خلق القدرة
المتعلقة بالطاعة لاستلزامها الطاعة بارادة الله تعالى وان كان لا اثر لها فيها البتة
او خلق الطاعة نفسها لانها لا تكون العبد مكتسبا لها حقيقة فان قيل ما الحكمة في ذكر الوصف
بالمغضوب عليهم والضالين مع انه معلوم من ذكر المنعم عليهم قلت اجاب عنه الزمخشري بان الانعام
يشمل الكافر والمؤمن فبين تعالى بهذا الوصف ان المراد المنعم عليهم خاصة قلت انما يتم هذا الجواب اذا قيل بجهة

[illegible]

الملائق الانعام من الله تعالى على الكافر وبعد ذلك فقوله غير متشابه النظر الى الحال او المآل
وايضا اذا فسر الانعام بالانعام بالهداية الى طريق العبادة بقرينة الامر بها المذكور
في قوله تعالى اياك نعبد هذا هو الظاهر وما احسن تبيين جواب الزمخشري واجاب
الشيخ ابن عرفة بانه ذكر ذلك الوصف تنبيها وتعريضا للعبد على استحضار مقامي الخوف
والرجاء وخوف ان يستمر في استحضار مقام الانعام فيذهل عن المقام الآخر قلت وقد يجاب
بان ذكر وصف الذين انعمت عليهم من باب التكميل والاحتراس لدفع ما يتوهم في الصراط المستقيم
انه المستوفي بتفسيره او من باب الترغيب بالصراط المستقيم انه محصول الحقيقة وذكر المغضوب
الخ من باب التتميم تاكيدا للوصف الانعام على الاولين وبيان انه محض الفضل الا بطريق
الاستحقاق والوجوب العقلي بدليل وجود المغضوب عليهم والضالين اذ لو كان انعام
المولى تبارك وتعالى بالهداية الى الصراط المستقيم واجبا عقلا عليه تبارك وتعالى لما وجد من
مغضوب عليه ولا ضال اذ هو سبحانه وتعالى قادر على هداية الجميع فلو وجب ذلك عقلا
عليه تبارك وتعالى لاستحال ان يقع منه جل وعلا نقيضه اذ ذاك الواجب كيف وقد قال تبارك وتعالى
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
وقال جل من قائل ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك
ولذلك خلقهم وايضا في ذكر غير المغضوب عليهم الى آخره مزية بعث للعبد على ادامة
التضارع بالبكاء والطلب على باب فضل المولى تبارك وتعالى ان يتفضل بالهداية الى الصراط المستقيم
فانه لو لم يذكر ذلك الوصف لكان ربما يقصر في الطلب التضارع اتكالا منه على رحمته تعالى
لتوهمه انه ما يقع من المولى العظيم جل وعلا الا ما فيه صلاح لعبيده والا ما فيه صلاح
لهم وغافلا عن ما وقع لغيره من الغضب والاضلال مع استواء الكل في الرق وشدة الفاقة
اليه تبارك وتعالى والله تعالى اعلم وغضب الله تعالى اما راجع لارادته تعالى من العبد المعصية
والكفر فيكون صفة ذات قديمة او راجع لخلقه سبحانه الكفر والمعصية فيكون صفة فعل
حادثة واما الغضب بمعنى الاضطراب والتغير والانزعاج للانتقام من المغضوب عليه فهو
من صفات الحوادث ويستحيل على المولى العظيم تبارك وتعالى وفائدة ذكر الصراط المستقيم
وابدال صراط الذين انعم عليهم منه ولم يقتصر على البدل مع انه المقصود التاكيد لما في البدل من التكرير
والايضاح لما فيه من التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال وبتكرير العامل التاكيد مع

وعطف البيان بانه المقصود ونصا او في ذكر الصراط المستقيم اشارة ايضا الى قرب
الوصول به الى المقصود فيتشوفون بذكره الباعث على سلوكه وانما عبر هنا بالصراط
دون الطريق لانه ابلغ في حسن الموضع وايضا فقد قيل انه اخص من الطريق اذ هو
الطريق الموصل للامر المطلوب وهو طريق الخير لانه ماخوذ من السرط وهو الابتلاع
بسرعة والانسان لا يبتلع بنشاطه وحرصه الا ما هو محبوب ملائم له وفيه ايضا
اشارة الى ان من سلك بين لطريقه ما من هذا الصراط المنصوب على جهنم عاقبات المعروض
واودية الصرايط واستغاثه عليه الى المهمات كل ذلك امارة على الاستغاثة منه بفضل
المولى الكريم تبارك وتعالى على صراط الاخرة المنصوب على متن جهنم وما فيه من الهوائل
فان قلت ما حكمة اسناد النعمة الى الله تعالى في الا بقدون الغضب قلت فيه اوجه
الاول حسن التادب مع المولى العظيم تبارك وتعالى ونسبة ما هو حسن اليه وهو
الانعام وعدم نسبة ما هو شر اليه وهو الغضب والانتقام مع القطع بانه جل وعلا
هو المنفرد باختراع جميع الكائنات بلا واسطة وانما هذا الادب للفطن فقط ومنه واذا
اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة ومنه ايضا وانا لا ندري اشر اريد
بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا الثاني انه قال غير المغضوب بالبناء للمفعول
ليدخل غضبه تعالى وغضب الملائكة والانبياء والمومنين مواقع جائزة الثالث
انه لم يقل صراط المنعم عليهم لان ابراز ضمير فاعل النعمة ذكر للمولى العظيم تبارك وتعالى وشكر
له باللسان والقلب فيكون دعاء مقرونا بالشكر والذكر الرابع التوسل الى المولى
الكريم بما بذل من نعمة الهداية لكثير من الضعفاء فكان السائل يقول انعمت علينا
مولانا تباركت وتعاليت بنعمة الهداية الى الصراط المستقيم كما انعمت بها على كثير
من عبيدك من غير موجب منهم ولا استحقاق فقد فتحت يا نعم المولى ونعم النصير باب
بذلها لجميع الفضل فطمع في نيلها منه كل سائل وفقير الخامس انه تفنن في العبارة
فجرى الاول على الاصل وهو البناء للفاعل وخولف في الثاني تطرية لنشاط السامع
ونفي المغضوب عليهم على الذين لم يعرفوا العواصل ويحتمل ان يكون من باب الترقي بان
السوال يسلكنا اولا ان يجعلنا المولى الكريم تبارك وتعالى من المغضوب عليهم ومع الذين
نكبوا عن الطريق المستقيم لعدم معرفتهم به ولمجانبتهم وعطف ما بين نفيه دينا واخراه اخبار

البعود

اليهود وعلماء السوء ولا من الضالين الذين تنكبوا عنه بجهلهم به كالنصارى وجهلة
العوام فان الجاهل المجتهد اذ قد يعذر في بعض الاحكام بخلاف العالم ولا من ضل بجهل عن
الصراط المستقيم الا بجهله به برجاء الشفاعة عليها اذ اهتدى لمعرفته بخلاف من حاد عنه
مع العلم به جمعنا اهدنا الصراط المستقيم على من عرفنا بامرنا ان بفضله الصراط
المستقيم فانا جاهلون واسالك بنا اليه بعد معرفته وثبتنا عليه بعد سلوكه الى
الممات فانا عاجزون ولا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين ومن الرياء بفضله الا عز
بعون الحاجبين والعفاء الراغبين واستعمال الصراط في دين الحق الكامل الذي جاء به
سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وهو امتثال المامورات واجتناب المنهيات
بنية التقرب الى المولى العظيم اختيار له ونقلى استعارة تحقيقية من استعارة محسوس
لمعقول والجامع الموصول بكل منهما الى الغرض المطلوب وذكر المستقيم بعد ذكر الصراط ترشيح
للاستعارة لانه مما يلائم المستعار منه وحكمة العدول عن ياء المتكلم الى نون العظمة
والاشارة في اهدنا ما خوذة مما سبق من الجواب عن العدول من اعبد الى نعبد والى نستع
نقل اعلاه وفي قوله انعمت عليهم ايجاز الحذف اي المنعم عليهم بالهداية الى الصراط
المستقيم وحذف الى الذي اهدنا الصراط المستقيم عليه او للتنبيه على ان هذه الهداية
هي النعمة لا غيرها فلا احتاج الى تقييد الانعام بها لدعوى عدم المحتاج ركنه على طريق
المبالغة ويحتمل ان يكون الحذف للتوسعة لتذهب النفس كل مذهب ممكن او يحتمل ان
يكون التقدير انعمت عليهم بالهداية على ما سبق او انعمت عليهم بالنجاة من النار او
انعمت عليهم بالنجاة من طول الحساب او انعمت عليهم بدخول الجنة او انعمت عليهم بالرضا
والرضوان عليهم او انعمت عليهم بالرؤية التي هي اعلى مراتب الاحسان ويحتمل غير ذلك
مما هو كثير والجمع بين الهداية والصراط والمستقيم والمنعم عليهم من مراعات النظير
وكذا الجمع بين المغضوب عليهم ولا الضالين وذكرها بعد الذين انعمت عليهم طباق فائدة
قال الشيخ الامام ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي رحمه الله تعالى ورضي عنه في كتاب
التعريف والاعلام بما ابهم في القرآن من الاسماء الاعلام قوله عز وجل الذين انعمت عليهم هم الذين
ذكرهم في سورة النساء فقال اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية
وانظر الى قوله وحسن اولئك رفيقا واجمع بين قوله صراط الذين انعمت عليهم تجد شرحا

عن الصراط المطروق ومن تنازعه الطريق الحاجز الى الرفيق فبمنزلة قال وحسن اولئك
رفيقا وبمنزلة قال صلى الله عليه وسلم اللهم الرفيق الاعلى وانظر الى قوله صلى الله عليه
وسلم جبريل رفقاء اربعة تجده ينظر سبحانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا فذكر اربعة ومن ذلك غير المغضوب عليهم ولا الضالين هم اليهود والنصارى
جاء ذلك مفسرا عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عدي بن حاتم في قصة اسلامه
وتشهد لهذا التفسير قوله سبحانه في اليهود وباءوا بغضب من الله وقال في النصارى
قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وسميت اليهود ليهود بن
يعقوب ثم عربته العرب بالدال وسميت النصارى بنصارى قرية بالشام كان اصل
دينهم منها والله اعلم انتهى كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وقال رضي الله
عنه في قوله تعالى الم تعرف كلام تقلد عن المعبرين في معناه ما نصه والله اعلم ان
جملة حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفا على عدد منازل القمر وكما احاطت المنازل
الثمانية وعشرون بالفلك السماوي كذلك احاطت حروف المعجم بجملة الكلام كله
وكما يدور القمر الطلوع على منازله كذلك يدور القمر الكتاب العزيز ومعناه على منازل
الثمانية وعشرين حرفا ولما قسم سبحانه منازل القمر على قسمين جعل النصف منها وهو
اربعة عشر منزلة غائبة عنا ابدا تحت الارض واربعة عشر منزلة فوق الارض ظاهرة
ابدا كذلك جعل تعالى حروف المعجم في القرآن على قسمين نصفها بالظهور ونصفها ظاهرة
والباطنة هي الحروف الواقعة في اوائل السور لانها اذا جمعت وحصر عددها دون
تكرار اجتمع منها اربعة عشر حرفا وهو النصف من حروف المعجم وكما ان قمر السماء اذا
اشرق في ظلمات الليل بنوره حصل الاهتداء به في البر والبحر وتانست به القلوب
واستمرت به البحار وما اغتنت عنه الانهار وافترت الازهار وانضجت الثمار وكسيت
الوانا مختلفة صنع الرب الملك الواحد القهار كذلك معنى القرآن لما اشرق نوره عند
انتشاره في غياهب ظلمات الجهل انتعشت به قلوب المتقين واطمانت به النفس المعتبرين
واستمرت منه زواخر بحار العلوم وما اغتنت عنه الانهار للطالبين وافترت ازهار روض
الاعمال الصالحة وانضجت ثمارها للعاملين وكسيت القلوب والاعمال بحجته الوان الاحوال
والصنع المحبب لله الا المولى رب العالمين وفي الحديث اذا التبست عليكم الفتن كقطع

الليل

الليل المظلم فعليك بالقرءان وإذا نظرت إلى مبلغ السور التي ذكرت فيها هذه الحروف المقطعة
وجدتها تسعا وعشرين سورة على عدد القمر منازله وعدد أيام الشهر من ظهوره
واختفائه ومن الحكم التي أودع الله تعالى في هذه الحروف الواقعة في أوائل السور
أنها إذا حصرت من غير تكرار انتظم من الأربعة عشر حرفا كلام مفيد يشير إلى معنى
ما سبق وهو الم يسطع نور حق كره ولا شك أن الأمر كذلك من سطع نور القرءان
وظهر نجم الفرقان وهو الحق محض فالمؤمن يحيى به ولو كره الكافرون وحقيق بعبد
عرف مولاه وأدرك حقيقة نعمائه وعلم أن الله تعالى على ما هو عليه من الجلال والجمال
وعلم ما يليق بجلاله وما ينبغي له من صفة الكمال يطلع على سره ويحبه بطبعه في كل حال
ويستحيي منه غاية الحياء ويعظمه غاية التعظيم ويهابه ولا يخطر بباله أنه يعصيه
وإذا ركبت هذه الحروف تركيبا آخر انتظم منها كلام يشير إلى هذا المعنى قل من
يحيي سر الطبع وهذه الأسرار لا تنحصر كيف والقرءان كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الآية
لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي كيف وكتابه كلامه وكلامه مطابق لعلمه وعلمه
لا ينقضي ولا يتناهى وكذلك وجوه كلامه جل وعلا وإلى ذلك الإشارة جل وعلا أن له
بعلمه وإنما مثل كلام الله تعالى ولله المثل الأعلى في قوله ما استنبط عجائبه وعلوم
منه لا نهاية بمثل مرآة مجلوة صقيلة جدا الناظر إليها في البصر ينظر إليها فيلوح له
وجه ينظر أن كل ناظر ينظر إليها يرى إليه الوجه بعينه فيها ولعينها لا يبرز إلا ذلك
وجه خاصة وإنما استعدت أن يظهر فيها لكل ناظر وجه آخر غير ما ظهر له ثم هي صالحة
أن تجلى فيها الوجوه لا تنحصر بحسب الناظرين فيها ثم ما يبقى فيها أكثر مما أخذ منها من
أوصاف المتناهي وحدود المنحصر وما قدروا الله حق قدره اللهم ارزقنا حسن الفهم
والعمل بكتابك وسنة رسولك صلى الله عليه وسلم انتهى كلام الشيخ رضي الله تعالى
عنه ونفعنا به وبرد ضريحه وأسكنه في أعالي الفردوس فسيحه وقال رضي الله عنه
ونفعنا به في قوله تبارك وتعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ما نصه أقول أنزل
المولى الكريم جل وعلا هذه السورة الكريمة بالثناء على كتابه العزيز نصحا للعباد وترغيبا
لهم في الإقبال عليه علما وعملا واستماعا وتلاوة آناء الليل والنهار وأن من هجر القرءان

يفيد الهدى الى الصراط المستقيم الذي هو صراط الذين انعم الله تعالى عليهم بينه تبارك
وتعالى او بما يقوله جل وعلا الم على تفسير حفظه وفهمه والتعبد بتلاوته لكونه تبارك
وتعالى لخفي لطفه وواسع رحمته وجوده اوصل لعباده معاني كلامه القديم الذي ليس بحرف
ولا صوت ولا مثل له ولا نظير ولا بين يطيقون كل العباد سماعه في قوالب حروف عربية
سهلة تناسب كلام المخلوق المالوف وليست خارجة عن المستقيم وركبها سبحانه
تركيبا عجيبا اعجز بلغاء الفصاحة وبلاغته وجمع له فيه خير الدنيا وخير الاخرة فهو كلام
معجز لا يعارض وبطلة الفهم الذي لا انقطاع ولا طاقة لهم بسماعه في هذه الدار من كلامه
القديم الذي هو صفة ذاته بالظاهر ما شاء تعالى اظهاره من احكامه واخباره فيما لهم به الالف
واللطافة من هذه الاحرف وتراكيبها التي هي من جنس كلامهم وحببه اليهم بما اشتمل عليه
من العلوم والمحاسن التي لا يمكن ان يوجد مثلها في سائر الكلام ثم نبه تبارك وتعالى ثانيا
بقوله ذلك الكتاب على عظيم قدره وعلو منزلته اشار اليه بالاشارة البعيدة الدالة
على بعد منزلته في مراتب الحسن لا بعد البعد اذ ابتدأ فيه منزلته ثم وصفه جل وعلا
واخبر عنه وبين مبانه الكتاب على سبيل الحصر باستفادة التعريف باللام الجنسية
المقتضية للاستغراق اشارة الى تناهيه في كماله حتى كانه لعظم شأنه هو الذي
يستاهل وحده ان يسمى كتابا وكان غيره بالنسبة اليه ليس بكتاب او كانه لكثرة علومه
وغزير فوائده وعظيم بركاته وجمعه جميع خصائص الكتب المنزلة كل الكتاب على حد قول
الشاعر ۵ ان الذي حانت بفلج دماؤهم ۵ هم القوم كل القوم يا ام خالد ۵
واذا عرفت شرفه عرفت انه لا بعد عن الاعتناء بهذا الكتاب الشريف علما وعملا وتعبدا
الا من حرم من موجب الزهد في الشيء اما صعوبته واما قلة فائدته فاذا اجتمعت
السهولة وعظم الفوائد وكثرة البركات المرتبة بانواع الاخرويات فقد توفرت
بواعث المحبة والاقبال فمن لم يتحرك باعثه مع هذا فهو غبي شقي خاسر ولهذا
ينبغي ان يجعل اكثر العمر والصبر العينية الفكر بعبارة الكبار ومن في مقامهم ممن يعرض
عن القرآن ويوثر عليه غيره من الكلام واني لعقلاء هم يدركون الا الامور المحسوسة
التي تشار اليها بالحس كما قيل في مثل الفرزدق ۵ اولئك ابائي فجئني بمثلهم ۵ اذا جمعتنا
يا جرير المجامع ۵ واما قوله تعالى لا ريب فيه فوجه اتصاله بما قبله انه لما اثبت الوصف

بزاد

بمنزلة الكتاب على كثرة علوم القرآن وغزارة فوائده وكان الاقبال عليه اخذا للامر من فوق ما
على حقيقة تلك العلوم والفوائد لتطمئن النفوس بما فيه من ذلك وتنشرح بالعمل بمقتضاه
تنبيه وجه بلا ريب فيه على حقيقة كل ما فيه من العلوم والفوائد والوعد والوعيد والاوامر
والنواهي وان وجوه الارتياب كلها لا تنظر في ساحته المقدسة وما وجد من الارتياب
فيه للكفرة فمن ذلك من عمى بصائرهم من حيث الباطل المحض واستحسنوه ولم يستنكفوا فيه
وهو عبادة غير الله تعالى والخضوع لما لا ينفع له ولا ضر وذلك لانه هو كشمس لا غطاء عليه ○
والشمس انما يعرف طلوعها ويستضيء بانوارها الصحيح البصر لا الاعمى والبصائر حكمها
حكم البصر في ادراك الريب المجرد فاما لا البصر وكذا هو تبارك وتعالى المجرد من راح الى البصائر
وكما اشار اليه قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور تنبيه الريب
اذا اطلق في الاستعمال او في القرآن انما هو نفي طمأنينة واستعماله لمن لا يطمئن لوقوع
الريب وبهذا يعرف ان كل ما جاء مما قال بعضهم من انه على ان يخص الخصوص اي لا ريب فيه ○
للمومنين وكذا قال بعضهم انه خبر في معنى النهي اي لا ترتابوا فيه وان اطلق بو كل هذا الحكم
على الوجه الاول وهو ان المقصود نفي الطمأنينة لوجه الريب و وان كانت الكفرة تنكره
للتنبيه على وضوح هذا الحكم وظهور حقيقته فلا اعتداد بانكاره اذ لا يستحقه لذ في
انكاره حتى يحتاج الى دفعه وايضا فهذه الجمل كلها مسوقة لمدح القرآن واظهار شرفه
وتناهي كلامه وبعضها يؤكد بعضا في كل واحد منها توكيد ايضا من جهة جعلها
جملة اسمية لا فعلية وهذا القدر من التوكيد كاف في هذا المقام لضعف انكار المنكر
ومن نظر ارباب المعاني ان التوكيد يكثر ويقل بحسب قوة الانكار وضعفه واما قوله
تعالى هدى للمتقين فهو بيان لغاية ثمرة الاقبال على هذا الكتاب الشريف وهو ايضا مما يقوي الرغبة
في الاقبال عليه وصرف جميع البال اليه اذ الهدى هو الدلالة الموصلة للبغية بدليل
ان الضلالة تقابل الهدى وعدم الوصول الى البغية معتبر فيها فيجب ان يعتبر الوصول
فيها في مفهوم الهدى ليصح التقابل وايضا فالانسان يمدح بكونه مهديا كما يمدح بكونه مهتديا
ومعلوم ان من دل على المطلوب لا يستحق المدح ما لم يحصل له الوصول بل كره بالاستحقاق الذم
وايضا فالهدى مطاوع هدى ومطاوع عن حصول الاثر عن تعلق الفعل المتعدي بمفعوله
فالمطاوع لا يتخلف عن الاصل الا فيما له تاثير والاصل تاثير والوصول البغية معتبر في الاهتداء

فهكذا في القرآن اذ فيه من نعي التنابز ونهي الاخر و ايضا بقرينة السياق فهذا لان
على ان الدلالة الموصلة الى البغية بل المراد بالهدى و انه لم ير منه ان هذا الكتاب الشريف
موصل من اقبل عليه الى بغيته في بعد ان اقبل عليه عاقلا و المتقون فيهم الذين يجعلون
بينهم وبين عذاب الله تعالى وقاية بامتثال اوامره جل وعلا و اجتناب نواهيه واختلف
هل يجب في المتقين اجتناب اهل الصغاير كما فيما يقتضيه الامر ان يجتنب جميعها او لا يعتبر
في اجتنابها اما الاصرار على الصغاير فيشترط في المتقي اجتنابه قطعا لانه كبيرة
فان قيل كون الكتاب العزيز هدى للمتقين يقتضي بحسب الظاهر تحصيل الحاصل من
وتحصيل الحاصل محال فالجواب انه هدى للضالين او المتقين في الظاهر بان يراد بالهدى زيادة
الهدى الى مطالب اخر او التثبيت على ما كان حاصلا او يراد بالمتقين غير الضالين الصائرين
ببركة القرآن الى التقوى فسموا متقين اعتبار المآل لا اعتبار الحال قال التفتازاني
فان قيل هذا التاويل انما يحتاج اليه في الطلب مثل اهدنا لانه للاستقبال واما في
الاخبار مثل هدى او هاد للمتقين والمهتدين فيجوز ان تكون الهداية التي
حصل بها الاهتداء والاتقاء من غير تجوز قلنا المتبادر الى الفهم من تعلق الفعل بشيء
هو اتصاف ذلك المتعلق بما عبر به عنه عند اعتبار التعلق فيقال هذا شفاء للمريض
ومرض للصحيح وسرقة للمال واكل للمهتدين ولم يعكس في الابتداء والانتهاء
نعم المعتبر في المجاز باعتبار المآل والمشارفة حال اعتبار الحكم لا حال التكلم فمعنى
الخمر مجاز وان صار عصيرا للاخبار عن انه حال تعلق العصر به ليس خمرا وكذا عصر العنب
مجاز وانما الحقيقة عصر العنب ثم هذا النوع من المجاز قد يكون بطريق الحصول بان
يحصل الاتصاف بالمعنى الحقيقي عقيب تعلق الحكم بلا تراخ كقتل القتيل ومرض المريض وقد
يكون بطريق المصير بان يكون هناك الصيرورة لكن ولو بعد حين كما في قوله تعالى ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا فان اتصاف المولود بذلك متراخ عن تعلق الولادة به فان قيل لم النكتة
للعدول عن الحقيقة الى المجاز في المتقين ولم يعبر بالضالين على الوجه الثاني من الجواب
انه عدل الى ذلك للاختصار لان الضالين على قسمين فريق علم المولى سبحانه انهم يبقون على الضلالة
بلا سبيل الى هدايتهم كما قال تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم وفريق علم انه تبارك
وتعالى مصيرهم الى الهدى والمتقون يحتمل بالفريق المقصود من الفريقين ويحتمل ان يكون

قف
على الفريق الضالين ذكر الشيخ فيهم سواء الخ ٢

عن الرذلة للتنبيه على شرف القرآن وعظم بركته لمن وفق للاقبال عليه وذلك انه
ينتفع ببركته وان كان رضاها الى اعظم المراتب وهي مرتبة المتقين اذ مرتبة التقوى هي
اشرف المراتب وهي التي اوصى الله تعالى بها من تقدم ومن تاخر وقال تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وكم ذكر الله سبحانه في القرآن التقوى وكم رتب عليها من الكرامات ولذا قيل هدى
للمتقين لم يكن فيه بيان ما ينتفع اليه الضال ببركة اقباله على القرآن وقد انتقل الفضيل
وابن المبارك رضي الله تعالى عنهما بمجرد سماعهما قوله تبارك وتعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع
قلوبهم الاية عما كانا عليه الى رتبة عظيمة من التقوى عن اللصوص اليه وكم غيرهما ممن
لا يحصى كثرة قد وصل ببركة القرآن العزيز الى مراتب عظيمة لا يمكن التعبير عنها والله
تعالى اعلم واما المشار اليه بذلك فقال ابن عطية فقد اختلف فيه فقيل هو ما وعدنا ان ينزل
ونكون الاشارة الى هذه الحروف من القرآن وقيل التوراة والانجيل وقيل اللوح ○
المحفوظ وقيل ان الله تعالى قد كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا
لا يمحوه الماء فاشار الى ذلك الوعد وقال الكسائي اشارة الى القرآن الذي في السماء
لم ينزل بعد وقيل ان الله تعالى قد كان وعد اهل الكتاب ان ينزل على نبينا وسيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم كتابا فالاشارة الى ذلك الوعد انتهى قلت وقيل هو الشائع
المعهود ذكره وهو ما نزل من القرآن قبل هذه الاية كسورة العلق والمدثر والمزمل
واما اذا قلنا انه اشارة الى التوراة والانجيل فمعناه تبكيت من كذب بنبوة
سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم او كتم وصفه في التوراة والانجيل وانه الحق عند
الله تعالى لا شك فيه تنبيهات الاول المراد بنفي الريب عن القرآن نفيه عنه باعتبار
الصدق وانه من عند الله لا نفيه عنه باعتبار دلالته على الاحكام اذ فيه القطعي والظني
والاحتمال المساوي والموهوم الثاني المراد بالريب المنفي وان فسره بالشك عام لما ينافي
اليقين من الاحتمال كان راجحا او مرجوحا او مساويا وكثيرا ما يطلق الشك على مطلق الاحتمال
الثالث قيل سر عدم تقديم فيه على ريب فيقال لا فيه ريب لئلا يوهم ان الريب في بعض
الكتب المنزلة وكتب الله تعالى كلها ليس فيها ريب وقد اشار الى هذا المعنى صاحب
تلخيص المفتاح وشيخ التفتازاني قال بعض الايمة والظاهر عندي ان هذا السؤال
يرد من كل وجه اما ان قلنا ان فيه صفة فظاهر واما ان قلنا انه خبر فظاهر ايضا لان

الكلام انما هو في ريبه المبني على العنت وقد نص فيه على منع تقديم الخبر على الاسم
ثم ان صاحب التلخيص قال في تأخر الخبر في غير هذا الموضع اما تأخيره فلانه الاصل
لان ما جاء على اصله لا يسأل عنه ثم ان التقديم لم يفد الحصر في جميع المواضع كما اشار
اليه صاحب التلخيص فقد صرح بذلك انتهى قلت حاصل اعتراض هذا الشيخ
الامام على صاحب التلخيص من ثلاثة اوجه الاول كيف سأل عن حكمة تأخير الخبر
وهو الواجب لان تقديمه ممنوع الثاني ان تأخير الخبر هو الاصل وما جاء على الاصل
فلا يسأل عنه الثالث على تقدير تسليم السؤال فكيف جعل التقديم لو وقع يفيد
الحصر وهو لا يفيده في جميع المواضع ويجاب عن الاول بانه ليس المراد بالسؤال عن تأخير
الخبر بقيد بقاء الكلام مع تقديمه صحيحا وباقيا في الاعراب لتأخيره بل هو سؤال عن سر
التأخير وان تغير الاعراب او المعنى بالتقديم وهذا كما يسأل عن حكمة تقديم المعمول
في قوله تعالى اياك نعبد مع انه لا يجوز تأخيره وهو على حاله ضمير منفصل ومثل هذا السؤال
اصطلح في كلام النحويين والبيانيين وعن الثاني بان السؤال انما يسقط عما جاء
على الاصل اذا لم يكن هناك موجب للخروج عنه بحسب الظاهر وهو موجود في الاية وتقريره
انه ليس الاهم القصد الى نفي الريب بل الى نفيه عن الكتاب العزيز متعلقا للريب
لان الكلام انما سيق لاجله واذا كان هذا هو المقصود كان ذكر الحرف الذي هو متعلق
الريب اهم وكان ينبغي ان يقدم لان الاهم هو المعنى فلما عدل عن تقديمه مع وجود
مقتضيه بحسب الظاهر سأل صاحب التلخيص وغيره عن سر تأخيره واجابوا ن
بجواب حسن وهو انه لو قدم لتوهم معنا هو بعيد عن المراد غير لائق بالمقام ودرء
المفاسد المختلفة اولى من جلب المصالح المكملة وعن الثالث ان صاحب التلخيص لم يدع
القطع بافادة التقديم الحصر وانما ادعى ايهامه الحصر لكثرة استعماله فيه لا سيما لكمال
سيما وقرينة السياق هنا تدل عليه فقال كما خص على سبيل المبالغة في المدح بانه
هذا الكتاب خص بنفي اهلية الارتياب ولو وقع تقديم المجرور ثم يفضي ذلك
بما على من وقوع التبديل والتحريف في سائر الكتب السماوية والله تعالى اعلم الرابع
سأل الامام ان بعض الجمل موصولة اي غير معطوف بعضها على بعض ظاهر لما بينها من كمال
الاتصال وهو تنزيله بعضها من بعض الخامس جعل صاحب التلخيص من امثلة جعل المنكر

كغير

كغير المنكر اذا كان معه ما ان تامله ارتدع قوله تعالى لا ريب فيه **ولعترضه** التفتازاني
بان هذا انما يناسب ما ذكر من **جعل** هذه الجملة عما قبلها وهو تنكيرها الما وانما تنزلت
منها منزلة التوكيد في قوله جاء زيد نفسه **ثم** اجاب التفتازاني بان التوكيد المذكور
فيها انما هو التوكيد المعنوي وليس المراد هنا بل المراد غيره لانه من التوكيد **قال** الا انه
وقع في دلائل الاعجاز ما يقوي السؤال وهو انه قال قوله لا ريب فيه بيان وتوكيد وتحقيق
بمنزلة قولنا هو ذلك الكتاب **قلت** وقد كان يكفي لنا من الجواب عن قراءة هذا المحل منه
او من قول التفتازاني عليه لان كلام صاحب التلخيص في تمثيله لتنزيل التوكيد بهذه الاية
انما هو في جملة لا ريب فيه مع قطع النظر عما قبله وما بعده فما يقول ان هذه الجملة قد خوطب
بها الناس **ومنه** من المنكر في حكمهما بان كان معهما بحسب مقتضى الظاهر ان يؤكد بان او
بالقسم او بهما لدفع انكار المنكر وجعله كغير المنكر لان معه من ادلة حقيقة القرآن الواضحة
ما ان تامله احد من تامل ان يرتدع عن انكاره **ثم** وقفت بعد ذلك على مثل الجواب للشيخ ابي
البقاء الوجاري في جمعه الغريب الا انه بعدما اجاب به اعترضه بان التفتازاني يقول اذا
اكد جملة بجملة فقد اكد الحكم من الجملتين **قلت** وقد يجاب عنه بان صاحب التلخيص
لعله اراد الاكتفاء في دفع الانكار بتوكيد الجملة بنفسها عنها فيستقل كل منهما
بمعناه دون صاحبه لان المنكر قد يسمع هذه الجملة ويعرض عما قبلها وعما بعدها لعدم
توقف معناها على استحضار معناهما **وايضا** ذلك التوكيد المعنوي بين هذه الجمل ليس
يتضح بمجرد سماع اللفظ بل لا بد فيه من مزيد نظر وتامل والانكار قد يقع من مطلق
التامل **فكيف** بالخفي منه فيحتاج الى التوكيد الذي يكون في الجملة بان او باللام او بالقسم
بانه يظهر للعربي بمجرد سماع اللفظ بلا تامل والله تعالى اعلم **وبهذا كله** علم ان صاحب
التلخيص قصد بقوله لا ريب فيه التمثيل **واما** ان قلنا قصد التشطير في تنزيل وجود الشيء
منزلة عدمه لوضوح ما يدفعه حيث نفى الريب في القرآن على العموم مع وجوده من
الكفرة تنزيلا للريب الموجود منهم منزلة المعدوم تنبيها على قوة تنافي عنه ونحن في
ارتيابهم في القرآن لوضوح ما يدفعه من الادلة كما نزل انكار المنكر في بعض المواضع
منزلة المعدوم لوضوح ما يزيله فلا اشكال حينئذ وبالله التوفيق **القسم الثاني**
من تنكير المسند وعدم اضافته للمقتضى للتقليل او التكثير للعرض بحسب انواعه وازمنته

او هما معا وفيه التفصيل بعد الإبهام **السابع** من فضل تعدد هدى للمتقين عما قبله لكمال
الاتصال وبينه صاحب التلخيص بأن لا ريب فيه تنزل من جملة ذلك الكتاب منزلة التوكيد
المعنوي وجملة هدى للمتقين تنزل منها منزلة التوكيد اللفظي لأنها أفادت أن الكتاب
الذي فيه الهداية بلغ درجة لا يبلغ كنهها من جهة المبالغة فيه فجعله هداية
محضا حيث وصفها بالمصدر الذي هو هدى **وهذا المعنى** هو معنى ذلك الكتاب لأن معناه
الكتاب الكامل الذي انتهى إلى درجة لا يبلغ كنهها في الهداية **والمعنى** جعل هذه
مع جملة ذلك الكتاب في المعنى الجليل الأول والله تعالى أعلم **الثامن** قد ظهرت
مناسبة أول هذه السورة الجليلة لآخر الفاتحة وإنما ذلك الشرح لما ذكر فيها من الصراط
المستقيم والمنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين **فالصراط** المستقيم القرآن العظيم
لمن عمل بما فيه من الأوامر والنواهي والمواعظ فقد استقام على طريق الهداية والمنعم قف على المغضوب عليهم والضالين والمنافقين
عليهم المتقون الذين اهتدوا بالقرآن وعملوا به والمغضوب عليهم والضالون هم المذكورون
في قوله تعالى الذين كفروا سواء عليهم إلى آخر ما ذكر من أوصافهم وأوصاف المنافقين وأهل
الكتاب الذين لم يصدقوا بالقرآن العظيم ولم يعملوا بمقتضاه ولا شك أن كل من نكب عنه
وابتغى الهدى من غيره فهو محروم ضال مغضوب عليه **وفي** الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال ستكون فتن كقطع الليل المظلم **قيل** فما النجاة منها يا رسول الله **قال** كتاب
الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل
من تركه تجبرا قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره
المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ فيه الأهواء ولا تتشعب معه الآراء
ولا تشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء من علم علمه سبق ومن عمل به أجر ومن حكم به
عدل ومن اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم **وقال الحسن** رضي الله عنه قف على من حكم بالقرآن وعمل به وقرأه
في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى قال هي القرآن **وقال** صلى الله
عليه وسلم من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن **وقال** عليه الصلاة والسلام
اتلوا هذا القرآن فإن الله يأجركم بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول **الم** حرف ولكن الألف
حرف واللام حرف والميم حرف **وروي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من
قرأ القرآن فرأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظم الله **وقال** عليه

الصلاة

الصلاة والسلام ما من شفيع افضل عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك وقال عليه الصلاة
والسلام افضل عبادة امتي قراءة القرآن وقال عبد الله بن عمرو بن العاص من قرأ القرآن
فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشراف امتي حملة القرآن وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا ان اصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله تعالى وروى انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فمن شفع له القرآن نجا ومن
محل به القرآن يوم القيامة كبه الله على وجهه في النار واحق من شفع له القرآن اهله
وحملته واولى من محل به من عدل عنه وضيعه قلت معنى محل به شهد عليه بالتضييع
والتقصير وروى عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افضلكم من تعلم
القرآن وعلمه وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان كل مؤدب يحب ان يؤتى ادبه
وان ادب الله القرآن وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق سيد ولد آدم
وامامهم صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه
وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال هو
القرآن ليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال الاسلام والقرآن وقيل لعبد الله بن مسعود
رضي الله عنه انك لتقل الصوم فقال انه يشغلني عن قراءة القرآن وقراءة القرآن
احب الي منه وبالجملة ففضائل القرآن جزيلة لا تحصى وهذه السورة اعني سورة البقرة
من اعظم سور القرآن ومن اول ما نزل في المدينة ويقال لها فسطاط القرآن وذلك
لعظمها وبهائها وما تضمنته من الاحكام والمواعظ وفيها خمسمائة حكم وخمسة عشر
مثلا وخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين
والحواميم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش وفي صحيح مسلم
عن ابي امامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اقرؤوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤوا الزهراوين البقرة
وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانهما غمامتان او كانهما غيايتان او كانهما فرقان من طير

صواب في جامع عن ... اقرا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة
قال معاوية بلغني ان البطلة هم السحرة فقوله صلى الله عليه وسلم غمامتان يجيئ به
سماتين يسطاوين والغيايتين بالغين المعجمة ابو عبيدة الغياية كل شيء اظل الانسان
فوق راسه وهو مثل السحابة ونحوه فرقان اي جماعتان وروى ابو هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء سنام وسنام القران سورة البقرة فيها اية
هي سيدة اي القران هي اية الكرسي وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا
بالايتين من اخر سورة البقرة في كل ليلة كفتاه وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال البيت الذي تقرا فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان وعن ابن عباس رضي الله
عنهما بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فقال هذا
ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم وقال ابشر بنورين لم يؤتهما نبي قبلك
فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لن تقرا حرفا منها الا اعطيته رواه مسلم والنسائي
والنقيض بالقاف والضاد المعجمة الصوت فائدة يؤخذ من تعظيم الفاتحة وتكثير ثم
تخصيص ذلك بالمتقين ثناء على الباقي المتقين على ظاهر الحض على التقوى وانما تنال
بدايتها قرات الباطن فيتجلى فيه عرايس معاني القران التي لا حصر لها ويحيى القلب بكارا الا
بها بغير نقل ولا تكثير كلمة بحيث لو ردد تالي الاية الواحدة ابد الاباد لتجلى للعقل منها في كل
ترديد معنى غير المعنى الذي تجلى له في غيره ولكل معنى منها لمن هو اهله احوال واذواق
ونحو ان لا يسع التعبير عنها ومن اهم الرزق الاكبر والعطاء الذي لا يرضيه ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب واتقوا الله ويعلمكم الله يا ايها الذين امنوا
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا فيكون المعنى على هذا مرادا ان يجعل له الفهم العظيم الكثير
من القران العزيز مع البسط في النفوس وحكايات السلف والاولياء رضي الله عنهم في تطويل
الليالي الطويلة وما فتح لهم من معاني القران التي لا حصر لها يشهد لما ذكرنا وعن
ابي سليمان الداراني انه قال ربما اقف في الاية خمس ليال ولولا اني اترك الفكر فيها ما جزتها
ونقل عن غيره من اشياخ العارفين بالله تعالى انه بقي نحو كذا ختمة نور الله مثواه
وجعل الفردوس مأواه وقال رضي الله عنه في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب الغيب هو الله جل
وعلا يعني من انقطاعا عند الاعمال التي تقرب بها الى المولى العظيم جل وعلا وبطلب

الحم

فيما رضاه تبارك وتعالى منحصر في ثلاثة انواع **الاول** تعمير الباطن بما يوجب تعظيم الرب سبحانه
والانقياد لاحكامه والترغيب فيما عنده والاعراض عن كل ما سواه **الثاني** تعمير الجوارح
الظاهرة باصناف العبادات وحرصها ان تسرح في مشتهياتها الى التقييد بضروب الطاعات
واظهار الذلة والفاقة والتضرع لبارئ الارض والسموات **الثالث** شكر المولى الكريم
جل وعلا فيما اسدى من النعم وخفف عنه تبارك وتعالى بمشاركة ذوي الحاجة من خلقه في تلك
النعم ذكر سبحانه من كل نوع من هذه الثلاثة اعظمها مستتبعا لسائر افراد ذلك النوع
فذكر جل وعلا من النوع الاول الايمان الذي هو اساس جميع الخيرات ومعدن كل البركات
ولا خفاء بما يستتبع من الاعمال ظاهرا وباطنا فان من امن بالله ورسوله صلى الله عليه
وسلم الايمان المعتبر خاف تبارك وتعالى ورجاه وهابه وعظمه واستحيا منه واحبه واخلص
كل عبادة له وتجافا عن دار الغرور واناب الى دار الخلود واستعد للموت قبل نزوله الى
غير ذلك مما لا يحصى من صالحات الاعمال التي هي ثمرات الايمان بالعلي ذي الجلال والاكرام
وذكر تبارك وتعالى من النوع الثاني اقامة الصلاة المتضمنة جميع انواع القربات المحصلة
لصاحبها التقرب للمولى جل وعلا باجزاء البدن كلها الظاهرة والباطنة وبغيرها من الازمنة
والامكنة والملابس للباس ونحوه والهيئات والجهات وترك الشهوات ومنع الظاهرة
والباطن والخوض في غير ما يناسب عالي هذه المقامات ولا خفاء ان حملة النفس على القيام
بمثل هذه العبادة الجامعة مرات في كل يوم وليلة مما يثير النفس من جميع امرها
ويجب لها الادمان على خدمة باريها والتقلب في انواع الطاعات التي تشتمل عليها
الصلاة من تكبير وتلاوة وتسبيح ودعاء وتفكر وغيرها اناء الليل واطراف النهار
لطيف عمها ولا ادبها **وذكر** سبحانه من النوع **الثالث** الانفاق على ذوي الحاجة من المال الذي
هو شقيق الروح ويضعف بذله لثقله على الطباع غاية الصعوبة ولا خفاء ان النفس اذا وفقت
للصبر على حمل هذه المؤونة الكريهة سهل عليها الصبر على ما كان ادنا منها مما هو من نوعها
كبذل الحق والنصيحة بجرح الكلام وترك الاذاية والتكبر والحسد والغيبة والنميمة
وغير ذلك مما هو كثير ومعنا الايمان بالغيب التصديق بالقلب الناشئ عن المعرفة للشرع
والتزام الوفاء به والغيب كل ما غاب عن الحس مما يطلب الرسول الايمان به ولا يتوصل اليه الا بالنظر
الصحيح كمعرفة ما يجب لله تعالى وما يستحيل وما يجوز في حقه تعالى ومعرفة هذه الثلاثة

في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ويدخل في ذلك الإيمان بما أخبر به الرسول عليه الصلاة
والسلام من البعث والجنة والنار والصراط والميزان وغير ذلك من أحوال الآخرة وأحكام
الله تعالى التكليفية والوضعية ويوخذ من تفسير الإيمان بتصديق الأشياء وهي
غيب أن الإيمان بها أو ببعضها لعدم المعاينة لا ينفع كإيمان الكفرة بها عند الموت وفي الآخرة
وقالت طائفة معنى قوله تعالى بالغيب أنهم يصدقون إذا غابوا وخلوا لا كالمنافقين الذين
يؤمنون إذا حضروا ويكفرون إذا غابوا فتكون الباء على هذا بمعنى في وعلى الأول الباء باء
التعدية ويحتمل أن تكون الباء باء الآلة ويكون الغيب بمعنى الغائب أي يؤمنون بالعضو
الغائب عن الحس وهو القلب وعليه فالعضو الظاهر للحس وهو اللسان وتطعن
فيه أيضا التنبيه على إخراج إيمان المنافقين على الاعتبار لأنه إيمان باللسان فقط ومعنى
يقيمون الصلاة يأتون بها على ما ينبغي من توفية فرائضها وسننها وفضائلها من أقام
العود جعله قويما لا اعوجاج فيه أو من أقامت السوق أي جعلها نافقة غير كاسدة ولا
شك أن الصلاة إذا تعظم فيها وتتوفر الرغبات إليها إذا أديت على ما ينبغي في
الظاهر والباطن والفعل على كلا الوجهين من باب الاستعارة التبعية لأنه استعير لتسوية
الصلاة على ما ينبغي لفظ الإقامة ثم اشتق منه بعد ذلك الفعل وينفقون معناه يخرجون
ما ألزمهم الشرع من زكوة ونحوها وما ندب إليه من غيرها وقال ابن عباس يؤتون الزكوة
احتسابا لها وقال غيره الآية في النفقة في الجهاد وقال الضحاك هي نفقة كانوا
يتقربون بها إلى الله عز وجل على قدر ميسرتهم وقال ابن عباس وابن مسعود أيضا هي نفقة
الرجل على أهله وقال ابن عطية الآية تعم الجميع وهذه الأقوال تمثيل لا خلاف قلت
وقد أشار بعضهم إلى توجيه هذه الأقوال فقال وجه حمل الإنفاق على العموم النظر إلى إطلاق
اللفظ دون قرينة تخصصها ووجه حملها على الزكاة المفروضة النظر إلى أنها التي تقرن [illegible]
الصلاة ووجه حمله على النفقة على الأهل النظر إلى قرينة التبعيض التي دلت عليه من أن
الإسراف والتبذير إنما يكثر في هذا النوع لا في الإنفاق في القربات بل الإسراف في
الطاعات لا إسراف غير مانع ووجه حمله على الإنفاق في الجهاد النظر إلى ما كان عليه المتقون في
أزمنة نزول هذه الآية إذ كان معظم اجتهادهم ونفقاتهم في جهاد الكفرة وإعلاء الإيمان وعلى
هذا يكون الخلاف بين هذه الأقوال حقيقة لا مجازا باعتبار التمثيل وفي ما ذكر ابن عطية الله

الا ان يكون اختلافهم في تعيين سبب نزول الآية بلا بل من حيث ان يقول كل واحد بقصر عموم
الآية على السبب الذي عينه اذ الجمهور على اعتبار اللفظ وان ورد على سبب خاص **قلت**
وهذه العبادات الثلاث **يحتمل** ان يكون في الآية كناية عن فعل جميع الحسنات وترك السيئات
ما استقل منها ذلك قد تكون عبارة وصف المتقين بما كشف حقيقتهم **ونكتة** الاستغناء بهذه
الثلاث في كشف حقيقة التقوى للتقريب على المكلف القاصر للطف بشرح التقوى فيذكر له
من جزئياتها التي لا تنحصر امورا ثلاثة تتضمن النفس لتحصيلها علما وعملا لقلة عددها
فاذا وقف بها على الوجه المعتبر جذبتها لتحصيل كل خير والهروب من كل شر **وهذا**
من لطيف هداية المولى جل وعلا لعبيده اذ لو ذكر سبحانه في تفسير التقوى كل ما يدخل
تحته من فعل وترك على سبيل التفصيل لعجزت النفس او عن تحصيل ذلك علما **ثم** يعجز بعد
ذلك عنه عملا **ويحتمل** ان يكون ذكر هذه العبادات الثلاث في الآية من باب الكناية والله
او يقصد بها الا ما دلت عليه بالمطابقة دون الالتزام فيكون الوصف بها من باب الوصف
المادح لدلالته على اشرف المعاني الفاضلة الداخلة في مفهوم الموصوف **ومن** يراد بالمتقي
من يجتنب المعاصي اي فعل القبائح والمنهيات سواء كان يمتثل الاوامر ويأتي بالحسنات او لا
فتكون الصفة على هذه مخصصة كزيد التاجر لدلالته على بعض الاحوال الخارجة عن مفهوم الموصوف
فان قيل اجتناب المعاصي لا يتصور بدون فعل الطاعات لان ترك الطاعة معصية قال الله تعالى
لا يعصون ما امرهم **فالجواب** ان مبنا اما شيء على ان المعصية فعل ما نهى الله عنه ان الترك
ليس بفعل وانما عبر في جانب التقوى بالماضي اشارة الى ان المقصود منها ان تكون ملكة للعبد ثابتة
فيه بحيث ان يستحق ان يوصف بالاسم المشتق منها وهو المتقي لا ان تكون عارضة تزول بادنى عارض
من شهوة او غضب ويروع حاجبها وغاز المغالب وعبر بالعبادات الثلاث بالمضارع لقصد
لما استقرار **اشارة** الى ان المطلوب المحافظة على تكرارها دائما اي على ما ينبغي والمحافظة على هذا
الوجه بعد ان صلحت ان تقوم بها التقوى التي هي ملكة لا عارضة **اما** من لم يتحل بهذه العبادات
على الدوام فتقواه عارضة لا راسخة كما يوجد من بعض من لا يتحلى بالتقوى الراسخة التنهوض
لاعمال الصالحة وترك المعاصي في بعض الايام وبعض الاشهر الفاضلة وفي بعض الاحوال **كعروض**
وباء ومرض او خوف من مخلوق وبحزن له **ثم** يتيسر كون ذلك عنه بزوال ذلك العارض او عنه
طول الانس به ونفي في المتقين على ما بعده من باب نفي الحرف على مصحوبه ان العا على الحاضر

وتجري في المعرفة بالموصل للتنعيم على ان المتعين في تعرف الابعدية المحصلة لها الدالة على المحافظة
دايما على امتثال المامورات واجتناب المنهيات وما يرى من مبشرات في نسب وما يجده كثيرة على
وما يدعو اليه اللسان عن بهجة وما يظهر من خوارق وامتثال ان اعمالها متقبلة مرضية وما يجمع
تزينها للعبادات من الثلاث وتيسر تقديم بعضها على بعض بالمنة تعلق التوفيق فايدة
صوفية يوخذ من الاقتصار في تفسير التقوى على العبادات الفعلية دون التركية خصوصا
الزيد الظاهر للبعض ان غاية التقوى على تطهير جوارحه الظاهرة بعد تحقيق الايمان بالله
تعالى وبرسله عليهم الصلاة والسلام على الطاعات وتوطين الاوراد المشغلة للنفس
عن التخلي لشهواتها على البدن والمواظبة عليه في كل الاوقات واحضار القلب
لمعاني ذلك بقدر الاستطاعة فان زينا هذه الموافقات الحالية تنشا من ظاهر البدن
الرشحة في الايمان بالباطن فتنعشهما وتقوي ثبات عروقها في صميم القلب وتقسا عنه
اكدارها وتذكي ثمارها وروعها وتسطع انوارها وتقبل عنه ذلك المواهب اللدنية على
القلب في كل لحظة وساعة اللهم ابتم لنا يا مولانا منها فتحت جيبه ولينا يكون في دنيانا واخرا
بطاعته بالرحمة الراحمين بجاه نبيه ومصطفاه المبين وهو مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله
وصحبه اجمعين انتهت كلام الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به واعاد علينا من بركاته ثم قال
رضي الله تعالى عنه بعد كلام له في اعراب هذه الاية الخ فقدم الا ان تعبيرها ما نصه قال
الشيخ الرصاع ان قيل ما سر تقديم قوله تعالى ومما رزقناهم على غيره مع ان مقتضى الظاهر
الثنا بحلول مرا السادة بحصول الاتفاق في امر الله عما وقع الثناء عليهم بحصول الايمان
منهم وتقديم المعمول يوذن بالثنا عليهم من جهة انهم انفقوا مما رزقناهم من غيره فالجواب
اما ان قلنا ان الرزق يطلق على الحلال فقط وهو مذهب المعتزلة ففيه التقديم افادة المحافظة
على الانفاق من الحلال المحمود عاقبته وان قلنا بمذهب اهل السنة وهو الحق فلا يظهر الا
مراعات الفاصلة وان كان هذا غير مرتضى في الجواب عند المحققين قلت ما اجاب به من ان التقديم
لرعي الفواصل اجاب به ابن حيان وما خفي في ضعفه ان رعي الفواصل انما هو من المحسنات
اللفظية وما اعتبار لها الا بعد المحافظة على البلاغة التي هي تطبيق الكلام لما يقتضيه
الحال وهو الجواز التقديم اما ان هو ما ذكره لان المراد بالرزق هنا الحلال فقط اما عند المعتزلة
فظاهر لان الحرام عندهم ليس برزق واما عند غيرهم الرزق فانما للاشعار بانه لا يكون

الحلال

الاصطلاح اذ المناسب ان تسنده الى الله تعالى بمقتضى العقد عندهم وأمّا عندنا فمن جهة ان
الاية انسبت لمدح او طلب المتقين وبيان ما يكون به التقوى وذلك في الانفاق لا يجمع الا اذا
كان من الحلال لا سيما عند التصريح بالاسناد الى الله تعالى فانه من باب الادب باسناد الافضل
والاكمل اليه تعالى فإن قيل اسناد الرزق اليه جار على هذا مدحهم بانهم خصّوا انفاقهم بالشيء
الشريف الطيب الذي حق ان يطلق عليه وينسب اليه عليه لشرفه وعزة وجوده، وهو الحلال وذلك
يستلزم مدحهم ايضا بنزاهتهم عن [illegible] والحرص على اخذ ما تيسر لهم كما مدحهم بتنزههم
عن الشح بالانفاق فإن قيل من لم ينفق مطلقا الا من الحلال من لازمه الزهد والورع ففي الاية على هذا
النوع المسمى في فن البديع بالاستتباع وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء اخر
كقول ابن الطيب * نهبت من الاعمار ما لو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد * فانه
مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة على وجه استتبع مدحه بالعدل وانه سبب لصلاح
الدنيا ونظامها اذ لم تهنيتها بخلوده، فيما لو خلد وفي الاية ايضا مدحهم بكمال
شفقتهم على عباد الله تعالى وايثارهم حيث اشفقوا عليهم باعتبار دنياهم ايضا حتى ينفقوا
عليهم الا من الحلال الذي به تصفو الاعمال وتزكو الاحوال وبه تنشط القلوب والابدان
لشيء في الابدان وحسن الاقوال والافعال فان اكل الحرام وما فيه شبهة ولبسهما وسكناهما
والانتفاع بهما يوجب ظلمة، الانتفاع يكدر الباطن وتدنيسه ويكسل الجوارح ويكثر
الخواطر الرديئة والاوهام الفاسدة وقلب كل شيء، وقصد المنتفع تجنب ما ينتفع به
اولى وهذا ايضا من النوع المسمى بالاستتباع وفي تقديمهم واسناد الرزق الى الله تعالى
تقوية الباعث على ادامة المتقي لهذا الانفاق وعلى ان يفتخر به في ذلك وذلك ان العبد
اذا علم ان انفاقه لهذا الامر من الله سبحانه وان مرده جار على يديه عنه فلا يقف من ذلك
ولا يبالي بما اعطى من ذلك ثم انما هو من الرازق المالك له ولما عنده من الاجر النفيس منه في ذلك
الانفاق وسهل اذا سمح في حقيقة من جاد بمال الله حقيقة بل للعوض في العاجل وفي الآجل
وكان الامر من قبيل ع. العبد فما اغنى العبد المنفق في ذلك الانفاق والفضل الالهي فتبارك
وتعالى حيث جاد عليه المولى جل وعلا وهو الذي حرك ايضا الداعي من جهة مع هذا ووعده العطاء
الجزيل دنيا واخرى والبخل البخيل من بخل بمال سيده بعد ان امره باعطائه لا سيما ان وعده
مع ذلك بالخلف الا على انه يخشى في هذا البخل سلب الحاصل ومنع الخلف مع شدة العقوبة

في العاجل والآجل وتضمنت الآية لهذا الجمل أن يكون من النوع المسمى في فن البديع بالمساواة وهو
أن يكون الكلام مساويا لمعناه، كقول أبي الطيب

أقلب فيه أجفاني كأني … أعد بها على الدهر الذنوبا

فإنه حسن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر وليس في هذه الآية إلا وصفا واحدا ولا حاجة
فيها إلى زيادة الوصف اللهم يا غني يا كريم يا أرحم الراحمين يا ذا الجلال والإكرام اغننا بحلالك
عن حرامك وبجودك عن جميع من سواك واحشرنا في زمرة المتقين الذين مدحتهم وصدرت بهم سورة
البقرة يا وهاب يا كريم تنزه الكلي في ذلك الرجاء بنبيك ومصطفاك والمبشر بنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم ما اتصل بهم الدنيا والآخرة بفضلك وجودك الرحيب حسن ذلك وعفوك ومغفرتك وشريف رضاك
انتهى كلام الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به ونور مثواه وجمع الفراغ بين ما رآه وجعله ممن
يتنعم في كل لحظة برؤية ذات مولاه بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صلاة
وسلاما دائمين بدوام ملك الله تعالى وقال رضي الله عنه في قوله تعالى والذين يؤمنون بما أنزل إليك إلى رضي
قوله تعالى المفلحون ما نصه قال الإمام إن الذين يؤمنون بالغيب على نبينا وعلى من كان من أمة
محمد عليه الصلاة والسلام سواء كان مثل ذلك من متابعي موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام
أو لم يكن ودلالة العام على بعض ما دخل فيه أضعف من دلالة الخاص عليه لاحتمال العام التخصيص
بخلاف الخاص وهما كانت هذه السورة مدنية ومن شرف الله تعالى المسلمين بعد لم جاوز على الصفة
للمتقين الذين يؤمنون ذكر بعده أهل الكتاب الذين آمنوا بالرسول عليه الصلاة والسلام كعبد
الله بن سلام وأمثاله بقوله والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك فإن في هذا التخصيص بالذكر
من بعد تشريفا لهم كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن في تخصيص
عبد الله بن سلام وأمثاله بهذا التشريف زيادة مثالها في الإيمان ويحتمل أنه السبب في ذكر
هذا الخاص بعد ذكر العام أفضل قلت ويدل على مزيد التشريف لهم مضاعفة الأجر لهم في
الإيمان في قبل حديث ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين وذكر منهم من آمن بنبيه ثم أدرك نبينا عليه
الصلاة والسلام وبه من به أيضا قال الأبي في شرح مسلم الأجر فيها أجر ملته في اتباعه الحق
الأول والآخر في اتباعه الحق الثاني وهذا لا يظهر بل لعله في اتباعه الحق الثاني بعد ضعفه بسبب
تمسكه به ولأنه في تنطبق الغاير والا فمعلوم أن له في كل اتباع أجر النفس قلت وفي كونه
معلوما لمولانا هذا الحديث ذكره لاحتمال أن يقال الحاكي أسقط هذا الشرعية ناسخة لما قبلها من الشرائع

قد يتوهم ان من ادركهما ولزمه احد شخصيهما او لا ثواب له فيما سبق له من العمل بغيرها
كما توهم الصحابة مثل ذلك في الصلاة الى البيت المقدس عند نسخها بالتوجه الى الكعبة د
حتى نزل قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم فتكون بالاية الكريمة على هذا التنبيه على
عدم احباط العمل بالشريعة السابقة عند ادراك شريعة الناسخة لها واللباس بها
اما ان لم يومن بها عند ادراكها فلا فائدة في علمه السابق فان حبطان لكفره بنبينا صلى الله
عليه وسلم ثم قال الابي اما من لم يكن على حق في ذلك الدين فليس له اذا اء عليه
الصلاة والسلام الا اجر واحد وبقي النظر فيمن كان على حق في ذلك الدين ولم يدرك النبي
صلى الله عليه وسلم كما في بعض الاخبار فيحتمل ان يكون له اجر واحد ويحتمل ان يكون له اجران
بناء على ان ادراكه معناه ادركه بالزمان او ادركه بالدليل قلت وكلا الشقين يرد ببعض
والتحقيق ان معناه ادرك نبينا صلى الله عليه وسلم انه لم يدرك بعثته فلا من بعد الا ان في حصول
الثواب له فيما عمل بالشريعة السابقة بعد نسخها بشريعتنا الا انه لما كان لم يبلغه نطقا
وقد ينبني حكم ذلك على اختلافهم في لزوم حكم النسخ لمن لم يبلغه او من بلاده وصول العلم به فالاولى
على من ان يقدر له بعث نبينا عليه الصلاة والسلام وادرك دعاءه الى الايمان به ثم
نقول قد تكون الفائدة في تخصيص من امن من اهل الكتاب بالذكر في هذه الاية التنبيه على
انه اولى الناس بالمبادرة الى الايمان بنبينا عليه الصلاة والسلام والاقتداء بما انزل اليه
لوجوه احدها الاطلاع على ما نزل قبله من الكتب السماوية وذكر نبينا عليه الصلاة والسلام
فيها بالنبوءة والرسالة العامة كما قال تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
الاية الثاني كون ما انزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم قال تعالى وءامنوا
بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به الثالث الفهم النبوءة ومعرفتهم باحوالها
دون غيره دعوى الرسالة فليحقق صدق نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه من
النبوءة والرسالة قال الطيبي فيما فيه من التعريض على الشيخ ان من عادة الشيوخ ان
يوردوا ... الملاحدة ونحوهم لما قيل والذين يومنون بما انزل اليك من قبلك وما
انزل اليه فهو ارتب ليكون الاسبق في الوجود متقدما في اللفظ فاروعا ذلك فيمسون
عنه ان الايمان بما انزل الى النبي صلى الله عليه وسلم سبب في الايمان بما انزل من قبله فان المكلف
اذا امن به يسمع القرآن المعجز والسنة المعجزة وبراسائر المعجزات فيطلع من ذلك على

ادبار الكتب السماوية وصحف نبيء من نبينا ايمانا حقيقيا فوائد الا انه بها مستفيد ا
لاخبار المتبوع والقصار وعنها قيل له اولى بانه فيه لكونه اشرف واحد اسباب
التقدم به الشرف بعطف نعته اخر فيكون نزه فيها قلت وانظر نكتة العدول عن الماضي الى
المضارع في يومنون وفي يوقنون والظاهر انه للدلالة على الاستمرار واما التعبير بالماضي في قوله
تعالى بما انزل اليك فيحتمل ان يكون على حقيقته ويكون المراد ما سبق نزوله واعترض بانه يعين
المنزل والايمان بالجميع واجب واجاب الشيخ ابن عرفة بانه انما يجب مع العلم بانزاله
سينزل منه اما عدم العلم فلا يجب الايمان الا بما انزل منه فقط وسياتي نقله في الحال الذي سينزل
لسنا مكلفين بالايمان به ويحتمل ان يكون عبر به مجازا عن الجميع المنزل اما للتغليب ما دخل
له الوجود على ما لم يدخل واما لجعل المترقب نزوله بمنزلة المتحقق والاول مجاز مرسل لانه من
باب تسمية الكل باسم جزئه عبر عن مجموع الماضي والاتي بجزء المجموع وهو الماضي والثاني
استعارة باعتبار تشبيه غير المتحقق بالمتحقق وجوز الشيخ ابن عرفة ان يكون المراد به جميع
المنزل ويكون حقيقة باعتبار انزاله دفعة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا وقد كان حينئذ ماضيا
وفيه نظر لان الانزال المعتبر بالمجرور انما يصدق بحسب الظاهر حيث يصل المنزل اليه عليه
الصلاة والسلام وحين انزل الى السماء لم يصل اليه فتأمل ذلك قلت وانظر ايضا نكتة
تعيينه عليه الصلاة والسلام عند ذكر المنزل عليه وقيل انزل اليك ولم يعين الرسل عليهم
الصلاة والسلام المنزل عليهم ساير الكتب عند ذكر انزالها فيحتمل ان يكون ذلك للاختصار
ويحتمل للتنبيه على ان الواجب في ساير الكتب السماوية الايمان بها في الجملة ولا يجب معرفة
اعيان الرسل الذين نزلت عليهم اما القرآن فيجب الايمان به في نفسه ويجب الايمان بانه انما
انزل القرآن على نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فلو امن احد به واعتقد انه انزل على
غير نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم لكفر ومن هنا كفر ما ذكر عن بعض الروافض انهم يعتقدون
النبوة والانزال انما هو لعلي رضي الله عنه قال الامام قوله تعالى والذين يومنون بما انزل
اليك يدل على الايمان واحتج بانه قال في اخره اولئك هم المفلحون فثبت ان من لم يحصل له هذا
الايمان وجب الا يكون مفلحا واذا ثبت ذلك وجب تحصيل الايمان بما انزل على محمد صلى الله
عليه وسلم على سبيل التفصيل لانه لا يمكنه ان يقوم بما اوجبه الله تعالى عليه علما وعملا الا اذا
علمه على سبيل التفصيل الا ان تحصيل هذا العلم واجب على الكفاية فائدة قوله تعالى وما

انزل

انزل من قبلك فان اراد به ما انزل على الانبياء الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فالايمان به
واجب على الجملة لان الله تعالى لم يتعبدنا الآن به حتى نلزم معرفته على التفصيل فان عرفنا شيئا
من تفاصيله فهناك يجب علينا الايمان بتلك التفاصيل قوله تعالى وبالآخرة هم يوقنون قال
التفتازاني الآخرة صفة غالبة على تلك الدار كالدنيا على هذه ولهذا قل ذكر الموصوف
معها مثل الدار الآخرة والدار الدنيا وفيه جريان مع تلك الغلبة في الاسماء واليقين قال
الامام هو العلم بعد الشك ولهذا لا يقال تيقنت وجود نفسي وتيقنت ان السماء فوق راسي
ويقال ذلك في العلم الحادث بالامور سواء كان ذلك العلم ضروريا او استدلاليا قلت وقال
غيره اسم لما ثبت في القلب من العلم وهو ماخوذ من قولهم يقن الماء بالموضع اذا دام فيه
وقال الشيخ ابن عرفة ان قلنا ان العلوم تتفاوت فاليقين اعلاها وان قلنا انها لا تتفاوت
فاليقين هو العلم الذي لا يقبل التشكيك وغيره هو القابل للتشكيك انتهى واعلم ان في
هذه الجملة تعريضا باهل الكتاب تقديم المجرور الذي هو بالآخرة على عامله وهو يوقنون كما في قوله
تعالى الى الله تحشرون الثاني في تقديم المسند اليه وهو الضمير على خبره وهو الجملة الفعلية
كما في قوله انا سعيت في حاجتك ومعنى القصر افادة تعلق حكم بشيء مع نفيه عن غيره
فالمعنى ان هؤلاء الذين امنوا بنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم هم يوقنون بحقيقة الآخرة
لا بما هو خلاف حقيقتها كما تزعمه اليهود الذين لم يؤمنوا بنبينا عليه الصلاة والسلام
وان الايقان مقصور ايضا على هؤلاء المؤمنين لا يتجاوزهم الى اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالآخرة
وان كلامهم صادر عن وهم وريبة لا عن علم ويقين ويلزم من هذا في القصرين التعريض باهل
الكتاب وبما هم عليه من امر الآخرة يعني ان الكلام من عرض وجانب الى المراد الذي على ان
ما يزعمونه من اليقين ليس بيقين بل محض جهالة وان ما يتصورونه من الآخرة ليس بالآخرة
بل وهم لا حقيقة له والآخرة التي يعتقدون قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون قال الامام في كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها اوجه ثلاثة احدها ان يكون
الابتداء الذين يؤمنون بالغيب كانه قيل لما قال ما السبب في اختصاص المتقين بان الكتاب
هدى لهم فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى قوله المفلحون جوابا لهذا السؤال قلت كانه
قيل الذين هذه عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله تعالى بكتابه في الدنيا ويعطيهم
الفلاح في الآخرة قال الزمخشري ونظيره قولك احب رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار

الذين فازوا عاجلاً وآجلاً وكشفوا الكربة عن وجوههم اولئك اهل الجنة قال الامام فائدتها ان لا يتوهم
الابتداء انه بل يجعل ثانيا دعا للمتقين ويقع الابتداء من قوله اولئك على هدى من ربهم كافه قيل فيه بال
الموصوفين بتلك الصفات مختصين بالهدى والفلاح بازاء واليه الموصوفين غير مستبعد ان
يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا فلعله قال الزمخشري واعلم ان هذا
النوع من الاستيناف يجيء تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقوله احسنت
الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقوله احسنت الى زيد صديقك القديم
اهل لذلك والسياق انطوى به على بيان الموجب قال الامام ثانيها ان يجعل الموصول الاول صفة للمتقين
ويرفع الثاني على الابتداء واولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب
الذين لم يومنوا بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون في الفلاح
عند الله تعالى قال الزمخشري وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكور
قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل
لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه
هو على الحق وعلى الباطل والتفتازاني انا في ان في الاستعارة تبعية وتمثيلية اما التبعية
فيجري بانها في متعلق معنى الحرف وتبعيتها بالحرف واما التمثيل فلكون كل من طرفي
التشبيه حالة منتزعة من عدة امور لذلك شبهت حالهم في اتصافهم بالهدى على سبيل التمكن
والاستقرار بحال من اعتلى الشيء وركبه قال الامام وتحقيق القول في كونهم على الهدى وتمسكهم
بموجب الدليل لان الواجب على المتمسك بالدليل ان يدوم على ذلك ويحرسه عن المطاعن والشبه
وكافه نقل لما معه هو بالمبان به انزال الله تعالى فرحم بالمداومة على ذلك والمواظبة على حراسته
من الشبه ثانيا وذلك واجب على المكلف لانه اذا كان مستشدا في الدين فلا بد ان يحاسب
نفسه في علمه وعمله ويتامل حاله فيهما فاذا حرس نفسه من الاخلال كان ممن هو ثابت على
هدى وبصيرة وانما نكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره قال عون بن
عبد الله الهدى من الله كثير ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا اليسير الا ترى نجوم السماء
يبصرها البصير ولا يهتدي بها الا العلماء وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبت لهم الا
ختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح ايضا والمفلح الظافر بالمطلوب كانه الذي انفتحت
له وجوه الظفر وتركيبه يدل على معنى الشق والفتح ولذا سمي الزراع فلاحا وتحقيقه

ان

ان الله تعالى وعدهم بابلغ مقام على الوجه فبين نتيجة ذلك وهو الظفر بالمطلوب الذي هو النعيم
الدائم على وجه الاجلال والاعظام لان ذلك هو الثواب المطلوب بالعبادات وهذه الاية
يتمسك بها الوعيدية من وجهين الاول اقتضاؤها بطريق التخصيص ان من اخل بالصلاة
والزكاة لا يكون مفلحا وذلك يوجب القطع بوعيد تارك الصلاة والزكاة الثاني اقتضاؤها
بطريق العلية لان ترتيب الحكم على وصف مناسب يشعر بالعلية فيلزم ان يكون علة الفلاح
هي فعل الايمان والصلاة والزكاة فاذا انتفت او انتفى واحد منها وجب ان لا يحصل الفلاح
ويتمسك بها المرجئة من جهة ان الله تعالى حكم بالفلاح لمن اتصف بالطاعات المذكورة
في الاية فوجب ان يحصل له ذلك وان زنا وان سرق وشرب الخمر واذا ثبت ذلك في هؤلاء
يثبت في غيرهم اذ لا قائل بالفرق والجواب ان كل واحد من الاحتجاجين معارض بالاخر
فيتساقطان والجواب ايضا عن تمسك الوعيدية الاول ان قوله تعالى اولئك هم المفلحون
يدل على انهم الكاملون في الفلاح فيلزم ان يكون صاحب الكبيرة غير كامل في الفلاح ونحن نقول
بموجب ذلك وعن التمسك الثاني ان نفي السبب الواحد لا يقتضي نفي جميع الاسباب
لاحتمال ان من اسباب الفلاح عفو الله تعالى والجواب ايضا عن قول المرجئة ان وصفهم
في الاية بالتقوى يتضمن اتقاء المعاصي كلها ويدخل في ذلك اتقاء ترك الواجبات قلت
يوخذ من تخصيص الفلاح بالمتقين وما ذكر معها من الطاعات والمعارف القلبية التي تزلف
في الدنيا وترغب في الاخرة ترغيب العاقل الحريص على الفوز والفلاح ان يعمر ظاهره وباطنه
بالموافقات ويجتنب كل ما يخطر اليه من خصوص النفس والشيطان في سلوك الشهوات
الملقية صاحبها الى مهلكات الغفلات والمخالفات فقد عرف الله سبحانه في هذه
الاية بفضله محل الفوز والفلاح فيلزم في اوقات مستغرقا بما يحمد نفعه بنفسه
ويصبر على ذلك قليلا يفوز بقرب الخير سواه اذا لاح له بالموت على الصلاح قال بعضهم
الذين يوسوسون بالغيبة على قلبك ويقيمون الصلاة حظ يزيد ومعارف فانهم يفلحون حظ ما لك
معناه تجرد قلبك لي وتتعب بدنك في خدمتي وتنفق مالك في مرضاتي وحينئذ ان شئت مرضي
وقيل في قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ادلة الذين يدومون طريق المواصلة
بلا انفصال عما سوى الحق ما علموا بكشف الحجب عن قلوبهم فشاهدوا قلت وما صرحت
به هذه السورة الكريمة من الاوصاف الجميلة التي سجل عن اتصافها بالفوز والفلاح شبيه

التعبير للمواعظ المستفيض الذي ارشدنا المولى الكريم جل وعلا في سورة الفاتحة للالجاء
اليه ان يهدينا اليه والموصوفون بتلك الصفات هم الذين انعم الله تعالى عليهم ومن
سواهم من كافر ومنافق هم المغضوب عليهم والضالون **فقد** اتضح لك بذا قوة المناسبة
بين صدر هذه السورة واخر الفاتحة والله تعالى اعلم بغيبه انتهى كلام الشيخ رضي الله
تعالى عنه وحشرنا في زمرته **وقال رضي الله تعالى عنه** في قوله تعالى ان الذين كفروا سواء
عليهم الى قوله لا يومنون زها نصه H ذكر في الاية الشافية ما يدل على كمال دعوة القران في
الاعجاز والهداية وذكر اجلال المتقين الذين انتفعوا بالمواعظ وزواجره وما حصل
لهم بفضل المولى تبارك وتعالى من الخصال المرضية الجميلة الدالة على ما هيّأ لهم من الله تعالى
من التخصيص والعناية ذكر في هذه الاية لسوال سائل يتردد ويسال قائلا بلسان الحال
وبلسان المقال هل نطق مواعظ هذا الكتاب العزيز وزواجره سمع احد من الناس
ثم بقي بعد ذلك على الغفلة ولم يهتد به **فاجاب** سبحانه عن هذا السوال بقوله
ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون لما انعم الله عليهم من الشروط
والايات المحجوبة والاعراض عن تفهمها وعدم الاقبال بالظاهر والباطن عليها استمر
عندهم الانذار وعدمه **وفي** هذه الجملة ايضا تاكيد لما مدح به القران فيما سبق من بلوغه
الرتبة القصوى في كمال الهداية من حيث تضمنها عموم الانتفاع بمواعظه وزواجره
وانه لا يخرج من الانتفاع بانذاره الا من حقت عليه كلمة العذاب وختم عليه بشقاء
الكفر والعياذ بالله تعالى كما نص الوعيد في قوله تعالى ان الذين كفروا من لبس يكاد
يستوي في حقه الانذار وعدمه **بل** يرا ان ما ترك ظاهره وباطنه بالانذار اما قليلا
او كثيرا على حسب ما قدر له **ويحتمل** ان تكون هذه الجملة وكذا ما بعدها وصف المتقين ما قبلها
بناء على ان المتقي بالقران وبانذاره عليه الصلاة والسلام فريقان **احدهما** اهل الكتاب
من المومنين وهم المتقون الذين حصل لهم الايمان بالله تعالى وبرسله وكتبه واليوم الاخر
التحلي بالاعمال الصالحة والتخلي عن الاعمال السيئات واليهم اشار بقوله تعالى هدى للمتقين
الذين يومنون بالغيب الى قوله جل وعلا وهم الذين هم المفلحون من **العرب** الامي وعصاة
المومنين الذين حصل لهم الايمان بالله تعالى ورسله وكتبه واليوم الاخر وغلبتهم الشهوة
فيما وراء ذلك واليهم اشار بقوله تعالى والذين يومنون بما انزل اليك الى يوقنون **ولهذا** وصف

الذين

الفريق الاول بقيامه بقواعد الاسلام زيادة على ما حصل لهم من الايمان وانتصافا على الفريق
الثاني على وجه باطل الايمان وبقدر واذا وصف القرآن بانه هدى للمتقين من الفريق الاول فهو مع
ان غيرهما ايجوز هديه له وليس غيرهما الا اهل الكفر المذكورين في قوله تعالى ان الذين كفروا
وما بعده وفتحة الفريق الاول على الثاني لشرفه وتنبيها من القرآن لعظم اعلا رتب
الهداية وعلى هذا فقوله تعالى اولئك على هدى من ربهم وقوله اولئك هم المفلحون فيحتمل
ان يرجع كل منهما الى الفريقين لاشتراكهما في نيل مطلق الهدى والفلاح وان تفاوتا
في مراتبهما ويحتمل ان ترجع الجملة الاولى الى الفريق الثاني ويكون في هدى للتقليل وترجع
الجملة الثانية الى الفريق الاول على طريق اللف والنشر المعكوس واما اذا قلنا ان المذكورين
فيما سبق انما هم اهل الكمال من هذه الامة وقبلها وقد ذكر في هذه الآية وما بعدها اهل الكفر
وبقي قسم عصاة المومنين مسكوتا عنه وحكمة السكوت عنه اخذه حكما مما وصف به
الفريق الاول وحكما مما وصف به الفريق الثاني لانه شارك الفريق الاول وهم اهل الكمال
في اصل ايمانهم للايمان وشارك الفريق الثاني وهم اهل الكفر في استواء الانذار وعدمه
عليهم فيما اصروا عليه من المعاصي الى الممات اما من تاب قبل الممات وخاف مقام ربه ونها
النفس عن الهوى فهو ملحق باهل الكمال ولكن الانذار وعدمه سواء عليه في الكفر وفي
المعاصي بل انتفع بالانذار بفضل الله تعالى اذ بلغه ملاحظته قبل الممات من ذلك كله
ومن هنا تعرف اكمل محاسن الاتصال بين هذه الآية وما قبلها ولذلك فصلت عنها ولم تعطف
عليها وقوله تعالى ان الذين كفروا صيغة استغراق بحسب الظاهر ثم لا نزاع في التخصيص لان كثيرا
من الكفار اسلموا فلا بد من قرينة تدل على الخصوص كانت ظاهرة في زمن الرسول
عليه الصلاة والسلام فحسن اطلاق العموم لعدم اللبس وظهور المقصود واما ان الذي
بالعام ارادة الخاص جائز وان لم يذكر البيان معه وما عند من يجوز تاخير بيان التخصيص عن وقت
الخطاب قال الامام اختلف اهل التفسير في المراد هنا بقوله تعالى ان الذين كفروا فقيل انهم
روساء اليهود المعاندون الذين وصفهم الله تعالى بانهم يكتمون الحق وهم يعلمون وهو قول
ابن عباس وقيل المراد قوم من المشركين كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة ونظرائهم
وهم الذين جحدوا بعد البينة وانكروا بعد المعرفة ونظيره قوله تعالى فاعرض اكثرهم فهم
لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وكان عليه الصلاة والسلام حريصا على

ايمان قومه جميعا حتى قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا وقال تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ثم انه سبحانه بين له عليه الصلاة
والسلام انهم لا يؤمنون ليقطع طمعه منهم ولا يتأذى بسببهم فان اليأس احدى الراحتين
قلت ويحتمل ان يكون المراد بالذين كفروا من ختم عليه بالكفر في الازل فلم يرد منه الايمان
النافع وهو ما يكون قبل الموت فانه يستوي في حقه الانذار وعدمه ولا يؤمن في وقت
الحاجة الى الايمان وهو حضور الموت وما يسبقه من ايمان قبل ان وجد فهو عارض لا يعتد
به ولا ينفع معه ويجوز الفصل الى هذا المعنى لهذه النكتة في العدول عن التعبير بالماضي المناسب
لهذا المقام لدلالته على الثبوت والعدول الى التعبير بالماضي فيكون الفعل على هذا في معنى
الوصف فهو والله تعالى اعلم فنسأله سبحانه حسن الخاتمة بفضله والكفر في اصطلاح الشرع
على ما حققه البعض عبارة عن عدم تصديق الرسول في شيء مما علم بالضرورة مجيئه به كانكار
وجود الصانع وكونه عالما قادرا مختارا وكونه واحدا منزها عن النقائص والآفات
وكانكار نبوة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم او صحة القرآن والشرائع التي علم بالضرورة
كونها من دين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم كالصلاة والصوم والزكاة والحج وحرمة
الزنا والخمر بخلاف ما الذي يعرف بالدليل انه من دينه مثل كونه تعالى عالما بالعلم اولا وانه مرئي
او غير مرئي وانه خالق لافعال العباد او لا فلا يكون انكاره ولا اقراره داخلا في ماهية الايمان
ولا موجبا للكفر لانه لو كان جزءا من ماهية الايمان لكان يجب على الرسول عليه الصلاة والسلام
ان لا يحكم بايمان احد الا بعد ان يعرف انه عرف الحق في تلك المسائل ولو كان كذلك لنقل على سبيل
التواتر واما الحكم بالكفر في شد الزنار ونحوه فلظهوره علامة الكفر لا لان ذلك كفر واما
الانذار فهو التخويف من عقاب الله تعالى بالزجر عن المعاصي وانما ذكر هذا الانذار دون
البشارة لان تأثير الانذار في الفعل والترك اقوى من تأثير البشارة ولان الاشتغال
بالاهتمام بدفع الضر اشد واقوى من الاشتغال والاهتمام بجلب النفع وهذا الموضع موضع
المبالغة فكان ذكر الانذار اولى وقيل لان الانذار مظنة الانزجار والنجاح وكذلك ذكرت
هذه الجملة المخبرة باستواء وجوده وعدمه لان المخاطب بها في مادة ان ينزجر لكم وقوله
لا يؤمنون ان جعلنا هذه الجملة خبرا لان ولا بينهما اعتراض فلا اشكال وان جعلنا ما قبلها خبرا
لان كانت هذه الجملة مؤكدة لما قبلها وقال الشيخ ابن عرفة فيها فيه عندي احتراس لانه

فقد يكون الاخبار باستواء الحالتين عندهم يقتضي مبادرتهم للايمان وعدم توقفهم فيه على الانذار
بل حسن بعد ذلك فيتبين انه على العكس **قلت** ويحتمل ان يقال لما كان اسباب الايمان متعددة
من خشية الله تعالى وفي الرسول عليه الصلاة والسلام او في دينه او في الخلق او الخوف
على النفس والمال ونحو ذلك لما يلزم من نفي انتفاعهم بالانذار في دخولهم في الايمان نفي
انتفاعهم بسائر الاسباب ايضا **قوله تعالى** فهم لا يؤمنون قطعا للانتفاع بجميع الا
سباب والخطاب في قوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم **يحتمل** ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو الاظهر **ويحتمل** ان يكون من الخطاب العام **قال الامام** واحتج اهل السنة بهذه الاية
ونحوها كقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون **وقوله** تعالى تبت يدا ابي لهب
تكليف ما لا يطاق لان ايمانهم بعدما اخبر الله تعالى بعدمه محال والتكليف بالمحال تكليف
بما لا يطاق **قلت** قال الشيخ ابن عرفة ليس في هذه الاية دليل بوجه لان هؤلاء المخبر عنهم
بعدم الايمان غير معينين فليست هذه كقضية ابي لهب واحتج ابن فورك على ابطال قاعدة
التحسين والتقبيح **قال** لان الله تعالى اخبر ان الانذار لا ينفع في هؤلاء ومن امر بانذارهم
ورده الشيخ ابن عرفة بما سبق من عدم التعيين **قلت** وفيه نظر لان مراعاة الاصلح لو
وجبت عقلا لاقتضت وجوب استثناء هؤلاء من التكليف في نفس الامر حتى لا يقع عذابهم
في الاخرة لانهم معينون عند الله تبارك وتعالى وان لم يتعينوا عندنا فاقتضى وجوب مراعاة
الصلاح والاصلح للعباد في حقه تعالى خلاف ما تقتضيه الاية **كما** قاله ابن فورك رحمه الله تعالى
تنبيه يؤخذ من هذه الاية الكريمة انه ما ينبغي لعاقل ان يغفل عن الاعتماد في جميع
اموره على مولاه الكريم وما ينفعه ذكره ولا التوكل عليه ولا اللجاء اليه بوقوفه مع سبب
من الاسباب **كائنا** ولو ارفع قطب او تحصيل علم نافع او حصول مال او نحو ذلك وليعلم انه
وذو الله لا غنى لاحد عن مولاه العظيم في شيء من الاشياء وانه لا معول في حصول خير الدنيا
والاخرة الا عليه ولا مهرب من كل خوف في الدارين الا اليه الا ترى ان هؤلاء المساكين الاشقياء
ما نفعهم رؤية اشرف الخلق صلوات الله وسلامه عليه ولا انتفعوا بانذاره ولا نفعهم
سماع ابلغ نافع واكمل هاد وهو القران العظيم من اجل ناصح وارحم واعظ وابلغ متكلم
وارأف هاد وابرك مرب في تبيين وتبيينه ومولانا **محمد** صلى الله عليه وسلم فلو كان للاسباب
نفع من قبل انفسها لكان هذا السبب الذي اتفق لهؤلاء الاشقياء اولى الاسباب

بل لما لم يكن لها كانت الاسباب بنفسها ابواب فعلية فقطع النظر لما احلولي ببطء في امر من الامور
والابواب لا تملك لاحد نفعا ولا ضرا ولا عطاء ولا منعا وانما النظر في حصول النافع عند سد
ودفع المضار الى المولى العظيم مالك الخزائن والابواب التي بيده العطاء والمنع وهو يفعل
ما يشاء كيف يشاء والشيء كله في ملكه ولا مكره له ولا رد لما يعطيه ولا يسئل عن فعله تبارك
وتعالى وعلى هذا يجري الاية الكريمة فجملة ان تكون نسبة الاخراج عما توهمه الاية السابقة
وتنبيه قوله تعالى في وصف القرآن العظيم هدى للمتقين من كون القرآن هو السبب المؤثر حقيقة
في حصول تلك الهداية فرفع هذا الوهم وبين بمضمون هذه الاية الاخرى ان تلك
الهداية الحاصلة مع القرآن العظيم انما هي بالمولى الكريم ممن تفضل تبارك وتعالى عليه
بالسعادة والفوز العظيم المقيم اما من اراد سبحانه بعدله ان لا يظفر بالهداية فيرجع
ابدا بالدليل يعتبر هذه شيئا وان وضح له ذلك الفرع من اشرف الخلق الرؤوف الرحيم ولقد
يمر بعض من تفضل المولى الكريم عليه بالسعادة فيعطيه اوصافا عجيبة ما هو للهداية بل انما قصد
جذبة فيظفر بها بالحال اراده له المولى تبارك وتعالى وعلى قصة الشيخ سيما عادة بالعبادة
في حقه حكى الشيخ يوسف بن يحيى التادلي رحمه الله تعالى عن الشيخ ابي عبد الله محمد بن
العسكري رضي الله عنه وكان من الاكابر ان تسلطت اتوابه لما من السودان ما لا يكابد
مختبوز الشيخ ابا عبد الحق ولا سلبته اثوابه حتى اراد ان يفعل الله في حاجة له وكان
الشيخ ابا عبد الحق فيما خرج في المسجد بعد خروج الناس منه فما تنظر الا اللص في باب
المسجد الى ان خرج فتبعه اللص ثم التفت خلفه في الظلمة فتبعه فجاء فما اضطر الى
انتزاع الشيخ ابي عبد الحق ثوبا من تلك الظلمة التي انبعث اليه ان وصل الى البحر وهو حمل
الشيخ الى جماعة فجاء معه اليه وقالوا البطال عند ما حبسنا معه على الماء وغاب ساعة
ثم خرج الى الشط مرجعا الى القرية واللص يتبعه وقد عاين ما عاين فما انقضى
عبد اليه الشيخ ابو الحق وقال له يا هذا خف الله تعالى والزم بيته فالزم بيته
ولم يخرج واقبل على عبادة الله سبحانه الى ان توفي بالصالحين فسبحان اللطيف بعباده
من سبقت له العناية لم تضره الجنايات عند حصول الاسباب الا ثواب بجعل من الاحباب
جاء في الظاهر للخصومية والغواية واختطف عن نفسه فنصب للولاية اللهم
اجعلنا يا مولانا من السعداء الامنين في الدنيا والاخرة بلا محنة يا ارحم الراحمين يا حي

يا قيوم

بيا قيوم يا ذا الجلال والاكرام انتهى كلامه لشيخنا وحبيبنا وبركتنا ووسيلتنا الى ربنا رضي
الله عنه وبرد ضريحه واسكنه من الفردوس فسيحه وجعله بفضله وكرمه ممن تمتع برؤية
ذاته العلية العرية للمثال في كل لحظة بجاه حبيبنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى اله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وقال رضي الله تعالى عنه في قوله
تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة الاية قال الامام البقاعي اعلم ان
الله تعالى لما بين في الاية الاولى انهم لا يومنون اخبر في هذه بالسبب الذي لاجله لا يومنون
وهو الختم قلت ويحتمل ان تكون المناسبة بين هذه الاية وما قبلها انه كالتعليل لمضمون جملة
لا يومنون او التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاحتراس عما توهمه الجملة الاولى وذلك
انه لما قيل سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم قد يتوهم ان سبب عدم تاثير الانذار فيهم جاء
من خلل في التبليغ والانذار فنفته هذه الاية ان عدم تاثير الانذار فيهم ليس لخلل وقع
في الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في تبليغه وانذاره بوجه وانما لموانع حصلت من الرب
الفاعل المختار لا يسئل عما يفعل ولا اعتراض عليه ولا نقص في كل ما اراده تبارك وتعالى بالنسبة
الى ذاته العلية وصفاته المرفعة وذلك المنع هو الختم على قلوبهم اي الطبع عليها الحاجب
لا يجد للايمان سبيلا ولا تقبله اصلا لان شان الختم ان يمنع من التوصل الى ما في داخل المختوم
عليه وفي تفسير ابن عطية قبله ثلاثة اوجه الاول انه حسي حقيقة وان القلب على هيئة
الكف ينقبض مع زيادة الضلال كما ينقبض الكف اصبعا اصبعا الثاني انه مجاز عبارة
عن خلق الضلال في قلوبهم الثالث انه مجاز في الاسناد كما يقال اهلك المال فلانا وانما اهلكه
سوء تصرفه وهذا الثالث لا يجري على اهل السنة القائلين ان جميع الامور والافعال
الظاهرة والباطنة الاختيارية والاضطرارية طاعة كانت او معصية خلق لمولانا تبارك
وتعالى وحده لا شريك له ولا وزير ولا معين له وكيف في كل جزء من الكائنات وانما يتمشى هذا
الوجه على مذهب المعتزلة القائلين ان العبد الموجد لافعاله الاختيارية ظاهرة كانت
او باطنة طاعة او معصية وهي نزعة لابن عطية رحمه الله تعالى ان ينبه على هذا قال
الطيبي والاية حجة لمن يقول ان العقل في القلب ولو كان في الدماغ لقال ختم الله على ادمغتهم
واستشكل تقديم القلب على السمع والبصر والاصل تاخيرهما عنهما لوجهين احدهما ان السمع والبصر
طريقان اليه فلا يلزم من الختم عليهما الختم عليه اذ لعله يعلم المعقولات بقلبه ويلزم من

من الحكم على القلب عدم الانتفاع بمدركات السمع والبصر يعني بان ما يدرك الحمرة من ذكر بعد البعوض ذكر الحكم على القلب الثاني ان المدركات قسمان وجدانيات ومحسوسات فلا يلزم من نفي المحسوسات نفي الوجدانيات بخلاف العكس قلت وهو على نظر قريب فيه مما قبله ثم اجاب بان الطيبي بان المدركات تشتمل على ثلاثة اقسام معقولات ومسموعات ومبصرات فالمعقولات اعمض وادراكها اصعب والمحسوسات ابين فنفي الحكم على القلب ليكون نا سيسا اذ لا يلزم من عدم ادراك الدليل الصعب الغامض عدم ادراك الدليل البين الظاهر واجاب بعضهم بان المعقولات فرع المحسوسات ونفي الفرع لا يلزم نفي الاصل بخلاف العكس وفيه نظر لا يخفى وانما افرد السمع دون غيره لوجه اخر وهو امن اللبس الثاني انه مصدر يطلق على القليل والكثير الثالث اضافته الى الجمع يغني عن جمعه الرابع هو على حذف مضاف تقديره وعلى حواس سمعهم او على مواضع سمعهم الخامس هو عد بين جمع يدل على انه مراد به الجمع السادس الاختصار والاشارة الى انه لا ينفع حذف انه وبا اعتبار مدركاته بخلاف البصر والقلب لتنوع مدركات كل منهما السابع يحتمل ان يكون جمع القلب والبصر لكثرة مدركاتهما في اللحظة الواحدة بخلاف مدركات السمع ورد الاول والثالث بانه مشترك وضعف الشيخ ابن عرفة الثاني بان الحكم ان كان حقيقة في وان كان وللانات ابن عطية فيه انه حسن وقع تعلقه بالسمع على انه مصدر وانما اعين حرف الجر في السمع للدلالة على الاعتناء بالحكم انتهى قلت هذا اخر ما جرى لنا بخط الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به والرجا اننا نبقى بالتفسير رضي الله تعالى عنه الى انتفاع طريقه في ما يسيرنا وبنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عهد اعلم البارى سبحانه **الباب السادس في تفسير لما اشكل من الاحاديث النبوية وما استنبط منها من الاحكام الشرعية** قال رضي الله تعالى عنه في قوله عليه الصلاة والسلام عن رسول الله روا مسلم وغيره بالسند الصحيح عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر قلت ينبغي للذاكر لهذه الاذكار اثر الصلوات ان يرتبها في ذكره على حسب ترتيبها في هذا الحديث فيبتدا اولا بسبحان الله ثم يعقبه بالحمد لله ثم يعقبه بالله اكبر ثم يختم بلا اله الا الله المسمى اخره

من سبح الله دبر كل صلاة الخ انتهى الحمد لله والصلاة والسلام

ووجه المناسبة في هذا التنبيه على ما ظهر لي والله اعلم ان التسبيح مقابلة التبصرة
والتنزيه وفيه سبح في الارض ابعد فيها فمعنى سبحان الله ابعد تنزيه الله عز وجل عن
كل وصف لا يليق بالوهيته جل وعز كالوصف بالحدوث وبخوف العدم والمماثلة للحوادث
وكونه غير قائم بنفسه بان يكون صفة او يحتاج الى مخصص او غير ذلك مما يستحيل
عليه جل وعلا فلما خلا التركة عنه من كل عقد فاسد في حقه تعالى وغسل قلبه من
نجاساته احتاج بعد غسل القلب الى تحليته بزينة احضار الكمالات فقال الحمد لله
اي الثناء على الله تعالى بكل كمال يليق به جل وعلا لوجوب الغنى له تعالى وافتقار الغير
للحوادث والتنزه عن مماثلتها وغير ذلك فالتنزيه بلازم من لوازمها التي غير الكمال يجب اتصافه
تحلية من الاوصاف العلية ولما انتهى القلب عند ذلك بالتحلي من لوازمه الحلول بهذه
الكمالات والتنزه طربا بما غمره من محاسن تلك الصفات التي يستحيل ان يتصف بها غير
مولانا جل وعلا من جميع الكائنات وتنزه العقل في محاسن هذه الروضة الحرمية ذات
المناظر البهية من ماء سلسبيلها المفرد تحت باسقات الانظار المستديرة التي من بعض
مولانا العلي والجلال وخيف عليه من شدة الفرح بذلك ان يسكره ويتولى عليه
القوة الوهمية فيجر برداء الادب بالعجز في حضرة مولانا جل وعز ويعتقد انه
احاط بكمالات مولانا جل وعز فنادى المصاحبه عند ذلك الزم حدك واعرف قدرك
بالله اكبر اي اجل قدرا وارفع جلالا ان يحيط بكمالاته نهاية العقول اللهم لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فرجع العقل عند هذا بعد سكره الذي كاد ان يخامر
قلبه الى صحوه ونكص على عقبه سائلا ما هو اللائق به من سبيل الاقرار بالعجز
عن الاحاطة بجلال مولانا جل وعز واصبح في بساطه خائبا فكاد ان يخامره اولا فقال
الله اكبر ولما كان نهاية العارفين العجز عن الاحاطة وانتهاء وعظم كبريائه
جل وعز ختم لي بالتكبير الذي يقتضيه ولما كانت بدايتهم تنقية البواطن
من مساوئ الكفر الباطنة واعداء الذي يقتضيه ذلك ولما كانت حالهم
المتوسطة التي هي جلال مولانا وكمالاته واثنته في مجمع الواني بيني مواعلي
العجز من كثرتها وعدم النهاية فيها وسطها بالحمد الذي هو الثناء على الله بكمالاته
ولما رجع العقل بعد سكره الى صحوه نادى الا لو علم نداء ضعيفا نداء من ذا بعد
الموت باتري هذه الكمالات التي لا يحاط بها هل يمكن ان توجد من ذاتين او لا

لا يمكن لها الإتيان بذاته واجبة وربما يوسوس العقل مع هذا بسهم ضعيف فيقال خص العقل

ومن سهام العجب والدعوى بأن يقول له هذا ونحن نثبت العقل قوة عظيمة وخلـ
ـقة كبيرة قدرت بفضلها على فتح الخيالات والأوهام وشق فيها بفعلها كثير من العقول
ذوات الأنظار الشريرة والإبداع معضر هذا فإذا انزاح فيغضب يوما أن فتن وللتمدد
فإذا هو لم يزل فيه بعض الريب وقال له لا إله إلا الله وحده لا شريك له أي لا شريك في الوجود ذا
جلال وعز لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فأنى يتوهم أن يكون معه أحد فإن
في ذلك الكمال أو يعجب من سواه من أمر يفعله وقد عم العجز جميع العالم واستحال
منه اختراع شيء من الأقوال والأفعال فما أبعد العجب من عاجز مقهور بين يدي جبار لم
خاف العقل أن ينتحي هذا الوهم الضعيف بعد هذا فيقصم عضوا بسيوف البراهين
اليقينية التي لا يمكن أن يقوى الوهم معها أبدا وقال مستوليا على ما أثبتنا من وجوب
الوحدانية له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فلما ثبت وجوب الوحدانية
الثلاثة وهي وحدانية الذات ووحدانية الصفات ووحدانية الأفعال أمكن بعد بيان
براهينها على طريق اللف والنشر المرتب أو المعكوس أن على الأول وهو كون الملك
والنشر المرتب فكأنه يقول الدليل على استحالة أن يكون مثل الوحدانية جل وعز في
ذاته متصلا كان أو منفصلا أنه لو كان له تعالى مثل في ذاته لكان مسلما وبالملك في
ألوهيته وذلك يبطل انفراده تعالى بالملك كيف وهو تعالى الذي له الملك على الانفراد
أي التصرف التام بالإيجاد والإعدام من غير حجر ولا اعتراض من تحليه جل وعز عن كل
ما تخليه ولا تعلم بل وأيضا الانفراد يوجب أن لا يكون له تعالى نظير ولا نديد أصلا
إذ بذلك على قسم التعدد من وجود العجز لهما الذي ينتجه دليل التمانع بين الإلهين
سواء اتفقا أو اختلفا من عدم النظام فلا بد أن له وجه الاستدلال بقوله له الملك
على قوله لا إله إلا الله وقد تم الحديث في قوله الملك ثبوت في خلق عرضي كيف يكون معه
جل وعز إله وهو متصف بالملك من غير أن يكون معين ولا وكيل وما اتخذ الله من
ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان
الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ثم استدل على كونه
تعالى واحدا في صفاته وأفعاله بقوله له الحمد أي لو كان له تعالى فيما ثبت له لما
انفرد تعالى بالحمد أي بالثناء بكل كمال كيف وله عز وجل الحمد على الحقيقة وحده ذا

بحمادي

بشهادة تحقيقهم المحمول على العامل المؤذن بالحصر ثم استدل على كونه تعالى لا شريك
له أي لا مؤثر معه في وجود من الأشياء بقوله وهو على كل شيء قدير لأنه لو كان في الوجود
مؤثر غير مولانا جل وعز لبقي أثره قادرا ما كانت قدرة مولانا جل وعز عامة لجميع الأشياء
كيف وهو على كل شيء قدير ويبقى عليه تقرير الدلالة على طريق الخلف والتنشير
المعكوس ويبقى أيضا أخذ حدوث العالم من هذا الذكر لأن قوله له الملك يدل على التصر
يف والتدبير في الملك لا يكونان إلا بتخصيص مولانا جل وعز العالم كيف وكل متخصص حادث
بالضرورة ويبقى أيضا وجوب قدمه تعالى والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام
بالنفس إذ لولا وجوب هذه الصفات له تعالى لاحتاج إلى محدث فلا يكون له الملك بل محدثه
حينئذ أولى بالملك منه وكذا يؤخذ منه برهان وجوب عموم العلم له تعالى والقدرة والإرادة
وجوب الحياة لتوقف الملك وهو التصرف التام على اتصافه بهذه الصفات وكذا يؤخذ
برهان وجوب السمع والبصر والكلام له تعالى وأما اتصافه تعالى بالحمد أي الثناء الكامل
كيف وهو تعالى الذي له الحمد أي الثناء بكل كمال ويؤخذ منها الرسل عليهم الصلاة والسلام
وصدقهم من قوله تعالى له الملك لأن من شأن الملك أن يتخذ عبيدا يأمرهم ويطاع وينهى
فيتبع ويرسل بعض عبيده لأنه تعالى بعثهم إليه وطلبه منه ذلك العبيد أن يفعل
جل وعز معجلا يصدقه به فيفعله عز وجل على وفق ما سأله معجلا فقطع أيما تقرر
عندنا بالبرهان أن ما سواه تعالى وأن الملك له تعالى وحده أن ذلك الفعل منه إنما صدر
عبده مثل كلام يبلغ عنه ويبقى عليه استخراج جزئيات عقائد الإيمان كلها
بما فيه من هذه الذكرة وفيها هذا الذكر من بركات كثيرة تنتجها كما أن جواهر هذه الأرض
لما كانت بحرا نتقي به كثيرا كلها نسأله سبحانه أن يتمم نعمائه علينا أعلاها بعد وبشر
بفضله ومن أحبتنا وكل من آمن بالله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما د وقال رضي الله تعالى عنه في تأويل ما أشكل
من الألفاظ الغريبة الواقعة في آخر كتاب البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه
ما نصه باب قول الله عز وجل ملك الناس قوله يقبض الله
عز وجل الأرض يوم القيامة يحتمل أن يكون المعنى يقبض أهل الأرض وكل من في جوفها
من الأموات والجمع في أرض المحشر ويحتمل أن يكون المعنى يقبضها أي إزالتها من موضعها
وتبديلها بأرض أخرى وقوله كاشف أي إزالته وتبديله يوم يبسطها

التي كانتا عليه لمن بعده كما قال تعالى الذي جعل لكم الارض وما شاع عن تعالى الازالة
والتبديل بالتعيض له نه ضرب البسط قوله ويطوي السماء يحتمل ان يكون المراد
بطيها ازالتها ابطا من موضعها حتى يرتفع منها ما انتصب به فيدخلها من مسها
لسكنى الملائكة صلوات الله تعالى عليهم وقوله بيمينه يعني بقدرته وعبر
عنها باليمين لانها يتصرف القادر من الخلق في اوله بقصب الكثير والامر الشرعي
واعراف السموات وازالتها عن جبالتها من الامور العظام بحسب العادة لا بحسب قدرة
الله تعالى ومن ثم جعل الطيرها ناسب ان يعبر عن القدرة المتوجهة للتصرف فيها بلفظ
الدال على القابل باليمين والله تعالى اعلم قوله ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض خطاب
من المولى تبارك وتعالى يقتضي انه عز وجل هو الملك عن ملكه وان جميع اهل السموات
واهل الارض الى المنول بارض الموقف خاضعين وجلين واخرجهم من اماكنهم الارض والسموات
عراة حفاة منحيين وقبض مساكنهم وطواها وخربها فقال عز وجل انا الملك اي انا
المخصوص كان بالملك لحق وكل ملك غيري ملكه المجازي وارتفاعه بغير الحق وعظيم
الى نقمة بهما المسكنة والذلة والعبودية والخشية ولما كانت دعوى الملك انما كان
يتعلق بها ويفتخر بها ويقع بسببها المساكين ملوك الارض واهل السموات مبرؤن
من هذه الدعوى قال تبارك وتعالى اين ملوك الارض اين الذين كانوا يدعون الملك وينكرهم
بسببهم عن الانقياد اللازم به مولانا جل وعز هم اليوم لا يتميزون عن اهل المسكنة بل صاروا
في الخمول والذلة بحيث نكالا ولم الافراع فالحمد لله رب العلمين الرحمن الرحيم ملك يوم
الدين باب قول الله عز وجل وهو العزيز الحكيم قوله حتى يضع
فيها رب العالمين قدمه لا اشكال ان الجسمية والجارحة على مولانا مستحيلة فتعين
التأويل والاظهر انه كناية عن اغناء الله تعالى النار وخلقه فيها الشعور بعظمته والخوف
من عقوبته تعالى لما في ذكرها وحرصها على ما لم يجعل لها الاجزاء انما تغيظ وتهيج
حنقا على الكفار والعصاة كما قال تعالى تكاد تميز من الغيظ وتقول هل من مزيد وتعلو
وتطغى كانها تجاوزا الحدود في بعض الحديث انها تكاد تلتقم اهل المحشر فيكفها الله تعالى
حرتها ويذلها لاذلال متكبر وكفى من اراد اغلاله بقدمه فهو من التجنيب بطرطر وم
والمراد لازمه والله تعالى اعلم باب قول الله عز وجل وهو الذي خلق
السموات والارض بالحق قوله انت نور السموات والارض النور جسم او عرض

صح
قوله العلي
وفي النسخ
وتسوا الحصا
وتسوا البر لطعس
والله اعلم

ودوان

ومولانا جل وعز منزه عنهما فوجب التأويل ويحتمل ان يكون بمعنى اسم الفاعل اي انه
منير السموات والارض او خالق ما فيهما من الانوار الحسية او منور قلوب اهلهما اي هاديهما
وخالق ما في قلوبهم من انوار المعنوية من المعارف والعلوم الضرورية والكسبية **قوله**
ما تقدم في ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت لا شك انه عليه الصلاة والسلام
معصوم من كل ذنب صغيرة وكبيرة وكذا سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فوجب
التأويل ويحتمل ان يكون قال ذلك لتعليم غيره ممن يجوز عليه الذنب تواضعا لله تعالى
واظهارا لغناه سبحانه عن الاعمال اجلا ثواب على شيء منها فرضا او نفلا الا بمحض فضله
وعظيم فضله ورحمته ولا يقرب منه واستغفاره واما لا ان يجيء ان يكون عليه الصلاة
والسلام لما شاهد من جلاله تبارك وتعالى وجماله ما لا يمكن احصاؤه ولا احاطته به
حتى يستحقر العبد في عبادته لمولانا جل وعز وذكره له جميع ذرات الدارين كل
عادة تقع منفردة او منافرة لا يمكن ان تقع الا ناقصة باعتبار ما تستحقه عظمة المولى
المعبود فلا ثواب لشيء منها ولا قبول الا بمحض فضله ومغفرته وما له من سعة الكرم
والجود **باب** قول الله عز وجل ويحذركم الله نفسه: النفس هنا
بمعنى الذات واما النفس التي بمعنى الجسم اللطيف المشابك للاجسام ونحوه الذي
يشبه فهي فيهما مستحيل على المولى تبارك وتعالى **قوله** ما من احد اغير من الله الغيرة
في الخلق انفة وتألم بسبب المخلوق بسبب صورة فاحشة تقع فيمن يجب عليه او مشاركة
له فيما اباحه له من ذلك الطهر مستحيل على مولانا تبارك وتعالى فوجب التأويل والاقرب انه
كناية عن ان زجره الغير وهو المنع من انتهاك الحرم ونشر بعقوبته من وقع في شيء من
ذلك دنيا واخرى الا ان يعفو الكريم بفضله **قوله** وهو وضع عنده على العرش
لا يتوهم منه ان تبارك وتعالى مستقر على العرش وذلك الكتاب عنده حتى كذلك في
ذا استقرار بالمكنة وذا اختصاص بالحيز من صفات الاجرام المحدثة ويتعالى المولى
جل وعز الغني عن سمات الحوادث والمعنى ان ذلك الكتاب عنده عندية اعتناء
اي العادة ان كل ما يعتني به الملوك من الرسوم يكون عندهم وفي خزائنهم وفي رعيتهم
لا يكلونه الى غيرهم فلو ابتغاء به تجنبا عن ابطال الحكم الذي المكتوب بتبديل او محو او
تغيير ومن انواع ذلك الابطال انه لا ينسى العمل بمقتضى ذلك المكتوب اذ هو حاضر عنده
مذكور مرعي **وقوله** فهو عند العرش يتعلق بوضع اي ذلك المكتوب موضوع على العرش

وليس حالا من الضمير المضاف اليه عنده ويكون المعنى هو وضع عنده تبارك وتعالى حال
كونه مستقرا على العرش ايما استقرار لا عقلا ولا عادة ووضع سبحانه ذلك
المكتوب فوق العرش **تنبيه** على تمام الخلق ان يقع في ذلك المكتوب
تبديل او تغيير من شيطان حاسد او غيره لان ذلك الموضع لا يصل اليه انس ولا جن
وايضا فلان جميع المعاصي انما تقع في الارض تحت العرش ولا يصعد رسومها الى ما
تحت ايضا فجعله اشارة الى ان رسم سبقية الرحمة للغضب فلا يستحيل فوق
موجبات الغضب حسا كما استحال معنى وحكما وما استحال حسا ومعنى فهو
غالب لما تحته حسا ومعنى وايضا فلان العرش سقف الجنة ففوقه الكتاب المكتوب
فوق سقفها اشارة الى ان جميع ما فيها من النعيم واللذة والبشر وانما هو من
اثار رحمة الله تعالى وتحت حكمها كما في اثار الاعمال الصالحات استحقاقها وانها
من موجبات فعلها كما يفهمه المعنى لن يدخل الله برحمتي وايضا لما كانت رحمة المولى
تبارك وتعالى لا تنال اهل السموات والارض جعل رسمها فوق الجميع على العرش تنبيها
على ان نعم ملائكته ولذاتهم الحسية والمعنوية انما هي تحت تلك الرحمة التي تفضل
المولى الكريم بكتبها واعتنى بظهورها وتغليبها على الغضب وايضا فيحتمل ان ذلك
المكتوب جعل فوقه دون سائر الجهات تنبيها على سعة وعلو الرحمة ان شاء سبحانه تحول
من اهل السموات والارض لان وصول الشيء النازل من علو اسرع من وصول الشيء
الاتي من سائر الجهات والله سبحانه من اهل السموات والارض لان وصول الشيء
النازل من علو اسرع من وصول الشيء الاتي من سائرها والله سبحانه اعلم بالمراد منه
ووجه المناسبة في تخصيص سبقية الغضب على خلق العوالم انه
جعل على سبيل الاستعارة بالكناية الرحمة والغضب تسابقا عند خلق العوالم كل
يسير بها الى العوالم ليختص من سبق منهما بالحظ الاوفى من العوالم ولا يكون
للمسبوق منهما الا القليل الذي فضل عن السابق فسبقت الرحمة الغضب
فحازت من العوالم اكثرها وهو اهل السموات كلها مع كثرتهم وكثير من غيرهم
ولم يبق للغضب المسبوق الا القليل ممن ينفذ فيه الوعيد بالخلود من كفرة الانس
والجن وكتب رسم هذه السبقية حتى لا يطمع الغضب ان يزيد شيئا على ذلك
القليل الذي جاء في نصيبه وما ذكر هذه الاستعارة ما الطفها وادلها على عظيم

بعض

فضل المولى تبارك وتعالى وسعة رحمته واحسانه حيث جعل الرحمة سابقة للغضب ولو شاء لعكس اذ له ان يفعل ما يشاء ولا يجب عليه ولا حق لمخلوق عليه فتبارك الله رب العالمين **قوله** انا عند ظن عبدي بي قيل معناه انه مع العبد في اذا ظنه به حين يستغفر وبالقبول اذا ظنه حين يتوب وبالاجابة اذا ظنها حين يدعو وبالكفاية له من همه حين يستكفي وبتوكل عليه لان هذه صفة لا تظهر الا اذا احسن ظنه بالمولى تبارك وتعالى وحسن الظن تقبول العمل عند فعله ابتلاء ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة فينبغي للمستغفر والتائب والداعي والعامل ان يأتوا بذلك موقنين بالقبول والاجابة بوعد الله تعالى الصادق واما لو فعل هذه الاشياء وهو يظن انها لا تقبل ولا تنفعه فذلك القنوط من رحمة الله تعالى والقنوط كبيرة واما الظن المغفرة مع الاصرار على المعصية والثواب للعمل مع اهمال شروط الاعمال وغيره فهو جهل ومن مطلبات المرجئة وليس من حسن الظن في شيء لا فائدة يكون هي الجالب لسبب يقتضي النجاة واذا خلى عن السبب فانما هو غرور وتمن وقيل الظن في الحديث يحتمل ان يكون بمعنى العلم واليقين اي انا عند يقينه بنفاذ تصرف الله تعالى فيه وعند يقينه لاحتمال الطارح وان يكون على بابه اذا رجا ذلك في نيل العامل مخصوصه ذلك الموعود به **قوله** وانا معه حين يذكرني اي معه بالتوفيق والنصرة والعناية به تبارك وتعالى عن كل ما سواه حتى يزول وحشته وتطمئن نفسه كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وهذا الاذن والمعية المحسوسة المكانية ونحن نتكلم والمقصود منها بحسب ما يليق ونحملها على طريق التقريب والمبالغة والله تعالى اعلم **قوله** ذكرته في نفسي اي في ذاتي يحتمل ان يكون المعنى ان العبد اذا ذكر الله سبحانه خاليا بحيث لا يطلع عليه احد اثابه جل وعلا بوجه من الخير على وجه لا يطلع عليه احد كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين **قوله** ذكرته في ملأ خير منه يعني به الملائكة عليهم الصلاة والسلام والمعنى انه تبارك وتعالى ينوه باسمه فيهم ويأمر جبريل عليه الصلاة والسلام ان ينادي في بذكره في ملائكة السموات **قوله** وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا الى اخره لا شك ان الحركة والسكون مستحيلان على المولى تبارك وتعالى لانهما من صفات الحوادث فوجب التأويل فالذراع والباع كناية عن مضاعفة الثواب ومقابلة

العمل الصالح بالكلية فيه والهرولة كناية عن الاسراع في انزال الثواب اذ ليس في سرعة العامل
وبطئه الا انقطاع الحظ العمل مع ما يليق به سبحانه من جلائل حيثياته من الكرامات ولذات
المناجاة والانس والمحبة والشوق ولطيف المعاملات واذا لحق للعبد الضعيف
من المولى الكريم مضاعفة الثواب والاسراع به الحاصل بظاهره وباطنه الجانب هو لهذا
ولازم ان تساعده التوفيق ابواب طاعة الليل والنهار بلذة ونسأله تعالى ان يجعلنا **واعلم**
ان الذراع والباع كناية عن مطلق التضعيف ولم يؤتا بهما لبيان قدر التضعيف حتى
يستشكل بان الذراع يقتضي ان مجازات الحسنة بمثليها لا بعشرة امثالها وسبحانه
الذي لا يحيط به الا الله تعالى **ولنا** بان للمراد المجازي به ذراع عند الله تعالى وباعه
على سبيل الاستعارة والتمثيل وما يعلم قدرهما الا الله تعالى والمجازي عليه شبه الجبر
وذراع الضعيف للعصيان وعلى هذا لا يرد الاشكال من اصل والله تعالى اعلم
باب قول الله عز وجل كل شيء هالك الا وجهه اي الا ذاته
اتي اما لعلو وان الوجه بمعنى الجارحة مستحيل على المولى تبارك وتعالى وعبر بالوجه
عن الذات العلية لشرف اسم الوجه فيه اشارة الى غنايه سبحانه وتعالى عن الخلق
وتنزهه عن الانتفاع بوجودهم والعمل الى عند بعض خواصهم واهل طاعته والمتمالكين
من العبيد في خدمته والوقوف بالسمع والطاعة عند امرهم ونهيهم حتى تزول ويعلو
على سر وجودهم من شرف الحضرة وقال تعالى تعبيرا لما في قوله كل شيء هالك الا
وجهه وقال جل من قائل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
اي لا تتغير ذاته العلية بل يبقى كما لم يزل على ما كان عليه فتبارك الله رب العالمين
باب قول الله تعالى لما خلقت بيدي يحتمل ان تكون اليد بمعنى القدرة
وتثنيتها تثنية تكثير باعتبار تعلقات القدرة ويحتمل ان تكون بمعنى النعمة وتثنيتها
باعتبار انها نوعان في نعمتين نعمة جلب المنافع ونعمة دفع المضار والمعنى
انه خلق ادم عليه السلام مصاحبا للنعمتين وبما نحمنا الجليل والرفع ويحتمل ان
يكون اليدان احداهما بمعنى القدرة والاخرى بمعنى النعمة بناء على ان المشترك يستعمل في معنييه
اتفاقا فيهما لفظا ومعنى بل اتفاقهما لفظا فقط ويكون حينئذ فيه تعريض بابليس
لانه خلق بيد واحدة وهي يد القدرة ولم تصحبه يد النعمة بناء على ان الكلام لا يقال في
حقه منحه عليه نظرا لما آل امره **مولد** ويزكي لم خصيصته الا الانبياء عليهم الصلاة

والسلام

والسلام مخصوصون من الاكابر والصغار لكن بعضهم خوفهم من المولى تبارك وتعالى
وتعظيمهم لجانب امره ونهيه يمنعون والحضور رخصة او وقع منه نسيانا خطيئة
تواضعا منه وخوفا وهيبة وحياء ولم يكن الداخل بنفسه خطيئة ولاخذ بتأويل
من يكون هو طاعة او بعض من التأويل قوله فاستاذن على ربي في داره فيه حزبا نعرفه
استاذن على محل رب الملك الموكل على بابه ولعله الموضع الذي يسمى عرصة العرش
دار عظيمة اوسع من الجنان كلها بحيث تسع جميع اهلها واكثر منه باضعاف ذا
مضاعفة واكثرها قيادها ونعما وبساتين فيها تجتمع جميع اهل الجنان لرؤية المولى
تبارك وتعالى في كل يوم جمعة ولم تعد الا للرؤية ولما بها عظيمة وملك موكل عليها
وهذه الدار اختار سبحانه ان يجعلها محلا للتنعم برؤيته والتنعم هنا لجميع الرؤية
بكمال لا يمكن وصفه فالمؤمن يرى في سائر الجنان من جلائل كرمه ونعمته من غير حلول
بذاته العلية هنالك لتعاليه عن الاختصاص بالاحياز والامكنة لكن لما كان
من لوازم من استغرق بدار الملك يوم عادته ولا يزار ولا يخاطب الا فيها ويستاذن عليه
من قصد زيارته ورؤيته والشكوى والشفاعة لديه في تلك الدار اطلق على
هذه العرصة التي جعلها مولانا تبارك وتعالى محلا لرؤيته واثبت لها لوازم
الحلول بالذات من غير حلول له فيها انتهى ادا وان الذي ببابها الموكل عليه الملك
يقول استاذن على ربي قوله فاذا رايت ربي وقعت له ساجدا يعني فاذا
دخلت ذلك الموضع المعد لرؤيته تعالى وازيل عن عيني الحجاب المانع من رؤية
المولى تبارك وتعالى وخلق في عيني البصر المتعلق برؤيته جل وعلا على ما يليق
بجلاله من التنزه عن الجسمية والتحيزية والحلول بالاحياز والامكنة وقعت
له ساجدا قوله فادخل الجنة ثم ارجع يعني ارجع الى المحل المعد لرؤية المولى
تبارك وتعالى لا الى مقامه واشفع عنده تعالى مع استحالة حلوله تبارك وتعالى
في ذلك المكان او في غيره من الامكنة وانما المولى جل وعلا شرف تلك الدار عن
غيرها من الجنان بان جعلها محلا لشهود رؤيته وكشف الحجب عن مشاهدته
والتلذذ بخطابه ومحبته اللهم اجعلنا من الفائزين بهذه المنح الجليلة والظافرين
بهذه النعم الجميلة يا ارحم الراحمين بجاه الجلال والاكرام بجاه نبيك ومصطفاك
الشفيع المشفع عندك سيدنا ومولانا محمد عليه من مولانا جل وعلا افضل

صلاة وأطيب سلام قوله في عيسى عليه السلام ووجه إضافته إلى الله تعالى إضافة
ملك وتشريف قوله فيه الله مثلا أي قدرته تبارك وتعالى في عيسى عليه الصلاة والسلام
عموم تعلق قدرته تبارك وتعالى بجميع هذه الأنواع من العطايا والتصرفات على خلقه
من غير عسر ولا معاناة ولا مجهود ولا ضعف بالتدبير متعلق بمثل التي اجتمع فيها جميع
ما لا يدرك عادة بحيث لا يحتاج فيه إلى معاناة في جميعه وعجز التصرفات يدخل جميع
أفراد جواهر جميع العوالم العلويات والسفليات وأعراضها التي لا يتوهم بقاؤها
إذ الأعراض لا بقاء لها وأفراد الأحياء كلهم بأعراض الحياة والإدراكات والاجتماعات
بين الأجزاء والحركات والسكنات وغير ذلك من الأحوال والأعراض التي لا يحيط بعلمها
إلا مالكها ومخترعها في الأرض والسموات قوله ويده الأخرى تسمى أيضا عليه
الصلاة والسلام تحقيقا أي لقدرته تبارك وتعالى بنوع آخر من الكائنات غير النوع
الأول كالإيراد ليشير إلى أن تعلقات قدرته تعالى متعددة لا نهاية لها فكان كل
تعلق يرتسم في القدرة في الاسم المتعلق المخصوص بالقدرة الأزلية مما يريد التصرف فيه
في الممكنات ولا نهاية لها ولا يشغله سبحانه وتعالى شيء منها عن تعلق غيره فـ
فسبحان من لا يشغله شأن عن شأن قوله إن الله يقبض يوم القيامة الأرض إلى آخره
تقدم شرحه في باب قول الله تعالى ملك الناس قوله إن الله يمسك السموات على أصبع
إلى آخره تقدم أن الجسمية والجوارح مستحيلة على المولى تبارك وتعالى فيحتمل
أن تكون الأصابع هنا أصابع ملك عظيم رفع سبحانه عليها هذه الأجسام وأمسكها
عليها بقدرته إذ لا يستعان بتلك الأصابع بل عندها لا بها كسائر الأسباب العادية
فتكون الأصابع على هذا حقيقة ويحتمل أن تكون الأصابع استعملت على طريق المجاز
والتمثيل في تعلقات قدرته تعالى في إمساك هذه الأجرام العظيمة وعبر عن كل متعلق منها
بالأصبع إشارة إلى عدم الكلفة والتعب في إمساكه تعالى هذه الأجرام العظيمة
بقدرته وكأنه عليه الصلاة والسلام جعل بطريق الاستعارة المكنية القدرة الأزلية
لما كان بها التصرف بمثابة اليد وتعلقاتها بالممكنات بمثابة الأصابع على سبيل التمثيل
والتقريب تنبيها على تيسير جميع التصرفات وسهولتها بلا كلفة أصلا في حق المولى
تبارك وتعالى وأن كل نوع فإنه تبارك وتعالى في السهولة بمثابة من رفع شيئا خفيفا على
أصبع فهو في السهولة بحيث لا يحس بوجعه أصلا ويحتمل أن تكون هذه الأصابع
أسماء لبعض ملائكته والله تعالى أعلم بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا شخص اغير من الله تقدم تفسير الغيرة في حقه تعالى في باب قول الله عز وجل ويحذركم الله نفسه ويؤخذ من هذا الحديث اطلاق الشخص على الله تعالى لان افعل التفضيل انما يكون موصوفه من جنس المفضل عليه لا ضيف اليه اما اذا اخبر المفضل عليه بمن يقتضي ذلك ولذلك صح ان يقال الانسان اسرع من الفرس او ابلد من الحمار وزيد افصح من الحجر واصلب من الحجر بما يفهم ذلك ومن غلطهم في هذا الحديث كثير **قوله** ولا احد احب اليه العذر من الله يحتمل ان يريد بالعذر الاعذار وهو الشيء الذي يقطع العذر ولا تبقى معه حجة ويدل على هذا ما رتب عليه قوله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين وجه هذا الاعذار بمعنى انه حكم ان لا يعذب في الاخرة الا بعده كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وان الحكم ان لا حكم بدونه ويحتمل ان يكون المراد بالعذر اعتذار عبيده اليه بجحدهم وتنقيصهم وتوبتهم ومعنى حب الله العذر انه يقبله ويعفو ويصفح بفضله لمن جاء به كما قال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويكون على هذا المعنى في قوله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين انه بعث مبشرين لمن تاب واعتذر من كفره ومعاصيه بالعفو والمغفرة ومنذرين لمن اصر على كفره ومعاصيه بشدة العقوبة والله تعالى اعلم **قوله** ولا احد احب اليه المدحة من الله هو كناية عن كرم ثوابه جل وعلا عن مدح عبيده بما يليق به اليه من تسبيحه وتنزيهه وتحميده وتمجيده وتوحيده ولا يبعد ان تكون محبته لهذا النوع بمعنى الميل اليه والانس به لا تنزهه سبحانه عن ذلك هو جل وعلا منزه عن ذلك الرجوع غنا يده عن حمد الحامدين وانما عبر عنه عليه الصلاة والسلام بالمحبة عن كثرة الثواب للتنبيه على انه سبحانه يثيب على هذا النوع مثل ثواب الملك الكريم المرء من هو احب شيء عنده وقد علم ما تقتضيه الملوك من العطايا الجليلة في ذلك وان هم في ذلك مثلهم من يمنعهم ومجبرهم وكيف يكون عطاء المولى العظيم الواسع الجواد الغني الكريم وثوابه لمادحه بذكره وقد اجمع عليه الصادق المصدوق انه لا احد احب فيه في ذلك الذي لا احد احب منه عطاء على ذلك فتبا لمن يشتغل بمدح المخلوق الفقير العاجز الناقص ولا يشتغل بنفسه بذكر مولاه الغني الكريم ومدحه الليل والنهار قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا

باب وكان عرشه على الماء **قوله** وقال ابو العالية استوى الى السماء ارتفع يعني ارتفع

الى السماء باعتبار الحركة لا انتقال بالذات العلية اليها لان ذلك مستحيل على المولى
تبارك وتعالى ونحوه ما قال مجاهد استوى على العرش يعني علا عليه قهرا وتصريفا له
ولسائر العوالم علو من مشيئته واما العلو بالذات والجلوس والاستقرار فمستحيل
عليه تبارك وتعالى لانه من صفات الاجرام **قوله** ورد جنبي الله من فوق سبع سموات
الفوقية راجعة للشرف لا للذات العلية **قوله** ان يمين الله ملأى لا تغيضها [illegible] ويسمى
هنا عليه الصلاة والسلام القدرة الازلية باعتبار تعلقها بنفع الكائنات التي يعتد
العقلاء المتكلمون بها يمينا وتشريفا لهذا التعلق وبشارة بكثرته وعمومه التي
لنفع الى العامة لا بالنظر الى قدرة المولى تبارك وتعالى اذ الشأن ان يفعل الشي لواحد
[illegible] باليمين ولما كان لاهم الاخر من الكائنات دون الاول اضافه صلى الله عليه وسلم
لتعلق اخر من تعلقات القدرة الازلية وسماه بدلا عن تسميته يمينا حقا او بيده الاخرى
القبض ونحوه ويتعلق اخرى بالتعرض الماهوية تعلقات قدرته تعالى قدرته جل وعلا
لانها واحدة لا تعدد فيها ومع وحدته فهي متعلقة بجميع الممكنات التي لا نهاية
لها **قوله** كتب عنده فوق عرشه الفوقية مكان للكتب والمكتوب ومما فعلان
حادثان والبيضة ان ترجع الى الذات العلية لتنزهه تبارك وتعالى عن الحلول في المكان والتخصيص
والزمان ومن تكلمنا على هذا في باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه **باب**
قول الله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه يحتمل ان يكون المعنى انها تعرج الى محل
ظهور حكمه بالثواب والعقاب والقبول والرد ويحتمل ان يكون معنى عروجهم اليه
انتهاء الامور اليه تبارك وتعالى يحكم فيها بما شاء كقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
وليس المراد انه تعالى في جهة فوق وتصعد الملائكة اليه لما عرف من وجوب تنزهه تبارك
وتعالى عن الجهات والامكنة **قوله** فان الله يتقبلها بيمينه يعني يتقبلها بالتشريف
لها والتكريم والاعتقاد والتعظيم فضلا منه تبارك وتعالى لا لغرض واستحقاق **ولما**
كان الناس يعتنون بالاشياء التي يحتفون بها ويشرفونها باليمين اطلق التأويل باليمين
في حقه تعالى والمراد لازمه التكريم والتشريف وهو استعمال مجازي مشهور عند العرب
وفي عرف الناس ولهذا يستعملونه في الامور التي لا يكرهونها ولها باليد اصلا يقولون
تحلق على ايش به عليك فلان يمينك وليس المراد فهمها الا اعتناءه بالامور والاهتبال
به **قوله** ولا يصعد الى الله الا الطيب والله تعالى اعلم لا يصعد الى محل قبوله

كما تقدم صح

وتكبيد لا شاطب ولا ينفع الى حكمه فقوله واعتنائه لا ربح طيب وهذا اوفى وبراع
دا اول قوله تعالى اي كتاب الرد على الجهمية وغيرهم وقوله اي كتاب البخاري ربيع سجز باب
قول الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة **قوله** انكم سترون ربكم كما ترون هذا
القمر التشبيه انما هو في عدم حصول الشك وبلا زحام ونحوه عند رؤيته تبارك وتعالى
ولهذا لم يشبه بالشمس لانه هنا المعنى لا مطلقا لحصول الضرر للرائي عند رؤيتها
في بصره فيتشعشع نورها فيه ومن يرى انه يوهم جرمها عليه وليس المراد من التشبيه
انه تعالى جسم نوراني بل وقد يحتج الحلولية القائلين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد اشار
عليه الصلاة والسلام الى بيان وجه الشبه اي التشبيه بقوله لا تضامون في رؤيته فهو
تشبيه رؤية برؤية فيما ذكر لا تشبيه مرئي بمرئي في الكبر والنور والعلو تعالى الله عن
ذلك ليس كمثله شيء وهو السميع البصير **قوله** فيأتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون
هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه الى اخره لا يشك ولا يخفى ان الصور
الجسمية والجسمانية مستحيلة على مولانا تبارك وتعالى فكيف يمكن ان ينتقل فيها من صورة
الى صورة كما عهد في الملائكة وجبريل عليه الصلاة والسلام كيف ومطلق التغير في ذاته تعالى
وصفاته الازلية مستحيل ابدا وانما يتعين حمل هذه الصورة الواقعة في الحديث
والتنقل فيها انه في اعين الناظرين وانه من مخلوقاته ابتلاهم لا صورة جسمانية في ذاته
تعالى ولا انتقل فيها اصلا ابتلاهم بذلك تعالى كما ابتلى الازلي الذي لا مثل له ولا نظير فيما قال انا ربكم
وتعالى انا ربكم عند تلك الصور الجسمانية التي ظهرت لاعينهم وادركوا بالحواس لعلمهم
من الحق جل وعلا في الدنيا انها مستحيلة عليه تعالى فعلموا انه جل وعلا ابتلاهم واستعاذوا
ان تلك الصورة الحادثة من الغائبة لقولهم انا ربكم فلم يقروا الا بذلك الى ان تبدو وامنهم واستمر
ذواتهم على ما ثبت في بعض روايات الحديث فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتي ربنا
اي حتى يتجلى لنا بان يخلق لنا رؤيته ذاته التي عرفناها وجوبا تنزه عن سمات الحوادث
وهو اتيان تجل وكشف وظهور لا اتيان حركة وحلول بزوال المكان محل كل ذات مقهور
ولهذا معنى قوله ايضا فإذا جاء ربنا عرفناه اي اذا تجلى لنا وظهر بازالة ما يحجب عن اعيننا
وخلق الرؤية فيها لزالت العلية عرفناه لما تقرر عندنا في الدنيا من نعوت الجلال والكمال
الذي لا شبيه له ولا مثال ولا شبيه ونحو هذه العبارات في اطلاق المجيء بمعنى التجلي والظهور
لا بمعنى الحركة ولا الانتقال **قوله** تعالى وفي حديث الحق ان تجلى وظهر الا انه تحيز والانتقال د

لاستحالة الحركة على المعاني وهذه الصورة الحادثة التي ظهرت لغير المومنين وسمعوا
عندها الكلام بما قال لكم فتنة عظيمة في التوحيد وهي اخر فتنة يفتتن بها المومنون
في عقايدهم ولم يحصل لهم النجاة منها الا بفضل الله تعالى عليهم بما وهب لهم من المعرفة
به في دار الدنيا وانظر عظيم لطف الله تعالى بالمومنين في هذه الفتنة فانه لم يتعرض ل
بكابدتها عوام المومنين بل كفاهم مونتها والجواب فيها من محض فضل انبياء الله تعالى ورسله
كما في الحديث بعد هذا فلا يتكلم الا الانبياء وليست هذه كفتنة القبر التي يكابدها
كل مومن وحده ومع ذلك دائما لطف المولى الكريم الجلية والخفية لا تفارق عباده
المومنين في كل موطن فلله الحمد لشرح العلمين وتحتمل ان تكون في الداخلة على هذه الصورة
الحادثة بمعنى مع وعليه يجري ما سبق ان هذه الصورة لا وجود لها في الخارج وانما
هي من مخالفة ابصارهم وتحتمل ان تكون بمعنى الباء ويكون اتيه انه تعالى بما هو خلقه
لهم في ذلك المكان فتنة لهم او كانت مخلوقة قبل ذلك وساقها الحق الى ذلك المكان
وقال عندر ونهم لعلها تيان نعالوا الهم انا ربكم على سبيل الفتنة او تكلم الصورة بنفسها
على الغالبية انا ربكم بهي تكلم مخلوقا جاريهم والله تعالى اعلم **قوله** فياتيهم الله في صورته
التي يعرفون يعني يتجلى لهم ويخلق الروية لذاته على الصفة التي يعرفون اختصاصه
بها من الكمال العظيم النعيم المنزلة عن جميع الحوادث فالصورة هنا بمعنى الحقيقة
والصفة لا بمعنى الشكل الجسماني بخلاف الصورة التي ذكرت قبل فانها بمعنى الشكل
الجسماني ويجيء ذكر الصفة الالهية في صحبتها عبر عنها بالصورة على طريق المشاكلة او هي
على الصورة بمعنى الحقيقة لا بمعنى الشكل الجسماني فوقع صورة المسئلة **قوله**
فيقولون انت ربنا فيتبعونه يعني يتبعون امره او اذنه لهم في المجيء الى دار كرامته
ومحل اجتماع الشمل بزيادة خطابه ورويته وهذا كما قال فلان متبع للرسول صلى الله عليه
وسلم معناه متبع لامره كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي وقال واتبعوه
لعلكم تهتدون وانما حذف الامر ونسب الاتباع في الحديث لذاته تعالى للمشاكلة لانه
جاء في ذكر صحبة ذكر اتباع الكفار المعبودات الحادثة التي ذهبت ورايهم الى النار
واعلم انه عليه الصلاة والسلام بين بهذه العبارة التي خرجت عن طريق المجاز
والاستعارة التمثيلية المكنية عظيم اكرام المولى سبحانه لعباده المومنين ومن اجتمع
فيهم من النبيين والمرسلين والاقطاب والاوتاد والابدال والاولياء والعلماء والصالحين

وانم

وأنه سبحانه يتفضل عليهم اعتناء بهم عند وجودهم أرض الموقف قاصدين جنته ودار كرامته
اعتناء منه كريم فرق عليهم خواص عبيده المحبوبين عنده فجاء أتباعهم وأكرمهم إلى المحل
الذي هيأه لهم والتنويه بأقدارهم وإدخال غيرهم الشفاعة وعليهم بأن خرج عن مرتبته وبرز
عن خصه ومحل استقراره الذي فيه يفصل لرؤيته وتلقاهم بجيرا عن المرتبة مسافة
طويلة حتى يأتوا هنالك وصيروا صدورهم بلذيذ رؤيته وطابت قلوبهم بسماع
لذيذ خطابه فلما مضوا ولهم من حضرة الذات يزو وسكنوا بعض ما في صدورهم من الشوق
انو أيدكم الملك راجع إلى داره وموضع تمهيد ملكه الذي يفصل فيه للتمتع بمشاهدته
والتوسع في عطاياه ومنحه ومد خلايهم ضيافته وأمر لعبيده الواقفين أن يتبعوه
إلى داره التي فيها يستغفرون وبالطائف نعم الملك يتنعمون وبالهجوم ويتسعدون
بمجاورة الملك وزيارته ورؤيته في أعياد هذه القرية ويغتبطون بجواره المؤمنين يحبسون
الموافقين لما أجل وعلا في أرض الموقف وسماع خطابه الرفيع وشهودهم لذلك نظير خروج
الملك لعبيده ورؤيتهم وما يقع لهم بعدها من البلد والجنة نظير مرتبة الملك ومحله
المعمرة التي هي رؤية المولى تبارك وتعالى نظير قصر الملك الذي فيه مستقره وفيه سرير
ملكه الذي يجلس عليه للناس وحجبه تعالى بعد أن تراءى في الموقف حتى يدخلوا الجنة
نظير رجوع الملك إلى داره وكونه أمرهم بالمشي والاجتياز على قنطرة الصراط إلى الجنة
ويدخلوا نظير اتباع العبيد الواقفين للملك إلى مرتبته وإثباتها عليه الصلاة والسلام
بعض لوازم المشبه به لا تيان والمجيء والاتباع على طريق التخييل في حقه تعالى إشارة على
التشبيه المضمر في النفس المسمى بالاستعارة بالكناية والمقصود من ذلك التذكير
الله تعالى لعبيده المؤمنين مع غناه سبحانه عنهم وعن أعمالهم وبالتأمل في ذلك يمتلئ
القلب بمحبة هذا المولى العظيم وينسى كل ما سواه من بلائه وبلية الغلبة أيضا
بمحبته هذا النبي الكريم الذي لم ينكشف لنا هذه الأمور العجيبة من غيوب الآخرة إلا على يديه
صلى الله عليه وسلم قوله فيكشف عن ساقه الساق بمعنى قطعة الرجل مستحيل على
المولى تبارك وتعالى لتنزهه تعالى عن الجسمية وأعضائها فتعين التأويل وفيه أقوال
كثيرة وأقربها أن الساق بمعنى النفس والذات وقد ثبت استعمال الساق في ذلك عند
العرب ومعنى كشفه تعالى عن ذاته إزالة الحجب عن أبصار المؤمنين في الموقف وخلق
الرؤية فيها له تبارك وتعالى وليس معناه أنه كان عليه جل وعلا حجاب يحجبه فأزاله عنه

كما يكون بالمولد وراء الستور والجدارات ونحوها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فلا
حجاب لرائي الخلق المقهورين وانما الحجاب على المولى تبارك وتعالى **قوله** بيد قبض قبضة
من النار وليس معنى القبض بكف او جارحة تعالى وجل عن الجارحة وسمات الحوادث وانما
هو عبارة عن سهولة اخراجهم مع كثرتهم من النار ورواية فالشبه الحاصل من رؤية كقبض من شيء
فتناول شيء من موضع ورميه في موضع آخر فسمى عليه الصلاة والسلام تعلق القدرة
كذلك باخراجهم لتعلق التنجيز قبضا للتنبيه على ما ذكر والله تعالى اعلم **قوله**
ويذكر كذباته ثلاث كذبات يعني عرض بها وورى للضرورة الزاكية التي لا يطلب
ذكرها بحسب مقصود سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وسماها كذبا
باعتبار فهم المخاطب والله تعالى اعلم وقد تقدم ثم بيان تنزيه الانبياء عن الذنوب والخطايا
وان ما يسمونه من ذلك خطيئة انما هو على طريق التواضع والدهشة والاشفاق **قوله**
ايتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ليس معناه ان له عليه الصلاة
والسلام ذنب متقدم وذنب متاخر غفرهما الله تعالى لما عرفت من وجوب عصمة الانبياء
عموما وعصمة اشرف الخلق خصوصا واقرب ما يقال ان المراد بالمغفرة هنا وفي سورة
الفتح المغفرة اللغوية وهي الستر وتكون العبارة من باب الاخبار بالطرفين للدلالة
على ما بينهما كقولك قرات القرآن اوله واخره تريد جميعه الذي من جملته محل النسيان والاهمال
فيكون بالوسط وكذا تقول خير البيت اوله واخره للدلالة على انه لم تنل منه شيئا
والمعنى انه احاط بالذنوب الستر بالنسبة الى ساحة نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
فستر عنه اوله واخره فلا يقرب ساحته المطهرة منه شيء فمنه اصلا فتكون من على هذا
للتبعيض ويحتمل ان تكون من في قوله من ذنبه بمعنى عن والمعنى انه ستر عنه عليه
الصلاة والسلام سوابق الذنوب الموجبة والخواطر وحديث النفس والهم
والعزم ولواحقه من الران والقسوة والعذاب والمقت وغير ذلك مما ينشأ عن الذنوب
واذا احيط بالذنب سوابقه ولواحقه فلا يمكن له ان يحل بساحته عليه الصلاة والسلام
واضافة الذنب اليه صلى الله عليه وسلم في الاية والحديث حسن القبول وعدل الى
التعبير بهما عن التعريف فلان لعادة الكلام للتنبيه على احاطة رحمة الله وعظيم فضله
عليه بان يبعد عنه بجميع فضله ورحمته ما هو قابل له عقلا بالنسبة الى مجرد
اسم بشريته والله تعالى اعلم **قوله** فاستاذن على ربي في داره يعني استاذن على

رؤيته في داره التي أعدها سبحانه لرؤيته مع تنزهه عن الحلول في محل
بذاته فلا طاقة لهم إليه لطافة ملكه وتنزهه وهو سبحانه أو بلانه الخ **قوله** وما بين
القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن المراد بالوجه
الذات لما تقدم والمراد بالرداء الصفة وقوله في جنة عدن يتعلق بينظروا فهو
ظرف لنظرهم إلى الله تعالى وليس بظرف للذات العلية والمعنى أنه ليس بين أهل الجنة
وبين أن ينظروا في جنة عدن إلى ربهم إلا صفة الكبرياء وهي العظمة التي اتصفت بها
الذات العلية والمعنى أنه إذا أعطاهم سبحانه بمقتضى كرمه وأشهدهم آثارها لم يستطيعوا
رؤيته تبارك وتعالى ألا ترى أن من خضع في الدنيا لعظمة ملك من الملوك خيل له في غاية
الخضوع حقارة نفسه في غاية لم يقدر أن يجتمع معه ولا أن ينظر إليه هيبة له وقد كانت
الصحابة رضي الله تعالى عنهم لا يستطيعون إحداد البصر في ذاته عليه الصلاة والسلام
تعظيما وهيبة وأين نحن من عظمة رب العالمين ملك الملوك ذي العز المعز القهار
ذي الجلال والإكرام فنسبة عظمته عليه الصلاة والسلام لعظمة مولانا تبارك وتعالى في منعهم
من رؤيته تعالى عند ملاحظة المؤمنين بها وهو ملحق بمقتضاها بالوجه المحسوس المانع من
رؤية من نزه أبدا فإذا أراد سبحانه أن يرى المؤمنين أحضر بقلوبهم صفة جماله من
إحسانه إليهم واعتنائه بهم وعفوه وستره وتجليه عليهم ونحو ذلك من أوصاف فضله عليهم
تبارك وتعالى إليهم فلهم الأنس والمحبة والتلذذ بالرؤية ونظرها بالقلب بلا تشتيت أو
وطلبه الاجتماع والوصلة وإذا أملأ سبحانه قلوبهم بمشاهدة حضرة الجمال الكريم المتعال وغيب
قلوبهم عن مشاهدة العظمة والقهر والجبروت فيحبونه بمكنون من رؤيته والتلذذ
الذي لا يكتنف بشيء في مشاهدته وكان عليه الصلاة والسلام يقول ليس بين أهل
الجنة ورؤيته مولاهم إلا صفة الكبرياء التي اتصف بها لذاته أغيبها عنهم ورفعها فيما
بينه وبينهم وتجلى بصفة الجمال لنظروا شوقا إلى رؤيته والتلذذ بشيء مخالطته
وملكته سبحانه ما أوسع كرمه ونواله وأعم جوده وأفضاله **قوله** لا يكلمهم
ولا ينظر إليهم معناه لا يرحمهم ولا يستحيل أن يغيب عن نظره تعالى وعلمه موجود
من الموجودات فأطلق نفي النظر إليهم والمراد لازمه من الغضب عليهم والانتقام والإعراض
عن رحمتهم **قوله** فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب فقد تقدم
بالبراهين القطعية استحالة الحرف والصوت على كلام مولانا تبارك وتعالى فالمعنى

اذ في الحديث ان الله سبحانه ينادي اهل المحشر بصوت ملك يبعثه الله اليهم فيسمع
صوته من بعد كما يسمعه من قرب يقول عن الله سبحانه انا الملك انا الديان ونحوه مما
يأتي بعد هذا في قول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت معناه بواسطة
صوت ملك يبعثه الله • باب كلام الرب مع جبريل قوله
ان الله تبارك وتعالى فرح بحب جدا اذا معناه فرضي له في معاملته له بالفضل والجميل
من لقاء المحبوب وليس معناه انه مال اليه وانس وانشرح به تعالى عن ذلك وفرح بمعنى
انشراح مستحيل على ذاته وصفاته باب قول الله تعالى يريدون ان
يبدلوا كلام الله قوله يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى
ثلث الليل الآخر لا خفاء ان الجهة والمكان والحركة والانتقال والهبوط والصعود
من صفات الحوادث الناقصة وجميع ذلك مستحيل على المولى تبارك وتعالى فيتعين
ان المعنى ينزل ملك ربنا الى السماء الدنيا فيقول حاكيا عن الله من يدعوني فاستجيب
له الى آخره وقد ورد في بعض روايات الحديث ينزل ربنا بضم اليا رباعيا من انزل ثلاثيا
من نزل وهو يشهد لصحة هذا التأويل والتنزل على هذا التأويل تنزل حسي ويحتمل ان يكون
هذا التنزل تنزلا معنويا ويكون المعنى يتنزل امره انا عن معاملة عبيده اهل الارض بمقتضى
الغضب لكثرة ما وقع منهم من المخالفات في النهار وصار الليل الى معاملتهم بمقتضى الرحمة
في هذا الوقت الذي يطلب فيه قلة المعاصي لنوم اكثر العصاة فيه ويكون سريانه
هذا التنزل المعنوي وجميل هذه المعاملة من سماء الى سماء الى ان ينتهي لظهوره الى ملائكة
سماء الدنيا فيسمعون منه جل وعلا هذا التنزل في هذا الوقت عادة وهو قوله من يدعوني
فاستجيب له الى آخره والله سبحانه اعلم بمراد نبيه عليه الصلاة والسلام قوله
قال الله تعالى اذا احب عبدي لقائي احببت لقاءه واذا كره لقائي كرهت لقاءه ع
الحب من الله ذي الميل والانس والالتذاذ بلقاء المحبوب مستحيل عليه تبارك وتعالى وكذا
الكراهة منه جل وعلا بمعنى النفرة والتألم والانقباض بلقاء المكروه مستحيلة عليه سبحانه
فيحتمل ان يكون المعنى اذا عاملني عبدي معاملة من احب لقائي بان يخدمني بطاعتي
ويزهد في الدنيا والشهوات وكل ما ينقض محبته للقاء محبوب واكثر من ذكر الموت الذي
يلقيه فيه ويلقيني عاملته انا معاملة من يحب لقاءه بان اهون عليه الموت بتقصير
امله واسهل امره واقبل عليه بما يسمع من البشارة عند ذلك وما يرى من الكرامات

فيه

قبلها وبعدها حتى يصح قلبه بسبب نداء الله استيلافا الى رويته مولاه ونقول روحه
لحملته الى النعيم فرحوني اذا عاملني عبدي معاملة من كره لقائي فهل اشتغل بما
يقتضي البعد والغضب من معصيتي والركون الى عالم السموات وتسي الموت والا
خرة عاملته انا معاملة من كره لقاءه بان حجره عن الموت بتطويل امله وكره فساد
الموت واللقا بيانهما من علامات الغضب وشدة العذاب عند الموت حتى لا يكون
شيء حينئذ عنده اكره من الموت فتقول روحه لحملته الى العذاب ويلها اين يذهبون
بها ولا شك ان هذا الذي ذكره من لوازم المحبة والكراهة بان من احب لقاء الملوك
لم يكن له شغل الا التجمل للقائهم ولا يستحضر الا التبرز والتشكر بما ضرا ما يوجب رضاهم
عنه ومن كره لقاهم لم يشتغل الا بما ضاد ذلك حتى يبلغ الى الملك سوق الجنابة
ليستغفر بيه ما ابدى به الملك من العقوبات هذا كله اذا جعلنا من شرطية وان الحب من
العبد للقاء الله سبب في حب الله تعالى لقاءه وان قلنا عكسه وجعلنا حب الله للقاء
عبده هو السبب في حب العبد لقاءه تبارك وتعالى بما يكرمه به عند الموت نجيز حينئذ
ان تكون موصولة لا شرطية والله تعالى اعلم باب كلام الرب عز وجل
يوم القيامة مع الانبياء قوله اذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على اصبع
نقوم تاويل هذا قوله ثم يهزهن يحتمل ان يكون المراد في السموات والارضين والبحار
والمياه والثرى كناية عن اخراج جميع ما في اجوافها من الحيوانات وهي الخلائق
ثم يلقي جميعها للحضور في ارض الموقف لتنبي على ظهرها وما عليها بعد ان يجيبهم فيتفكر اذا
بين ايدي البعثيين هامز احاد ذلك وفي اخبار النبي عليه الصلاة والسلام بوقوع هذا
الامر العظيم وتحيله في النفوس بهذه الاستعارات المكنية والتخييلية ليسعى العا
قل الى النجاة من هول هذا اليوم لتنعيل عمله في طاعة الله تبارك وتعالى والهروب من
معصيته وكل ساعة يشتغل عن رضاه يقدر استطاعته مادام حيا قوله يدنو
احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه يحتمل ان يكون الدنو معنويا اي دنو رحمة وافضال
عليه من المولى تبارك وتعالى حتى يضع كنفه اي سترة عليه تحيا يحجب سبحانه عن
سماع خطابه له كل المخلوقات ويحتمل ان يكون الدنو حسيا لما ابعد من سماع خطابه
له معنى والله سبحانه اعلم بالمراد باب وكلم الله موسى تكليما
قوله ودنى الجبار رب العزة بنزلتي مكان قاب قوسين او ادنى الدنو على الله

بمعنى الحركة والذهاب في المسافة مستحيل لأنه من صفات الأجرام الحادثة فيحتمل
أن يكون في نوع تعلق المصطفى صلى الله عليه وسلم بمعنى في نواله تيسير لقلبه وتسهيل
مشاهدة ذاته عليه في إقلاب قلبه من مشاهدة جماله وإحسانه وطوى عنه في
ذلك الوقت مطالعة جباريته وقهره وكبريائه وترك له أن يقول من معاملته في
بمقتضى الجبارية والجلال التي معاملته بمقتضى الجمال والرحمة والإحسان في
الابتداء وزاد في تقريبه بهذه المشاهدة الجليلة حتى كان في غيبه أنس ووضوح
مشاهدته لذاته الحلية وسماعه لخطابه الأعلى بنفس من جاء من تجبير الملك من
الملوك وذلك العبد بجهة مولاه الملك فيتنزل له عن علاقة الذي يتعزز معه
وضوح ذاته له على التمام وسماع خطابه له على الكمال وطريقه فيه حتى ينزل شيئا بعد
شيء حتى كان وقته في الحضرة في المكان قدر قوسين أو أدنى مجلسين يتمتع بكمال
مشاهدته أعلى تمتع ويزول عنه بهذا القرب كل تعب ويصفى عنه في تحقيق واتضح له كل
هم ووحشة وتعب وتحقق خطابه بمجلسين وتقرب كل الوقوف لقربه منه غاية
القرب ويبقى به أيضا من يبلغه ذلك الخطاب عن الملك من سائر عبيده ملوانه هذا
القرب الحسي تقريبا بالبعد تكلم اللوازم الكثيرة بلا وجه عبارة وهو لفظ مجاز ومعنا اليه
بجهة الزمن جميعها وللتنزل على مقتضى الجبارية والعزة عنه بقوله ودنى الجبار
رب العزة فتدلى أي قرب إلى مصطفاه صلى الله عليه وسلم فتنزل له على مقتضى
الجبارية والعزة ويكون هذا الحديث مثلهما تقرر في قوله صلى الله عليه وسلم وما بين
القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه ومن ذلك تحقيق كلام الصلوات
وتوثيق في غاية لوجوبه ودخل ما بلغ عليه الصلاة والسلام من أمر هذا هذا ما ظهر
لي في ذلك وللعلماء في ذلك تأويلات والله أعلم بالمراد **قوله** فإن رجع إلى ربه فليحيى
عند تعينه رجع إلى طلبه ومناجاته أو رجع إلى المحل الذي اختار أن يسمعه فيه خطابه
ووحيه والله تعالى أعلم وما في أبواب تقرير تأويل مشكله والله الموفق بفضله
انتهى كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وهو في غاية الحسن **قلت**
ووجدنا بخط الشيخ رحمه الله تعالى ورضي عنه سؤالا وجوابا لأقل العبيد
والثاني رضي الله تعالى عنه ونصهما وجدته الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله نسخة السؤال وجوابه الحمد لله ما تقول أيها الفقيه في الحديث
الوارد عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر

ما تقسيم الرحمن نفسه وما الذي تنكره على من صححت بزندقته وعناده، هل تنكر أنه
اسم من أسماء الله عز وجل المشتركة لفظا وتنكر أن تكون صفة من صفات الله تعالى بل
قد أنكرت ذلك الخفيف يرد وقلت كاتبا هذا لا يعتقد أن الرحمن اسم من أسماء الله تعالى ولا
وصفة من صفاته فيتبين لنا ذلك الصفة هل نفسية أو معنوية أو فعلية أو
ذاتية وقولك في كلامك إن الناس في سباب الرحمن إذا اشبه بما تحتقر في سبابك
ويفتري بكفره ويولد ما يطغى في نقمه وهو الرحمن الذي قلنا كما جهلا بعبده معنى
هذا الشرك نفسه هذا كله يحتاج بيانا ونستشهد عليه أقام الحروف عندنا فيه وقلنا
به أولا وآخرا ووقفنا معه أولا وآخرا واجب ولا نكيف ولا نشبه ونقول آمنا
بالله وبرسوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا إذ لا يفهم
الكتاب الآن فيما يرد إلا عيانا بالسمع والله سبحانه منزه عن كل أمر عن قيل وقال وهذا
جوابكم عما قلت ورضي الله عنكم قال وإن قيل ما أعياه هذا وزنه
ورأيت طويل الباع يقصر عن فتى ۞ ولولا أخو التضعيف ساد المجمع
والعلم نور يضعه الله في قلب من يشاء والسلام انتهى وتم الجواب الذي أجاب
به هذا المنكر للحديث وكتب بخط يده بعد إتيان جوابكم وتشنيع المسلمين عنه وظهر
لهم الحق بالواضح لم يرجع كما قال وكتب بخط يده الحمد لله الغافر لا المجز سيدي
أحمد أعز الله مقامه جاءني هذا السؤال مع رجل مجتمعين حبه وملاحظة لم أتبع جوابكم
لو جاءني مع غيره ووجهه مع سواكم لم أحسبه فلما قرأت هذا الكتاب التمسه من
هواء القوم أعار أدوات الجواب عن هذا مع أنهم ضمنوا مكانه في السؤال أولا وقد كتبت
فيه أنا أنبه لا أجيب ولا أراجع ولا أرد لا على المعترض لمنصرية ولبس المنكر لما فيه
والبائع لوجود ما تضمنه مما أشهدت أنه فيه حسبما كتبت فإن يعملوا ولم أر ما أنكروا ونحوا
بنص موجود بحال بنوه في تأليف إمام معتبر وفقيه سامح وكذا في العلم وجب لكم خذه
والنظر ولكن اتماما انكاره مما لم ونبغيه أن هذا هو المطروح المنع وقد كشف ذلك أهل الفن بعلم النظر
ومربية العلم والدين لا مانعا ومبينا الكمال حياته وامتحنه بما لما ينبغي هذا ثم كتبوا
في مسألة الرحمن فعلت لديهم وتحقيق بلدنا الذي أخبر في ذلك هنا من أن الحديث المذكور
في السؤال أعلاه احتج به الزنادقة والدهرية القائلون بأن الله هو الرحمن ورد
عليهم صاحب التأليف المذكور ذلك بما ذكر فيه وما نقله حسبما فيه وقال في المبينة

لم ار هذا التأليف وليس هو عندي فعلقت لا هو عندي وفيه ما ذكرت لك فسكت كما
سكت الخطيب المذكور الذي كذب عليه ذا الامام ابا محمد عبد الله بن ميمون وغيره
فيا اهل الحق وسنة رسول الله اذا عرفتم ما بكم فبكلام وجهتم اليهم من الاسئلة والكتب ولا تزيدكم
من جهودكم شيئا ولا ظننتم انكم تفعلون ذا لا ابقى الحاسدون الحاجرون المبغضون وانا
بحول الله تعالى ومنه ومعونته لا ارجع عما اخذت وبينت في قصيدتي عليه من الفرقين
الا صروا المسألة الذي انعقد فيه الائمة ابن مرزوق وغيره في ذا وبلغ الحديث على الخوف
انه هو من بني سالم مسلول لا شكوك فيه ولا شوك وكذا ما ذكرت فيما في الزمان انه هو
الزماني وانا باق عليه انه قال بعض العلماء رضي الله تعالى عنهم لا خلاف ان الزهر
واقع على الزماني المخلوق واعلم ان فضل القائل لا اسعد لا اصغر ان الاحاديث النبوية
التي وردت في الزمان خرجها مالك ومسلم في التأويل الصحيح وتاول بعضها الامام ابن
مرزوق وغيره وبين ما اخذوا عنها بعضهم على ظاهرها لكن الذين يريدون اعتراضا من هواه
لا يقدروا ان يفعلوا بعلمهم ان يفعلوا بدلائل العلم ما وضعنا في قصيدتنا الزمان بينة بذ
ووضحناه فليفعلوا وينقضوا ما ذكرناه فيها من الاشارة لمذاهب الزهرية والزمانية
والمجوس ومن فعلوا ذا الكلام ارد عليهم بذلك وقولهم مطروح ملغى و لا عند هذا الفقيه
المذكور عقيدة غير ما قال وما كتب في قصيدته عليها اعتمادي جوابك فيما وقع من صاحب
القصيدة من التشنيع بسبب الزمان ورمي من حمل الحديث على ظاهره بالزندقة هل يكون منه
في ذا الادب ام لا وما الذي عندكم هل يبقى الحديث على الظاهر ام لا تأول بينوا لنا
ذا الحكم ماجورين والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وما اجيب على ما كتب
به الي بعض ائمة الفتوى من ائمة تلمسان بنا ابقاء الحديث على ظاهره في جواز تسميته تعالى
بالزمان وتاويله على قول عدم الخلاف في تسميته تعالى بما ثبت من التسميات نحو الاحاد دون
التواتر فالذي يجوز التسمية بخبر الواحد يجوز اطلاق لفظ الزمان اسما لظاهر الحديث والقائل
من لا يجوز التسمية بخبر الواحد يمنع اطلاق لفظ الزمان اسما لله فالاولى ايقاف التحديث ويلد
ايضا على المرتفعات الاول وجد الايهام الفاسد انا نقول الموجب لصحة الاطلاق المرتفع الاول
التوقيف لان التوقيف المفيد بعدم الايهام امتناع كون العدم علة او جزء من العلة للحكم
الحكم الثبوتي على ما تبين في اصول الفقه فمن يرى فضلكم ان تبينوا لنا راي في صحة هذا البناء
او عدمه والله سبحانه يثيبكم ويعظم اجركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته بد ملحفا

صح به انتهى من خط الشيخ رضي الله تعالى عنه ونص جواب الشيخ رحمه الله تعالى ورضي
عنه الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما اه
اما تمهيد الرجل بقوله انا احسب الرملي وابن حجر انه قد بلغه نهي النبي صلى الله عليه وسلم
عن الدوس عليه حديثه الكريم فلا يخفى على من جربه في ذلك وتتابع محنته وتمكن
الشيطان من قلبه الخبيث فيتضح فيه من خلق الكبر والعناد باكبار كبير وفتنته حتى
جعل برايه ما اوجبه الله تعالى من الاذعان والسمع والطاعة لقول المصطفى الرسول د
لسفسطته واستخار بذلك بحلال من العناد وانواع الهذيان والفضول ما بعضه في سمعه الامد
قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله جل من قائل فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما وقوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر وقوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين
يصدون عنك صدودا وقوله عز اسمه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق
منهم معرضون الى قوله تعالى انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه فاولئك هم الفائزون وقوله تبارك وتعالى ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها
للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه في الـ
من الآيات التي لا تحصى كثرة وتنجيز في حق هذا الاحمق الغبي الكذاب انه بالغ في
تاديبه وطول هجرانه وتكثير هجوه لما اظهره من الصلابة واسد وراس شيطانه ولم يزل
من نداء الشديد الطالح اظهر شرة الغضب لله تعالى على من يبدي شيئا من سوء الادب
والاعتراض عند سماع كلامه صلى الله عليه وسلم المنزه عن الخطأ والهوى ومعاملة المتنطع
بالترديد في نحو حديثه وصح مقالته بكل القوى وفي صحيح مسلم من طريق قتادة قال
سمعت ابا السوار يحدث انه سمع عمران بن حصين يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الحياء لا ياتي الا بخير وقال بشير بن كعب انه مكتوب في الحكمة ان منه
وقارا ومنه سكينة فقال عمران احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثني
عن صحفك وفيه ان ابا قتادة حدثنا قال كنا عند عمران بن حصين في رهط وبيننا بشير

ابن كعب يحدث عن عمران يومئذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله فقال
بشير بن كعب إنا لنجد في بعض الكتب أن منه سكينة ووقارا لله ومنه ضعفا فغضب
عمران حتى احمرت عيناه وقال ألا أراني أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعارض
فيه قال فأعاد عمران الحديث وأعاد بشير فغضب عمران قال فما زلنا نقول إنه منا يا أبا
نجيد إنه لا بأس به وفي الصحيحين من طريق ابن شهاب قال أخبرني سالم بن عبد الله أن
عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تمنعوا نساءكم المسا
جد إذا استأذنكم إليها قال فقال بلال بن عبد الله والله لنمنعهن قال فأقبل عليه عبد الله
فسبه سبا سيئا ما سمعته سبه مثله قط وقال أخبرك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتقول والله لنمنعهن يعني رضي الله تعالى عنه إنما تبدأ بإنكار الفاحش
وأنت تتكلم فيه بالرأي كأن بلالا لما اجتهد ورأى في خروج النساء إلى المساجد من
المنكر وأقسم على منعهن رد أبو عبد الله رضي الله تعالى عنه بأن النص لا يعارض
بالرأي ويحتمل أن يكون أبوه رضي الله تعالى عنه لم يقف على هذا الرأي لكنه
غضب عليه لأجل ما رآه منه من سوء الأدب في اللفظ حيث عقب سماع نهي النبي
صلى الله عليه وسلم إذ الواجب أن يتلقى أمره عليه الصلاة والسلام ونهيه بالسمع
والطاعة والتعظيم وصفة التوقير والتبجيل والتكريم ثم إن عرض للمؤمن إشكال
في معنى الحديث تلطف في البحث عنه مع ضبط اللسان عن سوء الأدب في العبارة
وتلطف في استبدادة أغراضه إن كان متعلما ولم يلاط لمادته إن كان معلما بحسن الدفع
ودفع الأشرة كان يقال في هذا الحديث الكريم عند من خصصه في بعض رواياته
لا تمنعوا إماء الله بيوت الله المراد من سائر الروايات بأن يجعل لفظة إماء الله
إضافة تشريف لا إضافة ملك على حد قوله تعالى فبشر عباد الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه وقوله جل وعلا وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا
وقوله في الحديث حكاية عن الرب تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ويجيء
الحديث معلى هذا إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن منع النساء الصالحات المؤمنات
وكنى عليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله إماء الله إذ المتصفات بذلك القائمات
أنفسهن على تحصيل رضى الله تعالى عنه إلا اللاتي لم يتملكهن الهوى ولا استعبدتهن زينة
الحياة الدنيا تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم ومن كان المعنى تلطف الصوفية

عابرة

عائشة بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما في ذلك إشارة إلى تخفيف الحديث مع رعاية
حسن الأدب في الذمة فقالت رضي الله عنها لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل فانظر كيف حسنت
رضي الله تعالى عنها الأدب في عباراتها فبرأت من إضافة منع النساء إلى نفسها و
إلى أحد من الناس كالأزواج والحكام بإضافته إلى من هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم
ومن له الحكم بالمنع وغيره بحسب ما جعل الله تعالى له وأرسله به كما قال تعالى إنا أنزلنا
إليك الكتاب لتحكم بين الناس بما أراك الله وبهذا والله تعالى أعلم نكتة تعبيرها
رضي الله تعالى عنها في هذا الموضع برسول الله ولم تعبر بنبي الله ومن أحكم والله
تعالى أعلم بقولها لمنعهن إلى آخره إجراء لمنعهن في الهيئة القول وأما فعلهن رضي الله
عنها أنه عليه الصلاة والسلام قد منع غير المؤمنات من الخروج إلى المسجد
في زمانها لتعلق النهي عن منع النساء من الخروج بكونهن إماء الله على ما في تقرير
أولا على من قول عمر بن عبد العزيز المحكم من أن حجاء المصالح للمفاسد التي تلزم راجحة لتلك
المصالح أو مساوية لها فإن درء المفاسد أولى من جلب المصالح ومن هذا المعنى
تلطف عمر رضي الله تعالى عنه في منع زوجته من الخروج إلى المسجد فلم يتجاسر
رضي الله تعالى عنه مع شدته وغيرته أن يعارض نهي النبي صلى الله عليه وسلم في منع
زوجته من الخروج بصريح القول وبصريح الفعل لكن تلطف فيه لما رآه فيه من المصلحة
حتى امتنعت زوجته رضي الله عنها من الخروج لنفسها وهذا الاحتمال الثاني
أولى من الأول في تأويل غضب عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما على ولده بلال وسبه له
رضي الله تعالى عنهم جميعهم ومن زاد في المصابيح أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما
لم يكلم ولده وهجره بسبب ما صدر منه إلى أن مات وإذا كان هذا حال السلف في الإنكار على
ما يكون فيه التنطع والتأويل فيه مجال فكيف الحال فيما يصرح فيه بالتنقيص من نهيه
عليه الصلاة والسلام عن سب الدهر فمن أين لهم على عظيم جرأة ذا الأحمق الأخرس
الذي يقول بلا محمد أنا أسب الدهر معارضا لكلام من لا ينطق عن الهوى صلوات الله
وسلامه عليه ما أعظم جرأته وخباءه وأشد محنته وبلاءه **قال الطيبي**
في شرح أحاديث البيعوب عجبت ممن يتسمى بالسنية وإذا سمع من سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وله رأي رجح رأيه عليها وأي فرق بينه وبين المبتدع أما سمع

لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وهذا هو ابن عمر وهو من أكابر فقهاء
الصحابة والمرجوع إليه في الفتيا أولا جنتها كيف غضب لله ولرسوله وهجر ولده كبره
وشيعه روحه إلى الممات لتلك السنة بمجرد الرأي لها بادي وقد روي أن بشيرا المنافق
خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى
كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي
فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال اليهودي
لعمر رضي الله تعالى عنه قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه
فقال للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر رضي الله تعالى عنه مكانكما حتى أخرج إليكما
فدخل عمر رضي الله تعالى عنه فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق
حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت الآية وهي قوله
تعالى ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن
يتحاكموا إلى الطاغوت أي إلى آخرها وقد نقل الشيخ ولي الله تعالى ابن أبي جمرة عن
بعض ملوك العدل والصلاح كان له ولد قد شغفه حبه فجلس معه يوما على طعام
واحد معهما وكان في الطعام دباء فنقل الولد الدباء وقال لا أحبه لم كان النبي
صلى الله عليه وسلم يحبها وأي شيء تحبه أو كلاما يقرب من هذا فقام الملك
أبوه واستقبل ولده هذا حتى أداه ضربه بالسيف ضربة فصل بها عنقه
وما خفنا فقد عاب السنة بما فهمه من حب النبي صلى الله عليه وسلم أن يسمعه مثل
هذا وإن كان هذا لأمر عظيم وأعرف به قدر ما يلزم فلو في المؤمنين يعرف الفرق
بين حال الناس اليوم وبين حال من مضى نسأله سبحانه حسن الخاتمة بفضله
وأما رفع هذا الوجل من حمل الحديث على ظاهره في جواز تسميته تعالى
بالدهر فإن تعرف من أن الباطل ما يستحق به الأدب إذ أن تعرف أنه تكلم من جعله سبحانه
دهرا يزعم أنه كما يقول الدهرية أما من يسميه باسم الدهر لظاهر الحديث مع جزمه
بتنزيهه تعالى عن حقيقة الزمان وإنما يعني الدهر عنده مشتركا اشتراكا لفظيا
بين الزمان وبين ذات الله تعالى الواجبة الوجود المنزهة عن سمات الحدوث فلا
تلزمه زندقة بل ولا معصية أصلا وغايته أنه إذا قام دليل على فساد التأويل أن
يكون مخطئا في هذا الأمر و في الصحيح فيمن قال لأخيه المؤمن يا كافر ولمن توقع لكن

نبه
على أنه ما صنع هذا الملك العدل
بولده إلا لما أساء الأدب في
جناب النبي صلى الله عليه
وسلم رحمه الله هذا الملك

ن

من أهل السنة عن تكفير أهل الأهواء المبتدعة في العقائد يرون أنه لا أحوط إذا يلزم
بتكفير أحد ممن يتلفظ بكلمة التوحيد إلا بدليل قطعي على كفره **وأما** ما يتعلق
بالحديث من الجواب على كلام الإمام في جواز تسميته تعالى بالدهر أو بقول والذي يتجه عندي
أنه يتعين تأويله ولا يجوز أن يسمى سبحانه بالدهر **ووجهه** أن النبي صلى الله
عليه الصلاة والسلام قد أثبت الدهر له تعالى في لفظ الحديث على سبيل الحصر بوجهين
أحدهما تعريف المبتدأ والخبر والثاني ضمير الفصل وكل واحد منهما دليل على
الحصر كما ذكره أئمة البيان مع الاجتماع فإذا تقرر هذا فنقول لا يخلو هذا الحصر
إما أن يكون بحسب التسمية فيكون المعنى لا تسبوا الدهر فإن الله هو الذي يسمى
بالدهر لا غيره وإما أن يكون بحسب المعنى الذي لأجله وقع سبهم للدهر وهو
إيقاع حوادث المصائب والمكروه بهم على ما يعتقدون فيكون المعنى لا تسبوا الدهر
لما تعتقدون فيه أنه فاعل الحوادث وموجدها فإن الله تعالى هو الفاعل
الموجد لجميع الكائنات جملة وتفصيلا بلا واسطة ولا غيره وحاصله فإن
الله الذي له المعنى الذي نسبتموه للدهر بجهلكم وليس في لفظ المعنى للدهر ولا غيره
فسبكم أنتم الدهر من حيث الفاعلية إنما هو لله لا له بكلامه في المعنى سب لله تعالى
ولا خفاء في بطلان الحصر بالمعنى الأول وهو التسمية بالدهر إذ الإجماع على صحة
تسمية غيره تعالى والدهر كالزمان بالدهر فيبطل حمل الحديث عليه لئلا يلزم الكلام من لا يجوز
الخلف في خبره صحيحا فيستلزم الخلف **وأما** الحصر بالمعنى وهو الفاعلية والإيجاد
للحوادث المنسوبة بزعمهم للدهر فلا خفاء في صحته فيتعين حمل الحديث عليه وهو المطلوب
وهذا الوجه للنفي يكاد أن يكون قطعيا في الدلالة على التجوز في الحديث والمجاز عليه
أما فهو من باب إطلاق الدليل والمراد به مدلوله لأن الدهر دليل على الفاعل وليس هو
بفاعل ومجازه حذف والتقدير فإن الله تعالى هو مدبر الدهر ومصرفه كيف يشاء ويمثل
هذا الحديث للسبب الذي فهمناه تنتفي دلالته لما فيه من نحو وجه عن اقتضاء الخطاب
والنسيان **وأما** فهو أيضا كون الحديث ليس على ظاهره مما تقرر في هذا الحديث ذ
والبيان من أن عرف اللغة أن المعرفة إذا اعتبرت بلفظ المعرفة فهي هي لا ولن يجتنبها وقد
اعتبر في الحديث لفظ الدهر المذكور معرفا في قوله عليه الصلاة والسلام لا تسبوا
الدهر بلفظ المعرفة في قوله فإن الله هو الدهر والأول بمعنى الزمان قطعا فيكون الثاني

خ لا الدهر ولا غ

خ عن أحد محمد

كذا للقاعدة السابقة فيتعين الجزم بمنع ذلك لما في فإن الله هو الدهر اهـ شاطبي
وهو الزمان الذي تنسبون إليه الفعل يعني فلا يصلح لشيء من التأثير البتة حتى
يلام أو يسب على أمر يقع فيه مما لا يلائم ولا يفرح على شيء يقع فيه مما يلائم وذلك لأنه
ليس غنيا في نفسه عن البقاء الذي به يتوهم فيه أن يكون فاعلا إذ من لوازم الممتنع أن يكون
غنيا عن كل ما سواه وما يرجح أيضا كون الحديث ليس على ظاهره ما تقرر في فن الأصول
في قاعدة تعارض المجاز والاشتراك أن الأصح تقديم المجاز على الاشتراك **ووجه**
ذلك أنه قد تقرر أن الدهر حقيقة في الزمان بالإجماع فلو أبقينا الحديث على
ظاهره وجعلناه حقيقة أيضا في ذات الله تعالى لزم الاشتراك وإذا أولنا الحديث
لزم المجاز والاشتراك أولى **وثانيا** يرجح أيضا كون الحديث ليس على ظاهره أن قوله صلى الله
عليه وسلم فإن الله هو الدهر لنهيه عن سب الدهر فلو حمل على أن المراد فإن الله يسمى
دهرا لم يكن فيه مناسبة للنهي لأن لسائل أن يقول حينئذ لعل الدهر مشترك فلو قلنا إنما
سببت الدهر الواقع على الزمان لا الدهر الواقع على الله تعالى لما أنكر العلماء بل
العالمين يجوز أن يكون لفظ العالم يطلق عليه وعلى الله تعالى تجلله فإذا كان المعنى
لا تسبوا الدهر فإن الله هو موجد الحوادث كلها لا الدهر وفإن الله مدبر
الدهر نفسه فكيف يتصور أن يفعل الدهر شيئا غيره فإنه يكون حينئذ مناسبا للنهي
عن سب الدهر يوجب تعين **أحد** ... أن سب الدهر من حيث إنه فاعل في
اعتقاد الساب كأنه سب فيه لمولاه فاعل وغيره فإنه الفاعل وحده لا الدهر
فيمتنع وجود سب الدهر له تعالى فلزم وجود السبب في حقه تبارك وتعالى تعظيما
لجنابه وقطعا لتدبيره لا رفع أن كلام حمد الله العزيز بنفي نقص جلاله ينبغي ونحو
لكن إن سب الدهر سبب يقتضي موجب التعظيم ولا فاعل ولكن الله وحده هو
الممتنع بلا واسطة لجميع الحوادث التي تقع فيه وليس للدهر فيها تأثير ولا
تسبب أصلا وسب المخلوق من المخلوق بلا موجب معصية لا محالة اهـ **قال**
قلت يتعين في المناسبة الوجه الثاني إذ على الأول فلا تتم كما تقرر في فن
الأصول أن الشرع على علة حكم لا يطرد من تعريف ذلك الحكم في كل محل وجدت فيه
علته لا يتعين من جهة الشرع ولا شك أن الساب للدهر وإن كان إنما سبه
لعلة الفاعلية للحوادث التي لم تلائمه بحسب زعمه فلا يلزم على حسب مقتضى

القاعدة

ان القاعدة السابقة تعدية حكم السبب الى من وجدت فيه علته وهو مولانا جل وعلا
التي بتصريح بذلك من جهة الشارع **قلت** تلك القاعدة مختلف فيها
وقد قيل ان الشيء علة حكم كان لا تعديته لجميع محال العلة من غيرها حتى يحتاج
الى تعبد بذلك الاجراء فيه بينها في هذا النوع فلا اشكال واذا فيه بينها على الاصح انه لا يكفي
دون التعبد بالقياس مطلقا في الشرع انما نهى عن سب الدهر لاعتقاد الجاهلية فيه ذلك
بعد ان عهد التعبد بالقياس فيلزم من جهة التعبد بالقياس تعدية حكم السبب لمن وجد
فيه الجاهلية حقيقة وهو مولانا جل وعلا وايضا لو لم يكن فيه الا سد الذريعة
وحماية الجناب لارجح عن النص بتلك الحرمة فهي من باب القياس الا انه كان فيها
في المنع بل لو لم يكن فيه الا الشبه بالالفاظ المحرم بالاجماع لكان كافيا ايضا في المنع فقد
او جهل من انه في تهجي ما اختلفا من قبح حمل الحديث على ظاهره في جواز تسميته
تعالى بالدهر وكل واحد منها يستقل وحده بتقبيح ضرر الكلمة على ظاهره فكيف مع اجتماعهما
وبعضها يكاد ان يكون نصا وقد انعقد الاجماع على وجوب العمل بالراجح
وكيف بل نسمعنا فيه روايح القطع وقد انتهى ضعفا او فسادا ما نقل الشارح
عن بعض ايمة تلمسان من فتواه بجواز تسمية تعالى بالدهر ومنعه على اختلافهم
في جواز التسمية بما ثبت من خبر الاحاد وان ذلك محتمل اذ لو سلمنا ان هذا الحديث
يدل على تسميته تعالى بالدهر كيف والقواعد متظاهرة ومتفقة على منع ذلك والذي فيه
اذ ادلتها فيه واحدة وكيف يجاز كيفية على قصر التجوز ذلك منع ان يقال ان على الحقيقة
او تثبت به الحقيقة لان الحقيقة والمجاز من عوارض الدلالة باللفظ لا من عوارض
الالفاظ والدلالة باللفظ راجعة الى ما يقصد المتكلم باللفظ بحيث فهم دليل على مقصوده
فلا ثبوت لغيره من لفظه ولا دلالة للفقه عليه فان اخذ البنا رضي به هذا المعنى
في غير محله ان كان نقله النقيب وان كان تابعا فيه لغيره فقد بان لك ما ذكرنا ضعفه او
فساده كان بما كان وبهذا ايضا تعرف ما انتى به المفتي المذكور من بحث وجوابه
في قوله ابقال بالتعبير ايضا تاويله على المذهب لا اقول لا يلزم القياس لانا نقول الموجب
بعد اطلاق في المذهب لا اقول لا التوقيف المعتبر بعدم لا ابهام لا امتناع كون
العدم علة او جزء علة في الحكم الثبوتي انتهى ذلك لانه يقال له قد بان بما سبق
من المجامعات انه لم يثبت من الشرع توقيف بتسميته تعالى باسم الدهر اذ الغزالي

المتصلة والمنفصلة دلت على أن الشارع لم يقصد بهذا الحديث إلى إثبات التسمية
بل إلى إثبات حكم من أحكام الألوهية والمانع عندنا من حمل الحديث على التسمية ما فهمنا
أو إيهام الجسماني الذي اعترض هذا المجيب على أن اعتراضه عليه أيضا ساقط لأن من
يعتبر نفي إيهام الجسماني في جواز تسميته تعالى إنما يعتبره على الشيء له أو عن مانع
وكلامه ليس علة واحدة بعلة … أيضا لا نسلم أن التوقيف من الشرع علة
لصحة الإطلاق كما اعتقد هذا المجيب بل دليل لأنه نص على حكم شرعي ونصوص
الأحكام الشرعية أدلة عليها لا علل لها والدليل يصح أن يكون عدميا أو وجوديا
عدميا وبعض ما سلكه الإمام المذكور في معنى الحديث من كلا وجهيه **فإن**
قلت ما حكمة العدول في الحديث عن الحقيقة إلى المجاز وهلا قيل لا
تسبوا الله لأن الله هو موجد الحوادث كلها لا الدهر **قلت** عدل في
الحديث عن المجاز لما فيه من المبالغة في التشنيع عن سب الدهر لأن حمل الدهر على ذاته
تعالى بعنوان الحمل يقتضي كما هو أن كل ساب للدهر فسبه إنما هو لله تعالى وهذه
المبالغة العظمى في النهي عن سب الدهر فيها دلالة تامة على جهة الأدب الأخروي والذي
يليق هذا النهي على ما هو عليه من المبالغة الشديدة إنما هو كفر وعناد إذا استند
الدهر ما أجرته اليد العلى التي صدرت فيه المغالطة الشنيعة أن يستند … **ولعل**
صرف في مثل هذا قول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه إن الرجل
ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار سبعين خريفا
نسأله سبحانه السلامة ظاهرا وباطنا من جميع سوء أنواع الأدب التي تفضي
بصاحبها … إلى سوء … ومقصد لمن خلقه سيدنا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما ما ينجي بهما عنا في الدنيا والآخرة كل الأحزان
والكرب قال ذلك وكتبه بخط يده عبيد الله تعالى محمد بن يوسف السنوسي لطف
الله تعالى به آمين من خطه رضي الله تعالى عنه **وسمعته** رضي الله تعالى
عنه يقول قد استشكل الفقهاء ما جاء في الحديث وهو قوله صلى الله عليه
وسلم إن أبغض المباح إلى الله تعالى الطلاق **وفي** … وجه الإشكال أنه قد تقرر أن
أفعل التفضيل هو بعض ما يضاف إليه إذا لم تكن من بعده المفضل وما المضاف هو
قوله أبغض والمضاف إليه هو المباح وإذا تقرر أن أفعل التفضيل هو بعض ما

يضاف

يطاف إليه فيبقى من ظاهر الحديث أن المباح مبغوض إلى الله وثم ما هو أبغض
منه وهو الطلاق وهذا لا يصح لأن المباح ما أذن الشرع في فعله وتركه من غير
ترجيح أحدهما والبغض يقتضي رجحان الترك إما على سبيل التحريم أو على سبيل الكراهة
فكيف يجتمعان وهذا حاصل ما قال الغرابي رحمه الله نفعنا به **فقال** الشيخ رضي الله تعالى
عنه وأجاب الغرابي عنه بجواب ضعيف وبناه على قول ضعيف لبعض الأصوليين
في إطلاق المباح على الواجب والمندوب والمكروه بناء على أن المباح لا حرج فيه فالمباح
عند هذا القائل جنس يندرج تحته ما ذكر فإن كان المباح على هذا القول يطلق على ما
هو أعم فيصح أن يحمل لفظ المباح المذكور في الحديث على بعض أفراده وهو المكروه فيصح
إذا معناه أن يكون المباح مبغوضا إلى الله تعالى وثم ما هو أبغض منه وهو الطلاق
هذا حاصل ما أجاب به الغرابي **فقال** الشيخ رضي الله تعالى عنه ولا يخفى
ضعفه لما تقدم أن حقيقة المباح ما أذن الشرع في فعله وتركه من غير ترجيح
وأجاب الشيخ رضي الله تعالى عنه بما حاصله أنه على حذف مضاف
تقديره أن أبغض أسباب المباح إلى الله أسباب الطلاق وإنما كان أسباب
الطلاق وهو البغض والنفور والسبب الذي يؤدي إلى سوء المعاشرة والمفارقة
من أعظم في البغض من أسباب سائر المباح لأن الشهوة الباعثة على المباح
غير الطلاق إنما هو مجرد الشهوة وتعلق القلب به ومحبة الهمة إليه ولا شك
أن هذه الأسباب ليس فيها ما يدل على المعصية غالبا بخلاف أسباب الطلاق فلهذا
كانت أسبابه أبغض إلى الله من أسباب سائر المباحات والله تعالى أعلم
وأجاب الشيخ أيضا رضي الله تعالى عنه بما حاصله أنه يحتمل أن
يكون المراد من الحديث أن الطلاق أبغض إلى الله من سائر المباحات لأن الطلاق
تنشأ عنه أسباب مذمومة قد تكون ناشئة من ذكر عيوب أحد الزوجين والكشف
بفضيحة كل واحد منهما وعتب وشتم وغير ذلك مما ينشأ عن الطلاق غالبا ولا
شك أن هذه الأسباب التي تنشأ عنه غالبا أبغض إلى الله تعالى من سائر ما ينشأ
عن غيره من المباحات فلم تكن إلا هذه الأسباب المذمومة إلا في الطلاق بخلاف
غيره من المباح **فإن قيل** ما الفرق بين الجوابين لأن كلا منهما ذكرت فيه
الأسباب فقد توهم أنهما متحدان لا متباينان **فالجواب** جلي

وليس بخفي وهو أن يقال الجواب الأول ذكر فيه الأسباب السابقة على الطلاق
بخلاف الجواب الثاني فلم يذكر الأسباب التي ذكرت فيه إنما ذكر الأسباب المتأخرة عن
الطلاق فبان لك الفرق في هذين الجوابين وانتفى بينهما التضاد واتضح قال الشيخ رضي
الله تعالى عنه ويتبين هذا والله أعلم على اختلاف الأصوليين فيما إذا تعارض
مجازان مجاز حذف ومجاز مرسل أيهما يقدم على ثلاثة أقوال قيل يقدم مجاز الحذف لكثرة
استعماله في الكتاب والسنة وكلام العرب فيكون الجواب الأول أقرب على هذا القول
وقيل يقدم المجاز المرسل لأن الأصل في الكلام عدم الحذف والحذف مع عدم قرينة
تدل عليه ممنوع فعلى هذا القول يكون الجواب الثاني أقرب من الأول إذ لا حذف فيه
وقيل هما سواء لأن كلا منهما مستعمل في كلام العرب فعلى هذا لا ترجيح لأحد
الجوابين على الآخر وبمثل هذا الجواب الأخير من جوابي الشيخ رضي الله تعالى عنه تجيب
به عن الحديث الآخر في قوله ما أبغض إلى الله حلالا أبغض إليه من بغض ملكي إلى أمته
ينشأ عن ملك البغض أسباب مذمومة والله تعالى أعلم وقال ولا يستشكل حديث
الطلاق أيضا من وجه آخر وهو أنه يقتضي التعارض لحديث ملك البغض لأن حديث ملك
البغض يقتضي أنه ليس ثم حلال أبغض إلى الله تعالى من ملك البغض وحديث الطلاق يقتضي
بظاهره أنه ليس ثم مباح أبغض إلى الله من الطلاق فهذا وجه التعارض وقد
سألت عنه شيخنا سيدي محمد السنوسي رحمه الله تعالى ورضي عنه بما جاوبني
رضي الله تعالى عنه بما حاصله أنه يمكن الجمع بينهما بأن يرجع حديث الطلاق إلى
الأقوال أي أبغض المباح إلى الله تعالى في الأقوال الطلاق ويرجع حديث ملك البغض للأفعال
أي ما أبغض الله حلالا في الأفعال أبغض إليه من بغض ملكي فعلى هذا وجه الجمع بينهما
في غاية الظهور والله تعالى المسؤول أن يجازي عنا الشيخ رضي الله تعالى عنه بأفضل
الجزاء وأن يجعله ممن يتنعم في أعلى الجنة وبرؤية ذاته العلية في كل لحظة بجاه
سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما دائمين بدوام المولى
الكريم الرؤوف الرحيم خالق الأرض والسماء وسمعته رضي الله تعالى
عنه يقول في قوله صلى الله عليه وسلم من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه ما معناه
أن المراد بهذا الدين المأمور عند ملاقاة الأغنياء وهو لا حتقار ربه خصوصا من متاع
الدنيا وللإنسان ثلاثة أشياء قلبه ولسانه وبدنه وإذا تواضع الفقير للغني

من اجل غناه بلسانه بان يثني عليه وبدنه بالخدمة له فقد ذهب ثلثا دينه
اي ذهب ثواب ما امر به من الاحتقار بما في للسان والبدن فان عظم ما يبدي فقد
ذهب دينه كله اي الدين الذي امر الانسان به ان يحمله بلسانه وبدنه وقلبه
عمره مثلا فان الغني انتشى بالمعنى قال وايضا يصح ان يكون المراد بالدين الصلاة
والصيام والزكاة والحج ونحو ذلك من سائر العبادات لما يترتب عليه من حبط
العمل يرون الكبر لانه علامة ما في التواضع للغني الكراهة او خلاف الاولى انتهى
ما سمعنا من الشيخ **قلت** وهذا الجواب الذي اجاب به الشيخ
رضي الله تعالى عنه قد اشار اليه الاستاذ ابو القاسم انه لحظ يوضح كما وضحه
الشيخ رضي الله تعالى عنه **فقال** سمعت ابا علي الدقاق يقول لما قال صلى
الله عليه وسلم ذهب ثلثا دينه ولم يقل ذهب دينه لان المرء له ثلاثة اشياء قلبه
ولسانه وبدنه فاذا تواضع العقل بلسانه وبدنه للغني من اجل غناه
فقد ذهب ثلثا دينه فان ولو اعتقد العقل التواضع بقلبه للغني كما اظهر ذلك
على لسانه وبدنه فقد ذهب حالة تعبر على المومن نعوذ بالله من كانت هذه صفته انتهى
قلت وقد اجاب الحبري عن هذا الحديث ونصه في الرحلة الحجازية له
واري هذا الحديث مبنيا على الحديث الاخر وهو قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من
كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب
المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود للكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يقذف
في النار فالمتواضع للغني اجل غناه قد سقطت عنه الخصلتان الاوليان لان
حال الغني احب الاشياء عنده واحب المرء لغير الله واذا سقطت الخصلتان من
الثلاث فقد ذهب الثلثان فهذا وجه تخصيصهما والله تعالى اعلم انتهى **قلت**
وقد ذكرت هذا الجواب يوما للشيخ رضي الله تعالى عنه فقال في هذا الجواب
نظر وبين وجه النظر فنسيته لاجل ان طال العهد به **قال رضي الله تعالى**
عنه في كيفية الجمع بين الحديثين اما قوله تفكر ساعة خير من عبادة سنة
وفي رواية خير من سبعين سنة فمعناه انه يحتمل ان يكون التفكر الاول
الذي هو من عبادة سنة يرجع الى التفكر في الموت وما بعده من البعث والحساب
والجزاء ونوال الصراط ونحو ذلك من امور الاخرة والتفكر الثاني وهو التفكر الذي يعدل

عبادة سبعين سنة بل جعل التفكر في الامور اتم جميعه كالتفكر في السموات
والارض والعرش والكرسي وسائر العوالم وكالتفكر في قدرة البارئ سبحانه وتعلقها
بجميع الممكنات وعلمه بكل واجب وجائز ومستحيل وارادته التي تعلقها بكل
ممكن وسمعه وبصره وغير ذلك من عجائب المخلوقات ولا شك ان التفكر في هذه الاشياء
اعلا وافضل من التفكر في المشوق والفهم اهوال الاخرة وبالجملة فالمتفكر فيه ان كان
عاليا فيعظم ثوابه وان كان دنيا فيدنو هذا معنى ما قال الشيخ رضي الله تعالى
عنه **وسمعته** وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول في قول النبي صلى
الله عليه وسلم الدنيا جيفة قذرة ومن قوله صلى الله عليه وسلم في حديث
اخر الدنيا حلوة خضرة قال كيف يجمع بين الحديثين فان ظاهر الحديث الاول يناقض
الحديث الثاني وكذلك عكسه **قال الشيخ** رضي الله تعالى عنه يحتمل ان تكون
الدنيا جيفة قذرة عند ذوي العقول من ابناء الاخرة لانها عندهم نجاسة نتنة
وقذارات قاتلة وكونها حلوة خضرة عند ابناء الدنيا الذين تشبثوا بها ويتقا
تلون عليها لمحبتهم فيها وميلهم اليها ولا شك انها كذلك عند كل فريق قال ويحتمل
ان تكون جيفة قذرة في المآل لانها تؤول الى ذلك وكونها حلوة خضرة في
الحال ولا شك انها كذلك **قال** ويحتمل ان تكون جيفة قذرة في نظر العقل لان العقل
يحكم عليها بذلك وكونها حلوة خضرة اي عند النفس حلوة خضرة وعند العقل
بخلاف ذلك والله تعالى اعلم انتهى معنى ما قال الشيخ رضي الله تعالى عنه
قلت قال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه في لطائف المنن
لذلك قلت ما فيه ذا خبر بانها حلوة خضرة فاعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم
الدنيا جيفة قذرة للتبغيض وقوله الدنيا حلوة خضرة للتعزية اي فلا تغتر بحلاوتها
وان حلاوتها لابد ان تخلفها مرارة وخضرتها تيبس **وقد** سئل صلى الله عليه
وسلم عن اولياء الله تعالى فقال هم الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس
الى ظاهرها انتهى من لطائف المنن نسأله سبحانه التجافي عن فضلات الدنيا
والمودة ظاهرا وباطنا على اهدى سنن بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم وعلى اله عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته
وقال رضي الله تعالى عنه فيما رواه البخاري رضي الله تعالى عنه في صحيحه

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه
ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة
ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه
ليتفصد عرقا انتهى يؤخذ من هذا الحديث جواز إلقاء المعلم للمتعلم ما يعلمه
بصوت عنيف وإظهار سورة فيه لا سيما لمن يراه معرضا عما يلقى إليه ومشتغلا
بغيره وربما ارتقى إلى الضرب فوقه بحسب ما يقتضيه الحال كما يؤخذ منه ويعتد به
أن لم يشتغل قلبه بغير ما يلقى إليه أخذا له بنهاية مقدرة انتهى **وقال**
رضي الله تعالى عنه فيه قول عائشة رضي الله تعالى عنها في شأن النبي صلى الله
عليه وسلم ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد
الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله إلى آخره يؤخذ من تحنث النبي صلى
الله عليه وسلم بغار حراء طلب الخلوة للعبادة والتخلي عن الناس للاستعانة بها
على حضور القلب ولا سيما من لزم الزيارة والشهرة فيهما للسلامة من كثير أنواع الشر
وقد ينتهي إلى حد الوجوب بحسب الأزمنة والأحوال وقرينة النبي صلى الله
عليه وسلم زمانه الجاهلية وتغير أهله وأمره فيه بالتبع له **فروي** عن عبد الله بن
عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذ ذكر الفتنة فقال إذا رأيتم الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا
وشبك بين أصابعه فقلت ما أصنع عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك
وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع أمر العامة **وذكر** في خبر
آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال إن لله أيام الهرج قال خير الناس من الرجال جليس
وذكر ابن مسعود في خبر أهل المحارثة بن عميرة أنه قال إن بقيت بعدي فسيأتي
عليك زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه قائد
العقل قال قلت ومتى ذلك قال إذا أميتت الصلاة وقبلت الرشا وبيع الدين
بعرض يسير من الدنيا فالنجا وثكلتك النجا **قال الإمام الخطابي** رضي الله
تعالى عنه وجميع ما ذكر في هذه الأخبار قد رأيناه بعينه في زماننا وأهله وانظ

لنفسه ثم إن السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين أجمعوا على التحذير من زمانهم
وأهله وأمروا بالعزلة وتواصوا بها ولا شك أنهم أنصح وأنفع ولم يكن بعدهم إلا
الشر والإثم **وذكر** عن يوسف بن أسباط قال سمعت الثوري يقول والله الذي
لا إله إلا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان **قال الإمام الغزالي** رضي
الله عنه فلئن كانت حلت في زمانه ففي زماننا هذا وجبت وافترضت **و**عن
سفيان أيضا أنه كتب إلى عباد الخواص رحمهما الله تعالى أما بعد فإنك في زمن
كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم يتعوذون بالله من أن يدركوا فيما
بلغنا ولهم من العلم ما ليس لنا وكيف بنا بعد حين إذا أدركنا على قلة علم وقلة صبر
وقلة أعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس انتهى **قلت**
فما كيف لو أدرك هؤلاء الأئمة رضي الله تعالى عنهم زماننا هذا الذي أدركناه والله
المستعان وإليه المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو آخر القرن التاسع الذي
أن فيه خروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها ونحو ذلك من أشراط الساعة الكبرى
ولكن زمانهم وإن كان على ما كان عليه فلم يخل من ظهور علماء عاملين ولا من وجود
أولياء في مقام الصدق بحيث يجد المسكين الطالب للآخرة من يهديه إلا اقتداء به
في أقواله وأفعاله ويجد من يعينه على عزمه وإرادته في أحواله **وأما** أهل
زماننا هذا الصعب النكد فلم يبق فيه إلا قطاع طريق الله إن خالطهم أحد لم يكن
علم ودين ضرا إلا أن يأخذ الله بيده ويتخذ الصمت هواه وإن فسد بيده أعني المخالفة
ليسلم له دينه وعلمه أحسن شيء شئته الشياطين وأعانهم على ما قصر منه حيث جهله
فإني له بالسلامة في تلك الحالتين وكيف له بالنجاة في تعاطي الخصلتين وكيف
لا يكون الأمر في زماننا هذا وغاية ما ينقص بدأ كان في علمائنا الذين هم المرجع
في أمر الدين وإقامته لو وفق الله وأشهد أحوالهم أن يقصد ما أكابر أعوان الظلمة
على ظلمهم والمشاركين لهم في أكل السحت وجعلوا من غير مبالاة حتى صار كأنهم قد
سلبوا حقيقة في دينهم وعلمهم **وأما** من يدعي من أولياء زماننا فالحكم فيهم
من له حسن نية ونصح منه للمسلمين لكن تجد شياطين الإنس والجن يحتوشونه حتى
يفسدوا عليه الحال ويردوه إلا أن يعصمه الله إلى أقبح حال ويبغضونه بالظهور
القبيح في قالب الحسن حتى يشاركهم فيما هم عليه من فساد الحال فإنا لله

وإنا

وانا اليه راجعون هذا الزمان الذي كنا نحذره في قول كعب وقول ابن مسعود

ان دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك على ميت ولم يفرح بمولود

فعلى العاقل في زماننا هذا ان يستحمل ما يقدر عليه من التحيل في تحصيل ما يحتاج
اليه من العلم على وجه يختلط معه ان لا يبقى في طبعه من طباع القبيح التي توجد
في علماء هذا الزمان فاذا احصل هذا من نفسه وانزل الناس جملة واجمل ذكره ما
استطاع وليحذر صحبة الظلمة واعوانهم واخذ حظه من الخطط التي توجب اليه
معرفتهم وليجتهد على الدوام توفيقه جل وعلا القناعة والرضا بالدون من
الملبس والماكل والمسكن وبالله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله انتهى من
خطبه رحمه الله ورضي عنه وقال رضي الله تعالى عنه في قوله صلى الله عليه
وسلم بينا انا امشي اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي
جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض الى اخره فقال في جلوس الملك
على الكرسي لا سيما وهو مرتفع بين السماء والارض يحصل له الاحتياج الى ارتفاع على كرسي
دليل على جلوس العلماء للتعليم على الكراسي ليسمع الناس ويكونوا على السواء في
مواجهته والاخذ عنه لا سيما اذا كثروا من فتح شرع المنهم بجمعهم ولا عبارة
وعدا الخطب والملك ان كان مستغنيا عن الكرسي بامكان ثبوته في
الهواء كما ثبت معه فيه لكنه تعليم واشارة الى التزام المعلم القعود والوقار
والهيبة الحسنة كما كان والعارف رضي الله تعالى عنه يلتزم الجلوس على المنصة يجلس
للتحرير منجمعا متهيئا واشارة الى التحرز يعني التزام ملابسه يوم صاحبه الى
المراقي العلية من الكراسي والمنابر ونحوها وهو على المنع مما تقرر به حكمة البعثة
اي ان صحة على مسالك التعلم من غيرهما انتفعت الى مثل هذا المقام لتعالى عليهم هو فيما
هنا لاستدلال ما في الجمعة من حديث مسلم عن ابي رفاعة قلت للنبي صلى الله عليه
وسلم وهو يخطب رجل غريب يسأل عن دينه فاقبل علي واتى بكرسي حسبت قوائمه
من حديد فقعد عليه يعلمني ثم اتى خطبته انتهى من خطبه رضي الله تعالى عنه
ونفعنا به وجمعنا معه في اعلى الفردوس بجاه سيد الاولين والاخرين ومن بيده لواء
المجلين سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله عدد خلقه
ورضى نفسه ومداد كلماته

الباب السابع في تفسير ما اشكل من كلام اهل العرفان وحمله لذلك على اجمل المحامل

قال رضي الله تعالى عنه في معنى الابيات التي تنسب لبعض العارفين وهي

تيمم بماء الغيب ان كنت ذا سر ... والا تيمم بالصعيد وبالصخر

وقدم اماما كنت انت امامه ... وصل صلاة الفجر في اول العصر

فهذي صلاة العارفين بربهم ... وان كنت منهم فانضح البر بالبحر

والنص الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى آله هذه الابيات اشار فيها والله تعالى اعلم الى عقبة الغفلة في المريد
فتمنعه من الدخول في حضرة الله ذاتية ورابية والتمتع بجمال ذاته وصفاته ولا مطمع
للمريد في هذه الحضرة المقدسة حتى يتطهر من هذه الجنابة بعد اعراضه عن الحظوظ والشهوات
وقد اشار الشيخ ابن عطاء الله الى هذا المعنى في قوله كيف يشرق قلب صور الكائنات
منطبعة في مرآته ام كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ام كيف يطمع ان يدخل في
حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته وكما ان تطهر من الجنابة المحسوسة
يكون بالماء وهو استعمال الماء الطهور الذي يرفع الحدث ويذهب الدرن ويزيل وهو
التيمم بالتراب والحجر الذي تستباح به العبادة ولا يرفع الحدث ولا يوجب نظافة
وكذلك التطهر من هذه المعنوية المنسوبة للغفلة يكون بالماء وهو علم الذي يطهر الغفلة
مما يرد عليها من حدثها وازالها من الذكر والفكر والمعارف الربانية والفتوحات
اللدنية وهذه طهارة العارفين اصحاب السر وتجريدها عن كل شاغل ويزيل وهو طهارة
الجوارح الظاهرة بالمجاهدة والرياضة والزهد ونحو ذلك من الاشياء وهذه طهارة المريد
الذي لم يصل بعد وهذا اهل المجد وهو معنى قوله في الطهارة ثم ان انتظاره بالعبادة
صفاء سره يؤدي الى ما نشر انه يمر بها العقلة عن العبادة فيعيش رجوعا الى
الخير بعزة الله ولو في حال صفاء السر لان انتظار الحدث العاقد للماء بالعبادة
وجود الماء الطهور يوجب له ان تنشر النفس بالراحة والبطالة فيحسر انه عاد اليها
للمحافظة على الصلوات ولو وجد الماء الطهور ولذا نقص العارف لصفاء سره بما يليق
من مياه المعارف الربانية وفي الامداد في احوال النهاية ولم تصل بعد الى رتبة الصفاء
والبقاء الذين همهم التمتع بحسن الشاهد لم ينبغ له ان يتيمم لان كل ما كان يعارضه في سلوكه

من الأعمال المتعلقة بالظاهر ومبدأ سلوكه شبيه بوقت صلاة الصبح لأنه أول الانتباه من
نوم الغفلات وفيه يبصر من ظلمة الليل لم يخل من شيء منها وكذا الأعمال البدائية فيها بقية من
ظلمات التغيير ولم يخل من بعضها وأول مقامات المحاضرة شبيه بوقت صلاة العصر
لأنه آخر النهار ومحل حصول الزوال وهذه الأعمال الابتدائية وأنه كل من المبتدي و
المحاضر مطلوبا بشيء ويحصل بالبعض بينهما أن المبتدي يحصل له أول الانتباه وعلى
الذهاب من الظلمات فلا تصفو له كل الصفو والعارف يحصل له في آخر النهار وبعد كمال الانتباه
ومشاهدة [illegible] بضوء الشمس فجعلها أول مخالطة العارف وصل صلاة الصبح في
أول العصر وجعل الصلاة في هذا الوقت صلاة العارفين وهو كذا الإمام في مسنده ونذكر
إنما نذكر الأعمال قبل أن يشاهدها أول وأقوى قوله وقدم إماما كنت أنت إمامه
بوصية منه دائمة [illegible] بعدم مراعاتها [illegible] وهو أنه إذا لاح له شيء
من [illegible] والحق [illegible] بأن الرسول عليه الصلاة والسلام
ونزعوا أمور الأنفس وهلكوا بسببه [illegible] إلا أن العارف
أن يقدم [illegible] له الرسول عليه الصلاة والسلام إماما له ليقتدي بأقواله وأفعاله
ويرتبط به ولا يخالفه بوجه وأما قوله كنت أنت إمامه معناه أن العارف كان
[illegible] حال الابتداء وعند حصول البرهان العقلي على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام
[illegible] عند الله تعالى [illegible] في [illegible] وعزل نفسه
عن كل نظر وأسلم نفسه إلى الرسول وقدمه إماما وحكمه في ظاهره وباطنه وقوله
فإن كنت منه قد نظرا إلى [illegible] يعني والله أعلم إن كنت من العارفين فلا تترك الجمع بين
الشريعة والحقيقة والشريعة [illegible] والحقيقة [illegible] إذ الشيء بها [illegible] فمنه
[illegible] لا إسناد للأعمال والمشيئة
[illegible] ظاهرها [illegible] التوحيد [illegible] واستفهام للعارف
أعمالها وبالله تعالى التوفيق انتهى كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه **قلت**
وقد رأيت هذه الأبيات [illegible] على غير ما سبق وهي
توضأ بماء السر إن كنت ذا سر ... ولا تيمم بالصعيد عن الستر
وقدم إماما كنت أنت إمامه ... وصل صلاة الفجر في أول العصر
[illegible] ومنهم الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن يوسف [illegible]

مطيافه رحمه الله تعالى فقال يريد السر الصوفي في العبادة وان لم تكن في العبادة
وانقلبنا بغير العبادة فعليك بالسنة وقوله ومن امام ابتغي بد العقل
فانه لا يوجد العقل الا بعد وجود الشخص ثم فسر العصر بانها صلاة الصبح
في اول وقتها وما ورد تسميتها عصرا انما يطلق على العصر من صلاة قبل طلوع
الشمس وصلاة قبل غروبها انتهى قلت ولحمل هذه الابيات تفسيرات يطول
تتبعها واقربها واجمعها واحسنها وارشقها تفسير شيخنا رضي الله تعالى عنه
اذ هو تفسير جامع لجميع انواع العبادات الظاهرة والباطنة وغيره من التفاسير
التي تحتملها الابيات داخلة تحت تفسير الشيخ رضي الله تعالى عنه نسأله سبحانه
ان يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته وقال رضي الله تعالى عنه فيما انشده
بعض العارفين ان شمس النهار تغرب بليل وشمس القلوب ليست تغيب
يعني بهذا البيت والله تعالى اعلم تشبيه ما يتقلب فيه من اللذات اولياء الله
تعالى الذائقون للذة محبته تعالى ولذة ما يعطيهم من تبارك وتعالى مما يتقلب فيه
ابناء الدنيا من لذائذ شهواتهم الفانية الناقصة وشهودها المكدر الكثير الكسوف
والخسوف وذلك ان ضوء ما يانس به ابناء الدنيا في هذه العاجلة ضوء الشمس
الحسية اذ قلوبهم مظلمة لا شمس فيها فاذا طلعت عليهم الشمس الحسية انتشروا
في كل الاغراض وطار عليهم النوم والكسل وما رقا لهم الوحشة فبينما هم كذلك
اذ جنهم الليل بظلامه وغربت شمس نهارهم وما رقد انسهم واستوحشوا الظلمة
والفجاج ذوا واحجر منهم الى بيته ولزمه وفترت اعضاؤه وكسلت جوارحه واد
ركد النوم اخو الموت بغيبته عن ادراكه ومحسوساته ولذائذه وتعطلت
منه بسبب ذلك خيرات الدنيا وخيرات الاخرة واما اولياء الله تعالى الذين
طلعت على قلوبهم شموس المعارف الذوقية وحيتها نفوسهم بارواح المحبة الشرقية
فهؤلاء لا غروب لاضواء قلوبهم التي بها يانسون ومتى يهل عليهم تزداد نشاطهم
وانسهم وتنقطع عن لذاتهم وتنقو اعضاؤهم ومهجتهم ويبرز بالهم تلك المعارف
الذوقية ومحاسن انوارها وسلسبيل مياهها العذبة المطردة وتغريد نغمات
اطيارها يحيون ويرهبون ويقومون ويقعدون ومن سورات لذائذها يلذ
والتشوق الى محبوبهم المنعم عليهم بجلاء ذلك تنتكي قلوبهم ويبكون ويترنون

حين

هذا حاله في حياته وأما حاله بعد موته فذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا
ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون
فأين الشمس التي استضاءت لبصائر قلوبهم هؤلاء // الأولياء رضي الله تعالى عنهم ومن
الشمس المحسوسة التي أضاءت لأبصار أبناء الدنيا وأين الحياة من الحياة وأين
الممات من الممات وأين اللذات من اللذات فقد خرج والله أبناء الدنيا من دنياهم ولم
يذوقوا لذة فقد ظهر لك يا مستبان لك أيضا أن شمس النهار المحسوسة التي أضاءت لأبصار
أبناء الدنيا وقلوبهم مظلمة تغيب في الليل ويغيب بغيبتها عن نواظرهم أبناء الدنيا وبقوا
فيه كل ما كانوا فيه محوا وأن شموس القلوب التي أضاءت لبصائر أهل المعرفة والمحبة
لله تعالى لا تغيب في ليل ولا في نهار ولا بعد ممات **قوله**
طلعت شمس من أحب بليل فاستضاءت وما لها من غروب
يعني أن المولى الكريم قد تفضل علي بما تضمنته البيت // أو أن شموس القلوب
فأطلع سبحانه بمحض فضله علي أو في قلبي شمس معرفته ومحبته في الذي هو دائما له
تبارك وتعالى فجلت ظلمات قلبي وملئ بأضواء الهداية وانكشف لي عيانا كل ما
هو كائن من كل ما يكون نقص أو غواية وأبصرت عند ذلك ببصيرتي محاسن جمال الذات والصفات
وتطاير بسطوع ضوئها على بعضي وفي جميع ظلم // الأوهام والخيالات محجوبة
ولطيفة وبهيجة واستراحت جوارحي من تعب ما كانت تكابده في العمل وطار عنها
لما شاهدت ما كنت أعهده فيها من الثقل والعجز والنوم والكسل بطاء وفتى
وزهت بصري وبصيرتي ودام سروري وتنافر عني همي // أو فات تنعمي وحبوري
وعلمت حينئذ علم يقين أن أنا سر كله من أبناء الدنيا ومن لم ينعم عليه بهذا النعيم
العظيم فبينهم الفلاح ونحن بفضل الله الوهاب من أنا العظيم جل وعلا
في ضوء النهار على الدوام وتحقق عندي لما أحبني المولى العظيم على غيري من
الشعوب أن الملوك لو ذاقوا ما نحن فيه من اللذات لزاحمونا عليها وجالدونا
في نيلها بالسيوف وإنما طلعت هذه الشموس على قلبه فالليل له بالنهار
لأن الليل هو وقت عرض جواهر // الأعمال النفيسة وهو قلة المزاحمين عليها
وموسم أفراح مقيمة وأرباح جسيمة وسوق متجر أرواح المعالي وتزيين

المناجات يناديه من جوفه الخالي وهو الثلث الاوسط وما يفيض منه على شموس المطالع
الذوقية والمواهب الربانية فلا يتهيا للتعرض لتلك الذخاير المصونة من اقبال خوف
العوائق الا خاص فليحاولونه ومهم على نية زهرت في الراحات الخلوية والشهوات
النفسية فاذا لو يفضل الله تعالى بالمنح عليهم يصيرون بطالين وقد ابغضهم ويتعرضون لحماية
المولى العظيم لو تفادى الذي تجلى بصفة الكرم في تلك الاوقات لطلاب الشمايلين وقد
دعاهم بلطفه لذلك حتى طلبوا منه جل وعلا نفحة عطفه ورحمة تنجيهم من تلك
الذخاير المكنونة واطلع في قلوبهم من شموس فتح منه الذوقية ما تجلى لهم به عيانا
كل الجمال وكل البشر وسقاهم من كاس محبته شربة سرت في ظواهرهم وتولى صلاحهم
فبسطوا وانمحوا وطمعوا بعد ذلك الادب وادركتهم مظاهر النعم الالهية التي من بها عليهم
الرب المتفضل جل وعلا فهنيئا للشعر والعيد، وايضا الليل يجري فيه العمل السعيد الى
حضور سوق تلك الذخاير ولا يجب امر مدمن بير محبة حرمه عنها من شموس [illegible]
شغل كثير من الناس والجن وشوش منهم كل الخواطر التي تعمر او تغشى
من القلب عن الذكر الى ناشية الليل من اشد وطا واقوم قيلا، وايضا فالليل وقت
اسرى فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم المصطفى الحبيب فيعني موسم ضيافة لكل
من قام في جوف رواقه المنسر على اطباق من كل غني ممد موفي الفضل عارف
فاصطبا عجيبا ظاهرهما يعني فتى نجيب ومن نام او تثاقل حتى مع ذلك
الرواق بطلوع الفجر ورجع تلك الذخاير والعوايد اصبح خبيث النفس ومما
من خيرات المالك الوهاب في الرب الواحد نشيد كلام الشيخ الولي القطب العارف
قدس الله روحه واسكنه في الفردوس فسيحه، وقال رضي الله تعالى عنه
في تعني هذه الابيات التي تنسب للامام الزاهد ابي اسحاق ابراهيم الالبيري رحمه
الله تعالى وهي: رايتك ربي بعين قلبي ✤ فقلت لا شك انت انت

انت الذي حزت كل اين ✤ بحيث لا اين ثم انت

وليس للاين منك اين ✤ وليس للعقل فيك وهم

فيعلم الوهم كيف انت ✤ احطت علما بكل شيء

وكل شيء تراه انت ✤ فمن بالعفو يا الاهي

وليس ارجو سواك انت ✤ انتهى ما نقصد الحمد لله والصلاة

والسلام

والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله **قوله** رأيت ربي بعين قلبي يعني
عرفته بوجوده وما يجب له وما يستحيل وما يجوز ببصيرة قلبي التي هي عين القلب
وهو الجزء منه الذي يقوم به العلم والمعرفة الصحيحة المصيبة **وقوله** فقلت لا
شك أنت أنت يعني وقلت بقلبي لما عرفته بالبراهين ونزهته عن كل ما سواه ولا
شك ولا ريب أنت يا مولاي هو الموصوف بهذه المحاسن التي أبصرها بالبراهين عين قلبي
وإنما رتب القول على رؤية القلب وهو معرفته بالله تعالى تنبيها على حصول الإيمان
عند حصول المعرفة لأن الإيمان على الصحيح هو حديث النفس التابع للمعرفة لا نفس
المعرفة خلافا للشيخ الأشعري ويحتمل أن يكون مراده برؤية عين القلب المعرفة
الذوقية التي هي آخر مقامات السالكين ويكون حينئذ وحينئذ فقوله أنت أنت
أنت الآن بحسب المعرفة الذوقية هو أنت أولا بحسب المعرفة الرسمية التي أنتجتها
البراهين العقلية إذ علامة صحة الذوق أن يجيء على وفق ما شهد به الرسمي ولهذا
استحسن المومنون في الآخرة من الصورة التي تظهر لهم في الموقف على صفة الحوادث
وتقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا أي حتى يظهر لنا على الصفة التي
عرفناه بها من التنزه عن سمات الحوادث كلها ولهذا الدار دار على ما يجب له جل وعلا
خروا له سجدا وتلك الفتنة في الآخرة هي آخر الفتن التي يظهر بها المومن العارف
بما يجب لمولانا وما يستحيل من غيره ولا يسلم من ضرر تلك الفتنة إلا من تقرر عقائده
في حضرة الدار قبل موته واستعد للمهمات على ذلك نسأله سبحانه السلامة من كل
محنة دينا وأخرى **وقوله** أنت الذي حزت كل أين أي أنت الذي أحطت بكل
مكان من العوالم علما وملكا إذ كل العوالم وكل جزء منها لا ينفك عن ملكه
والتدبير لكنها آخر عموم الآن في كل جزء من جزء العوالم يصلح أن يكون مكانا لجزء آخر
ليستقر عليه فالأين إذا صدق بكل جزء من أجزاء العوالم يجوز لكل أين بالملك والتدبير
والقهر والعلم هو معنى ملكه لكل العوالم بتدبيره لشئونها والله تعالى أعلم وحيث لا
أين ثم أنت أشار بهذا إلى المرتبة التي تنزه عن الأين وهي مرتبة الإله الحق الذي يستحيل
عليه الجرمية والعرضية المفتقرة ومن لوازمها الأين ومن التي أراد بها أيضا بقوله
حيث لا أين أنت يا مولاي في المرتبة التي تنزه عن الجرمية والعرضية ومن لوازم
الأين الذي هو من خواص العوالم الحادثة التي حزت جميعها خلقا وملكا وتدبيرا

وكيف يمكن ان تكون يا مولانا في جهة فتشبه ملكك او فلكنا انما يا مولاي في جهة
لا يطلع فيها احد وهي جهة كونك الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد وتمثيل الشاعر رابعة بهذه المنزلة تعريفية المثال قوله وليس للاين منك
اين يعني انه يا مولاي لما تنزهت عن التحيز ووصف الاجرام من قبول الاين والجهات
ولم يكن للاين منك اين اي لم يكن للمعنى الذي وضع المعنى له واستعمل به من جهة جلالك
محل فلا يسلط الكلام الذي يقال فيه اين انت بل يختص ذلك الكلام ويبطل الا ان يريد
به صاحبه غير معنى الاين الحقيقي وينصب قرينة على مراده كقوله عليه الصلاة
والسلام للسوداء اين الله فانه قال عليه الصلاة والسلام ذلك اختبارا لها
هل هي من المشركات والمشركين الذين يعبدون الاصنام التي محلها في الارض وجل تعظيمهم
فيها فيطلعها فاجابت هي بان معبودها ليس الذي يعظم في الارض يعني ومن الاصنام
وانما معبودها الله في السماء لا يعظم فيها صنم بخلاف الارض فانه قد عبد فيها
مولانا جل وعلا وعبد فيها غيره ولهذا لم تشر الى الارض لما في ذلك من اللبس اذ
لا يخلص المعبود الحق فيها بالمعبودات الباطلة في العبادة واكثر ما اشتهر
بانها اجابت بان معبودها الله الذي تعبده الملائكة في السماء وحده كما قال تعالى
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي معبود فيهما او قدم السماء لشرفها
وعدم الاشتراك فيها ويحتمل ان يكون مراده عليه الصلاة والسلام بقوله اين الله
اي اين منزلته في قلبك هل هو مثل منزلته في قلوب المشركين من تسويتهم له تعالى
مع مخلوقاته في الالوهية فاعطوا منصب الالوهية الاعلى ونكالا عبدوا حيث
انبتوا له ما لا يستحقه عقلا ولا نقلا من بعض الحيوانات والجمادات كما قال تعالى الحمد
لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
فذكر سبحانه مجاله التي يعجز عنها كل من سواه فيدل بعقله لا بالحقيقة ولا بالمجاز
ثم الذين كفروا انعم المولى العظيم ومجدوا لاهل وحدانيته وتنزهه عن الشريك في
ذاته وصفاته وافعاله يعدلون به غيره اي يسوونه به واتى بثم لاستبعاد
صدور هذه الرذيلة من العقلاء فاجابت تلك السوداء لذلك بانه هو منفعها
بان منزلة الله تعالى عندها ليس كمنزلته عند المشركين من عدم التعظيم بل هو عندها
في نهاية الرفعة والجلالة في السماء الاعلى لا يصل احد الى قدره ولا الى التشبه به لانه

لا يعظم

لا يعظم

الناس

انتهى مرادا إذا عجزوا آخرا غاية التعجيز فالواجب التعظيم عند الله جلاله أراد لا علا
وعجائب السماء وما أشبه ذلك **قوله** فيعلم لا أين بذاته كلام مرتب على
النفي ولهذا ينصب المضارع أي لا أين له بالفعل ولا بالحصول فيعلم ذاته الا حين
بكنه ذاته إلا أنه لا يعلم بأن كل ما هو فيه فهو في الأجرام الكثيفة كما مثل وبالخفاء
إذ الذات ما أين **قوله** وليس للفهم فيه وهم مراد أي بالوهم هنا ادراك ما يفرز
أمورا من الأجرام والأعراض منها ما كان ومنها ما لم يكن وبالجملة فيوالد ما لا
يخرج عن جنس الأجرام وجنس الأعراض ولما تنزه المولى العظيم أن يماثل
شيئا مما سواه من أجناس الجواهر وأجناس الأعراض عموما فقطعا أحجم الوهم
ورجع خاسئا بعيدا أن يهم الذات العلية ولا صفة من صفاتها لأنه جل الجلال
العظيم خارج وبعيد غاية البعد عن جنس عشه الذي يتمرد فيه **وقوله**
فيعلم الوهم كيف أنت هو مرتب أيضا على النفي الذي قبله يعني أنه لما استحال
ارتسام ذاته العلية أو وصف من صفاته في خزانة الوهم من الأزل والدوام لم يكن
للوهم علم بذاته وإنما العقل هو الذي أدرك من ذاته جل جلاله على الجملة ما استشهدت
به العوالم وعظمه الوهم ما عجز إلا عما وراء ذلك **قوله** أحطت علما بكل شيء يعني أن
المولى العظيم أحاط علما بكل ما سواه وكل ما سواه لا يحيطون علما بكنه ذاته
أو صفة من صفاته وإنما نقل عليهم بنفس يسير من العلم ينتفعون فيه في أمر
دنياهم أو أخرتهم **قوله** وكل شيء تراه أنت أي كل موجود فانت تراه
وسائر الموجودات محجوبة عن رؤية ذاته الجليل لا أن تعجز لمن شئت فيما
شئت من غير تكييف ولا تحديد وهذا كله تحقيق لعظيم ملكه وقدرته وعجز
كل ما سواه له **قوله** بمن بالعفو أي يا الحبيب هذا مرتب على العلم والرؤية لكل
موجود ومن جملة الموجودات المحاسن التي تقع من العبيد وقد علمت أنه أحاط بي
إذ لم ير الملك جناية وإنما شهد عليه بذاته ربما الجنان لا بنكاره وتجربة للشاهد
ونحوه إلا أما إذا علم أن الملك قد رأى جنايته بعينه والبعض أنه في قبضته
الملك انقطعت عنه الحيل كلها ولم يمكنه إلا الانتحال بالذل والخضوع والتضرع بين
يدي الملك والتشفع إليه بخواص حبيبه وبذاته المحمد فيه في طلب العفو
عنه أو جعله ثم هذا الكلام بالدعاء على ما قبله والله تعالى أعلم **اللهم** اختم

ان بالايمان والاسلام والمغفرة لجميع الذنوب بلا محنة يا غفور يا رحيم بجاه مصطفاه
سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه وقال
رضي الله تعالى عنه في قول الامام ابي حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه ليس في الامكان
ابدع مما كان ما معناه ان ذلك الحكم علم البارئ سبحانه لا يتعلق الا بكل ممكن معلوم له جل
وعلا فيستحيل خروجه عن علمه تعالى ويكون معنى هذا الكلام الرد على جهم الذي يزعم
ان علمه سبحانه يتجدد بتجدد الممكنات تعالى الله عن قوله علوا كبيرا قال
الشيخ رضي الله تعالى عنه ويحتمل هذا الكلام وجها اخر وهو ان يكون المراد به اجناس الجواهر
والاعراض والارواح على قول من قال ان الروح ليس بجسم ولا عرض فيكون المعنى ان كل
ممكن يقدر وجوده لا يخرج عن هذه الثلاثة بدليل اجماع اهل السنة رضي الله تعالى عنهم
على ذلك والله تعالى اعلم قال ويحتمل ان يكون مما كان في الازل وهو ذات مولانا
وصفاته العلية ويكون مساقه الرد على المعتزلة الذين يزعمون ان العباد يخلقون افعالهم
ويخترعونها كاختراع الله فهي ما لم يتقدم العلم بها لا افعال ولا اقوال تجتمع شاء الله انتهى
بالمعنى وقال رضي الله تعالى عنه في معنى قول بعض العارفين لو عبد المريد الله
سبحانه مائتي سنة ثم فتر عن العبادة لحظة لكان ما فاته من ثواب تلك اللحظة
اكثر من ثواب مائتي سنة ما حاصله انه لما كان هذا المريد ابتداء امره عزم على عبادة الله عزم
سبحانه ما عاش من عمره وتنوع والثواب على قدر النية استوجب بنيته ثوابا مالا نهاية
له كما ورد في خلود اهل الجنة ان العلة في ذلك نياتهم فاذا فتر المريد عن عبادته سبحانه
لحظة فقد رفض تلك النية المستلزمة ثوابا مالا نهاية له وبالضرورة ان ثوابا ما
لا نهاية له افضل واكثر من ثواب ماله نهاية وهو ثواب مائتي سنة ومن هذا اتضح بعد لدى
دخول الجنة كل يوزن على قدر نيته انتهى بالمعنى قال الشيخ رضي الله تعالى عنه
واجاب بعض الائمة عن هذا الاشكال بان تلك اللحظة يضاف ثوابها لو عمل فيها الى
ثواب مائتي سنة ولا شك ان ثواب تلك اللحظة مع ثواب مائتي سنة اكثر من ثواب
مائتي سنة مجردة عن اللحظة قال الشيخ رضي الله تعالى عنه ولا يخفى ضعف
هذا الجواب لان هذا لا يجهل والحق في الجواب ما ذكرناه والله تعالى اعلم وسئل
رضي الله تعالى عنه عن توهم معارضة بين كلامين وقع للغزالي وغيره احدهما ان
الميت يرى الشداد على من سلم عليه من الاحياء وثانيهما ما حكاه عن بعضهم انه راى

في منام بعض الأولياء ممن كان في مرمات فسلم عليه فأبى أن يرد عليه السلام فقال له
يا سيدي لم لم ترد علي السلام فقال له لأنه عمل والعمل بعد الموت فأجاب
رضي الله تعالى عنه بأنه لا معارضة أولا وآخرا لأنها رؤية نومية فلا تعارض المنقول في
الأحاديث لعدم الاعتماد على أحلام النوم في الجملة وأما ثانيا فإن السلام الذي ذكر
أن الميت يرده على الحي إنما هو السلام الذي يقع من الحي على الميت في الجملة على
سبيل الدعاء والتأنيس له بالزيارة فيرده الميت عليه على سبيل الدعاء له والتأنيس له السلام
بالزيارة فيرده الميت عليه على سبيل الشكر له والمجازاة له على صنيعه معه وإن انقطع
التكليف عنه بزواله وأما السلام الذي لم يقع فيه الرد فهو سلام صدر من نفسه
ومليء لا تكليف عليه ولا انتفاع بما يصدر منه فلم يستحق جوابا وأما ثالثا فالرد
من الميت على المسلم ليس على سبيل الوجوب والتكليف بل على سبيل التحبب والمجازات
الجارية فذكر الميت في مسئلة الرؤيا ليتبين للمسلم الحي حكمه وينبهه على فضيلة الحياة
ليغتنمها ويبادر في الحظ منها لعمل طاعة الله تعالى والله تعالى أعلم وبالله التوفيق
انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به ووفقنا إلى اتباع آثاره وجعلنا بفضله
وكرمه من جواره في جوار سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله عدد
خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

الباب الثامن في بعض أوراده حض عليهم ملازمتها

وأحزابه وذكر أدعية نفيسة كتبها بخطه رضي الله تعالى عنه كثيرا ما يكتب الأحزاب في
هذه الأوراد ونقلتها هنا من خطه رضي الله تعالى عنه ونصه الحمد لله والصلاة
والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله من الأوراد التي ينبغي للإنسان أن
يلازمها أنه إذا ركع ركعتي الفجر يقول وهو على حالته ثلاث مرات اللهم إني أسألك
بوجهك الكريم وعلى بيتك وتمام نعمتك ثم يقول أيضا ثلاث مرات اللهم رب
جبريل وميكائيل وإسرافيل وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من حر النار ومن عذاب
القبر ثم يقول أربعين مرة يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال
والإكرام يا الله يا الله يا الله لا إله إلا أنت أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك أبدا
سرمدا يا الله يا الله يا الله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وذكر أن الدوام على
هذا سبب في حسن الخاتمة بفضل الله تبارك وتعالى ثم يقول بعده لا إله

مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة أصلي الصبح وبعد من
تواجهه أقال مائة مرة إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما اللهم صل عليه وعلى آله ثم يقول مائة مرة لا إله إلا الله
الملك الحق المبين ثم يقول مائة مرة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته
ثم يقول مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر واستغفر مائة مرة
الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد
كلماته ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة ثم يقول إن شاء اللهم
صل وسلم على سيدنا محمد نبي الرحمة وعلى آله وصحبه عدد ما أحاط به علمك
ثم يصلي بعده الضحى ثمان ركعات وإن شغله أمر عن تمام ورده غدوة فليكمله
في بقية نهاره وكذا من الليل وليدم على ذلك ترى بركة عظيمة والله الموفق لا رب غيره
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله عدد خلقه ورضى نفسه ومداد كلماته انتهى من
خطه رضي الله تعالى عنه **قلت** وقول الشيخ رضي الله تعالى عنه قبل
هذا وهي أقل ما يكون عليه سبب في حسن الخاتمة أشار به إلى ما حكي عن أبي عبد الله
محمد بن علي الترمذي رضي الله تعالى عنه أنه رأى رب العزة في النوم نحوا من ألف مرة الحكيم
كل ذلك يقول له أسألك خاتمة خير فيقول له قل يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض
يا ذا الجلال والإكرام يا الله يا الله يا الله لا إله إلا أنت أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك
أبدا يا الله يا الله يا الله يا الله ع مرة بعد طلوع الفجر وقبل صلاة الصبح انتهى
قلت ونحو هذا ما قاله الشيخ عبد الله الدقلم ببغداد قال رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في المنام وهو أصفر اللون فقلت له ما لي أراك أصفر اللون فقال لي
مات من أمتي مائة ألف وسبعون مات انتزع الإيمان والباقي على غير الإيمان
فقلت له ما يفعل العاصي من أمتك حتى يموت على الإيمان فقال هذه الصحيفة فمن
قرأها ونقلها من بلد إلى بلد ومن دار إلى دار يموت على الإيمان ومن سمعها ولم
ينقلها فأنا بريء منه فانتبهت وإذا بالصحيفة مكتوب فيها لا إله
إلا الله المعبود في كل مكان لا إله إلا الله المعروف بالإحسان لا إله إلا الله
كل يوم هو في شأن لا إيمان لا إيمان لا إله إلا الله أعوذ بك من زوال الإيمان ومن

من الشيطان ويا غفور ويا غفار يا رحمن يا رحيم ارحمنا برحمتك يا ارحم الراحمين يا رب العالمين
اشهى قلت ونحوه ايضا ما ذكر عن احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه قال رايت
الحق تعالى في المنام تسعة وتسعين مرة فقلت ان رايته تمام المائة لاسألنه عما ينجي العبد
من النار مع انه تمام المائة فلما رايته ادركني الجلال فلم افهم شيئا فقال يا احمد لم لا تقل
شيئا تمام لئن انت تقول فقلت يا رب ادركني الجلال فقال يا احمد من قال هذه الكلمات
نجا من النار وهي سبحان الابدي الابد سبحان الواحد الاحد سبحان الفرد الصمد
سبحان الله رافع السماء بغير عمد سبحان من لم يتخذ صاحبة ولا ولدا سبحان من لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد انتهى ونحوه ايضا ما روي عن بعض الاولياء من داوم
على هاتين الركعتين امن من سوء الخاتمة يصليهما بعد المغرب ركعتين يقرا في كل ركعة بام القران
والفاتحة مرة وقل هو الله احد سبع مرات والمعوذتين مرة واحدة ويقول في سجوده
ثلاث مرات اللهم اني استودعك ديني وايماني ما حفظته علي في حياتي وعند موتي
وبعد مماتي واما في الركعة الثانية ما تقرا فيها اولا قلت فرايت ربي
عبد الغافر في كتاب الوجيز لذا التي هذه لانه نقص من الاول ونصه ثم يصلي
ركعتين يعني بعد المغرب ومهما استيراع الايمان تقرا في الاولى بعد الفاتحة بسورة انا
انزلناه في ليلة القدر مرة والاخلاص سبع مرات والثانية كذلك ثم تخر ساجدا بعد
السلام وتقول في سجودك اللهم اني استودعك ايماني ما حفظته علي في حياتي
وعند موتي وبعد مماتي انتهى نسأله سبحانه ان يمن علينا بحسن الخاتمة والوفاة على
اعلى درجات الايمان ويجعلنا مع الابرار الامنات ولا حيرة ولا فضيحة في دار النعيم
بلا محنة ولا عذاب ولا عقوبة ولا هوان بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
صلاة وسلاما دائمين بدوام المولى الكريم المنان في الجود والاحسان و كان رضي الله
عنه كثيرا ما يكتب لاصحابه هذه الكلمات ونصه مما يستحسن في جواب الملكين
في القبر نسأل الله ان يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ان يقول العبد في
جوابهما الله ربنا وحده لا شريك له وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبينا ورسولنا
بعثه الله سبحانه بالايات البينات والبراهين الواضحات الى الثقلين كافة بالهدى و
الله تعالى على الدين كله ولو كره المشركون ورضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبسيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

على هذه الشهادة حيينا وعليها متنا وعليها نبعث بفضل مولانا جل وعلا بخيرهم ول
فيه ولا قوة ولا استغفار والحمد لله رب العالمين والشكر لله رب العالمين فليكثر الحمد لله
الكلمات حتى تجري منه مجرى الدم واللحم لعل الله تعالى يطلق لسانه بهما في حوار الملكين
في القبر والله سبحانه المستعان وبه التوفيق وعليه التكلان وصلى الله على
سيدنا ومولانا محمد وعلى آله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق انتهى ومن
الدعوات التي كتبها الشيخ رضي الله تعالى عنه إلى السلطان ابي عبد الله د
حفظه الله تعالى بعد أن بعث إلى الشيخ رضي الله تعالى عنه ثانيا وطلبه أن يكتب
له دعوات يتحصن بها من كل سوء فكتب له الشيخ رضي الله تعالى عنه بما نصه
الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما هذه دعوات
وأمور من أراد حفظه من شر الدنيا والآخرة بفضل الله تعالى وأحوج الناس إلى ملازمتها
من نصبه الله تعالى لكافة الناس وفيهم العدو والحبيب والمحب والمبغض بالإسلام
لمن يكن على هذه الصفة لا بد له من الالتجاء إلى المولى العظيم تبارك وتعالى على الدوام ويتوجه كلما عند ه
ونقول له بقدر ما استطاعه فجزاك الله أن يدعو صبيحة كل يوم ومسائه بهذا الدعاء
ثلاث مرات اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام
وارحمنا بقدرتك علينا لا تهلكنا وأنت رجاؤنا اللهم إني استودعك ديني و
نفسي وأهلي وولدي ومالي إنك لا تخيب ودائعك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ويروى عن عيسى بن مسكين رضي
الله عنه أنه طلع إلى الحج في ركب وكان إذا جنه الليل يطوف على الركب ويقرأ هذا الدعاء
فخرج ذات ليلة من الركب في بعض حاجته فلما رجع وجد سورا في السماء وأظنه من حديد
قد حاط بالركب كله فأراد الدخول إلى الركب فلم يجد مدخلا فبات خارج الركب إلى أن طلع
عليه الفجر فلما خرج عيسى بن مسكين رضي الله عنه بذلك فذكر أنه لا يبرح حتى يطوف
بالركب ويقرأ هذا الدعاء المتقدم ومما ينبغي أن يلازم الإنسان في أول النهار
سور من القرآن أوصى بها أولياء من قبلنا وحدثنا ويحوز قاريها من شر الظاهر
أحدها إذا الشمس كورت والثانية اقرأ باسم ربك والثالثة إنا أنزلناه والرابعة
إذا زلزلت والخامسة لإيلاف قريش وإذا فرغ من قراءة هذه السور فليقرأ قل هو الله
أحد والمعوذتين كل واحدة ثلاث مرات فإذا فرغ من ذلك فليدع بهذا الدعاء وهو

علمة

النبي صلى الله عليه وسلم كل ليلة وليلة بعد النوم لو فاته شيء من الاعمال وهو اللهم
اكفني شر كل ذي شر وحسد كل ذي حسد وسحر كل ذي سحر وارزقنا الاستقامة حتى لا
يفوتنا عمل ولا نية في الظاهر واستر ناحيتنا واجمعنا الجمع بيننا الذي لا بد من اجر على زوالها وارزقنا
سنة اتباع نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابراهيم خليلك عليه
الصلاة والسلام وارزقنا ما رزقت الخواص من عبادك ولا تجعل خوفنا ولا رجاءنا في
احد الا اياك واملأ قلوبنا بمحبتك وحب نبينا سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم
حتى لا يضرنا في معاملة ضر كل ذي ضر من انس وجن واحفظنا في السر والعلانية برحمتك
انك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
وفي هذا الدعاء بعض زيادة وتغيير لاني نقلته من حفظي ومن ادعيته المقبولة
اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد اللهم لا
مضل لمن هديته ولا هادي لمن اضللته ولا مسعد لمن اشقيته ولا مشقي لمن اسعدته ولا مذل
لمن اعززته ولا رافع لمن خفضته ولا خافض لمن رفعته اللهم اعطنا المرام ومنتنا ووفق
لنا يا مولانا بما ضمنت لنا من خير الدنيا والاخرة ومن يقيننا فيما رجيتنا وانعم
على اعمالنا في الظاهر والباطن واسالك اللهم ما سالك به خليلك ابراهيم عليه الصلاة
والسلام من النور واليقين وما سالك به سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
من النعم والنور بينها انك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم تسليما ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واخر دعوانا ان
الحمد لله رب العالمين وهذا دعاء ثابت مستجاب عظيم الفوائد مقبول فيه ونفسه بفضل
الله تعالى ومن خاصيته انه اذا دعا به الانسان ثم يدعو بعده بما شاء من
يقبل وقد اوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعد الاولياء في النوم واوصاه ان يقرأه
على كل من يراه يدعو به ومن العجائب لدفع الاعداء مع سهولة التزام
قراءة الفاتحة في الركعة الاولى بالفاتحة والم نشرح لك صدرك وفي الثانية الفاتحة
والم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل فانه من الزم ذلك الدوام تصل اليه يد عدو وقال
الغزالي وهو مجرب لا شك فيه ومن المجرب الغريب ايضا التزام ان يقول الانسان
ثلاث مرات بعد صلاة العشاء وبعد صلاة الفجر هذا الكلام اللهم اني استودعك
ديني ونفسي واهلي وولدي ومالي في خزائنك من خزائن بسم الله الرحمن الرحيم

به لا اله الا الله محمد رسول الله ومعناها لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وان كتبه مع ذلك وجعله في جيبه كان اكمل واحسن وبالله التوفيق ومن احسن
ما يتحصن به المومن واسهله وهو مجرب صحيح بالعيان كما اخبر به الصادق المصدوق
صلى الله عليه وسلم ان يقول غدوة كل يوم وعشية اعوذ بكلمات الله التامات
من شر ما خلق فانه من قالها غدوة لم يضره شيء الى ان يمسي وان قالها مساء لم يضره مسا
شيء الى ان يصبح وان جلس مجلسا فقالها عند جلوسه لم يضره شيء حتى يقوم من
مجلسه ذلك وهذا مجرب صحيح لا شك فيه منصوص عليه في صحاح الاحاديث المجمع
عليها عند اهل العلم فينبغي ان يقولها الانسان في صرفها الى ما قاله صلى الله عليه وسلم
غير شاك وقد كان كثير من المشايخ يقتصر على هذا التعوذ ويلازمه غدوة وعشية
وكلما جلس او قام او خرج من بيته فعاش محفوظا من كل محنة وقد اوصى به بعض
الاولياء بعض الملوك مما يكثر زيارته والتبرك به فلازمه الملك وطال في ملكه سنين
كثيرة في هدنة وعافية حتى مات في عافية والله ولي التوفيق وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا فـ
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما ومن الغريب المجرب لكل اذاية ومنع كل عدو فائدة لكل اذاية ومنع عدو
وكفاية كل هول وشر كل ذي شر حتى ينتفع من لازمه منفعة كاملة علاجا وهو ان
يقول صبيحة كل يوم ومسائه اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم سبع
مرات ثم يقرأ قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة ثم يكرر قوله
تعالى فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
سبع مرات ثم يقول حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
سبع مرات ايضا فمن قال ذلك في صبيحة يومه حفظ من كل سوء في يومه ومن قالها في
مسائه حفظ في ليلته فلا شك من برخا له التقييد جدا ومما ينبغي فـ
ان يقوله الانسان عند خروجه من بيته بسم الله امنت بالله توكلت على الله اعتصمت ما يقوله الانسان عند خروجه من بيته
بالله وفوضت امري الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله فان الله يحفظه ويحفظ
اهل بيته حتى يرجع الى بيته ثبت ذلك في الاحاديث الصحاح وينبغي ان يكون ذلك عند خروجه
ثلاثا ومن ذلك ان يقول بعد ذلك اللهم اني اعوذ بك ان اضل او اضل او ازل او
ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله

وجه

وصحبه وسلم تسليما عدد ما خلق وما هو خالق الى يوم الدين ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم انتهى من نسخة مصححة بخط الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا
به **قلت** والدعاء الذي ذكره الشيخ رضي الله تعالى عنه قبل هذا ان فيه
بعض زيادة وتغيير لاني نقلته من حفظي ثم وجدته بيده بخط الشيخ رضي
الله تعالى عنه كتبه لبعض اصحابه وبه يصلح ما قدمته ونصه اللهم اكفنا شر انفسنا
وشر كل ذي شر وحسد كل ذي حسد وسحر كل ذي سحر وعين كل ذي عين وارزقنا يا مولانا
الاستقامة حتى ابصرنا اعراقنا في الظاهر والباطن وارزقنا اتباع سنة
نبيك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابراهيم خليلك عليه
السلام واملا قلوبنا بحبك والخوف منك حتى لا نخاف غيرك ولا نرجوا سواك و
واحجبنا بمنيع حفظك وستر لامن ضر كل ذي ظلم من انس وجن برحمتك يا ارحم
الراحمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين صلاة وسلاما
ننجو بهما من كل مخوف في الدنيا ويوم الدين انتهى من خطه رضي الله تعالى عنه **ووجدت**
دعاء بخط الشيخ رحمه الله تعالى ورضي عنه كتبه لبعض اصحابه اللهم انا نسالك
ايمانا يصلح للعرض عليك ويقينا نقف به يوم القيامة بين يديك وعصمة تنقذنا
بها من ورطات الذنوب ورحمة تطهرنا بها من دنس العيوب وعلما نفقه به اوامرك
ونواهيك وفهما نعرف به كيف نناجيك اللهم اجعلنا في الدنيا والآخرة من اهل
ولايتك واملا قلوبنا يا مولانا الى الممات بانوار معرفتك ومحبتك والانس والشوق
الى لقائك حتى لا يكون في قلوبنا متسع لغيرك وكحل عيون عقولنا باثمد هداية [illegible]
[illegible] افكارنا من منازل الشهوات وامنع ظهور نفوسنا من السقوط في
مشكلات الشهوات وامح سطور سيئاتنا من جرائد اعمالنا بايدي الحسنات واعنا
على اقامة الصلوات بترك الشهوات وكن لنا يا ارحم الراحمين يا ذا الجلال والاكرام في محيانا
ومماتنا وحين ينقطع الرجاء منا الا لعرض اهل الوجود بوجوههم عنا حين نحط
في ظلمات اللحود رهائن اعمالنا المشهود انتهى **ووجدت** ايضا بخطه
رضي الله تعالى عنه ما نصه الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله **قال الشيخ ابو الحسن** رضي الله تعالى عنه
ان اردت ان يغفر الشر كله ويأتيك الخير كله ولا يسبقك اليه سابق وان عمل

فيه
ما ينفي الشر كله ويأتيه الخير كله

فاعمل وقل اللهم يا من له الامر كله والخير كله اسئلك الخير كله واعوذ بك من الشر
كله وانك انت الله لا اله الا انت الغفور الرحيم اسئلك بمحمد صلى الله عليه وسلم
الهادي الى الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى
الله تصير الامور مخرجا تشرح بها صدري وتضع بها وزري وتروح بها كربي وتيسر بها
امري وتنور بها بصري وتغفر بها سهوي وتكسبني بها خيرا وتهب لي بها فرجا برحمتك
انك على كل شيء قدير انتهى ووجدت في بعض الكتب ايضا ما نصه الحمد لله وصلى
الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله من كانت له الى الله حاجة او نزلت به مصيبة
او كرب او هم فليتوضأ في جوف الليل ويصلي ركعتين ويقول اللهم صل على سيدنا محمد
وعلى آله صلاة تحل بها عقدتي وتفرج بها كربتي وتنقض بها وحلتي الف مرة فرج
الله عنه ما كان به وصلى الله وسلم على سيدنا محمد انتهى ووجدت
في بعض الكتب ايضا ما نصه الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاصحابه هل تريدون ان يجعل بينكم وبين ابليس ردما كردم ياجوج وماجوج
قالوا نعم قال اقرءوا انا انزلناه في ليلة القدر التي هي بعد المغرب وبعد العشاء
ثلاث مرات قبل ان تنهضوا من صلاتكم ثم قولوا يا الله يا صاحب القدرة فرج عني
همي وغمي وكربي وقيل ان من كتبها وغسلها وشربها لم يزل جوفه ابدا واذا
غسل من عليه جنابة امن من سلس البول وان ومن كتبها ورش بها مصلاه تقبلت صلاته
منه ما صلى فيه ومن قرأها عند نومه احدى وعشرين مرة خلق الله له نورا يحدث
الهواء خطا وصوابا ويبعث الله اليه ملك الموت بتسعين الفا من الملائكة يستغفرون
له الى الصباح وذكر ان من كتبها ثم شرب ماءها لم يزل في بركة واخرج الله من جسده كل
ضر وداء ومن قرأها الف مرة كان ممن يرى الله تعالى في دار السلام ومن قرأها بعد
الزوال وقبل صلاة الظهر احدى وعشرين مرة لم يمت حتى يرى في منامه سيدنا ومولانا
محمد واهل بيته وذكر انه ما شكى احد الى النبي صلى الله عليه وسلم في دين ولا دنيا
الا قال لمن شكى اليه اقرأ انا انزلناه في ليلة القدر يا بنية الفرج ومن قرأها الف مرة لم يمت
حتى يرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويبشره انه ناج من نار جهنم وقال صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة القدر مائة مرة ادخل الله اسمه الاعظم في قلبه ويدعو
ذالك العبد بما شاء تنقضي حوائجه وذكر ان من اخذ بناصية ولده او زوجته او

وتقضي بها حاجتي
هذه الزيادة في بعض الاجوبة
انتهى صح

بنتيه او احد من قرابته من اهلها عليه وما اتى الله تعالى له به فيهم ما يحب انتهى من خطه
ووجدت بخطه ايضا ما نصه عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين يقرا في احديهما من القران
من تبارك الذي جعل في السماء بروجا حتى يختم السورة وفي الثانية اول سورة المومنين
حتى يبلغ فتبارك الله احسن الخالقين ثم يقول في كل ركعة من ركوعهما سبحان الله
العظيم وبحمده ثلاث مرات ومثل ذلك في سجوده منها اعطاه الله عشرين خصلة وعدها
الى اخرها انتهى من خطه قلت لم يتعرض الشيخ لعد الخصال ومن رايت
انه عدها تميم الحموي ونصه اعطاه الله تعالى عشرين خصلة يامن من شر الانس والجن
ويعطيه الله كتابه بيمينه يوم القيامة ويامن من عذاب القبر ومن الجهل والحكم
ويعلمه الله الحكمة وان لم يكن حريصا عليها ويذهب عنه هم الدنيا وينقطع في كتابه
الذي انزل على نبيه ولم يبلغه الله حجته في ذنوبه يوم القيامة ويجعل الله له النور
في قلبه والحزن زايل عن الناس واخلاصا اذا اخرج الناس ويجعل الله له النور في
صدره وينزع حب الدنيا من قلبه ويكتب عند الله من الصديقين انتهى ما وجدته
من عد الخصال نسئله تعالى ان ينور قلوبنا وظواهرنا بنور اتباع سير الانبياء والا
رسل سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله صلاة تنجينا بها
من جميع الاهوال والافات صلاة وسلاما دايمين بدوام المولى الكريم المتعال ووجد
ايضا بخطه ما نصه سبحان الدايم الباقي سبحان الحي القيوم سبحان الله وبحمده
سبحان الملك القدوس رب الملايكة والروح سبحان العلي الاعلى سبحانه وتعالى
فيمن قال هذا التسبيح سنة كل يوم لم يمت حتى يرى منزله من الجنة او ترى له
وذكر ابن حبيب وزاد سبحان الوارث سبحان الملك القدوس قال ويرى النبي صلى الله
عليه وسلم في منامه ومن جربه نعم واجد نجاته على ما قال انتهى من خطه ومن
خطه ايضا قال المجرب صحيح ان المراة اذا انقطع عنها دم الحيض على اول
شغل الرحم تضع يدها على بطنها وتقول اللهم ارزقني من حسن الحمل ولدا ذكرا
اسميه احمد ابتغاء بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم واحياء لاسمه فانه الذي يكون
ان شاء الله ومن المجرب ايضا ان يشتري الولد الذكر بفضل لوليه ابي العباس سيدي
السبتي رحمه الله تعالى ونفع به صح منه ونقلنا من خطه ايضا ما نصه من قرا لتف

قف على هذه الفايدة العظيمة

بعد ضحكة فليقل في دعائه بعد صلاة الغداة مائة مرة بسم الله الرحمن الرحيم
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا قديم يا دائم يا فرد يا وتر يا أحد ويدعو بما
يريد فتقضى حاجته إن شاء الله تعالى انتهى من خطه رحمه الله تعالى ووجدت
بخطه أيضا ما لفظه عن روح بن حنش الصنعاني عن أبيه عن جده أنه قال لابنه
يا بني إذا أهمكم أمر أو كربكم أمر فلا يبيتن أحدكم إلا وهو طاهر على فراش طاهر في لحاف
طاهر ولا تبيتن معه امرأة ثم اقرأ والشمس وضحاها سبعا والليل إذا يغشى سبعا
ثم ليقل اللهم اجعل لي من أمري هذا فرجا ومخرجا فإنه يأتيه آت في أول ليلة أو في
الثانية أو في الثالثة أو في الخامسة وأظنه قال أو في السابعة ويقول له المخرج فيما
أنت فيه كذا وكذا و لبعضهم أنه جرب فاستحسنه وأتاه آتيان ليلتفت إليه أحدهما
أو كلاهما فقال لا له لم أضممت إليه والتين والزيتون انتهى :: يا الله الرقيب الحفيظ
الرؤوف الرحيم يا الله الحي الحليم العظيم الرؤوف الرحيم يا الله الحي القيوم القائم على
كل نفس بما كسبت حل بيني وبين عدوي من دعا بهذا الدعاء حال الله تعالى
بين قلبه وبين وساوس الشيطان الرجيم انتهى من ذكر هذه الأسماء كل يوم بعد صلاة
الصبح سبعا وسبعين مرة كانت من جملة ورده يرى بركتها من الخيرات في دينه
ودنياه وفي نفسه أشياء عجيبة حتى أنه إذا تكلم تعود كلمته تتعلق بأحرز الخلق
وسخر له الخلق في بر الأرض منهم ومحبتهم له وهي عشرون اسما وهي هذه • يا الله •
يا سميع • يا عليم • يا سريع • يا واسع • يا عدل • يا علي • يا عظيم • يا متعال •
يا عزيز • يا عفو • يا باعث • يا وكيل • يا رفيع • يا قدير • يا معبود • يا مانع • فـ جلب الرزق
يا نافع • يا جامع • يا بديع • ورأيت مكتوبا بخط الشيخ أبي زيد ما نصه
من واظب على قراءة سورة الواقعة وسورة والليل وسورة ألم نشرح وفاه الله تعالى بيتهم
أمين فائدة قال ومن صلى على النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة مرة في كل يوم وفقه الله
تعالى يرزقه غناء الشعر الذي لا فقر معه ودعاء لقضاء الحوائج اللهم لقضاء الحوائج
إني أتوسل إليك بنبيك محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم يا محمد إني أتوجه بك إلى
ربك ليقضي لي حاجتي اللهم شفعه في ثلاث مرات ثم تذكر حاجتك فإنها تقضى بإذن الله
ومن أراد أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فليصل ركعتين يقرأ في كل من أراد أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
ركعة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد مائتي مرة فإذا فرغ من صلاته قال ثلاث

لاث

فــ
ما يقرأ به العبد عند الموت فيخفف عنه كرب الموت

فــ
في هذه الدعوات العجيبة

وآتي في المحتضر في الحال بما ينفعه في بعض الأوقات رأى وجه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فإنه في الأمان إن شاء الله تعالى انتهى **ما يقرأ به العبد عند الموت** فيخفف عنه ...

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أتى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ادع الله بهذا الدعاء يخفف عنك في الموت فقال يا جبريل كيف ندعو قال قل يا نور السماوات والأرض يا غياث المستغيثين ويا منتهى رغبة الراغبين ويا منفس عن المكروبين ويا منقذ الهالكين ويا ناصر من لا ناصر له ويا مفرج عن المهمومين ويا مجيب دعوة المضطرين ويا كاشف الضر ويا أرحم الراحمين فرج عني كرب الموت انتهى جميعه الآن من خط الشيخ رحمه الله تعالى ورضي عنه **فائدة** قال بعض العلماء ينبغي لمن أراد حاجة من حوائج الدنيا والآخرة أن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وإن كانت له حاجة على الشخص أن يقول ربنا إنك أنت السميع العليم وإن كان في حال النعمة أن يقول رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية وإن خاف على كل ظالم فيقول رب نجني من القوم الظالمين وإن خاف من همزات الشياطين يقول رب أعوذ بك من همزات الشياطين الآية وإن خاف فتنة الأهل والمال والولد فيقول ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين الآية وإن خاف تقلب القلب فيقول ربنا لا تزغ قلوبنا الآية وإن خاف من سوء العاقبة يقول ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا الآية وإن خاف عذاب النار يقول ربنا اصرف عنا عذاب جهنم الآية وإن رغب في الجنة يقول ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك الآية وإن تواكبت عليه الذنوب وتكاثفت عنه العيوب فليقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين وإن أتم أمرا وأراد إتمامه فليقل حينئذ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ومن خسر في تجارة أو ضاع له شيء فليقل عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون فيعوضه الله ذلك انتهى نسأله سبحانه ثبات الإيمان والوفاة على أكمل الحالات بالمغفرة دنيا وأخرى يوم ... وأخرى بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما دائمين بدوام المولى الكريم الرحمن الرحيم الحليم الغفور سبحانه الراحم

الباب التاسع في وفاته وما اتفق له في أيام مرضه

كان رضي الله عنه في أواخر عمره كثير الانقباض عن الخلق لا يكاد ينبسط مع أحد كما كانت عادته قبل ذلك وشق عليه الخروج إلى المسجد للإقراء والصلاة ولا

تخرج إليه في بعض الأيام لا أحدا من الناس الذين ينتظرونه في المسجد للصلاة ولما
احتضر رضي الله تعالى عنه بالمرض الذي توفي منه انقطع عن المسجد فسمع الناس
بمرضه فصاروا يأتون إلى المسجد فلا يجدونه فتتحير قلوبهم من فقدان الشيخ
وعدم رؤيته فيما أخبرني الشيخ بذلك فصار يتكلف الخروج إلى المسجد للصلاة لأجل
الناس فإذا رأوه فرحوا وسروا بخروجه ورؤيته فخرج يوما وأتى لباب المسجد وأراد
الصعود إليه فلم يقدر فقال كيف أطلع إلى المسجد يا ربي أو كما قال فهم بالرجوع
إلى داره فبادر إليه خوفا من أن يدخل على الناس حزنا برجوعه فتكلف الصعود
إلى المسجد وصلى بالناس صلاة عصر يوم الجمعة ولم يكمل الصلاة إلا بشق الأنفس
وهذه آخر صلاة صلاها فرجع إلى داره فبقي إلى صبيحة يوم السبت من آخر
فقربت إليه زوجته طعاما فقال لها أفرغي على شيء فقالت لم وأي شيء بك
فقال لها أنا تخلفت ثم غاب عن حسه فبقي على تلك الحالة النهار كله ثم
كلمته زوجته وقالت له ما الذي غيبك عن حسك أو قريبا من هذا فقال لها
إن الملائكة قد صعدت بي إلى السماء الدنيا فسمعت قائلا يقول في أخي لما أنت
عليه فعرفت أجلي ثم قال لا أستطيع أن أقيم لك بقية داري أو كما قال فقالت
له زوجته وما الذي أهمك بتركه فقال لها قد تركت حبس ذلك المجسر أخذ منه شيئا
تراقبه أنه لا يزيغ الغالب من حبيبنا إلى أن توفي ومدة مرضه عشرة أيام ومن كل
ساعة يتقوى مرضه وتضاعف المدة وتضعف قوته وحركته ويثقل لسانه
وهو مع ذلك ذاكر العقل بفؤاده والقلب بالكلية ثم تجرد مع ذلك يكلم من كلمه
ويسلم على من يسلم عليه أو يشير له فلما قرب أجله بثلاثة أيام أخذته سكرات
الموت فرجع يناديه بالفم ويميل يمينا وشمالا فنظرت إليه وقد احمرت وجنتاه
واحمرت عيناه وشخصتا واشتد نفسه وتقوى صعوده ونعبو فلم أملك
صبرا على البكاء لما رأيت من شدة مقاساته وعظيم صبره على ذلك ففارقته
وظننت أنه لا يبقى تلك الليلة وكانت ليلة السبت فبقي في النزع تلك الليلة
والا إلى بعد العصر وكان آخر حياته تلقينه الشهادة ثم بعد مدة
فالتفت الشيخ له وقال بكلام ضعيف جدا أو هل اشتغلتم عنها يعني أنه رضي
الله تعالى عنه ليس بغافل عنها فقلبه في ذلك الوقت وإن كنت لم أنطق بها اللسان

بحينئذ

فحينئذ استبشر بما نزل له وعرف الحاضرون انه ثابت العقل ليس بغافل عن الله سبحانه
وكانت بنته رضي الله عنها تقول له حينئذ تمشي وتتركني فقال لها الجنة
تجمعنا عن قريب ان شاء الله تعالى وكانت في يده رضي الله تعالى عنه سبحة فلما
اشتد مرضه سقطت السبحة من يده فبقي يحركها ما شاء الله ثم التفت
الى السبحة فلم يجدها في يده فقال مشت العبادة يا محمد بقيت دبسة وكان رضي
الله عنه يقول قبل موته نسأله سبحانه ان يجعلنا واحبتنا عند الموت دا
ناطقين بكلمتي الشهادة على الخبر بها وتوفي رحمه الله تعالى ورضي عنه يوم الاحد
بعد العصر الثامن عشر من جمادى الاخرة من عام خمسة وتسعين بعد ثمان مائة
واخبرني الولي رحمه الله تعالى عن بنت الشيخ رضي الله عنها انها شمت رائحة
المسك في البيت بعد موت ابيها وشمته ايضا في جسده والله تعالى اعلم
نسأله سبحانه ان يقدس روحه وان يسكنه في اعلى الفردوس فسيحه وان
يجعل قبر تربته في كل لحظة بروية ذاته العلية العرشية النبيهة والمثال
وان ينفعنا به في الدنيا والاخرة وان يجمعنا معه بفضله وكرمه في اعلا المنازل
الفاخرة بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله عدد
خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

الباب العاشر فيما قاله من الشعر او قيل فيه

مما يتضح خصوصيته وعلو منزلته رضي الله تعالى عنه ونفعنا به كان
رضي الله عنه يقول انه يصعب عليه الوزن في غاية الصعوبة ولا يقدر ان يعمل
شيئا من الشعر الا بتكلف هذا مع معرفته بعروض الشعر في غاية المعرفة
ومع ذلك انه تجده رضي الله تعالى عنه لا يقدر عليه في الغالب وربما ينشد
الذي رأيته منه فمنه انشده في زمن صغره قوله

ابا مصطفى من هاشم لي عائل * وبدر الهدى كمال جوف التطاول
عسير له راح في الذنوب شبابه * ووافتا عليه سائر ليس بعاقل
فتم مدى الانشاد الى ان قال
وكيف وما يجار الآن بجاركم * وما العز شاعركم في المحافل
بكم سارت الركبان تختلق الرجا * وتقطع بيداء ولا اتا جنادل

ومن شعره ونقلته من خطه رضي الله تعالى عنه قوله

أيا رسول الله فصل رسالتي   وجسمي حبيس في وثاق خطيئتي

جنيت ذنوبا ما نظرنا عواقبا   ركبت أمورا أهلكتني بليتي

فما لي قوى مكتسب تمسكني والتقى   وروحي وبدني الوصل فليس بطيبة

إذا حركتني لوعة القلب رغبة نعاد   فيود إذا طفت به وهرتنا عن يمينتي

فيا خير مرجو لكل عظيمة   أغثني بجاه منه يصلوا بصبح تربتي

وكن لي شفيعا في ذنوب جمعتها   وحصنا منيعا محرزا حسن طلبتي

وكن لي أمانا نائبة فيهم أم لا تبي   ونصرا إذا أحملت موقف الطا فتنتي

ومالي جار في محابي بميتتي   وأنت الذي بعد الإله ذخيرتي

وغثت بأم المولى وأنت مشفع   لديه مرفع على كل رتبة

وفر مليك لذا الجاه كلها   مصرفه لشاهد أعريتي لأشركة

فيا معدن الأنوار منه تقسمت   ويا ملجأ المخلوق في كل حسرة

ويوم بحشر الهول فيض عبابه   ومن كان الذي سل عن نفع الخليقة

فثم تمادى إلى أن قال

ولم تكتسل بنفسه الزكية لحظة   فتارة من حلاه أفيض حلية

جليل فما أعلا مقاما تقوده   ولله ما أداك من كل حكمة

فيا رحمة الله ها أنا عاينه   بجاهك من كل خطب ومحنة

وختم رضي الله عنه بيتين من شعره فقال

إذا اشتد الضيق فناد يا أحمد   وعم جميع العباد فنه منتصرا

وقل إلا قف معظما أفضل الخلق سيدي   ألمما وأنت أحق في كل مورد

والظلم في الدنيا وأنت نصيب   أناديه في ليلي ولا نجم غائر

وقلب بأشجان وفاها خواطري   إلهي أغثني من الحما منه واجبر

وعار على حامي الحمى وهو قادر   إذا ضاع بالبيداء عقال البعير

قلت هذه الأبيات نقلتها من خط الشيخ رضي الله تعالى عنه كما رأيتها وذكر بعضها هنا تبركا بكلامه فينبغي لمن نظر فيها أن يقصد التبرك بكلامه والاستفادة منه وليس له أن يتعرض لإصلاح بعضها ويقول صوابه من جهة الوزن

كذا فيدخل في جملة من يتحقق من اولياء الله تعالى فيهم بسبب كلامه لاني الشيخ رضي الله عنه اعرف بكلامه من غيره وهو اولى بالاصلاح من غيره وايضا فلعل جل هذه الابيات عملها الشيخ رضي الله تعالى عنه في حال صغره وتركها في المبيضة ولم يصححها ونقلت من المبيضة ولعله خرجها من مبيضته واصلحها والله تعالى اعلم وكتب بعض العلماء رضي الله عنهم الى الشيخ رضي الله تعالى عنه بهذه الابيات من الجزائر وهي

كتبت الى شيخ العلا والمفاخر ❊ امام اصول الدين فهو الاول والآخر
كذا امام في العلوم باسرها ❊ فقد انتشرت في الناس حتى الاصاغر
عنيت ابا عبد الاله محمدا ❊ سنوسي تلمساني امام الاكابر
كتبنا اليكم من بلاد الجزائر ❊ لتدعو لنا فجزاك خير الذخائر

وصرح بعض علماء اهل المشرق بقصيدة وخمسها بعض الفضلاء وانشدت القصيدة بحضرة الشيخ رضي الله تعالى عنه وهو معترف بها اسمه الى الآن حضورا ثابتا ان الحكم هنا هنا التخميس معها لانه كالتتمة للعلو وهو هذا

ثلاث هي الغر كاس بروق الجواهر ❊ فضاع لنا ريا منه عرف العنابر
فقلت لجلاسي ومن كان حاضرا ❊ افاح نسيم الورد يبدو له زاهر
اعرف سليمى ضاع في حي اخي ❊ ارى طيب طي عرف سكان سكنتي
ولم اتنسم غير رائحة كتبي ❊ ابينوا لنا بالله ما حشو صكتي
انشر خزامى ام انداخ مكتني ❊ ام المسك من جيب نما في المناكض
فقال مجيب اصح مقالة صادق ❊ يبين اشكالا بقول مطابق
بما فيه من ورد وما اسطاع فائق ❊ نعم عرف كتب من محب لشائق
بعبر صلاة العصر من بعد ظهر ❊ اتتك بنظم الدر والى هلد
وما مسه طيب ولا حل حوله ❊ فلم لا يطيب المشتري حين حله
كتاب امام ما حوى الغرب مثله ❊ زكي تقي حائز للمفاخر
وذا الحبر ابن يوسف السنوسي محمد ❊ امام له في عنصر المجد محتد
وليس له شبه على الارض يوجد ❊ شريف عجيب عالم ثم مرشد
من العلماء العاملين الاكابر ❊ متى يأته اهل الضلالة يهتدوا
وان جاءه اهل الغواية يرشدوا ❊ وان أمه اهل الشقاوة يسعدوا

حوى شرف العلم والدين سيدي ✤ به الغرب أضحى فخره كل مرتقي
حباه من الحبة الإله بمحضه ✤ وأعطاه كلاما حبانا ببعضه
بمرآته من طالب العلم يرتضه ✤ فيا ليتني لمحت أرضنا لأرضه
لأحظى بسر للقبائح ساتر ✤ أيا سيدي إني ابتليت ببعدكم
سلوا الله يجبرني بتيسير قصدكم ✤ لأسقى بكأس من سلافة سركم
وعلم يزيل الرين عن لب عبدكم ✤ أيا سيدي من لي بما من ضمائري
خويدمكم يهواكم ويودكم ✤ فمنوا عليه بالدعا لأجركم
عسى أن يفيه بالشفاعة جدكم ✤ أيا سيدي ما نجل يوسف عبدكم
أسير ذنوب دونها في الزواخر ✤ تنكب بهم الطالحين لطف يبغكم
وما شك في علم الشهيد ضيفكم ✤ سوى أنه في الله أضحى صريفكم
بفوائد كتبا يكون ربيبكم ✤ إذا فاز بالأمن في اليوم الآخر
فأنتم الذي كل الورى تحترونه ✤ جواد الأمر يا سيد البعث يمونه
كواسطة كتب الهدى ما هريته ✤ أيا سيدي أحيا بك الله دينه
حماه إله العرش من كل ضائر ✤ فقد نشر في رشد الخلائق حكمكم
وأنقذهم من ظلمة الجهل نصحكم ✤ بما فاض من في كرام فضلكم
عليكم سلام ثم رحمى تخصكم ✤ ورضوان ربي ما تغنى بحاجر
فمستفلح بالأجنحة معجم ✤ وصلى إله العرش وهو مسلم
على خير خلق الله ما بانت نجمهم ✤ محب حليف السوء صب متيم
يجز ويبكي للربوع الزوافر ✤ انتهى

وقال الفقيه الأجل الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكوفي حفظه الله تعالى في الشيخ رضي الله تعالى عنه وهو أول من قاله

ما للمنازل أظلمت أرجاؤها ✤ والأرض رجت حين غاب رجاؤها
هذا وريث النبي ما صححت ✤ علل الضلال به استفيد دواؤها
هذا الذي تبع النبي وصحبه ✤ وانجاب عن سبل الهدى ظلماؤها
يا أيها النفس المقدسة ليتني ✤ لبقائها المحمود كان فداؤها
يا أوحد العلماء يا علامة ✤ ذا العلوم بدت لنا أنحاؤها

يا دهر كم ابرزت فينا غوثا به ⁂ يرجى لامراض القلوب شفاؤها
كم جاءت الدنيا تسوق رياسة ⁂ فيشيح عنها تبتغي بها ابناؤها
ما بيت عنها محض مستحقرا ⁂ لم يجز عنه اجلالها وبهاؤها
وجعلتها نحو الجنان مطية ⁂ وسبيل في حالوها اكـ جزاؤها
من للتقى اليوم الشيخ الفقيه ا ⁂ فيريه بعدها ما استشكل فراؤها
من للعلوم على اختلاف فنونها ⁂ فيريك لها انكشاف وجوه حسنائها
من للقلوب اذا صدت واذا قست ⁂ تأتي مواعظه فيذهب داؤها
ماذا اذا شاء من خطابك الفتى ⁂ اعطاه ما يرجو له اعطاؤها
ما شيت من تقوى ومن ورع ومن ⁂ كرم ومن شيم فما احصاؤها
واسيت اهل العلم حتى اصبحوا ⁂ وعليهم من نعمة اجراؤها
نعطيهم وتوثرهم من ترح احاجة ⁂ ما اعتاد دهر مثلها ابدا مغناؤها
فلقاهم متهللا متبسما ⁂ فوجوههم بالبشر عليها ماؤها
اخلاقه التسليم بحبه الرضا ⁂ بالله منشور عليك لواؤها
خلق كريم لم يدل بمعصية ⁂ الا من المولى بنا اعطاؤها
شمس الامام كذا الصديق فانشروا ⁂ ومليحة شهرتها لها اعداؤها
لو كنت تفدى بالنفوس كرامة ⁂ ذهبت له انفسنا وقل فداؤها
لكن مشيئة ربنا تجري كما ⁂ سبقت لنا فلا لهذا قضاؤها
لنعيم والنعيم دائما لوانتها ⁂ في نحبي ما تحبي وكيف عناؤها
ان نبكه عين بما اخت لسد ⁂ حقا ولو فني جثت دموع دماؤها
او نبكه ابن تلمسان ومن ⁂ فيه حوزتها ورجالها ونساؤها
لم يغفروا مغفرة لم ينالها ⁂ ولقد بكته ارضه وسماؤها
بمثله يبكي الوجود مصيبة ⁂ عمت مراضها الورى عمياؤها
هيهات لا الدنيا تجود بمثله ⁂ من شانها لم يصف فيها اناؤها
وجب العزاء به لكل موحد ⁂ وللبلاد الجلالة طاب ثناؤها
ولاهل مجلسه خصوصا انهم ⁂ شمس فنات عنهم وغاب ضياؤها
وشيوخنا العلماء نعني انفسا ⁂ حسر لدا اعظمهم رؤساؤها

واهله حق الحزن ببيوتكم ، من بعد لا تنجلي ظلما وغما
لكن من الشمس المنيرة ان تغب ، بدر الرجا خلف وفيه سنا وكما
يا فلذا صبي اهل المصايب كلكما ، ان تدفنها بالارض خفف بلا وكما
بارزة فزسر روحه وضريحه ، ومن الجفان تحية نعما وكما
وعليه من رب الانام تحية ، موصولة لا تنقضي ادا وكما

انتهى ورثاه بعض الفضلاء مقال

ما للنجوم اكمدت تسلوا من الكدر ، والناس في غمرات الحزن والفكر
وحل خطب عظيم بالعباد وقد ، دانت رزيته شرقا على النجب
ورجفت الارض لما ان اهل بها ، نعش من اكارم امجاد يرعوا الى الغرر
والضوء يكسف من مصباح مخرقها ، والشمس والبدر والجو في تحير
والعاقلين بذكر الله من جهروا ، لما تبدا خسوف الشمس والقمر
اعني بشمس اصاب الخسف بهجتها ، موت ابن يوسف حبر جامع خبر
وهو السنوسي شيخ الوقت عالمنا ، المحسن المنتمي لاثار للشور
كانت بعد عوم التوحيد مايعة ، منها حياة وام للبدو والحضر
وكان شمس تلمسان تضيء به ، بل كل منه بنشر الشور للبصر
احيا الاله به بدر الحبر اركضا ، تحيا بقاع جميع الارض بالمطر
كم جاء جاهل صلد ميت له ، علم يحيي من التقليد والغرر
وراودته الدنيا عن نفسه فابى ، وكان فيها على خوف ومن حذر
جاءته بمهجتها تبغي تعرضه ، فكان من فيها الحزم عن ذعر
لم يلتفتها ولا ساد منصبه ، وكان عنها بغض الطرف والنظر
كانما عصمة الرحمن تلبسه ، فيم يوسف لما فر منه بسر
نادى منها لسان الحال يا بشر ، طلبي وكف عن الاعراض وافتخر
اجابها بلسان الزهد كيف وقد ، انذرت بالناعيين الشيب والكبر
جبلته الزهد والاخلاق ملبسه ، وقوته الزكي في ورد وفي صدر
كانه رمضان كله الحسنة ، وليلة القدر طرت جملة الشهر
الجود والبذل والاحسان شيمته ، وكفه سيل كالكوكب المنهمر

بعط

يعطي الأمان والأيتام ما سألوا ، لو جاءه بعضهم والكل في نفر
يلقاهم ضاحكا تبدو تبسمه ، ولم يبد إليهم نظرة الشزر
ما زال عدا أمة الإسلام متصفا ، بالحلم حتى أتاه الحتف للعمر
فطرية منزل العيادة مضجعه ، وزاد في ابتزاله المرء من العمر
وجاورت مضجع الأقطاب جثته ، وروحه في جنان الخلد في نهر
يا قبر منه وقد ضم أعظمه ، وشبهه الكوكب المنشور في حجر
نورت قبنا بالطباق الثرى كما ، بسطت الأملاك تحكي الأمر والغرر
فلتبكه كل عين ولتنهد كما ، لم لو أنها في قسوة الحجر
يا عمرتنا الأخبار يوم قد فقدته ، وقد سقيت بكأس المر والصبر
إذ وقت صبنا ما زال الحال ينشر بين ، ما صب قطر من عين إلى قبر
فهلك لما أعتراني الحزن مبتدرا ، والدمع ما بين منهمر ومنتثر
يا أيها العالم المولى ورع ، يا أيها الصالح المخصوص بالعبر
من تلسه أجر تحييه وبعد دهرا ، بطاعة الله في الآصال والسحر
من للأرامل والأيتام يكفلهم ، وأنت كنت كفيل كل مفتقر
من العلوم التي ألقيت حكمها ، وعمت في بحرها غواصا على الدرر
حتى وجدت بفخر أنجم لؤلؤة ، جلت عن الثمن المنصور للفقر
وصرت في شرفه لما ظفرت بها ، وعرفت حقا أينما قاض الوطر
أودعتها في صدور الحامدين لها ، عقيدة رسخت كالنقش في الحجر
نفيد الأرواحنا بها وأجرا علمنا ، لو كان يرجى له إلا فنال من سفر
لكن حكم الإله العرش ليس له ، من دافع إنه تعظيم للأجر
يا طالب العلم هذا بحر موردكم ، أصابه المحو والأرواح في سفر
حق العزاء لكم يا أهل بلدتنا ، بنجر والله بعد الشيخ في عمر
يا رب بلغه في الخلد ودهم منزلة ، ثم يغن برضا منه فينتشر
وأمن بتوبته من أنسا فصيرته ، وجه عبيد لعبد الله من سقر
بجاه أفضل خلق الله كلهم ، من جاء بالوحي والآيات والنذر
عليه أزكى صلاة كل طالعة ، ما غنت الورق بالألحان في الشجر

وقال بعضهم في جعفر فقال

يا عين جودي بدمع سائل منسجم … لجعفر شمس الهدى والعالم العلم

جودي بغيث دموع كالسحاب إذا … ما جاد صيبه في السهل والأكم

وابكي بكاء حبيب على … فقد الإمام الشريف الكامل الشيم

سبط الرسول ونسل الهاشمي وكم … قد حاز فخرا بتقوى الله والحكم

لمن حوى لعلوم الدين ما قصدت … بحور العلم فيه وأم الفهم

فهو الإمام وحبر لا نظير له … في عصره سامي المقدار والهمم

هدى الورى للهدى في عصره ولقد … أزاح بالعلم عنا حندس الظلم

قد فاز ذا الحبر بالتوحيد واشتهرت … له المحامد بين العرب والعجم

في كل علم هو البحر المحيط وكم … رقى بهمته حتى أعالي الأمم

كم مشكل من أهل العلم سيدنا … بحل لحلوم جدا من أنجم الظلم

حبر أشرف خلق الله اتفقوا … يرويه عن كل حبر مجتهد وذي كرم

عن الصحابة أصحاب الرسول روى … كأنه منهم قد كان في القدم

سبيل صحب رسول الله مسلكه … معظم قدره مستمسك بهم

رب السموات والأرض خصصه … بالعلم والزهد في الدنيا وبالحكم

أعطاه ذو العرش علما لا نظير له … حقا على العلماء في ذا الزمان سما

كساه تاج الوقار والجلال وقد … حب المذلة للعرش فضلا لكم النعم

لما تواضع لله العظيم رفعه … إلى العلا جنبه لم يدر في النسم

يطوف أورع وأزهد معه وثمة … لكنه في صفات الله ذي القدم

قد بشر الوحي كان الحبر مختبرا … في عصره لم يزل في العرب والعجم

ذا راية وجفانة كان على المنبر … إذ تدعا لم تزل غير مبتسم

مهما تطلع نزال في إليه أفنا … لا شيء أحظى من المخلوق كلهم

قد كان سيدنا ذا خلق محتشم … وكان كنز لأهل الفقر والعدم

وكان كنز أهل العلم ملجاهم … وذا أخذ بيد الملهوف إذ حرم

كهف المساكين للأيتام كافلهم … من أصبح في أخي الجود والكرم

لما تقضى هذا الحبر على المنتهى … دعا المخالفين للخلق في النعم

في جنة الخلد والمأوى منازله ، وفي جنان الرضى كم باعه من خيم
جنات عدن مع الفردوس مسكنه ، مع جيرة المصطفى المعصوم من عظم
في النعيم مقصورا من حوائجهم ، فيها من الحور والولدان والخدم
لفضل ذا نال رب العرش وجدها ، من عند الجواد كم يعطي الشيم
يا ابنا ليوسف يا من انفق لجد ، أنت السنوسي بحر العلم والحكم
قد كنت فيهم امام هذا السهر ، وهم مع الشكر والمقدار والفهم
نشأت في طاعة الرحمن منذ ما بقا ، على عبادة من فرج الى هرم
هزة عن قلة غير الله ملتزم ، أو أمر الشرع جهرا ومكتتم
ثم أتى الموت مضبوط الجناب التي ، إذ نلت من نعمة تسمو على الأمم
ما رفقتنا بالكريم إذا فاصل في تحللا ، التي حي بدار البقاء والعز والنعم
بشراك انك نلت من الباري لطاعته ، ولكننا نرجو من فضله من كرم
لكن أرواحنا من بعدكم سلبت ، لكن أجسامنا لحم على وضم
فراق جسمه للروح الزكي ملمه ، فدرككم في ضلوعي مطلق السقم
وصار في نحيل الجسم مشتكيا ، على البكا وكذا القلب في ضرم
أبكي ونبكي جميع الخلق بالدمع ، فدمع الزمان بدمع عين منعدم
لفقده إنه ياقوت العلوم لقد ، حق البكا على طفل ومحتلم
والجن والإنس والأملاك كلهم ، والطير والوحش والأسماك في اللجج
والبدر والنجم والشمس المنيرة مع ، بدر الدجى ونجوم السعد في الظلم
كذا الليالي التي أحييت يا سيدي ، تبكيك إذ لم تقم فيها على قدم
تبكي لفقدك أيام الصيام وقد ، تبكيك ما سيل في أشهر الحرم
من للسؤال يا بحر العلوم إذا ، ما أعضلت بجواب فاصل الحكم
من المسائل يهدي أشكلت وردت ، عليه جاء جوابا من جنى كلمهم
من للقراءة والتصنيف بعدكم ، من التآليف والإعراب للكلم
يا عصبة الدين والإيمان إنكم ، رزئتم في شيخ ما جرى عليكم
والله يلهمكم صبرا عليه وإنه ، يجزيكم من لدنه أفضل النعم
وأحسن الله يا أهل الجوار لكم ، حسن العزاء بصبر غير منفصم

حتى الجزاء لاهل العلم كلهم … ولا اقارب و الاهلين والحرم
والتابعين والاصحاب الاعلام وهن … والال خيرا وعموما بلا فرم
والمسلمين وكل المسلمات عسى … كل ينال الرضى من فضل ربهم
يا رب واسق ضريحي لحي بسحب رضا … من جود رحماك دابا منع عهد في الغرم
يا رب واجعل ابا عبد الاله غدا … شفيع ذنبي اذا ما اوتي في قرم
واخر بيني بذا الجلال النبي … تحت اللواء مع المخصوص بالحكم
اسم النبيين خير الرسل خاتمها … محمد المجتبى المبعوث للامم
يا رب صل عليه كلما طلعت … شمس وما انهل مع المزن بالديم
ثم الصلاة على ءال النبي وهم … بدور الورى وانا مستمسك بهم
كذا الصحابة اصحاب الرسول وهم … من بعده افضل المخلوق كلهم
يا رب يا رب بالمختار يا املي … جد لي بسحب الرضى من فضلك العمم
يا رب عفوك عن ذنبنا وعن زللي … نرجو بذا الخلائق يوم حشرهم
ذنبي عظيم وزلاتي لقد عظمت … ولست خايف مما جنت دهم
لكن رجاي بان تمحى بجمعهم … للعبد شغلني جاه من خص بالكرم

انتهى وزناه السيد الفقيه الاجل الصالح ابو عبد الله محمد بن ابي البركات ابن ابي يحيى ابن ابي البركات التناجي الدغماري رحمه الله ثم قال

ايا طالب خير العلم في كل ساعة … بحلوات املاء المسلمين كما قدر
املاء الهدى على ابن ذاك محمد … سليل السنوسي الزكي الذي شهر
يوسف سيف المشكلات وقائم … بعلم اصول الدين فيهما كما افتخر
وما شيت من علم الكتاب وسنة … وغيرهما انتفعاه فيها كما ذكر
فيا عجبا للبحر غاص بنبتة … وقد كان عمم النقص فيها بما سطر
بفضل لعاني الرحمن نظم عقايد … دنوم لنهال للدين العويلم وينتشر
خليل ومي صادق خوفني لحة … امين زكي النفس داعا وصهر
اخو ملة يغضي عن الوضى جفنه … ومن طاعة الرحمن بالحزم يستتر
جفا عن سبيل المكرمات بجائر … وراعى جواب السايلين بحنزر
تراه مع الجواب لمراقي … يدوم طلاب العلم اوجا بخبر

جنين

حنين عليه الحزن بعد فراقه ، ودمع على الخدين ينهل منهمر
وحق لنا طول البكا وحق لي ، خصوصا لروح العلم والدين منتبر
فانا الى الله العظيم لفقده ، اطاب عماد الدين والتاج منكسر
ترى هل له يوما من الدهر مطلع ، وهل بعد هذا الكسر يرجى وينجبر
ويا معشر الاسلام هذا عزاؤكم ، بهذا المصاب اليوم والعقل يحتضر
وعن زمن الدنيا وخر بزهرها ، يغض اللبيب الطرف فيه ويزدجر
فيا بعد هذا العالم الحسني الذي ، فقضى نحبه فذا امامها انتمر
وصوت له ثم انتهى الى ان غبر ، رفيع مع الاسناد اتى في الخلد مستقر
عليه سلام الله ثم اله رحمة ، تكون به في الخلد معه اذا حشر
وذا ختمها بجود النجاة محمد ، يسلم الى ابن كان والحمد يستمر
به جي يوم اجرو صلاة ، على احمد الهادي الشفيع لزائر
بزينب واوزار اذا الحشر قائم ، ويطلب عبد الشرع فيه كما امر
هنا لهجر العبد ذيل عناية ، اذا جاء بالعدل الجميل ويعتذر
ونرتجي هذا النظم بالسلامة ، على سالم الاحباب بعدو يفتخر

انتهى **قلت** وخرجنا يوم جمعة قبل الصلاة لزيارة قبر الشيخ رضي الله تعالى عنه مع تلامذة هذه العصيرة حفظه الله تعالى فبنا قبر روضته من اهل انس في بهجة وسرورا ونبت من محاسنه عجبه وحبورا فقال

هنيئا هنيئا للمقبل بروضة ، عليها من النور البهي ملابس
وفرحة فيه يا ابن يوسف الشرفا ، بكم واطنت في الوجود مجالس
ومادح عبد الطيبات التي برت ، لكم من خبايا جالس وتوانس
لعمري كنت من قبل الممات موقرا ، كما اصل عماد الدين انت لدارس
اتتك منه ابكار حسان تبهجت ، على حسنها لحن الصبر على ابيس
ولكنها على حمل لبيس فيه خالصبا ، لعفو ذوي الايداع بين كما تنافس
بحسنك حمير المنى منه ومكن ماء ، هنيئا لك الخيرات ثم العرائس

انتهى وهو نهاية الحسن وفي رضي الله تعالى عنه بغير هذه المراثي الكثيرة يطول تتبعها ويوجد الى المطالب كلها وفيها ذكر لكفاية لذوي الالباب ونهاية لاولي الابصار

والأحباب. وهذا آخر ما قصدناه وأوجز ما أوردناه على سبيل الاختصار
من غير تطويل والإكثار. ولتعلموا أني تكلمت في هذا دون أصحاب سيدي
الشيخ ولبست بالفضل والله لو كان الذنوب منظرا لكنت أقبحهم أو ملبسا
لكنت أخشنهم أو مأكلا لكنت أقذرهم ولكن جعلت ذا إلا لتعلموا محبتي لسيدي
الشيخ ولتنادب محبة من لم يرهم ليلا يتكلم في حقه بما لا ينبغي رحمه الله تعالى
ونفعنا به وبالله تعالى التوفيق لا رب غيره. نسئلك يا مولانا أنت الكريم البار الرحيم.
وأنا العبد اللئيم. الضعيف العديم. أن تجعل كلامنا هذا خالصا لوجهك الكريم.
وسائقا إلى جنات النعيم. وأن تذهب عنا برحمتك الجحيم. يا أرحم الراحمين.
اللهم عمر بالحزن على الآخرة خراب قلوبنا. وقصر بالعفو عن جوارحنا من دنس
ذنوبنا. وزين قلوبنا ببهجة الصالحين. واجعلنا في كلامنا هذا من المخلصين. اللهم
إني أعوذ بك من خشوع ظاهر. وقلب غير طاهر. واجعلنا يا مولانا من كلام ظاهره
زهد وورع. وباطنه حرص وطمع. نتشبه بكلام الصالحين ونتواله. ونتبجح من العمل
به ونأباه. ونظهر التقوى في الزي واللباس. لنظهر التخشع بين الناس. ولبس الأيام
كذلك فإذا اجتمعنا وذكرنا أخبار الصالحين وكأننا منهم على شيء. وما عندنا منها
شيء. ونحو هذا في الصباح وفي المساء فأي ابتلاء أشد من هذا البلاء. اللهم
إنا نسئلك يا ذا الجلال والإكرام أن تحشرنا في زمرتهم. وأن تنفعنا في الدنيا بالحزن
بمحبتهم. وفي الآخرة بقربهم ومحبتهم ومجاورتهم. فيا قابل الكرام الأكرمين وإن لم نكن منهم
مقطعا. فنحن نحبهم لأجلهم طبعا وشرعا. ونرجو عن ذلك على لسان رسوله الصادق
المصدوق صلوات الله وسلامه عليه. كل محب بمحبوبه والقلب لنا على سبيل الفضل والكرم
بسم وابن من سمعان من انتما إليه. وتحقق بسبب من أسبابه والمملكة يا من خزائنه
لا ينفذ لعطاء. ومن كرمه لا تساحل له متسعة لا تنقص منها. ولا ضيق ولا فراغ ولا حصر
فما ضنك الطفيلي إذا أسم إكرام الرب الكريم لبعض عبيده في دار ضيافته أن يتطفل ويبر
بالشفاعة للدخول معهم إلى الرب الكريم. المفضل عن عباده في أبوابه. اللهم إنا نتوسل
إليك يا مولانا في نيل هذه المطالب كلها بذاتك العلية. ثم بنبيك ورسولك النفس
الزكية الشفيع المشفع عندك سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
صلاة تصحبنا إلى الممات نوحنا حادفة تسطع على ظواهرنا وبواطننا في الدنيا

والآخرة

وبآخره أنوارها، وتذهب به عنا من المعاطب قيودها وحجبها وأغيارها
وآثارها، بفضله وجوده إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وعلى آله عدد ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، ورضي الله
تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلام
على عباده الذين اصطفى من أنبياء الله تعالى والمرسلين، والملائكة الكرام والمقربين،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، **وكتبه** مؤلفه عبد الله تعالى
محمد بن عمر بن إبراهيم الملالي التلمساني غفر الله له ولوالديه وختمه في أوائل جمادى
الآخرة عام سبعة وتسعين وثمانمائة رزقنا الله تعالى خيره، وكفانا بفضله شره
وضيره، بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عدد ما خلق إلى يوم الدين

انتهى التمام بحمد الله تعالى وحسن عونه الجميل
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا
دائما إلى يوم الدين والحمد
لله رب العالمين
ولا حول ولا
قوة إلا
بالله
العلي
العظيم

